كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي
أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم
صاحب السمو الملكي
الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود
أجزل الله مثوبته

المجلد العاشر

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد العاشر

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

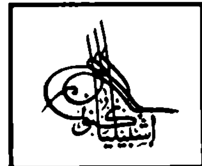
رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-١١-٨٠١١-٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٩٢- باب الوقار والسكينة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[الفرقان: ٦٣].

الحديث رقم (٧٠٣)

٧٠٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا، حَتَّى تُرَى[١] مِنهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"اللَّهَوَاتُ": جمع لَهَاةٍ: وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم.

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مستجمعًا: مبالغًا في الضحك لم يترك منه شيئًا[٣].

لهواته: جمع لهاة: اللحمة التي في أقصى سقف الفم[٤].

الشرح الأدبي

حمل الرسول ﷺ همَّ هداية البشر جميعاً، وأطلعه الله على كثير من الغيبيات، وما ستتعرض له أمته من خير، وشر نضيف إلى ذلك ما رآه، وعلمه من الدين بالضرورة، فقد رأى الملكوت السفلي بجنِه وإنسه ودوابّه، فقد قال ﷺ إنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا...[٥] وقال أيضا (... مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إلاَّ قَدْ

---

(١) لفظ مسلم: (أرى)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٥٦/٤، رقم ٢٢٧٤) وكذا لفظ البخاري برقم (٤٨٢٨).

(٢) اخرجه البخاري (٦٠٩٢)، ومسلم (٨٩٩/١٦) ولفظهما سواء.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٤) رياض الصالحين ٣٠٢.

(٥) صحيح مسلم كتاب: (الفتن) باب: (هلاك هذه الأمة بعضها ببعض) رقم (٢٨٨٩).

رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا.....)[(١)] ورأى الملكوت العلوي، ورأى مشاهد من الآخرة ليلة الإسراء[(٢)] ورأى الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها؛ (قَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ)[(٣)] ورأى كل المواقف التي تمر بأمته في الحشر والنشر، والثواب والعقاب، قال ﷺ (إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ.....)[(٤)]

كل هذه المشاهد التي رآها عين يقين[(٥)] ﷺ تحولت إلى معانٍ جاشت في صدره وحملها قلبه، فصار يتقلّب بين هموم الدعوة، وينشغل بحال الناس، وهو ما عبّرت عنه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو أقرب المقربين إليه بقولها: (ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ) حيث نفت عنه هيئة الضاحك بملء فيه، وأكدتها بقولها (قط) لنفي توهم المبالغة، وتأكيد معنى النفي، وقد زادت المعنى توكيداً بأسلوب القصر (إنما كان يتبسم) حيث قصرته على التبسم لا يتعداه إلى الضحك، وقد كان أكثر الناس يبسماً وهو من أدبه العالي ﷺ.

فقه الحديث

المكروه من الضحك:

قال ابن حجر: (الذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار)[(٦)].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح - ينظر عمدة القاري - بشرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين ٣/٦٦ رقم (٤٨) طبع ونشر علماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

(٢) ينظر حديث الإسراء في صحيح مسلم ١/١٤٥ كتاب الإيمان رقم (٣٥٩).

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٣٢. كتاب: (الفضائل) رقم (١٣٦).

(٤) صحيح مسلم ٢/٦٢٢ كتاب الكسوف رقم (٩).

(٥) رؤية عين بأن كشف له دونها فرآها علي حقيقتها، وطويت المسافة بينهما.....) شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك. (للإمام محمد الزرقاني) ١/٣٧٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٥، وانظر: شرح ابن بطال ١٧/٣٣٦، وتنبيه الغافلين للسمرقندي ١/٢١٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨/١٧٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والقصر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الوقار والسكينة.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والقصر:

لقد نفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ المبالغة في الضحك، وقصرت ضحكه ﷺ على التبسم، وذلك إخبارًا عن وقار النبي ﷺ وسكينته. قال ابن حجر: (قوله: "مستجمعا قط ضاحكا" أي مبالغا في الضحك لم يترك منه شيئًا، يقال استجمع السيل: اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره: اجتمع له ما يحبه... أي ما رأيته مستجمعًا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك)[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ))[٢].

قال ابن حجر: (والنواجذ جمع ناجذة، هي الأضراس، ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك، ولا منافاة بينه وبين حديث عائشة "ما رأيته ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا ..." لأن المثبت مقدم على النافي، قاله ابن بطال، وأقوى منه أن الذي نفته غير الذي أثبته أبو هريرة، ويحتمل أن يريد بالنواجذ الأنياب مجازًا أو تسامحًا، وبالأنياب مرة[٣]، فقد تقدم في الصيام هذا الحديث بلفظ ((حتّى بَدَتْ أنيابهُ))[٤]، والذي يظهر من مجموع الأحاديث، أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٨٧، ومسلم ١١١١.

(٣) جاء في حاشية فتح الباري: لعل هنا سقط تمامه "فعبر بالنواجذ مرة وبالأنياب مرة.. إلخ".

(٤) صحيح البخاري ١٩٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٢١.

ثانيًا- من صفات الداعية: الوقار والسكينة:

إن الداعية له منزلة كبيرة في قلوب المدعوين، ومن الطرق الموصلة لهذه المنزلة التزام الداعية الوقار والسكينة، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما جاء في هذا الحديث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى تُرى من لهواته، إنما كان يبتسم"، قال ابن عثيمين: إن النبي ﷺ لم يستجمع قط ضاحكًا تبدو منه لهواته، يعني ليس ضحكًا فاحشًا بقهقهة، يفتح فمه حتى تبدو لهاته، ولكنه ﷺ كان يبتسم، أو يضحك حتى تبدو نواجذه، أو تبدو أنيابه؛ وهذا من وقار النبي ﷺ)[1].

والنبي ﷺ هو إمام الدعاة وقدوتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[2].

قال ابن كثير: (هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة ووقار، من غير جبرية ولا استكبار. كما قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[3]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الأرض تطوى له[4]، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابًا يمشي رويدًا فقال: مالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا، يا أمير المؤمنينن فعلاه بالدرة. وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد ههنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ ((إذا أتيتُمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٠٨/٢ - ١٠٠٩.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٦٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٧٧).

الصلاةَ فَلاَ تأتوهَا تسعَوْنَ، وأتوهَا وعليكُمْ السكينةِ، فَمَا أدركتم فصلّوا، وَمَا فاتكُمْ فأتمّوا))[١][٢].

وقال النووي عن معنى السكينة والوقار: (قيل هما بمعنًى وجمع بينهما تأكيدًا، والظاهر أن بينهما فرقًا، وأن السكينة التأني في الحركات واجتناب العبث وغير ذلك، والوقار في الهيئة وغض البصر وخفض الصوت، والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك)[٣].

وقال أبو العباس القرطبي مبينًا أثر الحياء في التحلي بالوقار والسكينة -قال: (إن منه [أي من الحياء] ما يحمل صاحبه على أن يوقر الناس ويتوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أن يسكن عن كثير ما يتحرك الناس إليه، من الأمور التي لا تليق بذوي المروءات)[٤].

ويربط ابنُ القيم بين وقار الظاهر ووقار الباطن، وأن وقار الباطن هو الطريق للظاهر، وأن أساس ذلك توقير الله وتعظيمه، فيقول: (من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس، وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[٥]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: العظمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾[٦]، قال الحسن: ما لكم لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرونه؟ وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم. وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة. وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/١٢١-١٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١/٢٢٠.

(٥) سورة نوح، آية: ١٣.

(٦) سورة الفتح، آية: ٩.

وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله، وعرفوا حق عظمته، وحَّدوه وأطاعوه وشكروه. فطاعته سبحانه، واجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يُستَحى من ذكره، فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله.

ومن وقاره أن لا تعدل به شيئًا من خلقه، لا في اللفظ، بحيث تقول: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره نهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء. وَيجعَلْه أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويُقدِّم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في حدٍ وناحية، والناس في ناحية وحد، فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس، دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولُبَّه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدَّمًا على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب. ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم. وإن وقروه مخافة شرِّه فذاك وقارُ بغضٍ لا وقار حب وتعظيم. ومن وقار الله أن يستحيى من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره. ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحيى من أكابر الناس.

والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه، وما آتاه من العلم والحكمة، كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟! القرآن والعلم وكلام الرسول ﷺ صلاتٌ من الحق وتنبيهات وروادع وزواجر واردةٌ إليك، والشيب زاجر ورادع وموقظ قائم بك، فلا ما ورد إليك وعظك! ولا ما قام بك نصحك! ومع هذا تطلب التوقير والتعظيم من غيرك! فأنت كمصاب لم تؤثر فيه مصيبته وعظًا وانزجارًا، وهو يطلب من غيره أن يتعظ وينزجر

بالنظر إلى مصابه. فالضَّربُ لم يؤثر فيه زجرًا، وهو يريد الانزجار ممن نظر إلى ضربه)[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إنما بعث الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وأولى الناس به هم المؤمنون به، الذين يقتدون به في دينهم ودنياهم وفي مختلف أحوالهم، لأن الله سبحانه وتعالى نصبه قدوة وأسوة للخلق يتأسون به، ولذلك ما أجمل أن يقتدي المدعوون به ﷺ في ضحكه وتبسمه فلا يخرج عن وقاره وسمته إن فعل ذلك. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك)[٢].

وقال ابن القيم: (وفي صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة "إني باعث نبيًا أميًا، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوّال للخنا[٣] أسدده لكل جميل، وأهب له كل خُلُق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه والبرّ شعاره، والتقوى ضميره والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه. والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه)[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))[٥].

وقال الحسن البصري في قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٦] قال: (إن المؤمنين قوم ذلت منهم - والله - الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، وإنهم والله لأصحاء، ولكنهم دخلهم من الخوف

---

(١) الفوائد ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٠.

(٣) الخنا: الفحش في القول. النهاية في غريب الحديث في (خنا).

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٩٣/٢-٣٩٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨١).

(٦) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله نعمةً إلا في مطعم أو في مشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه)[١].

وتأسي المدعو بالنبي ﷺ في سكينته ووقاره يعود عليه بفوائد جمّة في دينه ودنياه، فأهمها أن ذلك طاعة لله وامتثالٌ لأمره بالاقتداء بالنبي ﷺ، كما يبتعد المدعو عن الرذائل والأمور المستنكرة، فضلاً عن حب الناس له واحترامهم إياه، كما أن الوقار والسكينة من صفات أهل الرئاسة والقيادة والشرف والسؤدد[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٢/٦، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠٢/١١-٢٠٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٦٧٤/٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المسلمون ليسوا كغيرهم المسلمين في قيمهم وسلوكهم، فإن للمسلم من الهيبة والوقار ما ليس لغيره لأن هناك سمت مميز يجب الحفاظ عليه وعدم التخلي عنه في كل الأحوال، حتى في المزاح وفي الفرح وغير ذلك.

وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية، من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على الوقار والسكينة:

إن من أهم أهداف التربية الخلقية التربية على الوقار والسكينة، ذلك لأنهما يدلان على شخصية الفرد ومدى اتزانه، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يشير إلى صفات التوازن والاعتدال، والسكينة والوقار في شخص رسول الله ﷺ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

والوقار من آثار الحياء والحشمة، "ومن فوائده أنه يبعد صاحبه عن الرذائل ويجافيه عنها، والناس يحبون الشخص الوقور، والوقور يدرك ما لا يدركه غيره من معاني العز والشرف والسؤدد والرياسة، والوقار عز لصاحبه في الدنيا والآخرة، ويكسبه المهابة بين الناس"[1].

إن المسلم الذي يتربى على الوقار والسكينة يبتعد عن كل ما يؤدي به إلى سقوط الهيبة، ومن ذلك المزاح والضحك، ولذا فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما وصفت ضحك رسول الله ﷺ بأنه لا يبالغ في الضحك حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم "وأما الإفراط في المزاح فإنه منهي عنه حيث إن كثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ كَثُرَ

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٨/٣٦٧٤.

ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مِزَحِ اسْتُخِفَّ بِهِ»، ونظر وُهَيْب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد الفطر، فقال: "إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين؟"، وكان عبدالله بن أبي يعلي يقول: "أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار!"، وقال محمد بن واسع: "إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه، فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا والمحمود منها التبسم الذي ينكشف فيه السنّ ولا يسمع له صوت، وكذلك كان ضحك رسول الله ﷺ"[1].

وقال الماوردي: (وأما الضحك فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة مُذْهل عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وُسِم به خطر ولا مقدار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلت هيبته»، وقال علي رضي الله عنه: «إذا ضحك العالم ضحكة مَجَّ من العلم مجة»، وقيل في منثور الحكم: ضحكة المؤمن غَفْلَة من قلبه. والقول في الضحك كالقول في المزاح: إن تجافاه الإنسان نفر عنه، وأوحش منه، وإن ألفه كانت حاله ما وصفناه، فليكن بدل الضحك عند الإيناس تبسما وبشْرًا، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التبسم دعابة»، وهذا أبلغ في الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجبًا، وليس ينكر منه المرة النادرة، لطارئ استغفل النفس عن دفعه، فهذا رسول الله ﷺ وهو أملك الخلق لنفسه، قد تبسم حتى بدت نواجذه، وإنما كان ذلك منه ﷺ على الوجه الذي ذكرناه)[2].

ثانيًا- التربية بالقدوة:

إن من أساليب التربية النافعة التربية بالقدوة لما لها من أثر طيب في إقناع المتربي، وإظهار التطبيق العملي لما يدعو إليه المربي، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يبين كيف كان رسول الله ﷺ قدوة في الوقار والسكينة، ولا أدل على ذلك من بيان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ يتبسم ولا يبالغ في الضحك

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى ص ٤٠٢.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٠٢.

حفاظًا على الوقار والهيبة والسكينة، «مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى ترَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

"والقدوة هي متابعة من المقتدي للمقتدى به في فعله، ويراد فيها في المعنى الأسوة والتقليد والمحاكاة والتشبه، ولا يقتدي المرء إلا بمن أحبه، وأُعْجِبَ به وأَكْبَره في نفسه، وتكون القدوة في الأقوال والأفعال والمواقف، والمراد بالقدوة في إطار التربية الإسلامية: إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتخذ شخصًا أو أكثر تحقق فيهم الصلاح ليتشبه بهم ويأخذ عنهم سلوكه، ولذا فإن الله تبارك وتعالى بعث الرسل الكرام من أطهر البشر وأحسنهم سمعة وأسماهم خلقًا ممن عصمهم الله تعالى من الدنايا والرذائل وذميم السلوك والأفعال ليكون ذلك هو الجانب العملي للشرائع والأديان في حياة الناس بعامة، وأما نحن المسلمين فقدوتنا وأسوتنا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومما لاشك فيه أن الجانب السلوكي العملي أوقع في النفس وأكثر طمأنينة لها من القول في كثير من الأحيان"[١].

إن القدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات، إن من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن المنهج يظل حبرًا على ورق... يظل معلقًا في الفضاء... ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض... ما لم يتحول إلى بَشَرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعرِه وأفكارِه مبادئَ المنهج ومعانيه، عندئذٍ فقط: يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ، لذلك بعث الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس، ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ"[٢].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. امين أبو لاوي ص ١٧٣، ١٧٤.

(٢) مناهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ١٤٨/٢.

٩٣- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

الحديث رقم (٧٠٤)

٧٠٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُم فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد مسلِمٌ[2] في روايةٍ لَهُ: ((فَإِنَّ أحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ فِي صَلاَةٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تَسْعَوْن: تجرون وتعدون[3].

الشرح الأدبي

الخشوع هو الذي يحدث الأثر الأكبر في تهذيب نفس المصلى، وتنقيته داخلياً مع صفاء روحه، فالصلاة لها تأثير في النفس، لأنها تدعو إلى تفريج القلب، وتقويته وشرحه، وكشف همه، ولذلك شرعت صلاة الحاجة، والاستخارة، فهى تسكّن ظنون النفس، وتطرد شكوكها، وترددها، وتذهب بقلق صاحبها، وخوفه، وهمه وحزنه[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٦٠٢/١٥١)، وهذا لفظ الترمذي (٣٢٧).

(٢) برقم (٦٠٢/١٥٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د و).

(٤) روضة المحبين لابن القيم ص١٥١ والطب النبوي لابن القيم صد ١٩٣.

لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يهيأ المصلي نفسه قبل أن يدخل في الصلاة، ونهى عن كل ما يؤثر في سكينة نفسه، وخشوعه، لذلك بدأ حديثه بأسلوب الشرط الذي يربط فعلاً بجزائه (إذا أقيمت الصلاة..) وقد استخدم أداة الشرط (إذا) المؤذنة بتحقق الشرط، وقد جاءت جملة الجواب في صورة النهي (فلا تأتوها وأنتم تسعون) وعطف عليها الأمر المؤكد لها (واتوها وأنتم تمشون) فنهى عن الحركة السريعة التي تنفي الخشوع المتمثلة في السعي، وأمر بضدها، وهو السير الهادىء الذي يوفّر السكينة، وهو من طباق السلب، ثم إنه صعَّد الإحساس بأهمية هذا الأمر بقوله (وعليكم بالسكينة) أي الزموا، ثم عالج ما يترتب عل ذلك من فوت بعضها بقوله (فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا) ونلاحظ تتابع الفاءات المؤذنة بفورية الدخول مع الإمام حال الوصول.

لأن الغاية المتحققة أولى لأنها تحفظ خشوع من في المسجد، وتوفر السكينة على القادمين وهو ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين في المسجد.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- ما يستحب لمن قصد الجماعة: يستحب للرجل، عند الحنفية، والحنابلة، والأصح عند الشافعية، إذا أقبل إلى الصلاة: أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع، وعليه السكينة والوقار، وإن سمع الإقامة لم يسع إليها في عجلة، وقال الإمام أحمد وأبو إسحاق: إن خاف فوات التكبيرة الأولى فلا بأس أن يسرع، إذا طمع أن يدركها ما لم يكن عجلة تقبح، وقال المالكية: يجوز الإسراع في المشي للصلاة في جماعة لإدراك فضلها إسراعًا يسيرًا بلا جري يذهب الخشوع، وإلا يكره[1].

---

(١) الاختيار ٦٣/١، وبداية المجتهد ١٩٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٨٧/١.

٢- القدر الذي تدرك به الجماعة: اختلف الفقهاء في القدر الذي تدرك به فضيلة الجماعة: فذهب الحنفية والحنابلة، وهو الصحيح عند الشافعية، وهو قول ابن يونس وابن رشد من المالكية إلى أن فضيلة الجماعة تدرك باشتراك المأموم مع الإمام في جزء من صلاته، ولو في القعدة الأخيرة قبل السلام، وذهب الشافعية في مقابل الصحيح، وخليل، والدردير، وابن الحاجب من المالكية، إلى أنها لا تدرك إلا بإدراك ركعة كاملة[1].

٣- هل ما أدرك المأموم، هو آخر صلاته،أم أولها؟ ذهب المالكية والشافعية، إلى أن ما أدركه المسبوق مع الإمام هو أول صلاته، وما يفعله بعد تسليم الإمام هو آخرها.

وذهب الحنابلة إلى أن ما أدركه المسبوق من صلاة مع إمامه هو آخرها،أي: آخر صلاته، وما يقضي، مما فاته، هو أولها[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على السكينة في إتيان الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الصلاة في جماعة والتبكير إليها.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين على إقامة الصلاة والالتزام بآدابها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على السكينة في إتيان الصلاة:

(الصلاة آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي من أعظم شعائر الله)[3]. قال

---

(١) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٨١/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢٨/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣١/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ١٢٠/٢ وما بعدها.

(٢) حاشية الصاوي ٢٧٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٦٠/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ١٢٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠١٠/٢.

ابن قدامة: (وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقول الله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(١) وأما السنة فما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجِّ البيت من استطاع إليه سبيلاً))(٢) مع آي وأخبار كثيرة وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة)(٣).

قال النووي: فيه [أي في حديث الباب] فيه الندب إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعيًا، سواء في صلاة الجمعة وغيرها، وسواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أم لا، والمراد بقول الله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٤) الذهاب)(٥).

وقال صالح الفوزان: (أيها المسلم إنك بحاجة ماسة إلى معرفة الآداب المشروعة التي تسبق الصلاة استعدادًا لها، لأن الصلاة عبادة عظيمة ينبغي أن يسبقها استعداد وتهيؤ مناسب، ليدخل المسلم في هذه العبادة على أحسن الهيئات. فإذا مشيت إلى المسجد لتؤدي الصلاة مع جماعة المسلمين، فليكن ذلك بسكينة ووقار، والسكينة هي: الطمأنينة في المشي، والوقار: الرزانة والحلم، وغض البصر، وخفض الصوت، وقلة الالتفات)(٦).

وقال النووي: (قال العلماء: والحكمة في إتيانها بسكينة، والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاةٍ عامدٌ في تحصيلها ومتوصِّلٌ إليها، فينبغي أن يكون متأدِّبًا بآدابها،

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٥-٦.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤١.

(٦) الملخص الفقهي ١/١٢٠.

وعلى أكمل الأحوال. وهذا معنى الرواية الثانية: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة، فهو في صلاة". وقوله ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة" إنما ذكر الإقامة للتنبيه بها على ما سواها؛ لأنه إذ نهى عن إتيانها سعيًا في حال الإقامة، مع خوفه فوت بعضها، فقبل الإقامة أولى، وأكد ذلك ببيان العلة فقال ﷺ: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة"، وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة، وأكد ذلك تأكيدًا آخر فقال: "فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" فحصل فيه تنبيه وتأكيد؛ لئلا يتوهم متوهم أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة، فصرح بالنهي، وإن فات من الصلاة ما فات، وبيَّن ما يُفعل فيما فات)[١].

وقال ابن حجر: (وقد لحظ فيه بعضهم معنًى غير هذا فقال: الحكمة في التقييد بالإقامة، أن المسرع إذا أقيمت الصلاة يصل إليها وقد انبهر[٢] فيقرأ وهو في تلك الحالة فلا يحصل له تمام الخشوع في الترتيل وغيره، بخلاف من جاء قبل ذلك، فإن الصلاة قد لا تقام فيه حتى يستريح. انتهى. وقضية هذا أنه لا يكره الإسراع لمن جاء قبل الإقامة، وهو مخالف لصريح قوله "إذا أتيتم الصلاة"[٣] لأنه يتناول ما قبل الإقامة، وإنما قيد في الحديث الثاني بالإقامة، لأن ذلك هو الحامل في الغالب على الإسراع)[٤].

وقال النووي: (قوله ﷺ: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو صلاة"، دليل على أنه يستحب للذاهب إلى الصلاة ألا يعبث بيده، ولا يتكلم بقبيح، ولا ينظر نظرًا قبيحًا، ويجتنب ما أمكنه مما يجتنبه المصلي، فإذا وصل المسجد، وقعد ينتظر الصلاة كان الاعتناء بما ذكرناه آكد)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠١/٥/٣ - ١٠٢ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) يقال بُهِر: انقطع نفسه من الإعياء. فهو مبهور وبهير. المعجم الوسيط ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا: "إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة".

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٩/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٥/٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الصلاة في جماعة والتبكير إليها:

أداء الصلاة في جماعة من شعائر الإسلام الكبرى، لذا رغب في المحافظة عليها، قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على حصول فضيلة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة لقوله "فما أدركتم فصلوا" ولم يفصل بين القليل والكثير، وهذا قول الجمهور... واستدل به أيضًا على استحباب الدخول مع الإمام في أي حالة وجد عليها"[1].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على صلاة الجماعة، فكانوا يسرعون إليها حتى تسمع لهم جلبة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: ((بينما نحن نُصَلِّي مع النَّبيِّ ﷺ، إِذْ سمعَ جلبةَ[2] رِجالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: مَا شَأْنكم. قالوا: اسْتَعجَلْنَا إلى الصَّلاةِ. قَالَ: فلا تفعلوا، إِذَا أَتَيْتُم الصَّلاةَ فعلَيْكُم بالسَّكِينة، فما أَدْرَكْتُم فصَلُّوا، ومَا فَاتكم فأَتِمُّوا))[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ولأهمية صلاة الجماعة يقول الفقهاء: الصلاة في الجماعة معنى الدين، وشعار الإسلام، ولو تركها أهل مِصْرٍ قوتلوا، وأهل حارة جبروا عليها وأكرهوا)[4].

قال صالح الفوزان: (وليكن خروجك أيها المسلم إلى المسجد مبكرًا، لتدرك تكبيرة الإحرام، وتحضر الصلاة مع الجماعة من أولها)[5].

وقال النبي ﷺ ((من صلى لله أربعين يومًا في جماعةٍ يدرك التكبيرةَ الأُولى كُتِبَ لهُ براءَتَان: بَراءَةٌ مِنْ النَّارِ، وبراءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ))[6].

(وصلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام. واتفق المسلمون على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٠/٢.

(٢) أي أصواتًا لحركتهم وكلامهم واستعجالهم. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٢٧.

(٥) الملخص الفقهي ١٢١/١.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠).

أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقُّد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[1])[2].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: حث المدعوين على إقامة الصلاة والالتزام بآدابها:

وهذا واضح من نص الحديث، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

والله سبحانه وتعالى (قد عظم من خطر الصلاة في القرآن، وعظم أمرها وشرفها وشرف أهلها، وخصها بالذكر من بين الطاعات كلها في مواضع من القرآن كثيرة، وأوصى بها خاصة... وإلى الصلاة خاصة ندبه الله عز وجل فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾[4]، فأمره أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها ثم أمر الله تعالى جميع المؤمنين بالاستعانة على طاعته كلها بالصبر، ثم خص الصلاة بالذكر بين الطاعة كلها فقرنها مع الصبر بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[5] فهذا ما أخبر الله به من آي القرآن من تعظيم الصلاة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ٧٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٤١.

(٤) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

وتقديمها بين يدي الأعمال كلها، وإفرادها بالذكر من جميع الطاعات، والوصية بها خاصة دون أعمال البر عامة، فالصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم... فالصلاة أول فريضة فرضت عليه، وهي آخر ما أوصى به أمته، وآخر ما يذهب من الإسلام، وهي أول ما يسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة، وهي عمود الإسلام، وليس بعد ذهابها إسلام ولا دين[1].

وقال ابن القيم: (واعتناء ولاة الأمور بإلزام الرعية بإقامة الصلاة: أهم من كل شيء. فإنها عماد الدين، وأساسه وقاعدته. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله "إن أهم أمركم عندي الصلاة. فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه. ومن ضيَّعها كان لما سواها أشد إضاعة". ويأمر والي الحسبة بالجمعة والجماعة وأداء الأمانة والصدق، والنصح في الأقوال والأعمال)[2]. (وإنما كان الحرص على إقامة الصلاة لأنها الغاية في العبودية، والتذلل والقرب من الله تعالى)[3].

---

(١) رسالة الصلاة وعظم خطرها وما يلزم الناس من تمامها وإحكامها ضمن مجموعة الحديث المعروف "مجموعة الحديث النجدية" ص ١٥-١٨.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٤٠.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٧١/١.

الحديث رقم (٧٠٥)

٧٠٥- وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ وَرَاءهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإبلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إلَيْهِمْ، وقال: ((يَا أيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ، فَإنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بالإيضَاعِ)) رواه البخاريُّ[1]، وروى مسلم بعضه[2].

(الْبِرُّ): الطَّاعَةُ. وَ(الإيضَاعُ) بضادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزةٌ مكسورةٌ، وَهُوَ: الإسْرَاعُ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

دفع: أفاض[3].

البر: الطاعة[4].

الإيضاع: الإسراع[5].

الشرح الأدبي

يقوِّم الرسول ﷺ في هذا الحديث خطأ الاضطراب، والعجلة المنافيين للسكينة، والوقار اللازمين لتمام مناسك الحج، وتحقيقه لأغراضه، ولبيان أهمية الطمأنينة، والسكون في مناسك الحج، وتقويم خطأ العجلة، والاضطراب المنافى للسكينة استخدم عدة أساليب بلاغية منها: الإشارة بالسوط، وللإشارة في البيان النبوي مواقع فريدة لا يؤدى فيه غيرها - المعنى المراد - وإشارة الرسول ﷺ كما حكاها

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧١).

(٢) برقم (١٢٨٢/٢٦٨) وهو قوله: (في عشية عرفة، وغداة جمع للناس حين دفعوا: عليكم بالسكينة).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٦٥، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٦.

(٤) رياض الصالحين ٣٠٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

الصحابى (فأشار بصوته) إلى موقع الخطأ، وموضع المخطئين تحديداً يجعلهم أكثر انتباهاً، ووعياً لما يقول مما يحقق تقويم الخطأ، ومعرفة مصدره، وهي أول خطوات تقويمه، ثم النداء في قوله (أيها الناس)، والنداء من وسائل التنبيه، وجذب الأسماع وغالباً ما يرد في البيان النبوى في عظائم الأمور، واستخدام الرسول ﷺ صيغة النداء (أيها) مع حذف أداة النداء عجلة بالمطلوب، وتوجه إلى المقصود حيث التنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلى التوضيح في (أى) والاسم المعرف بعدها، وكلها وسائل تعطى لهذه الصيغة قوة في التأثير، وتركيزاً لأدوات التنبيه، وإضافة (أى) إلى (الناس) تجعل النداء عاماً، ومن طبيعة النداء العام أن يتصدر الأمور العظيمة مما يوحي بعظمة ما نودى من أجله، ثم أسلوب الإغراء: وهو من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ في تقويم خطأ العجلة، والاضطراب عند الإفاضة مما ينافى جلال الموقف ويُضيِّع ثمرة الحج بضياع السكينة التي تُعدُّ علامة الاتصال بالله، وطبيعة الأثر الذي يتركه على الحاج من طمأنينة، وسكينة، ووقار ؛فجاء أسلوب الإغراء في قوله (عليكم بالسكينة) أى: لازموا السكينة في السير يعني الرفق، وعدم المزاحمة [1]، ولما في السكينة من رعاية حال الغير، فإن في الناس الكبير، والضعيف، والمريض، وأخيراً أسلوب التوكيد المرتبط بما قبله بالفاء بياناً للعلة، وتأكيداً للخبر لتنزيله للمخاطبين منزلة المنكرين لما رأى من عجلتهم، واضطرابهم، وتدافعهم، وذلك في قوله ﷺ (فإن البر ليس بالإيضاع) حيث أكد الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة؛ لأنه ﷺ رأى من حالهم ما يشبه الإنكار، والاعتقاد بأن البر يقتضى الإسراع فأكد الكلام تقويماً لخطئهم، وبياناً لأهمية السكينة، ونفياً لاعتقادهم أن يكون الإسراع طريقاً للبر [2].

---

(١) عمدة القارى ٧/ ٣٦٦.

(٢) ينظر بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع – دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري، ٣١١.

فقه الحديث

استحباب الدفع من عرفة بالسكينة:

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث استحباب أن يدفع الناس من عرفات وعليهم السكينة، وهي الرفق بهم وبظهرهم، وأهنأ في ذكرهم لربهم)[١]. وقال النووي: (ويلحق بها سائر مواضع الزحام)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الإشارة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التزام السكينة والوقار في العبادات.

خامسًا: من آداب المدعو: عدم المزاحمة في أعمال الحج.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

(إن النبي ﷺ دفع من عرفة متجهًا إلى مزدلفة فسمع وراءه جلبة وضربًا وزجرًا للإبل وأصواتًا للإبل، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا دفعوا من عرفة أسرعوا إسراعًا عظيمًا، يبادرون النهار قبل أن يظلم الجو، فكانوا يضربون الإبل ضربًا شديدًا، فأومأ النبي ﷺ إليهم بسوطه، وقال: (أيها الناس عليكم بالسكينة، يعني الطمأنينة والهدوء، فإن البر ليس بالإيضاع)، اي ليس بالإسراع، والإيضاع نوع من السير سريع)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ. إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا. إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ))

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٩/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥/٩/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠١٢/٢ - ١٠١٣.

قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ. فَقَالَ: ((يَا عَبْدَ اللّهَ بْنَ قَيْسٍ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟)) فَقُلْتُ: بَلَىٰ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ))[1]. وإن تفقد الداعية للمدعوين، يمكنه من توجيههم إلى ما فيه الصواب والنفع لهم، وتحذيرهم ممّا يضرهم ويؤذيهم، كما أن تفقده إياهم، يجعله قريبًا منهم، محببًا إلى نفوسهم، مما يجعلهم يتقبلون دعوته، ويزدادون إقبالاً على إقبال.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الإشارة:

وهذا واضح من قول ابن عباس رضي الله عنهما: (فأشار بسوطه إليهم)، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط[2]، ولا شكّ أن الإشارة هنا بالسوط جاءت مناسبة لأنه ﷺ يخاطب جمعًا كثيرًا من الصحابة، فكانت هذه الإشارة لفتًا لهم جميعًا أن ينتبهوا لما يقوله ﷺ لهم بعد هذه الإشارة التي يراها القريب والبعيد، المسرع وغيره، الطويل وغيره.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتوكيد:

أما النداء فقوله ﷺ: (أيها الناس) وهذا النداء تنبيه لهم، لما يأمرهم به بعد ذلك وهو قوله ﷺ: (عليكم بالسكينة)، أي: الزموا السكينة، وتحلوا بها. أما التوكيد فقوله ﷺ: (فإن البر ليس بالإيضاع)، فقد بيّن ﷺ وأكد "أن تكلف الإسراع في السير ليس من البر، أي: مما يتقرب به"[3]، ويصحّ كذلك أن تكون جملة: (فإن البر ليس بالإيضاع) أن تكون أسلوب تعليل لما أمرهم به ﷺ من التزام السكينة والوقار في الدفع من عرفة.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التزام السكينة والوقار في العبادات:

(في هذا الحديث استحباب أن يدفع الناس من عرفات وعليهم السكينة، وهي الرفق بهم وبظهرهم، وأهنأ في ذكرهم لربهم)[4]، وقال ابن عثيمين: "وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٠٥، ومسلم ٢٧٠٤.

(٢) الباب رقم ٩٤ من كتاب: الحج، الحديث رقم ١٦٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٩/٣.

على أن الإنسان لا ينبغي أن يسرع إذا تقدم إلى أماكن العبادة، لأن الذين يدفعون من عرفة يتجهون إلى مزدلفة إلى عبادة. وبهذا يُتم المؤلف [أي النووي] ما ترجم به من الندب إلى إتيان الصلاة، ومجالس العلم وغيرها من العبادة بسكينة ووقار. فإذا أتيت إلى مجالس العلم والخير، فكن ساكنًا وقورًا مهيبًا، حتى لا يستهان بك أمام الناس، ويكون تعظيمك لهذه المجالس من تعظيم الله عز وجل"(١).

قال ابن القيم: "أصل السكينة هي الطمأنينة والوقار"(٢)، وقال الهروي في منازل السائرين: "وأما سكينة الوقار التي نزلها نعتًا لأربابها، فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها، [وهي السكينة التي نزلت على قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين]، وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: سكينة الخشوع عند القيام للخدمة رعاية وتعظيمًا وحضورا.

وقال ابن القيم في شرح ذلك في كتابه (مدارج السالكين): "سكينة الوقار هي نوع من السكينة، ولكن لما كانت موجبة للوقار، سماها الشيخ (سكينة الوقار)، وقوله: (نزلها نعتًا)، يعني: نزلها الله تعالى في قلوب أهلها ونعتهم بها، وقوله: (فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها)، أي: نتيجتها وثمرتها وعنها نشأت، كما أن الضياء عن الشمس حصل. ولما كان النور والحياة والقوة مما يثمر الوقار، جعل سكينة الوقار كالضياء لتلك السكينة، إذ هو علامة حصولها، ودليل عليها كدلالة الضياء على حامله.

قوله: الدرجة الأولى: (سكينة الخشوع عند القيام للخدمة)، يريد به الوقار والخشوع الذي يحصل لصاحب مقام الإحسان، ولما كان الإيمان موجبًا للخشوع وداعيًا إليه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾(٣)، دعاهم في مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أما آن لهم أن يصلوا إلى الإحسان

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠١٢/٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٩٢/٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٦.

بالإيمان؟ وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم

قوله: (رعاية وتعظيمًا وحضورًا)، هذه ثلاثة أمور تحقق الخشوع في الخدمة وهي [الأول]: رعاية حقوقها الظاهرة والبطانة، فليس يضيعها خشوع ولا وقار.

الثاني: تعظيم الخدمة وإجلالها، وذلك تبع لتعظيم المعبود وإجلاله ووقاره، فعلى قدر تعظيمه في قلب العبد وإجلاله ووقاره، يكون تعظيمه لخدمته وإجلاله ورعايته لها.

والثالث: الحضور وهو إحضار القلب فيها مشاهدة المعبود كأنه يراه. فهذه الثلاثة تثمر له (سكينة الوقار)[1].

خامسًا - من آداب المدعو: عدم المزاحمة في أعمال الحج:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بالسكينة وعدم الإسراع، لما ينتج عن الإسراع من المزاحمة والتدافع، ولهذا قال عمر بن عبدالعزيز لما خطب بعرفة: (ليس السابق من سبق بعيره وفرسه ولكن السابق من غفر له)[2]، ومن مواضع الزحام استلام الحجر الأسود في الطواف، جاء في الموسوعة الفقهية: "قال الفقهاء: إذا تعذر استلام الحجر لزحام الناس نُظر، إن صبر يسيرًا وخفّ الزحام وأمكنه الاستلام صبر، وإن علم أن الزحام لا يخف ترك الاستلام ولم يزاحم النّاس، بل أشار إليه بيده رافعًا يده ثم يقبلها"[3].

وقد قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((يا عمرُ إنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ لا تُزَاحِمْ على الحَجَرِ فَتُؤْذِيَ الضَّعِيفَ، إنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فاستَلِمْهُ، وإلاَّ فاستَقْبِلْهُ، وهَلِّلْ وكَبِّرْ))[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذَا وَجَدْتَ عَلَى الرُّكْنِ زِحَامًا ، فَانْصَرِفْ وَلاَ تَقِفْ)[5].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٠٢/٣ - ٤٠٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٩/٣٧.

(٤) أخرجه أحمد ٢٨/١، رقم ١٩٠، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٢١/١.

(٥) أخرجه الشافعي في الأم ص ٣٦٢، رقم ٩٥٧، ومن طريقه البيهقي في السنن ٨٠/٥-٨١.

واستصحاب عدم المزاحمة في أعمال الحج يزداد طلبًا وحثًا هذه الأيام، وذلك مع الازدياد الكبير في عدد الحجاج، فتؤدي المزاحمة إلى كثير من الأضرار، فضلاً عن إزهاق عدد غير قليل من الأرواح كما هو واقع ومشاهد.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن مما يجلب الأذى ويسبب الضرر في بعض الأحيان: السرعة الزائدة، أو التدافع اللا محسوب سواء تعلق ذلك بالعادات أم بالعبادات، فكم من أناس انكسرت أرجلهم وهشمت رؤوسهم ولحق بهم الضرر بسبب التأخر في الذهاب إلى موعد لم يخرجوا إليه مبكرين، وحاولوا استدرك ما فاتهم بالسرعة، وكم من أناس قد أزهقت أرواحهم بسبب السرعة الجنونية، لأنهم تأخروا عن وقت الخروج، أو خرجوا متأخرين عامدين بدعوى استدراك التأخير في السرعة، فلا هم وصلوا راغبين ولا قعدوا سالمين، بل انتهى الأمر ببعضهم إلى رحيل من دنيا الأحياء، ولذا أوجب الإسلام آداباً بشأن السير ولو إلى الصلاة وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على السكينة في العبادات:

إن من الأهداف الخلقية التي ترمي التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على السكينة عند الذهاب لأداء العبادات كالصلاة والحج ونحوهما، ومما جاء في حديثي الباب قوله ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم بالسكينة..." وقوله ﷺ "... أيها الناس عليكم بالسكينة...".

فالحديث الأول يشير إلى استحباب السكينة عند أداء الصلاة وأن ما أدركه المسلم يصليه وما فاته يتمه، والحديث الثاني يشير إلى السكينة في الحج وقال ﷺ ذلك عندما كان يدفع من عرفة وسمع زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، وما من شك أن مثل هذه المواطن التي يكثر فيها الزحام تشتد الحاجة فيها إلى السكينة والهدوء والوقار حتى لا يحدث ضرر للآخرين، قال النووي: (وهذا إرشاد إلى الأدب والسنة في السير تلك الليلة ويلحق بها سائر مواضع الزحام)[1].

وأما الصلاة فالحكمة في (إتيانها بسكينة والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠٦.

عامداً في تحصيلها ومتوصلاً إليها فينبغي أن يكون متأدبًا بآدابها وعلى أكمل الأحوال)[١].

والمسلم عند أدائه للعبادات يحرص على الهدوء والسكينة والوقار ليؤدي شعائر الله تعالى على أكمل وجه، وأتم حال (والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام والدعاء والمناجاة، وغريزة الحب والحنان وغريزة الخضوع والتواضع والعبودية والتذلل، والصلاة هي معقل المسلم ومفزعه، وكل من الجسم والعقل والقلب ممثل في الصلاة وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظامًا رتيبًا خشبيًا جامدًا لا روح فيه ولا حياة، ولا نظامًا عسكريًا لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيمًا عادلاً فللجسم قيام وركوع وسجود وانتصاب وانحناء وللسان تلاوة وتسبيح وللعقل تفكر وتدبر وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة والتذاذ)[٢].

وما من شك أن المسلم الذي تربى على السكينة والوقار والطمأنينة والهدوء في أداء العبادات ينال الأجر كاملاً عليها، ويكون قد تأدب بآداب العبادات.

ثانيًا-التربية بالمواقف والأحداث:

إن من أساليب التربية التي تؤثر في نفس المتربي، وتعمل على تغيير سلوكه التربية بالمواقف والأحداث ومن حديثي الباب الذي معنا يبرز هذا الأسلوب من أساليب التربية حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع (ففي الحديث بين النبي ﷺ من خلال الموقف والحدث أن السكينة مطلب هام في هذا الموطن، و المربي الناجح يستغل المواقف والأحداث في تصحيح السلوكيات الخاطئة والعادات المخالفة، ويجتهد في غرس القيم

---

(١) المرجع السابق نفسه ٤٤١.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩-٣١.

الخلقية النبيلة حيث إن تصويب الخطأ في الموقف والحدث مباشرة من شأنه أن يعلق بذهن المتربي.

(والتربية بالأحداث منهج أصيل في التربية الإسلامية حيث يُستغل الحدث في ترسيخ القيم المطلوبة، حيث يكون هناك توافق بينها وبين الحدث الواقع، فيحدث من جراء ذلك فهم عميق وتأثر كبير، وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم جاءت عقب أحداث ما، تعد نموذجًا للتربية بالأحداث، والأمثلة من سنته ﷺ كثيرة فعلى المربي أن يستغل الأحداث التي تجري أمامه -وما أكثرها- ليتخذها منطلقًا للتربية المطلوبة)[1].

إن واجب المربين أن يهتموا بالتربية بالحدث والمشاهد وهي تعني (استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ أو مشهد في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة أو الحديث الطارئ أو المشهد المثير مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات وأعمال يقوم بها الإنسان وواجب المربي الذي يحسن كيف يستثمر الفرصة والحدث لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المُعْوَجِّ منها وتصويبه ولاشك في أن الأحداث من أبلغ وسائل التربية وأعظمها أثرًا)[2].

ثالثًا- من الأساليب التربوية:

وردت في حديثي الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الإلقاء: كما في حديث: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا". ويمكن للمعلم أن يستخدم أسلوب الإلقاء ولكن مع المراحل التعليمية العليا. وهي في أحسن صورها عرض شفهي للمعلومات، ويمكن للمعلم استخدامها في حجرة الدراسة، كما يمكن للمعلم الاكتفاء بالكلمة المنطوقة، أما الطلاب فهم يستمعون ويسجلون ما يستمعون من معلومات. ويلجأ المعلم إلى هذا الأسلوب لميزته لكونه

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٨٣، ٣٨٤.

يمكن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، ولكن هذا الطريقة قد تؤدي إلى ملل الطلاب وسلبيتهم ويمكن للمعلم المزج بين أسلوب الإلقاء وبين غيره من الأساليب الأخرى، لدفع الملل عن المتعلمين وبث الحيوية في نفوسهم.

ب-الإشارة: كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم" والإشارة يراها العدد الكثير وتكون في بعض الأحيان أبلغ من الكلام والنطق؛ فضلاً عن أنها قد توضح المنطوق وتزيده وضوحًا وبيانًا.

رابعًا- التربية على تقديم اهم المصلحتين:

ويتضح ذلك جليًا في حديث "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وآتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ..." قال القرافي: (الخشوع في الصلاة مندوب إليه لا يأثم تاركه فهو غير واجب مع أنه قد ورد في الصحيح قوله ﷺ: "إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتموا" ... قال بعض العلماء: إنما أمر بعدم الإفراط في السعي، لأنه إذا قَدِم على الصلاة عقيب شدة السعي يكون عنده انبهارٌ وقلق يمنع من الخشوع اللائق بالصلاة، فأمره عليه السلام بالسكينة والوقار، واجتناب ما يؤدي إلى فوات الخشوع، وإن فاتته الجُمُعات والجماعات، وذلك يدل على أن مصلحة الخشوع أعظم من مصلحة وصف الجمعة والجماعات، مع أن الجمعة واجبة، فقد فَضَل المندوبُ الواجب في هذه الصورة، وظهر [من ذلك] أن بعض المندوبات قد تفضل الواجبات في المصلحة، فنقول: إنا حيث قلنا: إن الواجب يقدم على المندوب، والمندوب لا يقدم على الواجب، حيث كانت مصلحة الواجب أعظم من مصلحة المندوب، أما إذا كانت مصلحة المندوب أعظم ثوابًا، فإننا تقدم المندوب على الواجب كما تقدم في الخشوع وغيره)[1].



(١) الفروق ٢/٢٤٥-٢٤٧، الفرق: ٨٥.

٩٤- باب إكرام الضيف

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[هود: ٧٨].

الحديث رقم (٧٠٦)

٧٠٦- عن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بنى النبي ﷺ حديثه على أسلوب الشرط، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨) واللفظ له، ومسلم (٤٧/٧٤)، وتقدم برقم (٣١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٥١).

وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها؛ لأنه جعل فعل الشرط هو الإيمان (يؤمن) وعلّقه علي هذه الأعمال كما أن صياغة الفعل في صورة المضارع يشير إلى التجدد، والاستمرار المرتبط بتجدد الإكرام للضيف، والصلة للرحم، وقول الخير، أو الصمت.

ثم إن الفاء التي ربطت جواب الشرط في الأفعال الثلاثة، ولام الأمر التي اتصلت بالأفعال الأربعة (فليكرم - فليصل - فليقل - ليصمت) تقتضي المسارعة، وترغّب فيها؛ لأن من شأن هذه الخصال أن تحقق المحبة، والتكافل، وتنزع الأحقاد، وتمنع الفتن، وهو من الأهداف السامية التي قررها الإسلام.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٤).

الحديث رقم (٧٠٧)

٧٠٧- وعن أَبي شُرَيْح خُوَيْلِد بن عَمرو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ)) قالوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ يَا رسول الله، قَالَ: ((يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لِمسلمٍ[2]: ((لاَ يَحِلُّ[3] لِمُسْلِمٍ أنْ يُقِيمَ عِنْدَ أخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ)) قالوا: يَا رسول الله، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: ((يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلاَ شَيْءَ لَهُ يَقْرِيه بِهِ)).

ترجمة الراوي:

ابو شُرَيْح الخُزاعيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٠).

غريب الألفاظ:

جائزته: عطيتُه ومنحته[4].

يَقْرِيه به: يُضيِّفُه ويُكرمُه[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من حيث البداية بأسلوب الشرط، والموضوع، وهو الوصية بالضيف والحث على البذل والعطاء.ثم إنه زاد على سابقه نوعاً من التشويق بالخبر الطريف الذي يحرك علامات الاستفهام في نفوس المخاطبين، وهو نوع من التواصل مع المخاطبين في الحديث النبوي، وهذا الخبر الطريف هو الإخبار بأن للضيف جائزة في قوله: (فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ) وقد ترتب عليها استفهامة أرصد لها بدايةً، وهي قولهم

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨/١٤، كتاب اللقطة، باب ٣) واللفظ له.

(٢) برقم (٤٨/١٥، كتاب اللقطة، باب ٣).

(٣) عند مسلم زيادة: (لرجل).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ي).

(وما جائزته؟) وقد جاءت إجابته مبنية على الايجاز بالحذف (يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ) أي: حقه الاهتِمَام بِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَة وَإِتْحَافه بِمَا يُمْكِن مِنْ بِرّ وَإِلْطَاف، وَأَمَّا فِي الْيَوْم الثَّانِي وَالثَّالِث فَيُطْعِمهُ مَا تَيَسَّرَ، وَلا يَزِيد عَلَى عَادَته، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْد الثَّلاثَة فَهُوَ صَدَقَة وَمَعْرُوف إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وإن شاء ترك، وبين اليوم، والليلة طباق يقرر العناية بالضيف على مدارهما، وإضافة الضمير المتصل بهما إليه يؤكد هذا الحق.

فقه الحديث

مقام الضيف عند المضيف: من نزل ضيفًا فلا يزيد مقامه على ثلاثة أيام، لقوله ﷺ: "الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه" لئلا يتبرم به ويضطر لإخراجه، إلا إن ألحّ عليه رب المنزل بالمقام عنده عن خلوص قلب، فله المقام[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على إكرام الضيف.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والحث والنفي والسؤال والجواب.

ثالثًا: من آداب المدعو: مراعاة شعور إخوانه وظروفهم وعدم دفعهم إلى الوقوع في الحرج.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الارتباط بين الإيمان والسلوك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على إكرام الضيف:

حثّ النبي ﷺ على إكرام الضيف، بأن جعل ذلك من الإيمان، وهذا واضح من الحديث، كما جعله ﷺ حقًا، فقال: ((إنَّ لِزَوْرِكَ عليكَ حَقًّا))[٢]، (وزورك، أي: زائرك)[٣]. وجاء في الموسوعة الفقهية: "تعتبر الضيافة من مكارم الأخلاق وسنة الخليل

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٨/٢٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٤/١٢/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٣/١٠-٥٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٣٤، ومسلم ١١٥٩.

(٣) في غريب الحديث ٤٠٤.

عليه الصلاة والسلام والأنبياء بعده، وقد رغب فيها الإسلام وعدها من أمارات صدق الإيمان، وهي حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن الضيافة سنة، ومدتها ثلاثة أيام، وهو رواية عن أحمد، والرواية الأخرى عن أحمد - وهي المذهب - أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام، وبهذا قال الليث بن سعد، ويرى المالكية وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك"[1].

وقال القاضي عياض: "والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين"[2].

وقال أبو العباس القرطبي: "والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن محاسن الدين، ومن خلق النبيين"[3]، (وقد أفاد هذا الحديث أنها من أخلاق المؤمنين مما لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عنها، لما يحصل عليها من الثواب في الآخرة، ولما يترتب عليها في الدنيا من إظهار العمل بمكارم الأخلاق، وحسن الأحدوثة الطيبة، وطيب الثناء، وحصول الراحة للضيف المتعوب بمشقات السفر المحتاج إلى ما يخفف عليه ما هو فيه من المشقة والحاجة. ولم تزل الضيافة معمولاً بها في العرب من لدن إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من ضيّف الضيف، وعادة مستمرة فيهم، حتى أن من تركها يذم عرفًا، ويبخل ويقبح عليه عادة، فنحن وإن لم نقل إنها واجبة شرعًا، فهي متعينة لما يحصل منها من المصالح، ويندفع بها من المضار عادة وعرفًا"[4].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والحث والنفي والسؤال والجواب:

أما الترغيب والحث فقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته)، فهذا حث وترغيب لإكرام الضيف بأن جعل ذلك من فعل المؤمنين

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨/٣١٦ - ٣١٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/١٨٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٣٠.

(٤) المرجع السابق ٥/١٩٧ - ١٩٨.

وخصالهم، قال ابن حجر: "قال الطوفي: ظاهر الحديث انتفاء الإيمان عمن لم يفعل ذلك، وليس مرادًا بل أريد به المبالغة كما يقول القائل: إن كنت ابني فأطعني، تهييجًا له على الطاعة، لا أنه بانتفاء طاعته ينتفي أنه ابنه"(١).

أما النفي فقوله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه)، أي: لا يجوز له، وهو نفي بمعنى النهي، أي: لا يفعل المسلم ذلك. أما السؤال والجواب فسؤال الصحابة رضي الله عنهم: وما جائزته يا رسول الله؟ وسؤالهم كذلك: (يا رسول الله وكيف يؤثمه؟) فأجاب النبي ﷺ على هذين السؤالين بما أفاد المدعوين في أدب الضيافة سواء أكانوا مضيفين أم ضيوفًا.

ثالثًا- من آداب المدعو: مراعاة شعور إخوانه وظروفهم وعدم دفعهم إلى الوقوع في الحرج:

المسلم أخو المسلم فمن حقه عليه ألا يدفعه في الوقوع في الحرج والإثم، فإذا استضافه فلا يجوز للضيف أن يطيل في الإقامة عنده حتى يدفعه إلى ما يكرهه، ولذا قال النبي ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه)، قال القرطبي: " وقوله بعد ذلك: (والضيافة ثلاثة أيام) يعني بها الكاملة التي إذا فعلها المضيف فقد وصل إلى غاية الكمال، وإذا أقام الضيف إليها لم يلحقه ذمٌّ بالمقام فيها؛ فإنّ العادة الجميلة جارية بذلك. وأما ما بعد ذلك فخارجٌ عن هذا كله، وداخلٌ في باب: إدخال المشقات والكلف على المضيف، فإنه يتأذى بذلك من أوجه متعددة. وهو المعني بقوله ﷺ: (ولا يحل له أن يقيم حتى يؤثمه)، أي: حتى يشق عليه، ويُثقل، لا سيما مع رقة الحال وكثرة الكلف. وقيل: معنى: يؤثمه: يحرجه فيقع في الإثم. وقد جاء ذلك مفسَّرًا في بعض الروايات: (حتى يُحرجه). فإن تحمّل المضيف شيئًا من ذلك؛ هو صدقةٌ منه على الضيف، فحقُّه أن يأنف منها، ولا يقبلها، لا سيما إن لم يكن أهلاً لها، فإنها تحرمُ عليه"(٢).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٩/١٠، بتصرف يسير.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٩٨/٥ - ١٩٩.

وقال النووي: "معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم لأنه قد يغتابه لطول مقامه، أو يعرض له بما يؤذيه، أو يظن به ما لا يجوز، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، وهذا كله محمول على ما إذا أقام بعد الثلاث من غير استدعاء من المضيف، أما إذا استدعاه وطلب زيادة إقامته، أو علم أو ظن أنه لا يكره إقامته فلا بأس بالزيادة، لأن النهي إنما كان لكونه يؤثمه وقد زال هذا المعنى والحالة هذه، فلو شك في حال المضيف هل يكره الزيادة ويلحقه بها حرج أم لا؟، [لا][2] تحل إلا بإذنه؛ لظاهر الحديث"[3].

وجاء فيها كذلك: "من آداب الضيف أن يجلس حيث يُجلس، وأن يرضى بما يقدم إليه، وألا يقوم إلا بإذن المضيف"[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الارتباط بين الإيمان والسلوك:

لقد ربط النبي ﷺ بين الإيمان وبعض الأفعال، فقد ربط بين الإيمان وإكرام الضيف كما في هذا الحديث، وقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[5]، قال النووي: "قال القاضي عياض: معنى الحديث: إن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما"[6]، وقال القرطبي: "يعني: من كان آمن بالله الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله، الموصل إلى رضوان الله، لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده، ورجا ثوابه، ومن آمن باليوم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) غير موجودة فيما اطلعنا عليه من طبعات لشرح مسلم للنووي، لكن لا بد من إضافتها ليستقيم المعنى. والله أعلم.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٢.

(٤) المرجع السابق ٣١٨/٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٣، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض ٢٨٤/١ - ٢٨٥.

الآخر استعد له واجتهد في فعل ما يدفع به أهواله ومكارهه، فيأتمر بما أُمر به وينتهي عما نهي عنه، ويتقرب إلى الله تعالى بفعل ما يقرب إليه، ويعلم أن من أهم ما عليه، ضبط جوارحه التي هي رعاياه، وهو مسؤول عنها جارحة جارحة"[١].

وقال القرضاوي: "إن الإيمان ليس مجرد إدراك ذهني أو تصديق قلبي غير متبوع بأثر عملي في الحياة، كلا إنه اعتقاد وعمل وإخلاص، ومهما اختلف علماء الكلام والجدل في العقائد حول مفهوم الإيمان وصلة العمل به: أهو جزء من مفهومه أم شرط له أم ثمرة من ثمراته، فإنهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان الكامل، وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونًا بالعمل في أكثر من سبعين آية من آياته، ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل الصالحات، وهي كلمة جامعة من جوامع القرآن تشكل كل ما تصلح به الدنيا والدين، وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معًا، والمؤمن بالدين عامة، وبعقيدة الإسلام خاصة، لا يساق إلى العمل الدنيوي سوق القطعان، ولا يدفعه إليه قهر حكومي أو ضغط خارجي، أو رقابة من سلطة تنفيذية تشهر عليه سيف التهديد بالجوع والحرمان، أو عذاب الهون كما يعرف في الأنظمة الاشتراكية، وإنما يندفع المؤمن إلى العمل بحافز من نفسه، وباعث من ذاته وبإيحاء ينبعث من داخله، لا سوطًا يسوقه من الخارج. ذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله، وبرسالة السماء، وبمهمته في عمارة الأرض، والسيادة على الكون"[٢].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٢٩.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥٢ - ٢٥٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم القيم الإسلامية والعلاقات الاجتماعية على أساس من التوازن بين الأطراف ويحرص الإسلام على توظيفها في تقوية العلاقة بين الناس عامة والمسلمين بخاصة، دون أن يجعلها سبيلاً للقطيعة. ومن الآداب الإسلامية تنظيم العلاقة بين الضيف والمضيف، فقد أوجب الإسلام للضيف حقاً هو الإكرام بحسب اليسار والإعسار، وأوجب على الضيف أن لا يحمل المضيف فوق الطاقة حين لا يدفعه إلى الإعسار. ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من التربية الاجتماعية: إكرام الضيف وصلة الرحم:

إن من أهم الجوانب التي تهتم بها التربية الإسلامية التربية الاجتماعية بتعميق الجانب الاجتماعي في نفوس المتربين، والدعوة إلى كل ما يعمل على التماسك الاجتماعي، وفي حديثي الباب جاء ما يرشد إلى بعض الأمور التي تساعد على تحقيق الجانب الاجتماعي ومنها إكرام الضيف وصلة الرحم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه..." وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته...".

(إن الحياة الاجتماعية إطار يدخل فيه جملة من الدوائر التي تمثل كل واحدة منها عددًا من العلاقات الحميمية، وتتسع الدائرة لتشمل الأقارب والجيران والحي والشعب والأمة ومن ثمَّ تتجه التربية الإسلامية إلى زرع بذور التعاضد والتماسك والتضامن والوحدة في نفوس الناشئين من أجل تحقيق اتجاه العمل الجماعي والشعور بالمسؤولية عن الجماعة، وذلك عن طريق إبراز أهمية العمل المنظم والهادف إلى رَصِّ الصف وتنسيق الجهود الفردية لخدمة الأهداف العليا في المجتمع الإسلامي وعنوان ذلك كله ربط الناشئ بالمسجد وصلوات الجماعة، وتقوية الروابط الأسرية وتنمية التحابب والمودة في النفوس وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة

وعدم التهاون فيها، وتعزيز اتجاه حسن التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم أفراحهم وأتراحهم والوقوف معهم ما أمكن)[١].

إن التأكيد على إكرام الضيف وصلة الرحم يهدف إلى بناء الوحدات الاجتماعية الصغيرة على أساس من التكافل والتعاطف والحب مما يجعل الأسرة والعشيرة والمجتمع مترابط مرصوص، (إن الأسر والعشائر المتكافلة تكوّن مجتمعًا متراحمًا متكافلاً حيث يسعى سائر أفراده إلى سد الثغرات والخلل، بإغاثة اللهفان وإطعام الجوعان وإكساء العريان لذلك اهتم الإسلام بإبراز حقوق وواجبات أفراد الأسرة تجاه بعضهم كما اهتم بتوضيح واجبات وحقوق الجيران بعضهم على بعض، وأبناء القرية الواحدة فيما بينهم فإن توثيق عرى التعاون والأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي داخل الوحدات الاجتماعية الصغيرة يدعم التكافل العام على صعيد المجتمع الإسلامي)[٢].

وما من شك في أن إكرام الضيف وصلة الرحم مما يوطد العلاقات الاجتماعية ويقوي أواصر الأخوة فإن من إكرام الضيف تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قِرَاه وإكرام الضيف وصلة الرحم وقول الخير والصَمْت عن الشر من الإيمان.

ثانيًا- من التربية العقدية: الإيمان باليوم الآخر:

إن من الأمور المهمة في التربية العقدية الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وفي حديثي الباب اللذين أوردهما الإمام النووي ربط النبي ﷺ بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين فعل المكرمات الأخلاقية من إكرام الضيف وصلة الرحم والصمت عن الشر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته..." ولا شك (أن الإيمان بالحياة الآخرة والمسؤولية العظمى أمام الله تبارك وتعالى وجزاء الأعمال يكوّن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٦١، ٦٢.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٤٢.

في أعماق النفس دافعًا قويًا إلى عمل الخير ومكافحة الشر ويكون هذا الشعور النفسي القوي ضامنًا تنفيذ قواعد الأخلاق والسلوك والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوي ومن قواعد الزجر والعقاب ومن آثار هذا الإيمان أيضًا أنه يسبب الإخلاص في العمل فلا يكون عمل المؤمن ترقبًا لمكافأة أو شكر ينتظرهما من الناس ومن المجتمع، وسواء عليه أشكر الناس أم لم يشكروا أقابلوه بالإحسان أم العقوق فإنه يعمل لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وانتظارًا لحسن العاقبة في الحياة الأبدية)[1].

إن الإيمان باليوم الآخر يبنى على عقيدة التوحيد فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى وقدرته ووحدانيته وأنه هو خالق هذا الكون وهو خالق الحياة الآخرة (إن تذكر الإنسان لليوم الآخر بشكل دائم له العديد من الآثار التربوية ومنها تحقيق الأخلاق الفاضلة فالإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من خشية المؤمن من الجزاء يوم الحساب يحقق في الإنسان الأخلاقيات الفاضلة في السلوكيات الحياتية بحيث تأتي هذه الأخلاقيات مراعية لشرع الله تعالى وباستمرار وتكون ثابتة لا يزعزعها شيء من مغريات الحياة الدنيوية والإيمان باليوم الآخر يحقق الانضباط للدوافع والغرائز وهذا الانضباط يرتبط بالخوف من الله والجزاء يوم الحساب ولهذا فإنه يجعل الإنسان المؤمن منضبطًا في غرائزه ودوافعه فهو يستغل هذه الدوافع كطاقات موجهة وجهة معتدلة ليس فيها ما يتعارض مع تعاليم الإسلام وأن تكون له إرادة قوية)[2].

ثالثًا-التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الرئيسة التربية بالحوار والمناقشة حيث يتدرب المتربي على السؤال والاستفسار عما يجهل، ومما جاء في حديث الباب يبرز هذا الأسلوب قوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام...".

ففي هذا الحديث دار الحوار والمناقشة حول إكرام الضيف وبيان جائزة الضيف

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك ص ١٥٦.

(٢) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٧٣، ٧٤.

(إن أسلوب المحاورة والمناقشة يعد من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن الكريم ملئ بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها، وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف؛ لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته)[1].

وواجب المربين استخدام هذا الأسلوب في غرس القيم الخلقية مع المتربين (ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة حيث إن له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة وكذلك السنة النبوية، وعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة ليشحذ أذهانهم، ويقوي الحجة لديهم ويعودهم على الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يفيدهم بذلك)[2].

ويمكن للمعلم استخدام طريقة المناقشة في حجرة الدراسة، فيعتمد على معارف الطلاب وخبراتهم السابقة، كما أنه يمكن أن يدفع المتعلمين إلى توجيه الأسئلة له عن المعلومات المختلفة في الدرس، وتتميز تلك الطريقة بأنها تعمل على إثارة المعارف السابقة وتثبيت المعارف الجديدة، والتأكد من فهم هذا وذاك، كما أن فيها استثارة للنشاط العقلي عند الطلاب وتنمية انتباههم.



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٠-١٨٢.

٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: ٢١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات: ١٠١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[هود: ٦٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١]، وقال تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[آل عمران: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾[آل عمران: ٤٥] الآية، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جدًا وهي مشهورة في الصحيح، مِنهَا:

الحديث رقم (٧٠٨)

٧٠٨- عن أَبي إبراهيم، ويقال: أَبُو محمد، ويقال: أَبُو معاوية عبد اللهِ بن أَبي أوفى رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ بَشَّرَ خديجةَ رضي الله عنها ببيْتٍ في الجنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فيهِ، وَلاَ نَصَبَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"القَصَبُ" هنا: اللؤلؤ المجوف. "والصَّخَبُ": الصياح واللغط. "والنَّصَبُ": التعب.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن ابي اوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣/٧٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها قدوة الصالحات في البذل، والعطاء، والوفاء، والوقوف خلف الزوج بكل إخلاص لأداء أعظم مهمة في تاريخ البشر حتى لقيت ربَّها راضية مرضية.

لذلك كرَّمها الله أيما تكريم، وكرَّمها رسوله ﷺ وهو شاهد على عظمة الإسلام في تقدير المرأة الصالحة التقية وتكريمها على مستوى ليس فوقه مطمح لمكرِّم لأن تكريمها جاء من الله على لسان رسوله.

وقد جاء الحديث بأسلوب خبري بدأ بلفظ مشوق يحقق اليقظة والانتباه (بَشَّرَ) صَعَّد هذا التشويق، وأزكى جذوة اليقظة الجار والمجرور: (ببيت في الجنة) وتنكير كلمة (بيت) للتعظيم والتعبير ببيت يوحي بالسكينة، والراحة.

ثم انظر إلى جمال المعنى في جمال المبنى في وصف هذا البيت (ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) حيث جاءت العبارة مسجوعة تأخذ السمع كما يأخذ معناها القلب مع جناس ناقص يحقق سيطرة الأسلوب، وترصيع يُعِين على الحفظ، ويساعد على الانتشار، وكأنه ﷺ يريد أن تكون هذه الجائزة بين سمع كل النساء المسلمات، وبصرهن تحثُّهن على اتباع سيرة أمِّهنَّ خديجة سيدة التقيات المجاهدات العابدات قدوة لهنَّ عبر الزمان، والمكان حتى لا يفقدن القدوة الصالحة فيصرن وراء نماذج هدَّامة من تافهات العصور المتأخرة.

فقه الحديث

استحباب البشارة: إخبار الناس بما يسرهم أمر مستحب لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] وما ورد كذلك من أحاديث، منها

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

أحاديث الباب وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه المخرج في الصحيحين في قصة توبته قال: (سمعتُ صوتَ صارخٍ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فذهب الناس يبشروننا، وانطلقت أتأمَّم رسول الله ﷺ ... فلما سلَّمتُ على رسول الله ﷺ، قال وهو يبرقُ وجهه من السرور: ((أبْشِرْ بخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ))[1].

وفي قصة كعب: (أنه لما جاءه البشير بالتوبة، نزع له ثوبيه وكساهما إياه نظير بشارته) قال القاضي عياض: (دليل على جواز البشارة والتهنئة بين الناس فيما يسر من أمر الدنيا والآخرة، وجواز إعطاء البشير جعلاً على بشارته ومكافأته)[2].

وقد بوّب النووي في كتاب الأذكار: باب استحباب التبشير والتهنئة، ساق تحته آيات من القرآن الكريم في البشارة، ثم قال: (وأما الأحاديث الواردة في البشارة فكثيرة جدًّا في الصحيح[3] مشهورة فمنها...) فذكر منها حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من صفات الداعية: التبشير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: منزلة خديجة رضي الله عنها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي أن النبي ﷺ بشّر خديجة ببيت في الجنة، ولا شك أن هذا الإخبار تنويه بمكانة خديجة رضي الله عنها، وبيان لفضلها، وعظيم بلائها مع النبي ﷺ، كما أن الإخبار هنا دعوة للمدعوين إلى الاقتداء بها والتأسي بأفعالها.

ثانيًا - من صفات الداعية: التبشير:

إن النبي ﷺ كان يبشر أصحابه الطائعين بالجنة والفلاح،وعلى الداعية أن

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٢) إكمال المعلم ٢٨١/٨، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٤/٨.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٣٦٥ - ٣٦٦، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٨/٥ - ٢٣٩.

يقتدي به ﷺ في ذلك، فيذكر الآيات والأحاديث التي فيها تبشير عندما يقتضي المقام ذلك، وفي الحديث هنا قد بشّر ﷺ خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة، قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1]، قال في التَّوْراة: يا أَيها النبيُّ إِنَّا أَرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأميِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتك المتوكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيئةَ بالسَّيئة، ولكن يعفُو ويصفح، ولن يقبضَه الله حتى يقيمَ به المِلةَ العَوْجاءَ بأَنْ يقولوا: لا إِله إلا الله، فيفتَحَ بها أَعْيُنًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلْفًا"[2].

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه رضي الله عنهم بأن يبشروا ولا ينفروا، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ بعثه ومعاذًا إلى اليمن، فقال: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[3]. قال العز بن عبدالسلام: "بشارة الطائعين حث لهم على الطاعة، فإنهم يعملون ليصلوا إلى ما بشروا به من الأجر العظيم والنعيم المقيم"[4].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: منزلة خديجة رضي الله عنها:

إن خديجة رضي الله عنها لها منزلة كبيرة ودرجة عالية في الإسلام، وقد بشرها النبي ﷺ ببيت في الجنة. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ. مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ. فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ. وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ))[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

(٤) شجرة المعارف والأحوال ٢٣٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٨٢٠، ومسلم ٢٤٣٢.

قال القرطبي: "وإبلاغ الملك لها: أن الله يقرأ عليها السلام فضيلة عظيمة وخصوصية شريفة، لم يسمع بمثلها لمن ليس بنبي إلا لعائشة رضي الله عنها"[١].

قال ابن القيم عنها: "تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوجْ عليها حتى ماتت، وأولاده كلُّهم منها إلاّ إبراهيمَ، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلامَ مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين"[٢].

قال ابن حجر: "روى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ)[٣]، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه ﷺ عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت ((أن مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً))[٤]، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل"[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٦/٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٠٥/١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٣٦.

(٤) الحديث في صحيح مسلم ١٠١٧ من حديث جرير رضي الله عنه وفيه: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٠/٧ - ١٧١، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٨/٦ - ٣١٩.

وقال الذهبي: "خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها... القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه، قبل كل أحد، وثبّتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة، ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة ديّنة، مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: (ما غِرتُ على امرأةٍ ما غِرتُ على خَديجة من كثرةِ ذكرِ رسولِ الله ﷺ إياها)[1]، ومن كرامتها عليه أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تنفق عليه من مالها"[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨١٧، ومسلم ٢٤٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١٠٩ - ١١٠.

الحديث رقم (٧٠٩)

٧٠٩- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّهُ تَوَضَّأَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: لأَلْزَمَنَّ رسول الله ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالُوا: [1] وجَّهَ هاهُنَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أثَرِهِ أسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِندَ البَابِ[2] حتَّى قضى رسول الله ﷺ حاجتهُ وتوضأ، فقمتُ إليهِ، فإذا هو قد جلسَ على بئرِ أريسٍ وتوسَّطَ قُفَّهَا، وكشَفَ عنْ ساقيهِ ودلاَّهُما في البئرِ، فسلمتُ عَليهِ ثمَّ انصَرَفتُ، فجلستُ عِندَ البابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رسولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَدَفَعَ الْبَابَ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فقُلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهبْتُ، فقلتُ: يَا رسول الله، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَستَأْذِنُ، فَقَالَ: ((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)) فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرسول الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمينِ النَّبيِّ ﷺ مَعَهُ في القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ كَمَا صَنَعَ رسول الله ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَركْتُ أخي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فقلتُ: إنْ يُرِدِ الله بِفُلانٍ - يُريدُ أخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ. فَإذَا إنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَاب، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بن الخَطَّابِ، فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إلَى رسول الله ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَستَأْذِنُ؟ فَقَالَ: ((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجنَّةِ)) فَجِئْتُ عُمَرَ، فقلتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رسول الله ﷺ بالجنَّةِ، فَدَخَلَ فَجلَسَ مَعَ رسول الله ﷺ في القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلاَنٍ خَيْرًا - يَعْنِي أخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ. فَقُلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بن عَفَّانَ. فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، وجِئْتُ النَّبيَّ ﷺ فأخْبَرْتُهُ، فقالَ: ((ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصيبهُ)) فَجِئْتُ، فقلتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ الله ﷺ بالجنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصيبُكَ، فَدَخَلَ فَوجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ، فجلس وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخرِ.

---

(١) عندهما زيادة: (خرج).

(٢) عندهما زيادة: (وبابها من جريد).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وزاد في رواية[٢]: وأمرني رسولُ الله ﷺ بحفظِ الباب. وَفيها: أنَّ عُثْمانَ حِيْنَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: اللهُ المُسْتَعانُ.

قوله: "وَجَّهَ" بفتح الواو وتشديد الجيم، أي: توجه.

وقوله: "بئر أريسٍ": هو بفتح الهمزة وكسر الراء، وبعدها ياء مثناة تحت ساكنة، ثم سين مهملة، وهو مصروف ومنهم من منع صرفه. "والقُفُّ" بضم القاف وتشديد الفاء: هو المبنى حول البئر. قوله: "عَلَى رِسلك" بكسر الراء على المشهور، وقيل بفتحها، أي: ارفق.

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

وجَّه: توجه[٣].

بئر أريس: بئر كان غربي مسجد قباء، والأريس في لغة أهل الشام: الفلاح وهو الأذكار[٤].

قُفّها: القف: المبنيُّ حول البئر[٥] [٦].

علي رِسْلِك: الرِّسل: الهينة والتأني، وعلى رسلك معناها: اتئد وتمهل[٧].

الشِّقّ الآخر: الجانب الآخر[٨].

أولتها: فسرتها[٩].

---

(١) اخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٨/٢٤٠٣) ولفظهما سواء.

(٢) اخرجه البخاري (٢٨٩٣)، ومسلم (٢٨/٢٤٠٣).

(٣) رياض الصالحين ٣٠٦.

(٤) معجم البلاد في (أ ر س).

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤.

(٦) رياض الصالحين ٣٠٦.

(٧) ل في (ر س ل).

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٨٩.

(٩) المرجع السابق في (أ و ل)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/٧.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ لأنه أخبر فيه بأمور مستقبلية وقعت كما أخبر وهو ما حدَّث به عن عثمان رضي الله عنه ، وأرضاه كما أنه صورة عملية لنموذج من محبة الصحابة لرسول الله ﷺ تمثَّلت في موقف أبي موسى الأشعري مع ما فيه من توقير، وأدب الصحابة في معاملة الرسول ﷺ وحبه لهم، ورغبته في إدخال السرور عليهم، والذي جسَّده في عبارته مع كل واحد منهم (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ) لم ينتظر حتى يدخل عليه فيبشره بنفسه بل بادر بها تعجيلاً بالمسرة فأصدر أمره بالإذن بالدخول، وعطف عليه الأمر بالبشارة حتى يدخل عليه مسروراً سعيداً وهو بذلك يعطيناً مثلاً حياً لتعبد الله بإدخال السرور على قلوب الناس كل بما يستطيع.

فقه الحديث

١- جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه[1].

٢- استحباب قول "والله المستعان" عند مثل هذا الحال[2] [أي حال مَنْ يُخْبَر ببلوى تصيبه ونحو ذلك].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء في البيت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات النبي: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

خامسًا: من آداب المدعو: تمني الخير لإخوانه والدعاء لهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: تحقق ما قاله النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٩/١٥/٨.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

سابعًا: من صفات المدعو: الاستعانة بالله والصبر في مواجهة الشدائد والمكاره.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء في البيت:

الوضوء سلاح المؤمن، وله فضل في إطالة غرة المؤمنين يوم القيامة؛ لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على الوضوء وعلى إسباغه، وقد أخبر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: (إنه توضأ في بيته ثم خرج)، وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً))[1].

قال ابن عثيمين عن حديث أبي موسى: "وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئًا، لأجل أن يكون مستعدًا للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة وهو في مكان لا يوجد فيه ماء كان على طهارة، وصلى، وإذا حضرت جنازة صلّى عليها وهو خارج البيت، أو على الأقل يكون على طهر، لأن كون الإنسان على طهر أفضل من أن يكون على غير طهر، وربما أيضًا يحصل له الموت في هذا الوقت، فيكون على طهر، فالإنسان يحرص ما استطاع أن يكون على طهر، لا سيما إذا خرج عن بيته"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على مصاحبة النبي ﷺ وملازمته، ويوضح هذا قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٦٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٣.

(٣) سورة النور، آية: ٦٢.

قال ابن كثير: "وهذا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك - أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين"[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (وإنَّ أبا هُرَيرةَ كانَ يَلْزَمُ رسولَ اللّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطنِه)[٢].

قال ابن حجر: "كان أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ الصحابة رضي الله عنهم للحديث. قال الشافعي رضي الله عنه: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره، وقد كان ابن عمر يترحم عليه في جنازته، ويقول: كان يحفظ على المسلمين حديث النبي ﷺ رواه ابن سعد"[٣].

وملازمة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ هي التي حفظت لنا سنة النبي ﷺ وأفعاله وأقواله وأحواله، فكان في ذلك حفظ لدين الله تعالى نقيًا خالصًا واضحًا بعيدًا عن التحريف والتضليل الذي أصاب الأديان السابقة، كما حفظ لسيرة النبي ﷺ الشمول والوضوح والتفصيل، بحيث أصبحت سيرته ﷺ معلومة تفاصيلها ومراحلها المختلفة من المولد إلى الوفاة، فضلاً عن الوثوق بها.

ثالثًا- من صفات النبي: التبشير:

لقد بشر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن الرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٤]، وقال الله عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥]، وقال الله جلّ شأنه مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٨/٦.

(٢) أخرجه البخاري ١١٨، ومسلم ٢٤٩٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[١]. وقال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢].

قال القاسمي: "(إنا أرسلناك شاهدًا)، أي: على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، (ومبشرًا): أي: لمن استجاب لك بالجنة (ونذيرًا): أي لمن خالفك بالنار"[٣].

وكان النبي ﷺ يبعث أصحابه رضي الله عنهم ليبشروا الناس، من ذلك قوله لأبي هريرة رضي الله عنه: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))[٤]. ولا شكّ أن التبشير في موضعه يؤتي بثماره الطيبة من حث على الطاعات، ونشر للفضائل، وزيادة إقبال على الطاعة، ودعوة للاقتداء والتأسي.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

أفضل الخلق بعد الرسل عليهم السلام الصحابة رضي الله عنهم، وأفضل الصحابة العشرة المبشرون بالجنة، وأفضلهم الأربعة الخلفاء الراشدون، وفي هذا الحديث بشّر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة، قال النووي: "وفيه فضيلة هؤلاء الثلاثة وأنهم من أهل الجنة، وفضيلة لأبي موسى رضي الله عنه، وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه"[٥].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبيَّ ﷺ صعِدَ أُحُدًا وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرَجَفَ بهم، فقال: ((اثبُتْ أُحُدُ، فإن عليكَ نبيٌّ وصدّيقٌ وشَهيدان))[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦٨/١٥/٩.

(٤) أخرجه مسلم ٣١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٦٨.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦٧٥.

قال ابن عثيمين: "ارتج بهم الجبل،وهذا من آيات الله، ليس هو ارتجاج نقمة وخسف، لكنه ارتجاج فرح، فلما ارتج بهم الجبل قال له النبي ﷺ: (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان). فالنبي ﷺ والصديق أبو بكر، والشهيدان عمر وعثمان، وكلاهما قتل شهيدًا. أما عمر فقتل وهو متقدم لصلاة الفجر بالمسلمين، قتل في المحراب، أما عثمان فقتل وهو يتهجد في بيته في صلاة الليل، فرضي الله عنهما"[(١)].

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (كنّا في زَمن النبيِّ ﷺ لا نَعدلُ بأبي بكر أحدًا)[(٢)].

قال ابن أبي العز: "فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد روي عن أبي حنيفة تقديم عليّ على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة، وقال أيوب السختيابي: من لم يقدم عثمان على عليّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[(٣)].

خامسًا – من آداب المدعو: تمني الخير لإخوانه والدعاء لهم:

وهذا واضح من قول أبي موسى رضي الله عنه: (إِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ) وفي رواية للبخاري: (ثم رجعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحقني، فقلت إن يُردِ اللّهُ بفلانٍ خيراً - يريدُ أخاهُ - يأتِ بهِ)[(٤)].

وقد قال النبي ﷺ: ((لأنْ يَهديَ اللّهُ بكَ رجُلاً خيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[(٥)].

قال د. عبدالكريم زيدان: "إن الداعي [ومثله المدعو] لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار، وفوزهم برضوان الله تعالى، إنه يحب

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٢٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٩٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ٧٢٧/٢ – ٧٢٨.

(٤) صحيح البخاري ٣٦٧٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحب ذلك إليهم أيضًا"(١).

ومن هذا القبيل ما وقع من أبي ذر رضي الله عنه عندما أسلم فقال له النبي ﷺ: ((فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ)). فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي(٢).

سادسًا – من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: تحقق ما قاله النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه:

لقد قال النبي ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه: (ائذن له [أي لعثمان] وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه)، قال النووي: "وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى"(٣).

وقال القرطبي: "هذا من النبي ﷺ إعلام لعثمان رضي الله عنه بما يصيبه من البلاء والمحنة في حال خلافته، وقد جاء من الأخبار ما يدل على تفصيل ما يجري عليه من القتل وغيره"(٤).

وقد عنون ابن كثير في دلائل نبوته ﷺ آخر السيرة النبوية عنوانًا هو: "ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان بن عفان وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما"(٥).

---

(١) أصول الدعوة ص ٣٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٦٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٢٦٥.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩/١٧٧ – ١٩٧.

قال ابن عثيمين: "وهذه البلوى هي ما حصل له رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه وخروجهم عليه، وقتلهم إياه في بيته رضي الله عنه، حيث دخلوا عليه في بيته وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكتاب الله بين يديه، ويذكر بعض المؤرخين أن قطرة من الدم نزلت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]، والله أعلم. لكن على كل حال كان رضي الله عنه معروفًا بكثرة القراءة والتهجد، فدخل عليه أولئك المعتدون الظالمون فقتلوه شهيدًا"[2].

سابعًا - من صفات المدعو: الاستعانة بالله والصبر في مواجهة الشدائد والمكاره:

وذلك واضح في قول عثمان بن عفان رضي الله عنه حين بشره أبو موسى رضي الله عنه بالجنة مع بلوى تصيبه - حمد الله تعالى ثم قال: (الله المستعان)، وفي رواية لمسلم: ((اللَّهُمَّ صَبْرًا. أَوِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ))[3]، وفي رواية لأحمد: (فجعل يقول: اللهم صبرًا حتى جلس)[4].

قال القرطبي: "أي: اللهم صبرني صبرًا، وأعني على ما قدّرت عليّ، فيه استسلام لأمر الله تعالى، ورضا بما قدره الله تعالى"[5].

فعلى المدعو أن يستعين بالله ويصبر عند مواجهة الشدائد، وليكن قدوته نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[6].

وهذا ما فعلته عائشة رضي الله عنها عندما رميت بما برأها الله منه في قرآنه الكريم، فقد قالت: (إني واللهِ لقد علمتُ: لقد سَمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفُسِكم

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٢٥/٢، وانظر: تفصيل ذلك في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٧٠/١٠ - ٤٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٠٣.

(٤) أخرجه أحمد ٣٩٣/٤، رقم ١٩٥٠٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٦٧/٦ - ٢٦٨.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٨.

وصدَّقتم به، فَلَئن قلتُ لكم إني بريئة - واللهُ يعلمُ أني بريئة - لا تُصدِّقوني، ولَئن اعترَفتُ لكم بأَمر، والله يعلم أني منه بريئة، لتصدِّقنّي. فواللهِ ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا قولَ أبا يوسف حين قال: ﴿فصبرٌ جميل، والله المستَعانُ على ماتُصِفون﴾[1].

وقال ابن القيم: "الصبر على البلوى ينشأ من أسباب عديدة: الأول: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات .

الثالث: شهود القدر السابق الجاري بها، وأنها مقدرة في أمّ الكتاب قبل أن يخلق فلا بُدّ منها، فجزعُه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع: شهوده حقّ الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خوف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمورٌ بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[2]، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء قطّ إلاّ بذنب ولا رفع بلاء إلاّ بتوبة).

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له، واختارها، وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٤١، ومسلم ٢٧٧٠.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٠.

لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2].

وفي مثل هذا قول القائل:

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ   فرُبَّمَا صَحَّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خلع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدمًا له وعونًا له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرد، وصُفع قفاه، وأُقصي، وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعمًا عديدة. وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة. والمصيبة لا بد أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، ولكن تقلع عن هذا وعن الآخر بالحرمان والخذلان، لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال. فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) سورة النساء آية: ١٩.

لعبوديته، فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكادُ يصحبُ العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبتُ على البلاء والعافية. فالابتلاء كير العبد ومحك إيمانه: فإما أن يخرج تبرًا أحمر، وإما أن يخرج زغلاً[١] محضًا، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا، فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية، لشغل قلبه بشكره ولسانه ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[٢].

وكيف لا يشكر من قيّض له ما يستخرج خبثه ونحاسه، وصيّره تبرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر. فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنّه وكرمه"[٣].

---

(١) الزغل: الغش، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٣) طريق الهجرتين ص ٤٩٨ - ٥٠١.

الحديث رقم (٧١٠)

٧١٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رسولِ الله ﷺ، وَمَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِنَا فَأبطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أبْتَغِي رسولَ الله ﷺ، حَتَّى أتَيْتُ حَائِطًا للأنصَارِ لِبَني النَّجَارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أجِدْ! فَإذَا رَبيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَهُ (وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ) فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((أبُو هُرَيْرَةَ؟)) فقلتُ: نَعَمْ، يَا رسول اللهِ، قَالَ: ((مَا شَأنُكَ؟)) قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأبْطَأتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، ففزعنا، فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وهؤلاء النَّاسُ وَرَائِي. فَقَالَ: ((يَا أبَا هُرَيرَةَ)) وَأعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: **((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ...))** وَذَكَرَ الحديثَ بطوله، رواه مسلم[١].

"الرَّبِيعُ": النهر الصغير، وهو الجدول - بفتح الجيم - كما فسره في الحديث. وقوله: "احتَفَزْتُ" روي بالراء والزاي ومعناه بالزاي: تَضَاممتُ وتَصَاغَرْتُ حتى أمكنني الدخول.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يقتطع دوننا: أي يصاب بمكروه من عدو، إما بأسر، وإما بغيره[٢].

حائطًا: أي بستانًا وسمى بذلك لأنه حائط لا سقف له[٣].

---

(١) برقم (٣١/٥٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق ص ١١٢.

الرَّبِيع: النهر الصغير[١].

احتفرت: روى بالراء وبالزاي ومعناه بالزاي: تضاممت وتصاغرت حتى أمكنني الدخول[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يحكي جانباً من الحياة اليومية لرسول الله وصحبه، وطبيعة هذه النوعية من الأحاديث أنها تحمل دروساً متعددة، وموضوعات مختلفة تكون مصدر تعليم لأجيال الأمة في كثير من الأمور وهذا الحديث يصوِّر عملياً شدة حرصهم على الرسول ﷺ وسلامته يدلك على ذلك عدة أمور في بناء الصحابي لعبارته منها: كثرة الألفاظ التي تدل على الفزع (خشينا - فزعنا - فزع) ومنها العبارت التي تدل على القلق (أبطأ علينا - أن يقتطع دوننا - فاحتفرت) ومنها كثرة استخدام الفاء في الربط بين الأحداث، والتي تدل على سرعة الاستجابة (فقام - فأبطأ - فقمنا- فكنت - فخرجت - فدرت - فاحتفرت - فدخلت) ومنها عموم الأثر والذي يدل عليه استخدام الصحابي (نا) الفاعلين بكثرة، لذلك جاءت بشارة الرسول ﷺ لهم بالجنة جزاءً من جنس العمل، فتأمل كيف تحولت نصرتهم للرسول ﷺ نصرة لأنفسهم، وكذلك كل من ينصر رسول الله، وسنته، فإنه في الحقيقة يحي قلبه، وينصر نفس.

فما أحوج الشباب المسلم إلى نموذج كأبي هريرة يكون قدوة لشباب الأمة في الحرص على نبيهم، والدفاع عنه والذبِّ عن سنته بالتمسك بها والدفاع عنها ضد من يحاول إقصائها عن ميدان الحياة، وهذه نصرة للمسلمين جميعاً لأنه ﷺ أجلُّ من أن ينقص من قدره جاهل بفعل أو قول وقد نصره الله فلا غالب له، وإنما إلتفافنا حوله نصرة لنا.

---

(١) رياض الصالحين ٣٠٧.

(٢) رياض الصالحين ٣٠٧.

فقه الحديث

جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه:

قال النووي: (فيه [أي في هذا الحديث] جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه، إذا علم أنه يرضى ذلك لمودة بينهما أو غير ذلك، فإن أبا هريرة ﷺ دخل الحائط وأقرّه النبي ﷺ على ذلك، ولم ينقل أنه أنكر عليه. وهذا غير مختص بدخول الأرض، بل يجوز له الانتفاع بأدواته وأكل طعامه، والحمل من طعامه إلى بيته، وركوب دابته، ونحو ذلك من التصرف الذي يعلم أنّه لا يشق على صاحبه، هذا هو المذهب الصحيح الذي عليه جماهير السلف والخلف من العلماء رحمة الله عليهم، وصرح به أصحابنا. قال أبو عمر بن عبدالبر: وأجمعوا على أنه لا يتجاوز الطعام وأشباهه إلى الدراهم والدنانير وأشباههما. وفي ثبوت الإجماع في حق من يقطع بطيب قلب صاحبه بذلك، نظر، ولعلّ هذا يكون في الدراهم الكثيرة التي يشكّ أو قد يشك في رضاه بها، فإنهم اتفقوا على أنه إذا تشكك لا يجوز التصرف مطلقًا فيما تشكك في رضاه به، ثم دليل الجواز في الباب الكتاب والسنة، وفعل وقول أعيان الأمة، فالكتاب قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[1] والسنة هذا الحديث وأحاديث كثيرة معروفة بنحوه، وأفعال السلف وأقوالهم في هذا أكثر من أن تحصى. والله تعالى أعلم)[2].

---

(١) سورة النور، آية: ٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١١/١/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة ﷺ على النبي ﷺ عليهم ومسارعة أبي هريرة في طلبه ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي هريرة ﷺ.

ثالثًا: من صفات النبي ﷺ: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان الراسخ في القلب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة ﷺ على النبي ﷺ عليهم ومسارعة أبي هريرة في طلبه ﷺ:

لقد كان الصحابة ﷺ يفدون النبي بالغالي والنفيس، وقد كثر على ألسنتهم قولهم له ﷺ: "فداك أبي وأمي"، وحديث الباب يوضح بعض هذا، فقال أبو هريرة ﷺ: "كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبوبكر وعمر ﷺ في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ...".

قال النووي: (قوله "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر وإما بغيره. قوله "وفزعنا وقمنا فكنت أول من فزع" قال القاضي عياض[1]: الفزع يكون بمعنى الروع وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به، وبمعنى الإغاثة، قال: فتصح هذه المعاني الثلاثة، أي ذعرنا لاحتباس النبي ﷺ عنا، ألا تراه كيف قال: وخشينا ان يقتطع دوننا، ويدل على الوجهين الآخرين قوله: فكنت أول من فزع)[2].

كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرسونه خوفًا من أن يصيبه ﷺ أدنى أذى، قال ابن سيد الناس: (حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ، ويوم أحد

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٦٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠٤/١.

محمد بن مسلمة، ويوم الخندق الزبير بن العوام، وحرسه ليلة بنى بصفية أبو أيوب الأنصاري بخيبر أو ببعض طريقها، وحرسه بوادي القرى بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس، وكان على حرسه عباد بن بشر، فلما نزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] ترك الحرس)[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: منزلة أبي هريرة رضي الله عنه:

أبو هريرة رضي الله عنه هو راوية الإسلام، ولقد لازم النبي ﷺ منذ أسلم حتى وفاته ﷺ، فحفظ عنه علمًا جمًا، استفاد منه الصحابة والمسلمون كلهم - وما يزالون - استفادة كبيرة، وكان رضي الله عنه يحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، ويفديه بالروح وبكل ما يملك كما في هذا الحديث (فكان أول من فزع أبو هريرة رضي الله عنه حتى أتى حائطًا لبني النجار، فجعل يطوف به لعله يجد بابا فلم يجد ... ولكنه وجد فتحة صغيرة في الجدار فضم جسمه حتى دخل فوجد النبي ﷺ)[3]. وقال ابن هبيرة: (فيه جواز أن يحمل الشفيق إشفاقه على مصحوبه إلى أن يلج عليه في المكان الذي هو فيه من غير بابه، كما فعل أبو هريرة، وإنما يرخص في مثل هذا، إذا جرى مثل تلك الحال من الخوف على رسول الله ﷺ وإلا فلا تؤتى البيوت إلا من أبوابها)[4].

ومما يدل على منزلة أبي هريرة قوله ﷺ: ((إنكم تزعمون أنَّ أبا هريرةَ يُكثرُ الحديثَ على رسولِ اللّه ﷺ، واللّهُ الموعد، إني كنتُ امرأً مسكينًا ألزَمُ رسولَ اللّه ﷺ على مِلْءِ بطني، وكان المهاجرونَ يَشغَلُهُمْ الصفقُ بالأسواق، وكانت الأنصارُ يشغلُهُم القيام على أموالهم، فشهِدتُ من رسولِ اللّه ﷺ ذاتَ يومٍ وقال: "من يَبسُطُ رِداءَهُ حتى أقضيَ مقالتي، ثم يَقبضُهُ، فلن يَنسى شيئًا سَمِعَهُ مني، فبَسَطتُ بُردةً

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) عيون الأثر ٢/٣٨٣-٣٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٢/١٠٢٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/١٩٨

كانت عليَّ، فوالذي بَعثَهُ بالحق ما نسيت شيئًا سمعتهُ منه))[١].

قال عنه الذهبي: (الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات... حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه لم يلحق في كثرته)[٢]. وقال كذلك: (وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة)[٣].

ثالثًا - من صفات النبي ﷺ: التبشير:

وهذا واضح من إعطاء النبي ﷺ نعليه لأبي هريرة وقوله له: (اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة). قال ابن هبيرة: (فيه أن رسول الله ﷺ لما أخبره أبو هريرة بشدة إشفاق المسلمين عليه وحذرهم، عرف ﷺ أن هذا من أمارة الإيمان، وأراد أن يسر قلوبهم بهذه البشرى، فقال له: اخرج وخذ نعلي، وإنما أعطاه نعليه لتكون أمارة على أنه هو الذي أرسله بتلك الرسالة)[٤].

قال ابن عثيمين: (ففي هذا الحديث بشارة بالخير، وهو أن من شهد ألا إله إلا الله موقنًا بها قلبه فليبشر بالجنة)[٥].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٥٤، ومسلم ٢٤٩٢.

(٢) سير اعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٥٧٨-٥٧٩.

(٣) السير ٢/٥٩٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم احمد ٨/١٩٨.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ١١٩.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٥٦.

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(١).

وقال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان الراسخ في القلب:

وذلك واضح في آخر الحديث "اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة".

قال النووي: (وأما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم، يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيدًا، وإن كان خبره مقبولاً من غير هذا. قوله ﷺ "فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة" معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة، وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم)(٣).

قال ابن عثيمين: (لأن الذي يقول هذه الكلمة مستيقنًا بها قلبه لابد أن يقوم بأوامر الله ويجتنب نواهي الله، لأنه يقول لا معبود بحق إلا الله، وإذا كان هذا معنى تلك الكلمة العظيمة، فإنه لا بد أن يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له. أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه - والعياذ بالله - فإنها لا تنفعه، فهاهم أولئك المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله لكنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ويقومون ويصلون، لكنهم يصلون صلاة المنافقين، فالصلاة ثقيلة عليهم، وأثقلها صلاة العشاء والفجر، ويأتون للرسول ﷺ يقولون نشهد إنك لرسول الله ويؤكدون هذا، ولكن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) سورة يونس، آية: ١.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٧-١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1] لم تستيقن قلوبهم بلا إله إلا الله، ولا بمحمد رسول الله، ولهذا لم تنفعهم، أما من استيقن بها قلبه فهذا هو الذي يبشر بذلك)[2].

قال ابن القيم: (ومن منازل "إياك نعبد وإياكم نستعين" منزلة اليقين وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال تعالى: - وبقوله يهتدي المهتدون- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3] وخص سبحانه وتعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال - وهو أصدق القائلين - ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[4] وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5] وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين، فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[6].

فاليقين روح أعمال القلوب، التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وقطب هذا الشيء الذي عليه مداره، واليقين قرين التوكل، ولهذا فسر التوكل بقوة

---

(١) سورة المنافقون، آية: ١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٦.

(٣) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٤، ٥.

(٦) سورة الجاثية، آية: ٣٢.

اليقين. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل شك وريب، وهّم وغّم، فامتلأ محبة لله، وخوفًا منه، ورضى به، وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[1].

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٢٠-٢٢١ باختصار، وقد استفدنا هذا الاختصار عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢/٢٧١٨-٢٧١٩.

الحديث رقم (٧١١)

٧١١- وعن ابن شِمَاسَةَ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاصِ ﵁ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ، يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ أمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ فَأقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إنَّ أفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ، إنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أطْبَاقٍ ثَلاَثٍ: لَقَدْ رَأيْتُنِي وَمَا أحَدٌ أشَدَّ بُغضًا لرسولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلاَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ أنْ أكُونَ قدِ اسْتَمكنتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُه، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإسلامَ فِي قَلْبِي أتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فقُلْتُ: ابسُطْ يَمينَكَ فَلأُبَايِعْك، فَبَسَطَ يَمينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فَقَالَ: ((مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟)) قلتُ: أردتُ أنْ أشْتَرِطَ، قَالَ: ((تَشْتَرِط بمَاذا؟)) قُلْتُ: أنْ يُغفَرَ لِي، قَالَ: ((**أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قبلَهَا، وَأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**)) وَمَا كَانَ أحدٌ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ أجَلَّ فِي عَيني مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطيقُ أن أملأ عَيني مِنْهُ؛ إجلالاً لَهُ، ولو سُئِلْتُ أنْ أَصِفَه مَا أطَقتُ، لأني لَمْ أكن أملأ عيني مِنْهُ، ولو مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أشْيَاءَ مَا أدْرِي مَا حَالِي فِيهَا؟ فَإذَا أنَا مُتُّ فَلاَ تَصحَبَنِّي نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ، فَإذا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أسْتَأنِسَ بِكُمْ، وَأنْظُرَ مَاذا أُرَاجِعُ بِهِ رسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[1].

قوله: "شُنُّوا" روي بالشين المعجمة وبالمهملة، أي: صبوه قليلاً قليلاً. والله سبحانه أعلم.

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

---

(١) برقم (١٢١/١٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٤٢) بلفظ ابن خزيمة مختصرًا، وقال: ورواه مسلم وغيره أطول منه.

غريب الألفاظ:

سياقة الموت: حال حضور الموت[١].

أطباق: أحوال[٢].

فلأ بايعك: أعاقدك وأعاهدك[٣].

النائحة: التي تبكي وتنوح من النساء على الميت[٤].

فشنوا: صبوه قليلاً قليلاً[٥].

الجزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل[٦].

أراجع: أجاوب وأجادل[٧].

الشرح الأدبي

الحديث يصوّر حالة لابد وأن تمرَّ بكل إنسان وهي حالة الاحتضار حينها تعتري الإنسان مشاعر متعددة لا يمكن وصفها يحتاج إلى رجاء المغفرة والبشارة بالخير وحسن الظن بالله وهو مدار الحديث.

بداية الحوار بين عمرو ﷺ والرسول ﷺ عند مبايعته على الإسلام تصدرتها جملة عمرو ﷺ (ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي) وقد تصدرها أسلوب الأمر (ابسط) والمقصود منه القبول والرضى وتخصيص اليمين لأنها المعتادة في السلام وأخذ البيعة وفي استعمالها عند العرب خصوصية وتكريم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٣) ل في (ب ي ع).

(٤) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٤٦.

(٥) رياض الصالحين ٣٠٨.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ز ر).

(٧) المرجع السابق في (ر ج ع).

وقوله: (فبسط... فقبضت) فيه تضاد يؤكد المعنى ويوضح مفارقة في الموقفين موقف الرسول ﷺ وموقف عمرو ﷺ، وتوقفه عن البيعة مما أثار استفهامة في نفس الرسول ﷺ وهو الحريص على إسلامه فقال: (مالك يا عمرو؟) وهو استفهام تعجب واستبطاء فتأتي إجابة عمرو ﷺ بأنه يريد أن يشترط المغفرة، فجاءت بشارة الرسول ﷺ له وللمسلمين بقوله (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟) وهو استفهام تقرير للتعليم والإخبار وكأن ما سأل عنه مما لا ينبغي أن يجهل ثم إن تعبيره بقوله: (يهدم) للدلالة على محو الذنوب استعارة مكنية فيها تشبيه الذنوب بالبناء وقد أشار إليه بشيء من لوازمه وهو الهدم وهذه الاستعارة تفيد عدة دلالات منها: أن الذنوب سور، وحجاب يحجز صاحبه عن كل خير ومنها الدلالة على التفكيك والنقض المفهوم من طبيعة الهدم وهو في جانب المشبه به يؤكد محو الإسلام والهجرة والحج لما قبله من الذنوب محواً لا يبقي لها أثراً.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- ما يكره في اتباع الجنائز: اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز أن يكون مع الجنائز، ما يخالف الشرع، كالنياحة، ورفع الصوت بالبكاء، أو اتباعها بمجمرة، أو بخور[1]، ويلحق بذلك ما كان في معناه، كالموسيقى، واللطم، ونحوهما.

٢- سنن وآداب الدفن:

أ- حثو التراب في القبر: يستحب عند جمهور الفقهاء، لمن حضر الدفن، أن يحثو

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٤/٢، ٣٢٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٣١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٦/١، ٣٥٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٢/٢، ١٥٣.

على الميت من تراب القبر ثلاث حثيات بيديه جميعًا، وذلك بعد الفراغ من سد اللحد، ويكون الحثو من جهة رأس الميت[1].

وروي عن الإمام مالك أنه قال: لا أعرف حثيات التراب في القبر ثلاثًا، ولا أقل، ولا أكثر، ولا سمعت من أمر به، والذين يلون دفنها يلون رد التراب عليها. لكن المعروف من مذهب المالكية: استحباب الحثو، كالجمهور[2].

ب-صرح جمهور الفقهاء بأنه يستحبّ أن يجلس المشيعون للميت بعد دفنه لدعاء وقراءة بقدر ما ينحر الجزور ويفرق لحمه[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شفقة وخوف وبكاء عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: هدم الإسلام والهجرة والحج لما سبقهم من الذنوب.

خامسًا: من آداب المدعو: إجلال وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شفقة وخوف عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال ابن شماسة: "حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً، وحوّل وجهه إلى الجدار... فأقبل بوجهه فقال: (إني قد كنت على أطباق ثلاث،

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٢٠/٢، حاشية الخرشي ٤٣٣/٥، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٣/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٠/٢، ١٦١.

(٢) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٢، وحاشية الخرشي ٤٣٣/٥.

(٣) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ٤٢٩/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٩٤/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٢١/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢١.

لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ منّي ولا أحب إلي من أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار... إلخ).

قال ابن عثيمين: (إنه حضره بعض أصحابه وهو في سياقة الموت، فبكى بكاءً شديدًا وحول وجهه نحو الجدار رضي الله عنه، وهو في سياقة الموت سيفارق الدنيا، فقال له ابنه: علام تبكي وقد بشرك النبي ﷺ بالجنة؟ فقال: يابني إني كنت على أطباق ثلاث، أطباق يعني أحوال، ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1] يعني حالاً بعد حال.

ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث، أنه كان يبغض النبي بغضًا شديدًا، وأنه لم يكن على وجه الأرض أحد يبغضه كما كان يبغضه هو، وأنه يود أنه لو تمكن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، حتى ألقى الله الإسلام في قلبه... فبايع رضي الله عنه النبي ﷺ وأحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، حتى كان أحب الناس إليه، حتى إنه لا يستطيع أن يحد النظر فيه إجلالاً له عليه الصلاة والسلام، سبحان مقلب القلوب، بالأمس كان يبغضه بغضًا شديدًا حتى يتمنى أن يقدر عليه فيقتله، والآن ما يستطيع أن يرفع طرفه إليه إجلالاً له، ولا يستطيع أن يصفه لأنه لا يحيط به، حيث إنه لم يدركه إدراكًا جيدًا؛ مهابة له ﷺ.

يقول رضي الله عنه: إنه لو مات على الطبق الأول لكان من أهل النار ويقول: ولو مت على تلك الحال يعني الطبق الثاني لرجوت أن أكون من أهل الجنة. انظر الاحتياط فقد جزم أنه لو مات على الحال الأولى لكان من أهل النار، أما الحال الثانية: فإنه لشدة خوفه قال: لومت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ولم يقل: لكنت من أهل الجنة، لأن الشهادة بالجنة أمرها صعب، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها. ثم إنه تولى بعد ذلك أمورًا رضي الله عنه تولى إمارات وقيادات وحصل ما حصل في قصة حرب معاوية وغيره. وكان عمرو بن العاص معروفًا أنه من أدهى وأذكى العرب، فيقول: أخشى من

---

(١) سورة الانشقاق، آية: ١٩.

هذا الذي حدث به بعد الطبق الأوسط، أن يكون أحاط بعمله)[(١)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى:

إن المحتضر مفارق الدنيا مقبل على الآخرة، لذا حَسُنَ أن يذكّر بما يجعله يحسن الظن بالله، وهذا ما فعله ابن عمرو بن العاص، فقد قال لأبيه وهو يحتضر: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال النووي: (وفيه استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله سبحانه وتعالى، وذكر آيات الرجاء، وأحاديث العفو عنده، وتبشيره بما أعده الله تعالى للمسلمين، وذكر حسن أعماله عنده ليحسن ظنه بالله تعالى ويموت عليه، وهذا الأدب مستحب بالاتفاق، وموضوع الدلالة له من هذا الحديث، قول ابن عمرو لأبيه: أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا)[(٢)].

وعن أنس بن مالك: ((أَنَّ النبيَّ دَخَلَ على شَاب وهُوَ بالمَوْتِ فقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قالَ والله يا رسولَ الله إنِّي أرْجُو الله وإنِّي أَخَافُ ذُنُوبي. فقَالَ رسولُ الله لاَ يَجْتَمِعَانِ في قَلْبِ عَبْد في مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاّ أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[(٣)].

وقال القرطبي: (حسن الظن بالله تعالى، ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك، حتى يدخل في قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي))[(٤)])[(٥)].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين:

لا يقبل الله إلا دين الإسلام، ولا يدخل في الإسلام أحدٌ إلا بالشهادتين، لذا كان لهما فضل عظيم وثواب جزيل، ولذا قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٠٢٨/٢-١٠٢٩.

(٢) شرح مسلم ١٧١.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٠٧، ومسلم ٢٦٧٥.

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٢٨.

قال أبو العباس القرطبي المحدث: (أي أن أفضل ما نتخذه عدة للقاء الله تعالى الإيمان بالله تعالى، وتوحيده وتصديق رسوله ﷺ، والنطق بذلك، وأن الإيمان أفضل الأعمال كلها، ويتأكد أمر النطق بالشهادتين عند الموت، ليكون ذلك خاتمة أمره وآخر كلامه)[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإسلام عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. وأن محمداً رسول الله. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَصِيَامِ رَمَضَانَ. وَحَجِّ الْبَيْتِ))[2].

وقال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: ((أَتَدْرُونَ مَا الإِيْمَانُ بالله؟ قالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[3].

وقال الرسول ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاّ الله وأن محمدًا رسولُ اللّهِ حَرَّمَهُ الله على النّارِ))[4].

جاء في الموسوعة الفقهية: (وتطلق الشهادة أيضًا على كلمة التوحيد، وهي قولنا: "لا إله إلا الله" وتسمى العبارة "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" بالشهادتين. ومعناها هنا متفرع عن مجموع المعنيين "الإخبار والإقرار" فإن معنى الشهادة هنا هو الإعلام والبيان لأمر قد علم، والإقرار الاعتراف به. وقد نص ابن الأنباري على أن المعنى هو: "أعلم أن لا إله إلا الله وأبيّن أن لا إله إلا الله، وأعلم وأبين أن محمدًا مبلغ للأخبار عن الله عز وجل، وسمى النطق بالشهادتين بالتشهد، وهو صيغة تفعل من الشهادة)[5].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨، ومسلم ١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣، ومسلم ١٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/٢١٥.

وجاء في كتاب أصول الإيمان: (معنى الشهادتين: معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله. ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر به، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)(١).

رابعًا - من موضوعات الدعوة: هدم الإسلام والهجرة والحج لما قبلها من الذنوب:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ قال النووي: (فيه عظم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي)(٢).

قال ابن عثيمين: (أما الإسلام فإنه يهدم ما كان قبله بنص الكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٣) وأما الهجرة إذا هاجر الإنسان من بلده التي كان يعيش فيها وهي بلد كفر هدمت ما قبلها، والحج يهدم ما قبله لقول النبي ﷺ ((مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))(٤))(٥).

قال ابن العربي تعليقًا على الآية السابقة: (قال علماؤنا: هذه لطيفة من الله سبحانه منّ بها على الخليقة، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي ويرتكبون المآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدًا توبة، ولا نالتهم مغفرة، فيسّر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم، ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدْعَى إلى قبولهم كلمة الإسلام، وتأليفًا على الملة، وترغيبًا في الشريعة، فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا)(٦).

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٥٦.

(٢) شرح مسلم ص ١٧٠. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٢٩/١.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٠٢٨/٢-١٠٢٩.

(٦) أحكام القرآن، ابن العربي ٨٥٢/٢.

خامسًا - من آداب المدعو: إجلال وتعظيم النبي ﷺ:

بعث الله النبي محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، فكان له على الخلق حقوق، منها إجلاله ﷺ وتعظيمه، وهذا ما كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم، فقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه".

قال النووي: (وفيه ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من توقير رسول الله ﷺ وإجلاله)[1].

وقد شهد بذلك عروة بن مسعود الثقفي عندما رأى النبي ﷺ وما يفعله أصحابه معه، وذلك في صلح الحديبية، قال عروة: ((والله لقَد وفَدْتُ على المُلوكِ، ووَفدتُ على قَيصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلكًا قطُّ يُعظِّمهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، واللهِ إنْ يَتنَخَّمُ نُخامةً إلاَّ وَقَعَت في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وَجهَه وجلدَه، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، وإذا تَوَضَّأَ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيمًا له))[2].

وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[3].

قال أبو عبدالله القرطبي: (معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، أي إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم، حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١.

(٢) اخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٢.

واضحة... وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفًا لهم، إذ هم ورثة الأنبياء)[١].

وقال ابن العربي: (حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[٢]، وكلام النبي ﷺ من الوحي، وله من الحرمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه)[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/١٦/٢٠٦-٢٠٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٤/١٧١٤-١٧١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخبر السار يدعى بشارة لأنه محبب إلى النفس والقرآن قد نص على ذلك في كثير من المواطن ومثل ذلك السنة.

وقد تستخدم الكلمة في التهكم والسخرية لمزيد من الإيلام. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على التبشير بالخير:

إن من الأمور المهمة التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين التربية على التبشير بالخير والتهنئة لما تتركه من أثر طيب، ومن تحفيز على العمل، والاجتهاد في الطاعة، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال له الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة ... ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة ...» وقوله في الحديث عن عمر رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة، فجئت عمر فقلت: أَذِنَ ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة»، وقوله عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه، فجئت فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، وفي حديث ابن شماسة: «... فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشَّرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا؟ أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا...».

والتبشير كان من منهج النبي صلى الله عليه وسلم دائمًا، "ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يثني على مَنْ ظهر منه ما يستحق الثناء ويبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله تعالى"[1].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٢.

وواجب المسلم الحرص على التبشير بالخير دائمًا، والتهنئة به "والتيسير والتبشير من وسائل التحفيز للإنسان لاسيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته فلابد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه بحِمْلٍ كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها"[1].

ثانيًا- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب حيث إن له أثرًا في نفس المتربي يحفزه إلى العمل والاجتهاد في الطاعة، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «.....اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه وهو تشويق الناس إلى ثواب الله تعالى والجنة والترغيب يأتي في الشريعة حسب الأحوال والنفوس، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى وتشتاق إلى النور، ذِكْرُ الخير يرغبها ودَعوةُ الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[2].

إن المربي الناجح يجعل من الترغيب وسيلة لحث المتربين على المزيد من الطاعات، "فالتربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية فهي تعتبر أساسًا محددًا لبناء شخصية الفرد تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها وعداوتها في بيعها وشرائها في عملها وراحتها في نصائحها وتحذيراتها، وتبرز أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوباً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين المتربين ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا"[3].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٣٢.

(٢) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص٢٠٠.

(٣) تربية الأبناء والبنات، خالد بن عبدالرحمن العك، ص١٨٧.

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

إن من الأساليب التربوية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، حيث إنه من خلال الحدث والموقف يقدم المربي توجيهاته وإرشاداته للمتربين، ومما جاء في أحاديث الباب يبين هذا حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال: «لألزمن رسول الله ﷺ ...»، وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر ﷺ في نفر ...» وفي حديث شماسة قال: «حضرنا عمرو بن العاص ﷺ وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار ...».

ففي جملة هذه الأحداث مواقف وأحداث جاءت لتبين معاني تربوية وقيم خلقية، وتوجيهات إرشادية.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين. وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[(١)].

إن عادة الناس دائمًا أن الأحداث والمواقف تثبت في أذهانهم وعقولهم، فإذا ما ارتبط بها توجيهات تربوية، كان أدعى لقبولها وتنفيذها "يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدىً بغير عبرة وتوجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث - كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، وقد قام القرآن الكريم -وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها-باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر... وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطَرْقُ والحديدُ ساخن...

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[(١)].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمربي والمعلم أن يستفيد منها، من تلك الأساليب ما يلي:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه، ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب بينه وبين المتعلمين أو بين المتعلمين بعضهم بعضًا، بهدف معرفة بعض المعلومات والحقائق التي تثري العملية التعليمية وتفعل دور المتعلم في حجرة الدراسة، وتكون مناخ فعّال للتفاعل الصفي في حجرة الدراسة. ومن الجدير بالذكر أن الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التعليمية التي تترك أثرها على المتعلم وتتميز ببقاء أثر التعلم.

ب-القصة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتعتبر القصة من طرق التدريس التي يمكن للمعلم استخدامها في تقديم الأفكار والخبرات والتجارب في شكل مشوق جذاب مؤثر وعن طريقها تثري المفردات اللغوية للتلميذ ويرغب في القراءة، وتحقق القصة للمتعلم الإمتاع والتسلية ثم تنمية الخيال والقدرة على الابتكار.

كما يمكن للمعلم استخدام القصة للتمهيد للدرس بحيث ترسم الإطار النفسي له.

خامساً - آداب البشارة في الإسلام:

١/ يستحب إخبار أي إنسان بما يسره إذا توفر العلم اليقيني بالخبر، وأن يكون مصدر الخبر كرأي العين حتى لا يبشر الإنسان بأمر ويظهر عكسه، فيكون ضرر الخبر أكثر من نفعه.

٢/ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالبشارة بأمر إلهي صريح أو بإلهام رباني صحيح، ويبشر كل من كلف ببشارته بنفسه أو بغيره.

٣/ يستحب للمبشّر أن يهدي المبشَّر شيئاً ما، جبراً لخاطره وإشاعة للسرور، وتبادلاً له، هكذا فعلت خديجة رضي الله عنها عند إخبارها بموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج منها،

---

(١)أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٩٦.

وفعل كثير غيرها.

٤/ يمكن إقامة الدليل على صدق البشرى أو العلم بمصدرها بدليل قطعي بدليل أن الرسول ﷺ أعطى أبا هريرة رضي الله عنه نعليه، ثم كلفه أن يبشر كل من يشهد أن لا إلا إلا الله وأن محمداً رسول الله بالجنة.

٥/ يجوز التحفظ على البشارة إذا كان ذكرها يؤدي إلى عكس المراد منها، فحين طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الرسول ﷺ أن لا يبشر الناس بإيجاب الجنة لمن شهد شهادة التوحيد حتى لا يتكلوا، قَبلَ الرسول ﷺ منه ذلك.



٩٦- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢-١٣٣].

وأما الأحاديث فمنها:

الحديث رقم (٧١٢)

٧١٢- حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه - الَّذي سبق في بَاب إكرام أهْلِ بَيْتِ رسول الله ﷺ- قَالَ: قَامَ رسول الله ﷺ فينَا خطيباً، فَحَمِدَ الله، وَأثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: ((امَّا بَعْدُ، الاَ ايُّهَا النَّاسُ، إنَّمَا انَا بَشَرٌ يُوشِكُ انْ يَاتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَانَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، اوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ))، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ((وَاَهْلُ بَيْتِي، اذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي اهْلِ بَيْتِي[1])) رواه مسلم[2]، وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ.

ترجمة الراوي:

زيد بن ارقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

رسول ربي: الموت.

ثقلين: مفردها ثقل: الشيء النفيس الخطير[3].

---

(١) تكررت عند مسلم ثلاث مرات.

(٢) برقم (٣٦/٢٤٠٨)، وتقدم برقم (٣٤٦).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث ق ل).

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام مؤذن بمهم يتلوه، وحرف الجر المتصل بضمير الجمع (فينا) يؤكد الاحتشاد لهذا المهم، ثم إن الحمد، والثناء، والموعظة من لوازم خطبته ﷺ ثم إنه بدأ بفصل الخطاب بقوله (أما بعد) فصلاً للمقدمة عن موضوع الخطبة تلاه أداة الاستفتاح (ألا) وهي أشبه بطرقة عنيفة على الأسماع أتبعه بنداء الجمع (أيها الناس) الذي يؤكد أهمية الأمر، ويجعل الجميع في دائرة الحوار معنيين بما يتلوه، ثم أعقبه أسلوب قصر بإنما لنفسه ﷺ على كونه بشراً ونفي ما عداه من كونه ملكاً لا يموت، وهو تمهيد لما يريد أن يقرر من قرب الأجل، والذي قرره قوله (يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) وقد طوت العبارة أسراراً متعددة منها أن إتيان رسول ربه وإجابته له كناية عن موته ﷺ ومنها: أن التعبير بـ (يوشك) يقرر اقتراب ذلك مما يكون له أعظم الأثر في تلقيهم لما يقول ومنها: أن إضافة ضمير المتكلم لكلمة (رب) فيها استشعار للحظة القرب ورغبة في لازم الربوبية من العناية، والتربية، والحفظ عند الخطوب، ومنها: الربط بالفاء التي ترتب الإجابة علي الإتيان وتوحي بالسرعة مما يدل على شوقه إلى لقاء ربه، وقوله: (وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) وهذه الجملة تمهيد لتربة القلوب لتستقبل موعظة مودع بسمع مصغٍ وقلبٍ متفتح لا ينساها وتعبيره بالجملة الإسمية يفيد الثبات والدوام، وتصدير الكلام بالضمير (أنا) العائد عليه ﷺ ربط وجداني بحديث المودع السابق، ووصل له باللاحق؛ لأنها الفائدة التي يمهد لها وهي الوصية بالتمسك بكتاب الله وأهل بيته، وتنكير (الثقلين) للتعظيم وهو أسلوب توشيح يؤكد المعنى لأنه ذكر مثنى مجملاً ثم فصَّله بقوله (أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ) وإضافة الكتاب لله ارتقاء به لذروة الشرف التي ليس فوقها مرتقى لكتاب، وجملة (فيه الهدى والنور) تقديم الجار والمجرور (فيه) تفيد اختصاصه بهداية الناس وإرشادهم دون غيره من الكتب، وفيه إشارة خفية إلى تعرض الأمة لفتن ومحن لا تخرج منها إلا بكتاب الله يضيء لها الطريق كما أن فيه إشارة إلى أن الإنسان في الحياة كالساري بليل مظلم يحتاج إلى ما يضيء طريقه وهو كتاب الله مع كل مؤمن وفي قوله: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي

أَهْلِ بَيْتِي) إيجاز بالحذف تقديره: وثانيهما، والتكرار في الجملة يفيد التعظيم لشأنهم والتنبيه إلى فضلهم، ووجوب العناية بهم أينما كانوا ومهما تقلب بهم الزمان.

المضامين الدعوية[١]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٤٦).

الحديث رقم (٧١٣)

٧١٣- وعن أبي سليمان مالك بن الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ رَحيماً رَفيقاً، فَظَنَّ أنَّا قد اشْتَقْنَا أهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أهْلِنَا، فَأخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: ((ارْجِعُوا إِلَى أهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، (وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا في حِيْنِ كَذَا)، فَإذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد البخاريُّ[2] في رواية لَهُ: ((وَصَلُّوا كَمَا رَأيْتُمُونِي أُصَلِّي)).

وَقَوْلُه: (رحيماً رَفِيقاً) رُوِيَ بفاءٍ وقافٍ، وَرُوِيَ بقافَيْنِ.

ترجمة الراوي:

مالك بن الحويرث: هو مالك بن الحويرث بن أَشْيم الليثي أبو سليمان. وقيل غير ذلك في نسبه.

قدم على النبي ﷺ في جماعة من الشباب، فأعلنوا إسلامهم وعلمهم الصلاة وأمرهم بتعليم قومهم إذا رجعوا إليهم كما في الحديث.

وقد عمل بهذه الوصية، فكان ينشر العلم يعلمه الناس، ويبلغ الخير إليهم، ويسدي النصح لهم، فقد قال للناس وقد أمّهم في الصلاة: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة ولكني أريد أن أريكم كيف صلاة رسول الله ﷺ[3].

وكان وقّافاً عند سنة رسول الله ﷺ، فقد زار قوماً، فقدموه للصلاة، لكنه أمرهم أن يقدموا رجلاً منهم يصلي بهم، ثم قال لهم مُبيناً سبب فعلته أن رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨، و، و٦٣١، و٦٨٥)، ومسلم (٢٩٢/٦٧٤)، والسياق للحميدي في جمعه (٣٨٥/١، رقم ٦٢٠).

(٢) برقم (٦٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٢٤).

الله ﷺ قال: من زار قوماً فلا يؤمهم وليؤمهم رجلٌ منهم[١].

سكن البصرة ومات بها ٧٤هـ[٢].

غريب الألفاظ:

شببة متقاربون: جمع شاب ومعناه: متقاربون في السن[٣].

رفيقاً: رقيق القلب[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يبيّن رحمة الرسول ﷺ بأصحابه وعنايته بهم ورعايته لهم وتفقده لأحوالهم وهو ما يجب أن يكون عليه كل راع لأنه مسئول عن رعيته. سأل الرسول ﷺ عن أحوال أصحابه فلما أحيط بها علماً أمرهم بما فيه صلاحهم وما فيه حفاظ على دنياهم وأخراهم، وهو درس في التوازن بين إعمار الدنيا وإصلاح الآخرة فقال: (ارجعوا إلى أهليكم...) ليقضوا وطرهم ويقضوا حاجتهم، وقوله: (فأقيموا فيهم الصلاة) أمر مترتب على العودة بإقامة الصلاة، والتعبير بالإقامة، يفيد الإصلاح، والتقويم من قومت العود، بمعنى أزلت اعوجاجه، ولم ينص على قضاء الحوائج الدنيوية عند العودة، لأنها معلومة ضمناً وقد كانت السبب في ردهم إلى أهلهم وهو ما يؤكده قول الراوي: (فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا).

وقوله: (فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) أسلوب

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٩٦)، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٥٦).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٨/٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٥٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٦/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٦٨٩/٣).

(٣) شرح مسلم ٤٧٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/٢.

شرط يربط بين حضور الصلاة، والآذان لها مع الفورية التي تدل عليها (الفاء) والوجوب الذي تدل عليه لام الأمر المتصلة بالمضارع في قوله (فليؤذن - ليؤمكم) وقد عبَّر بحرف العطف (ثم) بين الآذان والإقامة للدلالة على فترة زمنية تؤدىً فيها النافلة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الأذان: اتفق الفقهاء على أن الأذان من خصائص الإسلام وشعائره الظاهرة، وأنه لو اتفق أهل بلد على تركه قوتلوا، ولكنهم اختلفوا في حكمه، فقيل: إنه فرض كفاية، وهو الصحيح عند الحنابلة في الحضر، والمالكية على أهل المصر، واستظهره بعض المالكية في مساجد الجماعات، وهو رأي للشافعية ورواية عن الإمام أحمد. كما نقل عن بعض الحنفية أنه واجب على الكفاية.

وقيل: إنه سنة مؤكدة وهو الراجح عند الحنفية، والأصح عند الشافعية، وبه قال بعض المالكية، للجماعة التي تنتظر آخرين ليشاركوهم في الصلاة، وفي السفر على الصحيح عند الحنابلة، ومطلقاً في رواية عن الإمام أحمد وهي ظاهر كلام الخرقي.

وقيل: هو فرض كفاية في الجمعة دون غيرها، وهو رأي الشافعية، والحنابلة[1].

٢-الأحق بالإمامة: وردت في ذلك أحاديث كثيرة، وقد اتفق الفقهاء على أن بناء أمر الإمامة على الفضيلة والكمال، لذا اتفقوا أنه إذا اجتمع قوم، وكان فيهم ذو سلطان، كأمير أو وال أو قاض، فهو أولى بالإمامة من الجميع، حتى من صاحب

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٤٥٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٨٧/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٢/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٨/١ وما بعدها، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٤٥/٢.

المنزل، وإمام الحي، بشرط أن يكون مستجمعاً لشروط صحة الصلاة، حتى ولو كان بين القوم من هو أفقه أو أقرأ منه، لأن ولايته عامة. وإن لم يكن بينهم ذو سلطان يقدم صاحب المنزل، ويقدم إمام الحي، فإن كان غيره أفقه أو أقرأ أو أورع منه، إن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده. لكنه يستحب لصاحب المنزل أن يأذن لمن هو أفضل منه.

ولا خلاف بينهم أيضاً في تقديم الأعلم والأقرأ على سائر الناس، ولو كان في القوم من هو أفضل منه في الورع والسن وسائر الأوصاف.

وجمهور الفقهاء: (الحنفية والمالكية والشافعية) على أن الأعلم بأحكام الفقه أولى بالإمامة من الأقرأ، وهذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ.

وقال الحنابلة، وهو قول أبي يوسف من الحنفية: إن أقرأ الناس أولى بالإمامة ممن هو أعلمهم، لأن القراءة ركن لابد منه، والحاجة إلى العلم إذا عرض عارض مفسد، ليمكنه إصلاح صلاته، وقد يعرض وقد لا يعرض.

أما إذا تفرقت خصال الفضيلة من العلم والقراءة والورع وكبر السن وغيرها في أشخاص، فقد ذهب جمهور الفقهاء: إلى تقديم الأعلم على الأقرأ. فإن استووا في العلم والقراءة، قال الحنفية والمالكية والشافعية: يقدم أورعهم، ثم إن استووا في الورع يقدم عند الجمهور الأقدم إسلاماً، فيقدم شاب نشأ في الإسلام على شيخ أسلم حديثاً، أما إن أسلما معاً، أو كانوا مسلمين في الأصل قدم الأكبر سناً.

فإن استووا في العلم والقراءة والورع والسن، فعند الحنفية يقدم الأحسن خلقاً، فإن كانوا فيه سواء فأحسنهم وجهاً، فالأشرف نسباً، فالأنظف ثوباً. فإن استووا يقرع بينهم.

وذهب المالكية والشافعية إلى أنه يقدم بعد الأسن، الأشرف نسباً، ثم الأحسن وجهاً، ثم الأحسن خلقاً، ثم الأحسن ثوباً ثم يقرع بينهم.

أما الحنابلة فقالوا بأنه عند الاستواء في القراءة والفقه يقدم أقدمهم هجرة، ثم أسنهم، ثم أشرفهم نسباً، ثم أتقاهم وأورعهم، فإن استووا في هذا كله أقرع بينهم.

ولا تقديم بحسن الوجه عندهم، لأنه لا مدخل له في الإمامة.

وهذا التقديم أمر مستحب، وليس على سبيل الإيجاب، فلو قدم المفضول كان جائزاً اتفاقاً، ما دام مستجمعاً شرائط الصحة، لكن مع الكراهة عند الحنابلة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: الشباب.

ثانياً: من فطنة الداعية: استشعار احتياجات المدعوين والعمل على تلبيتها.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرحمة والرفق.

رابعاً: من علامات نجاح الداعية: إحساس المدعوين بحسن أخلاقه وكريم خصاله.

خامساً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر.

سادساً: من وسائل الدعوة: التعليم.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: توديع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر.

ثامناً: من أهداف الدعوة: نشر العلم النافع بين المدعوين.

تاسعاً: من وسائل الدعوة: الأذان والإمامة.

عاشراً: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما فعله في الصلاة.

اولاً - من اصناف المدعوين: الشباب:

قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه "أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة" فأخبر رضي الله عنه عن وفده الذي وفد على النبي ﷺ بأنهم "شببة" وهو

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ١٧٥/٢ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٧٤/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٢/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٠/٢ وما بعدها، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٢٩/٣ وما بعدها.

"جمع شابّ، وهو من كان دون الكهولة"[١]. وقال ابن حجر: (قوله "أتينا النبي ﷺ"[٢] أي وافدين عليه سنة الوفود، وقد ذكر ابن سعد[٣] ما يدل على أن وفادة بني ليث، رهط مالك بن الحويرث المذكور كانت قبل غزوة تبوك، وكانت تبوك في شهر رجب سنة تسع)[٤].

أي أن هذا الوفد كان من الشباب، والشباب هم أمل كل أمة، وهم قادة التغيير في كل زمان ومكان، لذا يعتني بهم أصحاب الدعوات أشد الاعتناء، ويخصونهم بفائق الاهتمام وبالغ الخطاب. فإذا كان أصحاب الأفكار، الغالب عليهم أنهم تجاوزوا مرحلة الشباب، فإن أفكارهم لا تطبق ولا ترى الواقع إلا على أيدي الشباب المتحمسين المؤمنين بها المدافعين عنها.

وهناك مواقف حاسمة في تاريخ الدعوة اضطلع بها الشباب، و يُحسن بنا أن نذكر نماذج منها: المهمة التي أسندها النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه في تعليم أهل المدينة[٥]، والمهمة التي قام بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة هجرة النبي ﷺ[٦]، والمهمة التي قام بها معاذ بن جبل رضي الله عنه في اليمن[٧] وغير ذلك كثير من المهام الدعوية التي لم تسند إلا للشباب.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣ .

(٢) هذه رواية البخاري ٧٢٤٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٠٥/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣.

(٥) قال ابن إسحاق في المغازي - كما في السيرة لابن هشام ٨٢/١ عناية عمر تدمري-: لما انصرف الناس عن العقبة بعث النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير يفقههم. هكذا ساقه بدون إسناد، وأخرج البخاري ٣٩٢٥ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس.

(٦) ذكره ابن إسحاق في المغازي -كما في السيرة لابن هشام ١٢٤/٢ عناية عمر تدمري- بدون إسناد، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٨٩/٤.

(٧) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٤٢ ومسلم ١٧٣٣ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن، فقال: يسرا ولا تعسِّرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا.

هذا شيء من التفصيل، أما على وجه العموم فإن الله قيض للنبي ﷺ كوكبة نيرة من الشباب الأطهار، الأنقياء المخلصين الذين آمنوا به وبدعوته، وتحملوا عبء الدفاع عنها في كل مراحلها وأوقاتها: فكانوا الثابتين الراسخين وقت ضعفها واشتداد العداوة لها وقلة المناصرين وكثرة المهاجمين والمخذلين، وكانوا الجنود المخلصين وقت قوتها وانتصارها على أعدائها، وكانوا الحاملين لواءها وقت الفتوحات والتمكين لها في الأرض.

ويكفي دليلاً على ما سبق أن العشرة المبشرين بالجنة -وهم أفضل الصحابة- كانوا من الشباب وقت إسلامهم، وكذلك كان معظم الصحابة رضي الله عنهم، لذا كان على الداعية أن يهتم بالشباب اهتماماً بالغاً، إن أراد لدعوته النجاح والقبول، فيخاطبهم بما يناسبهم وبما يرغبهم في التمسك بدينهم، والتحلي بالأخلاق الفاضلة مما يعصمهم من الزلل والانحراف، ويجعلهم يقبلون على الدعوة إقبالاً يجعل منهم نماذج مشرقة لغيرهم، مما يدفع الآخرين إلى النهج على نهجهم والعمل بمثل أعمالهم.

ثانياً- من فطنة الداعية: استشعار احتياجات المدعوين والعمل على تلبيتها:

إن الداعية يعيش بين المدعوين، فيعرف ما يتطلعون إليه، ويشعر بما يحتاجون إليه، فإن هو بادر بتلبية هذه الاحتياجات، كان ذلك من عوامل تمكين الدعوة في نفوس المدعوين وإقبالهم عليها، والداعية إذ يفعل هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما أخبر عنه مالك بن الحويرث رضي الله عنه: "فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: ارجعوا إلى أهليكم ..." "والمراد بأهل كل منهم زوجتُه أو أعمّ من ذلك"[(١)] وفي رواية عند البخاري: (فلما ظنّ أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه)[(٢)].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١، ٧٢٤٦.

وفي رواية أخرى عند البخاري (فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا...)[١].

قال ابن حجر: (إنما أذن لهم في الرجوع؛ لأن الهجرة كانت قد انقطعت بفتح مكة، فكانت الإقامة بالمدينة باختيار الوافد، فكان منهم من يَسْكنها، ومنهم من يرجع بعد أن يتعلم ما يحتاج إليه)[٢].

قال ابن عثيمين: (إن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين، لا يكون أنانياً إذا تمت له الأمور نسي من سواه، فإن رسول الله ﷺ كان مقيماً في أهله مستريح البال، مطمئن القلب مرتاح النفس، لكن هؤلاء الشببة الذين جاءوا يتعلمون الدين، وكانت الفطرة والعادة والطبيعة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم، وسألهم من خلفوا وراءهم وأخبروه، أمرهم أن يرجعوا إلى أهليهم، فينبغي على الداعية أن يشعر بشعور الآخرين، وأن يجعل نفسه مكانهم، حتى يعاملهم بما يحب أن يعامل به نفسه)[٣].

ولعل من هذا القبيل ما رواه البيهقي بإسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: ((خَرَجَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه من الليلِ، فَسَمِعَ امرأةً تقولُ:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهْ ... وَأَرَّقَنِي أَنْ لاَ حَبِيبَ أُلاَعِبُهْ

فقالَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لِحَفْصة بنتِ عُمَرَ رضي الله عنها: كَمْ أَكْثَرُ ما تَصْبِرُ المرأةُ عن زَوْجِهَا، فقالتْ: سِتَّةُ أو أَرْبَعَةُ أشهرٍ، فقالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لا أَحْبِسُ الجيشَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا))[٤].

وأخرج عبدالرزاق[٥] بإسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب: لا يحبس أكثر من أربعة أشهر.

---

(١) اخرجه البخاري ٦٢٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦ .

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٣٣.

(٤) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/٢٩، وانظر: التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني ٣/٢١٩-٢٢٠.

(٥) كما في التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٢٠.

ولذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في الناس فيقول لهم: أيها الناس إني لم أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن بعثتهم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به غير ذلك فليرفعه إليّ فأقصه منه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم فتكفروهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم[1].

قال السندي: (قوله "لا تجمروهم": من التجمير - بالجيم والراء المهملة - وتجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم عن العود إلى أهليهم. فتكفروهم: أي تحملوهم على الكفران وعدم الرضا بكم، أو على الكفر بالله، لظنّهم أنه ما شرع الإنصاف في الدين. الغياض: جمع غيضة -بفتح الغين- وهي الشجر الملتف، قيل: لأنهم إذا نزلوها تفرقوا، فتمكن منهم العدو)[2].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرحمة والرفق:

إن الداعية هو من يدعو الناس إلى الحق، فمهمته إرشادهم إلى الحق والخير والعدل، وهو إذ يقوم بمهمته الجليلة تلك يكون متحلياً بالصفات التي تعينه على ذلك، ومن أهمها الرحمة والرفق، وهو إذ يتحلى بهما يقتدي بسيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أشد الخلق رحمة ورفقاً، وهذا ما عبّر عنه الصحابي مالك بن الحويرث رضي الله عنه إذ قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيماً رفيقاً، فظنّ أنا قد اشتقنا أهلنا".

قال ابن عثيمين: (فهذا الحديث فيه فوائد: منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشهوراً بالرحمة والرفق، فكان أرحم الناس بالناس، وكان أرفق الناس بالناس صلى الله عليه وسلم، رحيماً رفيقاً، حتى إن الجارية من أهل المدينة -البنت الصغيرة- كانت تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى العجوز كذلك، فكان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس بالناس)[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٤١/١، رقم ٢٨٦ مطولاً، وكذلك الحاكم ٤٣٩/٤، رقم ٨٤٠٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي ٢٩/٩ وهذا لفظه، وأخرجه كذلك ٤٢/٢ مطولاً. وفيه راوٍ لم يوثقه إلا ابن حبان وقال أبو زرعة: لا أعرفه. قاله محققو المسند. وانظر تتمة تخريجه في المسند ٣٨٥/١.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٣٨٥/١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٣٢/٢.

وقد قال الله تعالى مبيناً فضله على رسوله ﷺ بأن جعله رحيماً لين الجانب، فكان ذلك من أسباب اجتماع المؤمنين عليه واستجابتهم له، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[١] قال ابن كثير: (الفظ الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك "غليظ القلب" أي: لو كنت سيء الخلق قاسي القلب عليهم، لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، كما قال عبدالله بن عمرو[٢]: إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[٣].

رابعاً- من علامات نجاح الداعية: إحساس المدعوين بحسن أخلاقه وكريم خصاله:

وذلك واضح من قول مالك بن الحويرث رضي الله عنه "وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً" وقال ابن حجر: (من الرفق: وفي رواية الأصيلي والكشميهني بقافين[٤]: أي رقيق القلب)[٥]. ورواية عند البخاري: "وكان النبي ﷺ رحيماً فقال: لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم" قال ابن حجر: (قوله "رحيماً فقال: لو رجعتم" في رواية ابن علية وعبدالوهاب "رحيماً رقيقاً فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا، وسألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم" ويمكن الجمع بينهما بأن يكون عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس بقوله "لو رجعتم" إذ لو بدأ بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم، فأمرهم حينئذٍ بقوله: "ارجعوا")[٦].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٢٥، ٤٨٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٣٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/٢٧٨-٢٧٩.

(٤) وكذلك أخرجه مسلم ٦٧٤، وكذلك أخرجه البخاري ٧٢٤٦ لكن بلفظ "رقيق" فقط دون لفظ رحيم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١١٠.

(٦) المرجع السابق ٢/١٧١ .

والشاهد أن الصحابي لما أقام عند النبي ﷺ لمس حسن أخلاقه ﷺ، وجميل شمائله على قصر المدة التي أقامها عنده وهي عشرون ليلة، ولا شك أن حسن خلق الداعية يأسر قلوب المدعوين، سواءً أكانوا من المستجيبين له أم من غير المستجيبين.

فهذا خادم النبي ﷺ أنس بن مالك وقد أدهشه وأعجبه حسن خلقه ﷺ ولم ينقص هذا الإعجاب يوماً واحداً، بل ظلّ في ازدياد، رغم طول خدمته للنبي ﷺ وهي عشر سنين، مع أن العادة تقضي بأن طول العشرة والتعامل يؤدي إلى انطفاء وهج الإعجاب والانجذاب، ولكن ذلك لم يحدث -ولن يحدث- مع النبي ﷺ، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ((خَدَمْتُ رَسُولَ اللّهِ عَشْرَ سِنِينَ. وَاللّهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ. وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا؟))[1]. وفي رواية: ((فخدَمتهُ في السفَر والحضَر))[2].

قال النووي: (في هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه)[3].

كما كانت أخلاقه ﷺ مثار إعجاب المنصفين من المفكرين من غير ملة الإسلام وخاصة الغربيين منهم، يقول الدكتور مصطفى السباعي: (إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد ﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمداً، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخيهم عن الاعتراف بفضله. قال العلامة بارتلمي سنت هيلز: كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاءً وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، وكان لدينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده، جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته).

وقال وليم موير في كتابه "سيرة محمد": (امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٦٨، ومسلم ٢٣٠٩، ٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٣/١٥/٨ .

ويؤخذ مما قاله لين بول: (إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل أو هوى. كيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته أعواماً، فلم يهن له عزم، ولا ضعفت له قوة؛ وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحه، حتى ولو كان المصافح طفلاً، وأنه لم يمر بجماعة يوماً رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرئهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة)[1].

والخلاصة أن إحساس المدعو بصدق الداعية في أخلاقه، وبكريم خصاله، من أكبر الدلائل على نجاح الداعية في دعوته، فإن ذلك يدل على مدى إيمان الداعية الشديد بدعوته، وإقباله عليها بكل جوارحه، وعلى أنه يطبقها في كل حركاته وسكناته. وهذا من أنجح السبل لاقتناع المدعو بالدعوة والإيمان بها. كما أن هذا يجعل الداعية قدوة للمدعوين يتأسون ويقتدون به، كما أن هذا أيضاً يقلل إلى حدٍ كبير العدد المحتمل للمناوئين لدعوة الداعية، لأنه بحسن خلقه سينقل عدداً لا بأس منهم من صف المناوئين إلى صف المؤيدين والأتباع، كما سينقل أيضاً عدداً آخر إلى صف المحايدين. ولا شك أن هذا سيجعل الداعية يصرف جلّ وقته في الدعوة إلى دعوته، وبيان فضائلها ومزاياها، دون أن تعيقه كثيراً مكائد المناوئين ودسائسهم.

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر:

السؤال والجواب من الأساليب التي يستخدمها كل من الداعية والمدعو، فإن كان المدعو يسأل عما لا يعرف، فإن الداعية يسأل المدعو، ليرشده إلى ما فيه نفعه وصلاحه، وقد سأل النبي ﷺ هؤلاء الشباب عن أهليهم الذين تركوهم في أوطانهم، فأخبروه، فأمرهم ﷺ بما يصلح حالهم وحال أهليهم، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا..." الحديث.

---

(١) عظماؤنا في التاريخ ٨٥-٨٧.

سادساً- من وسائل الدعوة: التعليم:

من الوسائل الدعوية الناجحة التعليم، لأنها تدل على مزيد من العناية والاهتمام من المعلم بالمتعلم، وقد قال النبي ﷺ لهؤلاء الشباب الأطهار: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم"... الحديث.

ولعلّ مناسبة الأمر بالتعليم هنا، أن الأهل محتاجون إلى بذل كثير من الجهد والوسع مع التحلي بالعطف والرفق والشفقة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[1] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((أدبوهم وعلموهم))[2]. وقال القرطبي: (قال الكيا الهراسي: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب)[3].

كما أرشد النبي ﷺ صحابته إلى الاقتداء به في صلاته، فقال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، وهذا لا يكون إلا بالتعليم، قال الشيخ عبدالله البسام: (متعلم الصلاة من غيره بالاقتداء، لا يضره ولا يخلّ بصلاته أن يلاحظ صلاة من يتعلم منه الصلاة ويراقبه في ذلك، كما أن المصلي إذا أراد أن يعلم بصلاته غيره، فإن النية لا تنقص من صلاته ولا تخل بها)[4].

بل إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون التابعين ما تعلموه هم من النبي ﷺ، قال أبو قلابة[5]: ((جاءنا مالكُ بنُ الحُوَيرثِ في مسجدِنا هذا فقال: إني لأصلي بكم وَما أُريدُ

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٠٣-١٠٤، وانظر: تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤/٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١/٩٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/١٣٥.

(٥) اسمه عبدالله بن زيد الجرمي، وهو من ثقات التابعين، مات بالشام ١٠٤هـ وقيل بعدها. كما في تقريب التهذيب ١/٤١٧.

الصلاةَ، أُصلّي كيفَ رأيتُ النبيَّ ﷺ يُصلّي))[1] قال ابن دقيق العيد: (أي أصلي صلاة التعليم، لا أريد الصلاة لغير ذلك، ففيه دليل على جواز مثل ذلك. وأنه ليس من باب التشريك في العمل)[2].

وقال ابن حجر: (كأنه قال: ليس الباعث لي على هذا الفعل حضور صلاة معينة من أداء أو إعادة أو غير ذلك. وإنما الباعث لي عليه قصد التعليم، وكأنه تعيّن عليه حينئذٍ، لأنه أحد من خوطب بقوله "صلوا كما رأيتموني أصلّي" ورأى أن التعليم بالفعل أوضح من القول، ففيه دليل على جواز مثل ذلك، وأنه ليس من باب التشريك في العبادة)[3].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: توديع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ لمالك بن الحويرث رضي الله عنه ومن معه: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم ومروهم، وصلوا كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" قال ابن حجر: (في رواية وهيب في الصلاة ((أتيتُ النبيَّ ﷺ في نفرٍ من قومي))[4] والنفر عدد لا واحد له من لفظه، وهو من ثلاثة إلى عشرة. ووقع في رواية في الصلاة ((أَنَا وَصَاحِبٌ لِي))[5]، وجمع القرطبي[6] باحتمال تعدد الوفادة، وهو ضعيف، لأن مخرج الحديثين واحد، والأصل عدم التعدد، والأولى في الجمع أنهم حين أذن لهم في السفر كانوا جميعاً، فلعل مالكاً ورفيقه عادا إلى توديعه، فأعاد عليهما بعض ما أوصاهم به

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٧.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٨.

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد ٢٨٤٨، ومسلم ٦٧٤، ٢٩٣.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٠٠.

تأكيداً، وأفاد ذلك زيادة بيان أقل ما تنعقد به الجماعة)[١].

ومن الملاحظ أن النبي ﷺ أوصاهم بما يلي:

١- أن يعلموا أهليهم ويأمروهم بالطاعات: قال ابن حجر: (قوله "وعلموهم ومروهم" بصيغة الأمر ضد النهي، والمراد به أعمّ من ذلك، لأن النهي عن الشيء أمر بفعل خلاف ما نهى عنه اتفاقاً، وعطف الأمر على التعليم لكونه أخصّ منه، أو هو استئناف كأن سائلاً قال: ماذا نعلمهم؟ فقال: مروهم بالطاعات وكذا وكذا. ووقع في رواية حماد بن زيد عن أيوب كما تقدم في أبواب الإمامة[٢] "مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا" فعرف بذلك المأمور المبهم في رواية الباب. ولم أر في شيء من الطرق بيان الأوقات في حديث مالك بن الحويرث، فكأنه ترك ذلك لشهرتها عندهم)[٣].

٢- أن يحافظوا على الأذان والصلاة في جماعة: وذلك في قوله ﷺ: "فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة ... وفيه أن الأذان والجماعة مشروعان للمسافرين، وفيه الحث على المحافظة على الأذان في الحضر والسفر، وفيه أن الجماعة تصح بإمام ومأموم، وهو إجماع المسلمين، وفيه تقديم الصلاة في أول الوقت)[٤].

٣- أن يؤمهم أكبرهم: وذلك في قوله ﷺ: "وليؤمكم أكبركم" قال النووي: (فيه تقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال، وهؤلاء كانوا مستوين في باقي الخصال، لأنهم هاجروا جميعاً وأسلموا جميعاً وصحبوا رسول الله ﷺ ولازموه عشرين ليلة، فاستووا في الأخذ عنه، ولم يبق ما يقدم به إلا السن)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣ .

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٥/٣-١٧٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٠/٢-١١٣ .

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٥/٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧١/٢-١٧٢.

٤- التأسي به ﷺ في الصلاة: وذلك في قوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلّي" قال الأمير الصنعاني: (فيه دلالة على وجوب التأسي به ﷺ فيما فعله في الصلاة، فكل ما حافظ عليه من أفعالها وأقوالها، وجب على الأمة، إلا لدليل يخصص شيئاً من ذلك)[١]. قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه ﷺ من الشفقة والاهتمام بأحوال الصلاة وغيرها من أمور الدين)[٢].

ثامناً - من أهداف الدعوة: نشر العلم النافع بين المدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم" وفي رواية عند البخاري[٣]: "لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم، مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا".

قال ابن حجر: (اقتصار الصحابي على ذكر سبب الامر برجوعهم، بأنه الشوق إلى أهليهم دون قصد التعليم، هو لما قام عنده من القرينة الدالة على ذلك، ويمكن أن يكون عَرَف ذلك بتصريح القول منه ﷺ، وإن كان سبب تعليمهم قومهم أشرف في حقهم، لكنّه أخبر بالواقع ولم يتزين بما ليس فيهم، ولما كانت نيتهم صادقة صادف شوقهم إلى أهلهم الحظ الكامل في الدين، وهو أهلية التعليم، كما قال الإمام أحمد في الحرص على طلب الحديث: "حظٌ وافق حقاً"[٤]. كما قال ابن حجر: (وفي الحديث أيضاً فضل الهجرة والرحلة في طلب العلم وفضل التعليم)[٥]. كما أوجب النبي ﷺ تبليغ العلم ونشره، فقال ﷺ: ((لِيُبْلغِ الشاهِدُ الغائبَ، فإنَّ الشاهِدَ عَسى أن يبلِّغَ مَن هُو أوْعى لهُ منه))[٦]، قال النووي: (فيه وجوب تبليغ العلم وهو فرض كفاية، فيجب

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٢٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧١/٢ .

(٥) السابق ١٧٢/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

تبليغه بحيث ينتشر)[١].

وقال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد الحثّ على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٣].

قال أبو عبدالله القرطبي: (هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم)[٤].

وقال الشوكاني: (قد جعل الله سبحانه الغرض من هذا النفير هو التفقه في الدين وإنذار من لم يتفقه، فجمع بين المقصدين الصالحين والمطلبين الصحيحين، وهي تعلم العلم وتعليمه، فمن كان غرضه بطلب العلم غير هذين، فهو طالب لغرض دنيوي لا لغرض ديني)[٥].

وقال ابن القيم: (ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين، وهو تعلمه وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم، وقد اختلف في الآية فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة، تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير تعلم... وقالت طائفة أخرى: المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن تنفر طائفة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/١١/٦ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٣/١، شرح الحديث ٦٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٨/١٠، وانظر: أحكام القرآن، ابن العربي ١٠٣٠/٢-١٠٣١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٦/٧-٣١٩ .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٤١٦/٢.

للجهاد، وفرقة تقعد تتفقه في الدين. فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدةُ وعلمتها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام. وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة. وهذا قول الأكثرين، وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله، فإنه حيث استعمل إنما يفهم منه الجهاد ... وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين، وتعلمه وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه)[1].

وكان كذلك، لأنه بنشر العلم يختفي الجهل، وتزول البدع والمنكرات، ويُعبد الله على بصيرة، فإن كان الجهاد يحارب أعداء الدين الظاهرين، فإن العلم يحارب أعداءه الضالين المضلين الذين قد لا يُعلمون، بل ربما ارتدى بعضهم زي العلماء نفاقاً وزوراً.

تاسعاً - من وسائل الدعوة: الأذان والإمامة:

لقد خاطب النبي ﷺ هؤلاء الصحابة، فقال لهم: "فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم".

قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة، وتقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال)[2]. وهذا الحث يستفاد منه أن للأذان والإقامة رسالة دعوية ذات قيمة كبيرة، يوضح هذا ما يلي:

١- أن الأذان في اللغة معناه الإعلام، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[3] أي أعلمهم[4] كما أن لفظي الدعوة والنداء يتفق مع الأذان في المعنى العام، وهو النداء والدعاء وطلب الإقبال[5].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١٧٨ .

(٣) سورة الحج، آية: ٢٧.

(٤) لسان العرب، ابن منظور ٨/١٦/١٤٩، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ص ١٥.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٢٥٧.

كما أن الحكمة من الأذان هي (الإعلام بدخول وقت الصلاة، وإعلاء اسم الله بالتكبير، وإظهار شرعه ورفعة رسوله، ونداء الناس إلى الفلاح والنجاح)[1] أي أن الأذان دعوة إلى إقامة الصلاة التي هي عماد الدين.

٢- أما الإمامة في الصلاة فهي ارتباط صلاة المصلي بمصلٍّ آخر بشروط بينها الشرع، فالإمام لم يصر إماماً إلا إذا ربط المقتدي صلاته بصلاته، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الاقتداء[2].

(وإمامة الصلاة تعتبر من خير الأعمال التي يتولاها خير الناس ذوو الصفات الفاضلة من العلم والقراءة والعدالة وغيرها، ولا تتصور الجماعة إلا بها، وصلاة الجماعة من شعائر الإسلام، ومن السنن المؤكدة التي تشبه الواجب في القوة عند أكثر الفقهاء، وصرّح بعضهم بوجوبها)[3].

أي أن الإمامة في الصلاة يستفاد منها دعوياً بلفت انتباه المأمومين إلى الاقتداء والتأسي بمن هو أعلم وأفضل، ولفت انتباههم أيضاً إلى الاتحاد ولزوم الجماعة والبعد عن الفرقة والاختلاف، كما أنها بيان بأن التقدم في هذا الدين والأفضلية والسبق لمن هو أكثر تقوىً وصلاحاً وعلماً وفقهاً.

عاشراً - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما فعله في الصلاة:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي".

قال الصنعاني: (هذا الحديث أصل عظيم في دلالته على أن أفعاله ﷺ في الصلاة وأقواله، بيانٌ لما أجمل من الأمر بالصلاة في القرآن وفي الأحاديث، وفيه دلالة على وجوب التأسي به ﷺ فيما فعله في الصلاة، فكل ما حافظ عليه من أفعالها وأقوالها وجب على الأمة إلا لدليل يخصص شيئاً من ذلك)[4]. لكن عبدالله البسام قال: (وهذا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٩/١ نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٩/٢.

(٢) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٤/٢ .

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١/٦-٢٠٢.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٢٢٧. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣-٢٣٧ .

الأصل مستقيم لو لم يعارضه حديث المسيء في صلاته[١] الذي قال العلماء فيه: إن ما لم يذكر فيه من أحكام الصلاة فهو غير واجب إلا بدليل خاص، فحينئذ يقال في حديث مالك بن الحويرث "صلوا كما رأيتموني أصلي" ما كان الأمر فيه للوجوب يجب، وما كان الأمر فيه للاستحباب يستحب. وهو يدل على المشروعية المطلقة للرسول ﷺ.

وإن صلاة النبي ﷺ هي الصلاة التامة والكاملة، التي من احتذاها فقد أكمل صلاته وأتم عبادة ربه، وما دام المسلم مأموراً بالاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته، فإنه لا يمكن ذلك إلا بتعلمها. فيجب أن يتعلم كيف كانت صلاة النبي ﷺ، ووجوب الاهتمام والعناية بالصلاة وإجادتها وإتقانها، ذلك أنه ﷺ هو القدوة والأسوة بالأفعال كلها، ولم تخص قدوته بالصلاة هنا إلا لما لها من الأهمية)[٢].

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧ ومسلم ٣٩٧.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٣٥/٢.

الحديث رقم (٧١٤)

٧١٤- وعن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، قَالَ: استأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ، وقال: ((لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ)) فقالَ كَلِمَةً ما يَسُرُّنِي أنَّ لي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية قَالَ: ((أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحد يث يكشف جانباً من الأدب العالي للصحابة مع الرسول ﷺ مهما كانت مكانة أحدهم، فلابد من أن يستأذن كما يكشف عن مدى محبتة الرسول ﷺ لهم يدلك على ذلك سرعة الاستجابة في قوله (فأذن) ثم قوله: (لا تنسنا يا أخي) نهي يفيض تواضعاً وعطفاً وحباً ويثمن غالياً صلاح عمر رضي الله عنه ، وإيمانه وقوله: (يا أخيَّ) النداء فيه تودد وتكريم صعَّد هذا التكريم وزاد التودد بالتعبير بكلمة (أخ) وإضافته إلى نفسه تعظيماً لعمر رضي الله عنه ثم صدوره بصيغةِ التَّصْغيرِ وَهُوَ تَصْغير تَلَطُّف وَتَعَطُّف يدل على مزيد محبة وتقريب له وقوله: (مِنْ دُعَائِك): فِيهِ إظْهَار الْخُضُوع وَالْمَسْكَنَة فِي مَقَام الْعُبُودِيَّة بِالْتِمَاسِ الدُّعَاء مِمَّنْ عُرِفَ لَهُ الْهِدَايَة وَحَثٌّ لِلْأُمَّةِ عَلَى الرَّغْبَة فِي دُعَاء الصَّالِحِينَ وَأَهْل الْعِبَادَة، وَتَنْبِيه لَهُمْ عَلَى أَنْ لا يخصوا أَنْفُسهمْ بِالدُّعَاءِ وَلا يُشَارِكُوا فِيهِ أَقَارِبهمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ لا سِيَّمَا فِي مَظَانِّ الإِجَابَة، وَتَفْخِيم لِشَأْنِ عُمَر وَإِرْشَاد إِلَى مَا يَحْمِي دُعَاءَهُ مِنْ الرَّدّ وقوله (فَقَالَ): عَطْف عَلَى قَالَ لا تَنْسَنَا لِتَعْقِيبِ الْمُبَيَّن بِالْمُبَيِّنِ أَيْ قَالَ عُمَر فَقَالَ بِمَعْنَى تَكَلَّمَ النَّبِيّ ﷺ (كَلِمَة): وَهِيَ لا تَنْسَنَا (مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا): الْبَاء

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٦٢)، وتقدم (٣٧٣). قال ابن كثير في مسند الفاروق (٣٢٦/١): قال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من هذا الوجه، وعاصم بن عبيد الله فيه ضعفٌ، روى أحاديث مسندة.

لِلْبَدَلِيَّةِ وَمَا نَافِيَة وَأَنَّ مَعَ إسْمه وَخَبَرِهِ فَاعِل يَسُرُّنِي أَيْ لا يُعْجِبُنِي وَلا يُفْرِحُنِي كَوْن جَمِيع الدُّنْيَا لِي بَدَلَهَا ، وهذا دليل على منتهى الرضا.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٧٢).

الحديث رقم (٧١٥)

٧١٥- وعن سالم بنِ عبدِ الله بنِ عمر: أنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ يَقُولُ للرَّجُلِ إذَا أرَادَ سَفَراً: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: ((أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أستودع الله دينك: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينك[٢].

وأمانتك: أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر. وقيل المراد بالأمانة الأهل والأولاد، وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها[٣].

خواتيم عملك: المراد به حسن الخاتمة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول لحظة فراق عند السفر حين يخرج الإنسان عن أهله، وماله، وهي لحظة قلق، وحزن، وهَمٍّ، وقد علَّم الرسول ﷺ صحابته دعاءً يبعث السكون في النفس المضطربة التي توشك أن تفارق أحبائها ويربِّتُ عليها بذكر الله فيَقدُم على ما يَقدُم عليه في ذمة الله، ويَخلُف ما يَخلُف من الأهل والمال في ذمة الله؛ ولذلك جاء قوله: (أستودع الله دينك) جملة خبرية ملؤها المحبة، والرحمة، ومعناها أطلب من الله أن

---

(١) برقم (٣٤٤٣). وصحَّحه أيضًا ابن خزيمة (٢٥٣١)، وقال الحاكم (٢/٩٧): وهذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٥.

(٣) المرجع السابق ٢/٢٤٥٥.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٤٥٥.

يحفظ دينك وقوله (وأمانتك) وهي كل ما يجب على الإنسان حفظه من حقوق الناس في المعاملات، وحقوق الله في العبادات، و (خواتيم عملك) نهايته؛ لأن ما قبلها مجبور بها إن حسنت، والإنسان يبعث على ما مات عليه، وجاء ترتيب العبارة النبوية وفق الأهمية فقد طلب حفظ الدين أولاً؛ لأنه المطلوب الأول، ثم الأمانه، وهي المكملة للدين، ثم العمل، لأن من كان على دين يكون أميناً، ومن يكون عنده دين وأمانة يرجى له حسن الخاتمة.

فقه الحديث

آداب السفر: ذكر النووي في كتاب المجموع وكتاب الأذكار آداب السفر[1] يجدر أن نذكر منها ما يلي:

١- إذا استقر عزم المسافر على السفر لحج أو غزو أو غيرهما، فينبغي أن يبدأ بالتوبة من جميع المعاصي، ويخرج من مظالم الخلق، ويقضي ما أمكنه من ديونهم، ويرد الودائع، ويستحلّ كل من بينه وبينه معاملة في شيء أو مصاحبة، ويكتب وصيته ويشهد عليها، ويوكل من يقضي دينه ما لم يتمكن من قضاء ديونه، ويترك نفقة لأهله ومن تلزمه نفقتهم إلى حين رجوعه. ومن السنة أن يستخير الله تعالى فيصلي ركعتين غير الفريضة ثم يدعو بدعاء الاستخارة، وينبغي إرضاء والديه، ومن يتوجب عليه بره وطاعته[2].

٢- يستحب أن يودع أهله وجيرانه وأصدقاءه وسائر أحبابه وأن يودعوه ويقول كل واحد لصاحبه: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ويسر الخير لك حيثما كنت؛ لأحاديث الباب.

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٨٦/٤ - ٢٠١، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٤٤ - ٢٥٨.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٤٠-٤١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر على امتثال فعل النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: توديع المسافر أهله وأصحابه قبل سفره.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للمسافر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: توديع النبي ﷺ الجيش والدعاء له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنه على امتثال فعل النبي ﷺ:

لقد اشتهر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما التتبع الدقيق والامتثال التفصيلي لأفعال النبي ﷺ، وفي هذا الحديث فعل كما يفعل النبي ﷺ مع المسافر، فكان يقول للرجل إذا أراد سفراً "ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا" وقد كان ابن عمر مشهوراً بالاقتداء بالنبي ﷺ في كل أفعاله. قال الزبير بن بكار: (وكان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته فيه، وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ)[١].

(وكان أشد الصحابة رضي الله عنهم في هذه الناحية وأدومهم عليها، وأحرصهم على التحري عن أفعاله ﷺ حتى في أدق التفاصيل، وقد حفظت لنا الوثائق الحديثية نماذج كثيرة من ذلك، تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثر، بل يكاد يكون هذا المعنى هو مفتاح فقه ابن عمر، والسمة الرئيسية لما ينقل عنه من الآراء التشريعية... وقد أحصى ابن عمر الأماكن التي صلّى فيها النبي ﷺ عند سفره لحجة الوداع من مكة إلى المدينة، وحدد مواقعها بأوصاف دقيقة، وقد أورد البخاري حديثه في ذلك بتمامه[٢]،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٤، و مسلم ١٢٥٧.

وهو حديث طريف طويل فليرجع إليه)[1].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أفعاله وأقواله رضي الله عنه)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: توديع المسافر أهله وأصحابه قبل سفره:

إن المسافر مقدم على الابتعاد عن الأهل والأصحاب والأقارب، لذا كان من المستحب له أن يودعهم قبل سفره، وهذا واضح من الحديثين، جاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب للمسلم إذا أراد الخروج لسفره أن يودع إخوانه وأهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم الدعاء له ويدعو لهم). قال الشعبي: (السنة إذا خرج الرجل إلى سفر أن يأتي إلى إخوانه فيودعهم ويغتنم دعاءهم، وإذا قدم من سفر أن يأتوا إليه فيسلموا عليه)[3]. وفي فتح القدير لابن الهمام (يودع المسافر أهله وإخوانه، ويستحلهم ويطلب دعاءهم، ويأتي إليهم لذلك، وهم يأتون إليه إذا قدم)[4].

قال النووي: (ويستحب [أي للمسافر] أن يودع أهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم الدعاء له ويدعو لهم)[5]. ولاشك أن فعل المسافر لذلك يترتب عليه فوائد عدة، ففي ذلك صلة للرحم ونشر للود والمحبة، وإطفاء الخصومات والعداوات، وقيام الأهل والأصدقاء برعاية أهله أثناء سفره، فضلاً عن دعائهم له وقيامهم بواجب النصيحة.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للمسافر:

يكون المسافر في شغل وانشغال، فضلاً عما قد يعرض له أثناء السفر من أشياء قد

---

(١) أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية، د. محمد سليمان الأشقر ١/٧٤-٧٥، بتصرف يسير.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٢٨.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/٤٥٠.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٢/٢١٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٢٧٠.

(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٤٧.

تشعره بالفزع والحزن، لذا فهو أحوج ما يكون إلى الدعاء، ولذا كان النبي ﷺ يدعو للمسافر فيقول له: "أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" قال الطيبي: (قوله ﷺ: "أستودع الله" هو طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع، جعل دينه وأمانته من الودائع، لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض أمور الدين، فدعا له النبي ﷺ بالمعونة والتوفيق، ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ والإعطاء والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة. ثم إذا انقلب إلى أهله، يكون مأمون العاقبة عما يسوءه في الدين والدنيا)[(١)].

قال ابن مفلح: (المراد بالأمانة ههنا: أهله ومن يخلفه منهم، وماله الذي يودعه ويستحفظه أمينه ووكيله، وجرى ذكر الدين من الودائع، لأن السفر قد يكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين. فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، ذكر ذلك الخطابي وغيره)[(٢)].

رابعاً- من اساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه - عبدالله بن عمر رضي الله عنهما - أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً، ادْنُ مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا: فيقول: "أستودع الله دينك.. إلخ الحديث"، كما أخبر الصحابي عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه عن بعض حال النبي ﷺ فقال: كان رسول الله إذا أراد أن يودع الجيش قال: .... وهذا الإخبار القصد منه بيان حال النبي ﷺ وهديه في توديع الجيوش والسرايا، ونقل ذلك إلى المدعوين حتى يمتثلوا ذلك ويفعلوه ويعملوا به، ومثال الإخبار كذلك قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ((كانَ خُلُقُهُ القرآنُ))[(٣)].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٧٣/٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٤٩/١. وانظر: معالم السنن للخطابي ٤٠٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: توديع النبي ﷺ الجيش والدعاء لهم:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ))[١].

قال السندي: (قوله: "انطلقوا على اسم الله)، أي ثابتين على بركته أو ذكره أو معه، "إلى كعب بن الأشرف" أي ليقتلوه فإنه كان يهودياً مؤذياً)[٢].

ومن هذا القبيل ما فعله أبوبكر رضي الله عنه عند إيفاده جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى الشام تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ فقد نهض بنفسه إلى الجرف، فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشياً وأسامة راكباً، وعبدالرحمن بن عوف يقود راحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: والله لست بنازل ولست براكب[٣].

ولا شك أن توديع الجيوش والسرايا من قبل ولي الأمر، من أهم الأمور التي تلهب الحماس في قلوب الجنود والمقاتلين، لأن ذلك يشعرهم بمدى خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم، كما يشعرهم أنهم ليسوا وحدهم في ميدان القتال، بل معهم شعوبهم وأهلوهم بأرواحهم يدعون لهم بالتوفيق والظفر والنصر، وليس أدل على أهمية التوديع من انتشاره في العصر الحديث، فلا يكاد جيش يرسل إلى مكان بعيد عن وطنه، إلا قام بتوديعه ولاة الأمر أو من يقوم مقامهم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٦/١ رقم ٢٣٩١ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٢١/٤.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٢٢١/٤، وانظر خبره كاملاً في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١٨٧/٣-٢٠٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢٢٥/٣، ٢٢٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٢٤/٩.

الحديث رقم (٧١٦)

٧١٦- وعن عبد الله بن يزيدَ الخطْمِيِّ الصحابيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أنْ يُودِّعَ الجَيشَ، قَالَ: ((استَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأمَانَتَكُمْ، وَخَواتِيمَ أعْمَالِكُمْ)) حديث صحيح، رواه أبو داود[1] وغيره بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن يزيد: هو عبدالله بن يزيد بن زيد الأنصاري الأوسي الخَطْمي، كنيته أبو موسى، له ولأبيه صحبة، وقد شهد أبوه أحداً وما بعدها، وتوفي في حياة النبي ﷺ قبل فتح مكة.

كان عبدالله من صغار الصحابة، قال عنه الذهبي: الأمير العالم الأكمل. أهـ.

شهد غزوة الحديبية وعمره ١٧ سنة، وكان ممن بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، وشهد ما بعدها من غزوات.

وفي عهد الخلفاء شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح فارس، ولما هزم المسلمون أمام الفرس في موقعة يوم الجسر (١٤هـ)، كان هو الذي أخبر عمر بن الخطاب بما وقع للمسلمين.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع علي بن أبي طالب في الجمل وصفين والنهروان.

وفي ٦٥هـ ولاه عبدالله بن الزبير على الكوفة، فاتخذ عامراً الشعبي -أحد كبار التابعين- كاتب سرّه.

أما عن عبادته فكان أكثر الناس صلاةً ولا يصوم تطوعاً إلا يوم عاشوراء.

وقد روى عن جماعة من الصحابة كالبراء بن عازب وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان.

مات قبل سنة ٧٠هـ وله نحو ثمانين عاماً[2].

---

(١) برقم (٢٦٠١).

(٢) الطبقات (١٨/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٤٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤١٣/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٤٨، والسير (١٩٧/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٣/٤) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٥٦/٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٤٦/٤).

غريب الألفاظ:

أستودع الله دينكم: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينكم[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الوداع غير أن الموقف النفسي مختلف فهناك وداع مسافر على خطر محتمل، وهنا مقاتل على خطر محقق، وهناك فرد أو جماعة محدودة وهنا جيش متأهب للقتال وقلب الرسول ﷺ وسع الجميع رحمة وحناناً المسافر والحاضر والمقاتل، والقافل، الصغير، منهم والكبير والقوي، والضعيف، ولذلك نجد الدعاء نفسه مع اختلاف الضمير من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع لتسكن النفوس، وتطمئن القلوب، وتزداد توكلاً على الله تعالى، وتكون أقوى في مواجهة عدوها وقد أفرد الدين في قوله (دينكم) لأنه واحد فليس بينهم من هو على غير الإسلام فكلهم على قلب رجل واحد؛ لأن دخول غير المسلمين في جيوش المسلمين خرق لهذه الوحدة، ومخاطرة بكشف سترهم وإضعاف قوتهم. كما أفرد الأمانة (أمانتكم) لأنها واحدة بالنسبة لهم جميعاً لأنها تتمثل في آداء كل ما عليهم من الحقوق والواجبات لله أو للناس وكلهم متساون في ذلك، وجمع الخواتيم (خواتيم الأعمال) لأنها تختلف باختلاف الأشخاص وبحسب أعمالهم والأعمال متنوعة فتنوعت تبعاً لها.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧١٧)

٧١٧- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، إنّي أُرِيدُ سَفَراً، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: ((زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى)) قَالَ: زِدْنِي قَالَ: ((وَغَفَرَ ذَنْبَكَ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من باب سابقيه نفسه، وهو باب الدعاء للمسافر، وقد اختلف سياق الحديث لاختلاف الواقعة موضع الحديث، واختلاف أحد طرفي الحوار، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يتميز بالحركة، والانفعال، والتواصل حيث بدأ بنداء تنبيهٍ، وتكريمٍ للرسول (يا رسول الله) ؛ لأنه ناداه بلقبه دون اسمه مع إضافته لله، ثم عرض حاجته، ورتب عليها طلبه، وقد سبقها بتوكيد يكشف مدى حاجته (إني أريد سفراً فزودني) طلب الزاد، وهو ما يحتاج إليه المسافر من الطعام، والشراب والمؤن، فنزل الدعاء منزلته، وطلبه من الرسول ﷺ فقال (زودك الله التقوى) وهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، لأن معناهاالدعاء، وإيثاره التعبير بالأسلوب الخبرى عن المعنى الإنشائي، لأن الأسلوب الخبري يوحي بتحقق مضمونه؛ فكأنه دعا وأجيبت دعوته، وهو يخبر عنها، ولا يخفى ما فيه من التفاؤل الذي يهدهد وجدان المسافر المضطرب، وقول السائل (زدني) يحتمل أن يكون أراد حقيقة الزاد من الطعام والشراب، وأجابه الرسول ﷺ على أسلوب الحكيم بما هو أنفع له مما طلب فلما أجيب بغير ما يريد كرر الطلب وقول الرسول ﷺ (غفر لك ذنبك) لما طلب الزيادة زاده من جنس المزيد فعاد، وقال (زدني) وقد قدم بين يدي طلبه جملة ملؤها المحبة، والفداء (بأبي أنت

---

(١) برقم (٣٤٤٤) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن خزيمة (٢٥٣٢).

وأمي) كاعتذار عن الإلحاح في الطلب وحثاً على المزيد، واعترافاً بمضمونها، فدعا له الرسول ﷺ بدعوة جامعة لخير الدنيا والآخرة (ويسر لك الخير حيثما كنت) والظرف (حيثما) مع فعل الكينونة في دعوة النبي ﷺ يجعل التيسير قرينه إلى يوم القيامة بل، وبعدها في عرصاتها حتى الجنة فهنيئاً من فضل الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء النبي ﷺ لهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء بالتقوى والمغفرة وتيسير الخير للإنسان.

ثالثاً: من آداب المدعو: طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء النبي ﷺ لهم:

إن النبي ﷺ هو الهادي البشير، بعثه الله رحمة للعالمين، وقد اتخذه الله خليلاً[1]، ويأتيه الوحي من السماء، وكان للصحابة رضي الله عنهم كالوالد لأولاده، لذا كانوا حريصين جداً على طلب النصيحة منه وأن يدعو لهم، كما هو واضح في هذا الحديث.

ومن هذا القبيل حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْماً فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللّهِ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُول اللّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: «اللّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِراً بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللّهُ دَعْوَتَكَ

---

(١) اخرجه مسلم ٢٣٨٣ عن عبدالله بن مسعود > مرفوعاً: "اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً" وانظر: الشفا للقاضي عياض ١/٢٤٨-٢٤٩.

وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْراً. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذَا ـ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ـ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلاَ يَرَانِي، إِلاَّ أَحَبَّنِي))[(١)].

وإذا كان النبي ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، فإننا يمكن أن نتمثل فعل الصحابة رضي الله عنهم بحرصهم على أن يدعو لهم النبي ﷺ يمكننا أن نتمثل ذلك بأن نحرص على فعل الخصال والصفات التي دعا النبي ﷺ، بالخير لمن تحلى بها واتصف بها، فتلحق بنا بركة دعائه، فعلى سبيل المثال لو تمثلنا قوله: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[(٢)]. فإننا لو تمثلنا هذا الحديث جيداً، واستحضار حرص الصحابة على أن ينالهم دعاء النبي ﷺ، لو تمثلنا هذا كله، فإننا لا شك سنلتزم بالرفق في كل شؤوننا وأحوالنا حتى نكون أهلاً لأن يصيبنا دعاء النبي ﷺ. وهكذا يكون حالنا مع سنة النبي ﷺ.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء بالتقوى ومغفرة الذنوب وتيسير الخير للإنسان:

لقد دعا النبي ﷺ للرجل بأن يزوده الله بالتقوى، وأن يغفر له الذنوب، وأن ييسر له الخير حيث كان، فدل ذلك على فضل هذه الدعوات. قال الطيبي: (يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه ﷺ بما أجابه على طريقة أسلوب الحكيم أي زادك أن تتقي محارمه وتجتنب معاصيه، ومن ثم لما طلب الزيادة قال "وغفر ذنبك". فإن الزيادة من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقي الله، وفي الحقيقة لا تكون تقوى

(١) أخرجه مسلم ٢٤٩١ وقد جعل القاضي عياض فصلاً في الشفا عنوانه: في إجابة دعائه ﷺ وقال: هذا باب واسع جداً، وإجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة، ثم قال في آخره: وهذا الباب أكبر من أن يحاط. الشفا ١/٣٢١-٣٢٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٢٨.

يترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله "وغفر ذنبك" أي أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة ثم ترقّى منه إلى قوله "ويسر لك الخير" فإن التعريف في "الخير" للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة)[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٢].

قال القاسمي: (ويقال في معنى الآية: وتزودوا من التقوى للمعاد، فإن الإنسان لابد له من سفر في الدنيا ولابد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب، وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولابد منه من زادٍ أيضاً، وهو تقوى الله والعمل بطاعته واتقاء المحظورات، وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة)[٣].

أما مغفرة الذنوب (فإن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة، وقد قال النبي ﷺ ((حولها ندندن))[٤] يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها)[٥].

أما تيسير الخير حيث كان، فعلامة لتوفيق الله للعبد، لأن العبد إن فعل الخير الموصل إلى الجنة فقد فاز وسعد، وكذلك إن تيسر له الخير الدنيوي، مكّنه ذلك من تسخيره في فعل ما يوصله إلى رضا ربه ودخول جنته، فضلاً عن تمتعه في حياته في الدنيا بكل ما يسره ويسعده، دون أن يُغضب ربه.

ثالثًا- من آداب المدعو: طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح:

المدعو يحب أهل الصلاح والفضل، لأن منزلتهم عند الله كبيرة، فالله سبحانه

---

(١) شرح الطيبي ١٧٤/٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٤/٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢).

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٠٤/٢.

وتعالى يحبهم ويقربهم إليه، لذا كان من علامات حب المدعو الخير لنفسه، أن يطلب من أهل الفضل والصلاح أن يدعوا له. كما فعل هذا الصحابي بطلبه الدعاء من النبي ﷺ وعن أنس بن مالك (أَنَّ رجُلاً دخلَ المسجدَ يومَ جُمعةٍ من بابٍ كان نحوَ بابِ دارِ القضاءِ - ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يخطبُ - فاستقبلَ رسولَ اللهِ ﷺ قائماً ثم قال: يا رسولَ اللهِ هلَكَتِ الأموالُ، وانقطعَتِ السبلُ، فادعُ اللهُ يُغيثُنا. فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَيهِ ثم قال: اللّهمَّ أغثْنا اللّهمَّ أغثْنا اللّهمَّ أغثنا. قال أَنسٌ: ولا واللهِ ما نرَى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعةً، وما بَينَنا وبينَ سَلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ. قال فطلَعَتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التُّرسِ، فلمَّا توسَّطَتِ السماءَ انتَشَرتْ، ثم أمطرَتْ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سَبْتًا[1].

ثمَّ دَخلَ رجلٌ من ذلكَ البابِ في الجُمعةِ - يعني الثانية - ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يَخطب فاستقبلَهُ قائماً فقال: يا رسولَ اللهِ هَلكَتِ الأموالُ، وانقطعتِ السبُلُ، فادعُ اللهَ يُمسِكها عنا. قال فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يديهِ ثم قال: اللّهمَّ حَوالَينا ولا علينا، اللّهمَّ علَى الآكامِ والظرابِ وبُطونِ الأوديةِ ومَنابتِ الشجرِ. قال: فأَقلعَتْ وَخرجْنا نمشي في الشمسِ)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب طلب الدعاء من أهل الفضل، وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه)[3]. قال النووي: (اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر، وهو مجمع عليه، ومن أول ما يستدل به ما روينا في كتابي أبي داود والترمذي[4] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال: لا تنسنا يا أخي من دعائك. فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا، وفي رواية: أشركنا يا أخي في دعائك)[5].

---

(١) اي: قطعة من الزمان، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٠١٣، ومسلم ٨٩٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١٤٩٨، والترمذي ٣٥٦٢، وابن ماجه ٢٨٩٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٢٢).

(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٤٤٧.

وقال ابن تيمية: (فطلب النبي ﷺ من عمر أن يدعو له، كطلبه أن يصلي عليه ويسلم عليه، وأن يسأل الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وهو كطلبه أن يعمل سائر الصالحات، فمقصوده نفع المطلوب منه، والإحسان إليه، وهو ﷺ ينتفع بتعليمهم الخير وأمرهم به، وينتفع أيضاً بالخير الذي يفعلونه من الأعمال الصالحة ومن دعائهم له)[١]. وقال ابن تيمية: (ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه ومن هو دونه، فقد روي طلب الدعاء من الأعلى والأدنى)[٢].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/١٤٣.

(٢) المرجع السابق ١٤/٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن ترك الأحبة لبعضهم فيه مشقة على النفس بالغة القسوة، وقد وضحت أحاديث الباب هدي النبي ﷺ في توديع أصحابه رضي الله عنهم قبل السفر، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

وصية كلا الطرفين بالتقوى للآخر، واستدياع كل منهما الآخر أمانة عند ربه، ودعاء كل منهما للآخر بالخير مع اتباع السنة في هذا، ودعاء المسافر في طاعة من الأدعية المستجابة، ولهذا طلب الرسول ﷺ الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن الأساليب التربوية ندرك:

أولاً- التربية بالموعظة:

من أساليب التربية النافعة التربية بالموعظة حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد إلى المتربي من خلال الموعظة، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا الأسلوب حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وفيه: «قام رَسُول اللَّهِ ﷺ فينا خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس ...».

والتربية بالموعظة تؤثر في نفس المتربي، وتدفعه إلى الاستجابة والامتثال.

"والوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل، ومن أشكال الوعظ النصح، وهو بيان الحق والمصلحة بقصد أن نُجنِّب المنصوح الضرر وندُلَّه على ما يحقق سعادته وفائدته، ودليل النصح الصادق ألا يتوخى الناصح مصلحة شخصية دنيوية مادية لنفسه، ولذلك وجب على المربي الناصح أن يتنزه أثناء أداء واجبه التربوي عن كل رياء وعن كل ما يوحي للآخرين بأن له في فعله مصلحة خاصة، لئلا يَشُوبَ إخلاصه وسمعته، فيفقد هيبته التربوية وتأثيره في نفوس طلابه"[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٢٦.

ولقد بيّن النبي ﷺ أنه لا يريد من خلال موعظته منفعة أو مكسبًا، فمما جاء في حديث الباب: «... ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ...».

"وطريقة التربية بالموعظة طريقة قديمة قِدَمَ الإنسان نفسه، فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمين ينتظرون أن يتلقوا بعضًا مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم. والنفس الإنسانية على استعداد تام للتأثر بما يلقى إليها من كلمات والنفوس الصافية، والقلوب المتفتحة، والعقول الواعية المتدبرة إذا تراءى لها الحق مناسبًا بالكلمة المؤثرة والموعظة البليغة والنصيحة الرشيدة، فإنها سرعان ما تستجيب من غير تردد، وتتأثر من غير توقف بل سرعان ما تخضع للحق، وتتقبل هدي الله الذي أنزله"[١].

ثانيًا- التربية بالتواصي:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتواصي حيث يقوم كل مسلم بمهمة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأخيه المسلم، وهذا الباب الذي أورده الإمام النووي -باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفرٍ وغيره- أورد تحته جملة من الأحاديث تشير إلى أهمية التواصي والتناصح، ومن ذلك حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: «... وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ...» ومن ذلك أيضًا حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «... فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا في حين كذا ...» وحديث أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله إني أريد سفرًا فزوِّدني، فقال: زودك الله التقوى، قال: زدني ...».

وجملة هذه الأحاديث تشير إلى التواصي والتناصح بين الجماعة المؤمنة "والقرآن الكريم يوصي ويفرض ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقال

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد-ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

إن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي من أساليب التربية الإسلامية التي بدت من خلال أحاديث المربي الرسول ﷺ وفي طريقة التواصي دعوة لكل مسلم إلى أن يكون مربيًا، يذكر بالخير والحق ويدعوا إليهما وينبه إلى الشر والضرر وينهي عنهما، وذلك من صميم الأساليب التربوية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق الإسلامية في نفس المسلم، وهذه الوسيلة من أهم الوسائل التربوية التي حث عليها القرآن الكريم، والتي يتحقق بها الهدف من التربية لأنها تقوم بصيانة الحياة من الشر والفساد، وفي هذه الطريقة تتحقق مبادئ التربية"[٢].

ثالثًا- التربية على أهمية الدعاء:

إن من الموضوعات التي تعتني بها التربية الإسلامية التربية على أهمية الدعاء، وذلك لما في الدعاء للغير وطلبه للنفس من آثار تربوية حميدة في نفوس المتربين، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال: لا تنسانا يا أخي من دعائك ...، وفي رواية: «أشركنا يا أخي في دعائك»، وحديث أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسولَ الله إنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، قالَ: زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى. قالَ زِدْنِي. قالَ وَغفَر ذَنْبَكَ. قالَ زِدْنِي. قالَ ويَسَّر لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُما كُنْتَ» ففي هذين الحديثين طلب النبي ﷺ الدعاء من غيره، ودعا لغيره.

"وتشريع الدعاء في الإسلام ليوثق صلة العبد بالله تعالى في كل حين إلى جانب الصلاة والصوم والحج، وعلاقة الإنسان بالله تنعكس على علاقاته الاجتماعية والكونية، ومن هنا فإن الدعاء الذي يمكن أن يتم في سائر الأوقات خلافًا للعبادات الأخرى المحدودة بأوقات مخصوصة أو التي تحتاج إلى جهد بدني أو مالي، فالدعاء أيسر العبادات التي إذا اعتاد عليها الإنسان كفلت حياةَ قلبه وأيقظت روحه وأثمرت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام، د. علي خليل أبو العينين، ضمن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ص١٤٠/١، ١٤١.

صلاح سلوكه مع الله تعالى ومع الناس. والدعاء طلب الإنسان من الله تعالى العناية والعون وإظهاره والافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وتعظيم الخالق والثناء عليه. والله تعالى قريب من عباده يسمع دعاءهم، ويستجيب لمن أطاعه منهم بالتزام شريعته واجتناب معصيته"(١).

إن الدعاء هو الصلة التي تربط المسلم بالله، "والدعاء فطري في الإنسان فهو يشعر بحنين إلى الله يفزع إليه عند الشدائد ويتضرع إليه في كشف السوء عنه فهو ضعيف أمام أحداث الحياة لا يجد سَنَدًا لضعفه غير الدعاء، والدعاء الذي يطلبه الإسلام هو أن يكون في السراء كما يكون في الضراء، لأن ذلك أدعى للإنسان أن يكون على الدوام متذكرًا ربه مستجيبًا لأوامره محققًا معنى العبودية له، فإن الإنسان بطبيعته يلجأ إلى ربه عند الشدة، ولكن ما أن يكشف الله عنه ما به من ضر حتى ينسى الله ويغتر بقوته، فيؤدي به إلى الإعراض عن أوامر الله والإفساد في الأرض. وقد شرع الإسلام الدعاء للسمو الروحي والترفع عن شهوات الجسد الضارة والعروج به في معارج الكمالات بجانب ما يطلبه الداعي من فضل الله وتيسير أموره وكشف الضر عنه"(٢).

خامسًا- التربية بالممارسة العملية:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية، حيث يلمس المتربي التطبيق الفعلي، والممارسة العملية للقيم والموضوعات التربوية التي يراد غرسها، ومما جاء في أحاديث الباب، يدلل على هذا الأسلوب حديث سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «أنَّ عبدالله ابنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إذَا أَرَادَ سَفَرًا ادْنُ مِنِّي أوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله يُوَدِّعُنَا فَيَقُولُ: أسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وأمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ». وكذلك أيضًا حديث عبدالله بن يزيد الخَطْمي الصحابي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يودِّع الجيش قال: «أسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وأمانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أعمالِكُمْ».

فمن هذين الحديثين يتبين لنا أسلوب الممارسة والتطبيق العملي من النبي ﷺ.

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٩٦، ٩٧.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٩٩، ٢٠٠.

"إن التناول النظري وحده ليس كافيًا في دفع الشباب للدعوة بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية لا تقل الفرص المتاحة لها عن الفرص المتاحة للتناول المعرفي المتعلق بالتذكير بالدعوة وفضائلها، وتبدو أهمية التدريب العملي في أن ممارسة العمل تزيد الإنسان شوقًا له وإلفًا واعتيادًا، وهي تزيل الرهبة والتردد الذي يوجد عند معظم الناس، وتنمي لدى الشباب مهارات وقدرات الدعوة كطلاقة الحديث والحوار والإقناع والتأثير، وتعود على التعامل المتزن الهادئ مع ردود أفعال المدعوين"[1].

وما من شك في أن التربية من خلال الممارسة العملية أوقع في النفس، وأدعى للاستجابة.

"إن على المربي دائمًا أن يربي طلابه على أن يعتزموا أن يحققوا في حياتهم ما يدرّسهم إياه، وأن يلقى إليهم بأسئلة من واقع الحياة، ليتأكد كيف سيطبقون علمهم في مواقف معينة من حياتهم الفردية والاجتماعية والتعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أرسخ في النفس، وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة، ولقد كان من أسلوب رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة بالممارسة العملية ليكون ذلك أعمق أثرًا في نفوسهم"[2].



---

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢١٢، ٢١٣.

٩٧- باب الاستخارة والمشاورة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقال الله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨] أيْ: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

الحديث رقم (٧١٨)

٧١٨- عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ[1] مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ: ((إِذَا هَمَّ أحَدُكُمْ بِالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيقل: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسْألُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أعْلَمُ، وَأنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أمْرِي)) أَوْ قَالَ: ((عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ. وَإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي)) أَوْ قَالَ: ((عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرْضِنِي بِهِ)) قَالَ: ((وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عاقبة أمري: آخر أمري وخاتمته[3].

---

(١) لفظ البخاري: (كما يعلمنا السورة).

(٢) برقم (١١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ق ب).

الشرح الأدبي

دعاء الاستخارة له خصوصية في التركيب ترجع إلى طبيعته، والغرض منه فموضعه بعد صلاة أي: صلة بالله، والقلوب متعلقة به، ثم إنه بدأ بلفظ له خصوصية في النداء لأنه مختص بنداء الله، وله خصوصية في الدعاء؛ لأنه مجمع الأسماء الحسنى، وهو (اللّهم) (والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم كزيادتها في زرقم قال ابن فارس: (الزرقم: أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق؛ فإن الميم فيه زائدة[1] والميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علماً على الجمع فقالوا للواحد: (أنت فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وكذلك هو، وهم)، وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضربتم، وإياك، وإياكم، وإياه، وإياهم ونظائره نحو: به، وبهم، ويقولون للشيء الأزرق: أزرق فإذا اشتدت زرقته واستحكمت، قالوا: زرقم..وتأمل الألفاظ المعقود فيها الميم كيف تجد الجمع معقودا بها مثل (ألم الشيء يلمه، إذا جمعه، ومنه (ألم الله شعثه) ..وإذا علم هذا من شأن الميم؛ فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله -سبحانه- به في كل حاجة - وكل حال إيذانا بجميع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: (اللهم إني اسألك) كأنه قال: (ادعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعى مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته كما في الاسم الأعظم...) قال الحسن البصري (اللهم) مجمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه) [٢].

ثم إن الاستخارة تضمنت أمرين مهمين، وهما طلب الأكثر خيراً في قوله

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٥٢.

(٢) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري صـ ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري / رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة الزهر بأسيوط.

(أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ) وطلب العون عليه في قوله: (وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ) كما تضمنت طلب الفضل أي المزيد (وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ) كما تضمنت التفويض في قوله: (فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) واشتمال الاستخارة على تلك الأمور وغيرها يجعلها أقرب إلى الإجابة وأوفى بحاجة المستخير كما أنه يتحرك بها في معية الله حتى يقضي ما هو فيه ؛لذلك حرص الرسول ﷺ على تعليمها لأصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن - كما أخبر الصحابي -.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم صلاة الاستخارة: يستحب لمن أراد أمرًا من الأمور المباحة، والتبس عليه وجه الصواب فيه، أن يصلي ركعتين - أي ركعتين - من غير الفريضة، ولو من السنن الرواتب، ثم يدعو بعدهما بالدعاء الوارد في هذا الحديث[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستخارة في الأمور كلها.

ثالثًا: من آداب المدعو: ردّ الأمور كلها لله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: تعليم المدعوين ودلالتهم على ما ينفعهم.

اولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

إن من وسائل الدعوة في هذا الحديث التعليم. يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها".

والتعليم من وسائل الدعوة المهمة، وذلك لأن العلم الشرعي هو أفضل العلوم، وهو

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٤٤/٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٥٠/٣، وإعانة الطالبين ٢٩٧/١، ومنتهى الإرادات ٧٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١١/١.

الجدير بالطلب والحرص على تحصيله، لأنه به يعرف الله سبحانه وتعالى، وبه يعبد، وبهذا العلم يعرف ما أحل الله وما حرم، وما يرضيه وما يسخطه، وبهذا العلم يعرف المصير إليه والنهاية من هذه الحياة، وأن قسمًا من هؤلاء المكلفين، ينتهون إلى الجنة والسعادة، وأن الآخرين وهم الأكثرون ينتهون إلى دار الهوان والشقاء[١].

قال رسول الله ﷺ ((مَنْ يُرِدِ اللّٰهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستخارة في الأمور كلها:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين...".

قال العيني: ("يعلمنا الاستخارة" أي: صلاة الاستخارة ودعاءها وهي طلب الخيرة... وهو في لسان العرب على معان، منها سؤال الفعل والتقدير اطلب منكم الخير فيما هممت به، والخير هو كل معنى زاد نفعه على ضره، قوله "في الأمور كلها" دليل على العموم، وأن المرء يجب عليه ألا يحتقر أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به، فيترك الاستخارة فيه، فرب أمر يستخف بأمره، فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه، ولذلك قال ﷺ: "ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأل شسع نعله"[٣] قوله "كما يعلمنا السورة من القرآن" دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه متأكد مرغب فيه، وفيه استحباب صلاة الاستخارة والدعاء المأثور بعدها، في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها أما ما هو معروف خيره، كالعبادات وصنائع المعروف لا حاجة للاستخارة فيها، نعم قد يستخار في الإتيان بالعبادة في وقت مخصوص، كالحج مثلاً في هذه السنة لاحتمال عدو أو فتنة أو حصر عن الحج، وكذلك يحسن أن يستخار في النهي عن المنكر، كشخص متمرد عاتٍ يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص)[٤].

---

(١) حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله سليمان الطيار ص ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٠٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٣٥).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٧/٢٢٣، ٢٢٤.

والاستخارة من الأمور التي سنها رسول الله ﷺ لأمته حتى يريحهم من الحيرة ويطلبوا تيسير الخير في الأمرين من الفعل أو الترك، في الأمور التي يريدون الإقدام عليها، مباحة كانت أو عبادة، فيستخيروا، فيظهر ببركة الصلاة والدعاء ما هو الخير[1]؛ وهو نوع من الاستعانة بالصلاة الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾[2].

فقد كان ﷺ إذا حَزَبَه أمر، فزع إلى الصلاة، ليجد فيها الاطمئنان والراحة؛ لانها علاقة مع الله وحده، ينقطعُ المرء فيها عن المنغِّصات والمكدِّرات.

وشُرع لنا عند الاستخارة الصلاة وبعدها الدعاء، الذي هو توحيد وافتقار، عبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبيده رحمةً لم يستطع أحد حبسها عنهم، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليهم.

قال ابن تيمية: (ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3][4].

والنبي ﷺ حين يُعلم أصحابه هذه الصلاة، وهذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن ما كان ذلك إلا بعلمه بحاجتهم لمثل هذا الدعاء، فكما أن القرآن يحتاج إلى مدارسة ومتابعة ومجاهدة، فكذلك هذا الأمر، أو كما أن القرآن لا يستغني عنه المؤمن، فكذلك دعاء الاستخارة يحتاجه المرء في أموره كلها.

إن مما يجب أن يُعلم هو أن صاحب الشرع قد اختار لنا ألفاظًا منتقاةً، جامعة لخيري الدنيا والآخرة حتى إن الراوي قال في صفتها والحض عليها والتمسك بألفاظها:

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ٦٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) الكلم الطيب ١/ ٥٧.

(كان يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن)، ومعلوم أن القرآن لا يجوز أن يُغيّر فيه أو يُزاد فيه أو يُنقص منه.

وإذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر، فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرحت نفسه له، أو لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح له نفسه، وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس[١].

واشترط ابن عثيمين وغيره من العلماء: انشراح الصدر فقال: (وينتهي بعد ذلك - صلاة الاستخارة- إن انشراح صدره بأحد الأمرين، بالإقدام أو الإحجام، فهنا المطلوب، يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره، وبقي مترددًا أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة)[٢].

وقال عفيف طبارة: (وينبغي أن يفعل المصلي بعد الاستخارة ما ينشرح له، فلا ينبغي أن يعتمد على إنشراح كان فيه رغبة قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره، وإلا فلا يكون مستخيرًا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة)[٣].

ثالثًا- من آداب المدعو: رد الأمور كلها لله تعالى:

إن من آداب المدعو التي تستنبط من هذا الحديث: رد الأمور كلها لله. يظهر هذا في تعليم النبي ﷺ أمته الاستخارة حتى يفوضوا أمرهم لله تعالى، فهو العالم بكل شيء ما يريده يكون وما لم يرده لا يكون، قال ابن حجر: (والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه، فإنه يجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله تعالى والتبري من الحول والقوة إليه، وأن يسأل ربه في أموره كلها)[٤].

وقال العيني: (وفيه... وأن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور ولا جليلها حتى يسأل الله فيه، ويسأله أن يحمله فيه على الخير، ويصرف عنه الشر إذعانًا بالافتقار إليه في كل

---

(١) انظر: حديث النفس، عبدالإله بن سليمان الطيار ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٣٩ - ١٠٤٠.

(٣) روح الصلاة في الإسلام ٢٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٩١.

أمره، والتزامًا لذاته بالعبودية له، تبركًا لاتباع سنة سيد المرسلين في الاستخارة، وربما قدر ما هو خير، ويراه شرًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[(1)])[(2)].

فمن آداب المدعو أن يسلم لأمر ربه ويلجأ إليه سبحانه. للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ويحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء أنجع لذلك من الصلاة والدعاء، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه قالا وحالا[(3)].

قال ابن القيم: (ماذا يملك من أمره مَنْ ناصيته بيد الله، ونفسه بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء، وحياته بيده، وسعادته بيده، وشقاوته بيده، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بإذنه ومشيئته. فلا يتحرك إلا بإذنه، ولا يفعل إلا بمشيئته. إن وكله إلى نفسه وكله إلى عجز وضيعة وتفريط وذنب وخطيئة. وإن وكله إلى غيره وكله إلى مَن لا يملك له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وإن تخلى عنه استولى عليه عدوّه وجعله أسيرًا له. فهو لا غنى له عنه طرفة عين، بل مضطر إليه على مدى الأنفاس في كل ذرة من ذراته، باطنًا وظاهرًا، فاقته تامة إليه)[(4)].

لذا فالمؤمن ينبغي أن يفوض أمره كله لله، لأنه موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر في الأنفس والآفات فيرى آثار بره تعالى ورحمته، فيناجي ربه ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[(5)] فالخير بيديه، والشر ليس إليه، وما يظنه شرًا في الحقيقة، وإذا كان لابد

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢٥/٧.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٢/٣.

(٤) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٨٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

من تسميته شرًا؛ فإنما هو شر جزئي خاص، مغمور في جانب الخير الكلي العام)[١].

فالمؤمن يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوع الأمر، والرضا بعد وقوعه، والسعيد من جمع بينهما، وذلك هو المؤمن، والشقي من حرمهما[٢].

رابعًا- واجبات الداعية: تعليم المدعوين ودلالتهم على ما ينفعهم:

ينبغي على الداعية أن يحرص على تعليم المدعوين، ودلالتهم على ما ينفعهم. يستنبط هذا من عموم الحديث، فقال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم[٣]. وهذا كان نهجه مع أمته ﷺ وقال في ذلك: ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا . فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا))[٤].

فيجب على الداعية التأسي بالنبي ﷺ في الشفقة على أمته وحرصه على تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

قال رسول الله ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قَالَ: للَّه وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٥].

ونصيحة المدعوين تكون: بإرادة الخير لهم، وبيان الحق لهم، ودلالتهم عليه، وعدم غشهم ومجاملتهم في دين الله، ويدخل فيه أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولو خالف هواهم وطريقتهم. وأما مسايرتهم في طريقتهم، ومجاملتهم في الدين باسم الأخوة، وحتى لا ينفضوا أو ينفروا، فهذا ليس من النصح الذي أمر به نبينا عليه الصلاة

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ١٣٦.

(٢) المرجع السابق ١٣٥.

(٣) المرجع السابق ١١/١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٤.

(٥) أخرجه مسلم ٥٥.

والسلام. نعم الحكمة مطلوبة عند عرض النصيحة عليهم، ولكن الحق لابد أن يبين ويعلم لجميع المدعوين[١].

(١) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ٣٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية التي تبين هدي النبي ﷺ وتوجيهاته التربوية في الاستخارة والمشورة، من هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية بالتعليم:

من أهم أساليب التربية الإسلامية: التربية بالتعليم، ويتضح هذا من حديث الباب من قول جابر رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ من القرآن، ...»، والتربية بالتعليم من أساليب التربية المهمة، "فلا حصول على العلم دون تعلم، فالتعلم أساس في الحصول على العلم، ولا حياة كريمة للإنسان دون علم، ولا قيمة للعلم ما لم ينشر في الناس عن طريق التعليم فهذه الثلاثية: تعلم وعلم وتعليم متماسكة متكاملة لا يمكن أن يستغنى عن أي شيء منها، ولا يمكن لأحدها أن يغني عن الآخر، وليس أجدى على العقل من أن يعمل في مجال العلم والبحث ليتوصل من وراء ذلك إلى الكشف والابتكار، وتهيئة الأسباب للحصول على سعادة الدنيا والآخرة وللتعلم والعلم والتعليم أهمية قصوى في الإسلام، فإذا قلنا: إن الإسلام دين العلم ما جاوزنا الصواب في شيء ولو قلنا: إن العلماء أرفع قدرًا في المجتمع من غيرهم ما عدونا الصواب"(١).

إنه من خلال التعليم يتم غرس القيم والمبادئ التربوية، ويمكن توجيه المتربين إلى الطاعة والامتثال، وخاصة عندما يُعتنى بالتعليم من الصغر.

"والمقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافة العلمية والعصرية والتوعية الفكرية الحضارية حتى ينضج الولد فكريًا ويتكون علميًا وثقافيًا، ولاشك أن مسئولية الواجب التعليمي بالغة الأهمية والخطورة في نظر الإسلام، لأن الإسلام حَمَّلَ الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد وتنشئتهم على الاغتراف من مَعِينِ الثقافة والعلم وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب،

---

(١) التربية العقلية، د. علي عبدالحليم محمود، ص٢١٠.

والمعرفة المجردة، والمحاكمة المتّزنة، والإدراك الناضج الصحيح، وبهذا تتفتح المواهب، ويبرز النبوغ، وتتضج العقول، وتظهر العبقرية، ومن المعلوم تاريخيًا أن أول آيات نزلت على قلب الرسول الأعظم ﷺ قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[1]. وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه[2].

ثانيًا- التربية على الاستخارة والمشاورة:

إن من الجوانب المهمة في التربية الإسلامية التربية الإيمانية والتي تتمثل في التربية على الاستخارة والمشاورة لما في ذلك من الثقة واليقين في الله عز وجل، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يدلل على هذا، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمورِ كلِّها كالسورة مِنَ القرآنِ، يقول: إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليركَعْ ركعَتَيْنِ من غيرِ الفريضةِ ثم ليقلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلْمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، ....».

وهذا الحديث يبين استحباب الاستخارة في الأمور كلها، والإيمان والتسليم بقدر الله تعالى والرضا به.

والإيمان بالقدر من لوازم الإيمان بالله، فالله هو الذي قدر كل الأحداث الكونية، وإيمان الإنسان بقضاء الله يتحقق من علمه بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأن كل ما يحدث له إنما هو من قدر الله تعالى، وان في الرضا بالقدر وحسن ظن العبد بالله وثقته في رحمته مفاتيح السعادة، في الدنيا والآخرة، ومن الآثار التربوية للإيمان بالقدر العزم والقضاء على التردد فالمرء في حياته يقدم على تحقيق أعمال معينة فالمؤمن إذا ناقش الأمور ورجح بينها واستشار غيره، واستخار ربه يمضي فيما عزم عليه دون تردد، أو

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٢٥٠، ٢٥١.

خوف فهو يدرك يقينًا بأن جميع الأحداث الواقعة تكون بقدر الله، فإذا يسر الله له ما عزم عليه فهو الخير المقدر له، وإن لم ييسر له ذلك فهذا ليصرف الله عنه شرًا كان محتملاً، ومن الآثار أيضًا أن المؤمن لا يتحسر على شيء مضى فهو يدرك أن ذلك قدر الله، وان الندم لن يعيد له ما فات ولا اعتراض على ما حدث أو ما قدره الله، فإذا تربى المؤمن على ذلك أصبح جريئًا أمام كل شيء، ويتخلص قلبه من القلق الناتج عن الحزن على ما فقد"[1].

وفي الاستخارة دعاء ولجوء إلى الله تعالى، "فالدعاء ثمرة المعرفة والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها. وفي الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به، ومن ثمَّ كانت حياة الرسول ﷺ دعاء دائمًا يدعو مع كل عمل، وكل حركة بالليل أو النهار، وله في ذلك دعوات مأثورة كان يدعو بها، ويعلمها لأصحابه"[2].

وإذا كانت الاستخارة مطلوبة من المسلم فإن المشاورة مستحبة كذلك قال الماوردي: "اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفَّل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[3]. قال قتادة: أمره بمشاورتهم تألفًا لهم، وتطبيقًا لأنفسهم، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل تَرِد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رُشْدًا، ولا يطيع مرشدًا. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص٧٥، ٧٦.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

رأي، ولا يفقد معهما حزم، وقال سيف بن ذي يزن: من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبدّ برأيه كان من الصواب بعيدًا[1].



(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٨٩.

٩٨- باب استحباب الذهاب إِلَى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

الحديث رقم (٧١٩)

٧١٩- عن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النبي ﷺ إِذَا كَانَ يومُ عيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري[١].

قوله: "خَالَفَ الطَّرِيقَ" يعني: ذهب في طريق ورجع في طريق آخر.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى سنة من سنن الرسول ﷺ وهدي من هديه في صلاة العيد، وقد صاغ معناها الصحابي في أسلوب الشرط، وقد استخدم أداة الشرط إذا للدلالة على تحقق الوقوع فهو أمر معتاد سار عليه، ولزمه في حياته وصار سنة من بعده لأصحابه، وهذه السنة التي يغفل عنها كثير من الناس تجعل العالم الإسلامي بكل بقاعه في عيد، لأن كل شخص يذهب من طريق، ويعود من طريق، وكأن الرسول ﷺ يريد أن تحتفل الأرض كلها مع المؤمنين في تجاوب وانسجام بين المسلمين، وبين الكون المسبح، ثم إن مخالفة الطريق تعطي فرصة أكبر للقاء مزيد من المؤمنين يهنىء بعضهم بعضاً.

---

(١) برقم (٩٨٦).

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[١] إلى:

حكم مخالفة الطريق في العبادات والعادات: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يستحب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق، والرجوع من طريق آخر، يستوي في ذلك الإمام والمأموم[٢]، وقال المرداوي: (يخرج لنا فعل ذلك على استحباب ذلك في الجمعة، وهو الصحيح من المذهب، وقيل: لا يستحب)[٣].

أما عن دخول مكة فقال النووي: (ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث، ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي، أو لا تكون كاليمني. فيستحب لليمني وغيره أن يستدير ويدخل مكة من الثنية العليا. وقال بعض أصحابنا إنما فعلها النبي ﷺ، لأنها كانت على طريقه، ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليمني. وهذا ضعيف والصواب الأول، وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق، ويرجع من أخرى لهذا الحديث)[٤].

---

(١) حديث رقم (٧١٩)، (٧٢٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٢/٢-٤٧٣، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٣١٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٤٩، وانظر كذلك: مجمع الأنهر، داماد أفندي ٥٩/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٥٨٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٣/٣.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٢٢/٥-٣٢٣ المطبوع المقنع والشرح الكبير.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٩/٥-٥ . وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩١/٣ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في العيدين.

ثالثًا: من آداب الداعية: الحرص على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى بفعل الأسباب النافعة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب من طريق والعودة من طريق آخر في الحج.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك من قول جابر رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق"، حيث أخبر عن ذهاب النبي ﷺ إلى صلاة العيد من طريق وعودته من طريق غيره.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يفاد منها في العديد من الأمور، والتي من جملتها بيان الحقائق والحكم والعظات. وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث بيان هدي النبي ﷺ في الذهاب إلى صلاة العيد والعودة منها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في العيدين

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث أخبر جابر رضي الله عنه عن ذهاب النبي ﷺ من طريق وعودته من طريق.

وقد كان هدي النبي ﷺ في العيدين، يلبس أجمل ثيابه للخروج إليهما، فكان له حُلَّة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بُردين أخضرين، ومرة بُردًا أحمر، وليس هو أحمر مُصمتًا كما يظنه بعض الناس، وإنما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية.

وكان ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات، ويأكلهن وترًا، وأما في عيد الأضحى، فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته، وكان يغتسل للعيدين، ويذهب إلى العيد ماشيًا، والعنزة تحمل في يديه، ثم يصلي بالناس، وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الأضحى.

وإذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة[١] ثم يخطب الناس ويوعظهم ويذكرهم، ثم يعود من طريق غير التي ذهب منها[٢].

ثالثًا- من آداب الداعية: الحرص على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى بفعل الأسباب النافعة:

يظهر ذلك في قول جابر ﷺ: "كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق" قيل ليسلم على أهل الطريقين، وقيل: لينال بركته الفريقان، وقيل ليقضي حاجة من له حاجة منهما، وقيل ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق وقيل: لتكثر شهادة البقاع، فإن الذاهب إلى المسجد والمصلى إحدى خطوتيه ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة حتى يرجع إلى منزله، وقيل ليزور أقرباءه الأحياء والأموات، وقيل ليصل رحمه وقيل وهو الأصح: إنه كان ذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعله عنها[٣].

وكل ذلك يدل على حرص النبي ﷺ على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى وهذا من الآداب التي يجب أن يحرص عليها الداعية وكل مسلم.

وإن الأصل في تشريع صلاة العيدين أن لكل أمة أعيادًا في السنة، يتجملون فيها ويخرجون فيها بزينتهم، وتلك عادة لا تخلو منها أمة من الأمم. وقد قَدِمَ النبي ﷺ إلى المدينة وكان لأهلها يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ويمرحون فقال الرسول ﷺ: ((أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى))[٤].

وإنما أبدلهما الرسول ﷺ لأنه ما من عيد في الناس، إلا وسبب وجوده تنويه بشعائر دين أو شيء يضاهي ذلك، فخشي النبي ﷺ إن تركهم مع عاداتهم أن يكون هناك تنويه بشعائر الأسلاف الذين كانوا على ضلال، فأبدل بهما الرسول يومين، فيهما تنويه بشعائر الإسلام، وقرن مع هذا التنويه، التجمل والمرح البريء، وصنوفًا من العبادة والطاعة لئلا يكون اجتماع المسلمين في أعيادهم اجتماع لهو ولغو وعربدة، ولئلا يخلو اجتماع كهذا من الغاية الأساسية التي أرادها لهم، وهي إعلاء كلمة الله، وتوثيق

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، والبخاري الأحاديث ٩٤٨-٩٨٩، الأحاديث ٨٨٤-٨٩٣.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٤١-٤٤٧.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٤٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٥٤٨.

(٤) أخرجه النسائي ١٥٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٤٦٥).

الألفة بينهم.

عيد الفطر: فأحد هذه العيدين هو عيد الفطر، ويكون بعد الانتهاء من تمضية شهر في الصيام والعبادة، فيجتمع فيه الفرح الطبيعي من المؤمنين بانتهائهم مما يشق عليهم من الصيام، مع الابتهاج بما أدّوه من طاعة، وبما وفقهم الله على أدائه من فرائض تستهدف خيرهم.

كما أن عيد الفطر سبيل إلى تآخي المسلمين وتوادهم، فقرائهم وأغنيائهم، فقد أوجب الإسلام فيه صدقة الفطر على الموسرين، لتصرف على الفقراء قبل صلاة العيد.

عيد الأضحى: والعيد الثاني هو يوم النحر، أو بعبارة أخرى عيد الأضحى، وهو ذكرى اليوم الذي ابتلى الله فيه صفيّه ونبيه إبراهيم، وأمره بذبح ولده إسماعيل، فاستجاب لنداء ربه، واستجاب إسماعيل للتضحية بنفسه تنفيذًا لحكم ربه، ولكن ربهما بعد أن رأى مبلغ إخلاصهما فَدَى إسماعيل بذبح كبش. ففي هذا اليوم يتذكر المؤمنون عظمة الفداء والتضحية، ويكون لهم من هذه الذكرى المجيدة نبراس وضياء يسترشدون بهما كل عام لبذل المهج والأموال في سبيل إعلاء كلمة الله.

كما أن عيد الأضحى مصدر فرح وغبطة للمسلمين، لأنه يأتي عقب أداء فريضة الحج، فهو فرحة للمسلمين بانتهاء هذه الفريضة العظيمة التي توحد بين المسلمين، وتوثق عراهم في جميع أقطار العالم، لأن الحج هو المؤتمر العالمي لجميع المسلمين، يجتمعون فيه ليشهدوا منافع لهم ويتعارفوا ويخططوا ما فيه خيرهم، ويذكروا الله على ما رزقهم من نعمه التي لا تحصى.

هذه هي الذكرى التي يوحيها هذان العيدان، وما أروعها وأبلغها من ذكرى[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب من طريق والعودة من طريق آخر في الحج:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما "إن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعرس، وإذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى".

قال النووي: (قيل فعل النبي ﷺ هذه المخالفة في طريقه داخلاً وخارجًا، تفاؤلاً بتغير الحال إلى أكمل منه، كما فعل في العيد، وليشهد له الطريقان، وليتبرك

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٩٣-١٩٥.

أهلهما، ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث، ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي، أو لا تكون وقال بعض أصحابنا: إنما فعلها النبي ﷺ لأنها كانت على طريقه، ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليمنى وهذا ضعيف والصواب الأول، وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق ويرجع من آخر لهذا الحديث[١].

وفضل الذهاب من طريق في الحج والعودة من آخر إنما هو لإظهار شعيرة الحج للناس، وإظهار عزة المسلمين وقوتهم للأعداء.

ولكن هل هذا الأمر كان النبي ﷺ يفعله على سبيل (التعبد) أم أنه كان صدفة غير مقصود، أو هو ما تيسر له؟

قال ابن عثيمين: (أما في الحج: فإن الرسول ﷺ خالف الطريق في دخوله إلى مكة، دخل مكة من أعلاها، وخرج من أسفلها، وكذلك في ذهابه إلى عرفة، ذهب من طريق ورجع من آخر.

واختلف العلماء في هذه المسألة: هل كان النبي ﷺ فعل ذلك على سبيل التعبد، أو لأنه أسهل لدخوله وخروجه؟ لأنه كان الأسهل لدخوله أن يدخل من الأعلى، ولخروجه أن يخرج من الأسفل.

فمن العلماء من قال بالأول، قال: إنه سنة أن تدخل من أعلاها - أي أعلى مكة - وتخرج من أسفلها، وسنه أن تأتي عرفة من طريق وترجع من طريق آخر.

ومنهم من قال: إن هذا حسب تيسر الطريق، فاسلك المتيسر سواء من الأعلى أو من الأسفل، وعلى كل حال إن تيسر لك أن تدخل من أعلاها وتخرج من أسفلها فهذا طيب، فإن كان ذلك عبادة فقد أدركته، وإن لم يكن عبادة لم يكن عليك ضرر فيه، وإن لم يتيسر كما هو الواقع في وقتنا الحاضر، حيث إن الطريق قد وجهت توجيهًا واحدًا، ولا يمكن للإنسان أن يخالف، فالأمر - والحمد لله- واسع) [٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٤٢.

الحديث رقم (٧٢٠)

٧٢٠- وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيق الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِن الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

طريق الشجرة: موضع معروف على طريق من أراد الذهاب إلى مكة من المدينة وكان النبي ﷺ يخرج منه إلى ذي الحليفة، وهو يبعد ستة أميال من المدينة[٢].

طريق المعرس: مكان معروف على طريق مكة المكرمة عند الحليفة[٣].

الثنية العليا: الثنية: كل عقبة في جبل أو طريق عالٍ فيه، والثنية العليا في مكة المكرمة هي المعلى مقبرة أهل مكة وهي التي يقال لها الحجون[٤].

الثنية السفلى: هي كل ما انحدر من المسجد الحرام، وهي في مكة المكرمة عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في معناه، وهو مخالفة الرسول ﷺ لطريقه المعتاد في يوم العيد، وقد وصف الراوي طريقه بأسلوب الطباق بين الأفعال (يدخل) و (يخرج) والفعل المضارع يستحضر الصورة التي تبعث البهجة في النفوس إشراقاً بنعمة الله على عباده في

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٣)، ومسلم (١٢٥٧/٢٢٣) واللفظ له.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٢.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٤٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١١/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١١/٢، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٠٤.

يوم فرحتهم، وأيضا الطباق بين العليا، والسفلى الذي يؤكد معنى المخالفة بين طريق الذهاب، وطريق الرجوع التي تنشر السرور، وتعمم مظاهر البهجة، وتقررها.

المضامين الدعوية[١]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٢٠) مع المضامين الدعوية للحديث (٧١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إشاعة البهجة ونشر الخير من أهداف الإسلام، وكان ذلك في صدر الإسلام عن طريق: تعدد طرق السير، الأمر بمغايرة الطرق في الذهاب والعودة، في العيدين، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية المهمة: التربية بالقدوة، والقدوة لها أثر كبير في إقناع المتربي، وفي بيان التطبيق العملي للفعل المأمور به، وفي حديثي الباب جاء ما يدلل على أسلوب القدوة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالفَ الطريقَ»، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ. وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى»، ففي هذين الحديثين قام النبي ﷺ بالتطبيق الفعلي للمخالفة في الطريق حتى يكون قدوة لغيره في فعل هذا الأمر.

"وتعد القدوة من أنجح أساليب التربية ومن أوقعها تأثيرًا، وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية ومع فطرة الإنسان، ومع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها، وللقدوة تأثيرها الإيجابي أو السلبي تبعًا في ذلك لاختلاف نوعية القدوة "حسنة كانت أم سيئة"، حيث لا يقتصر التقليد على حسنات السلوك بل قد يتعداها إلى غيرها، ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك من يمثل القدوة، وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة باعتبارها أسلوبًا تربويًا مهمًا في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة تحقق الخير لهم ولغيرهم"[1].

إن القدوة الحسنة هي الصورة الحية للفكرة والتطبيق العملي للدعوة والتوضيح الجلي للحجة: "إنه في كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٤، ١٧٥.

أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة وكذلك تعفى من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي"[١].

ثانيًا- التربية على تكثير مواطن العبادة:

إن من الأهداف التعبدية التي تهدف إليها التربية الإسلامية التربية على تكثير مواطن العبادة، وذلك لنيل الأجر والثواب الجزيل من الله تعالى، حيث إن هذه المواطن تشهد للعبد يوم القيامة، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى ذلك حيث قول جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما: «كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالفَ الطريقَ»، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ. وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى».

والمخالفة في الطريق يترتب عليها التكثير لمواضع العبادة التي هي أحوج ما يكون العبد إليها، وفي مخالفة الطريق عند أداء العبادات يقابل المسلم أكبر عدد ممكن من إخوانه يسلم عليهم ويصافحهم ويطمئن على أحوالهم.

"ويستحب لمن جاء إلى المصلي في صلاة العيد من طريق أن يرجع من أخرى، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا خرج إلى العيدين، رجع في غير الطريق الذي خرج فيه»[٢]. قيل كان يفعل ليعمهم السرور بمرآه والتبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء أو التعليم، وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام، ويستحب للمسلم في العيد أن يظهر البشاشة والفرح في وجه من يلقاه من المؤمنين"[٣].

وما من شك في أن مخالفة الطريق تقوي الروابط الاجتماعية. فالإسلام حبب في صلاة الجماعة، وأوجب صلاة الجمعة كل أسبوع، واجتماع أهل الحي في اليوم خمس

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص٣٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣٣٨/٢، ٨٤٥٤، وقال الأرنؤوط حسن لغيره، انظر: الموسوعة الحديثية، ١٤/ ١٦٦.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٩٩.

مرات مع اجتماعهم يوم الجمعة اجتماعًا أوسع مدى -يقوي الروابط الاجتماعية، ويشد أواصر الصلات بين الجماعة، ويشعر كل واحد بأنه أخ لكل من في المسجد، وأنه مساوٍ له، فتنمو روح المساواة الحقيقية لا فرق بين غني وفقير، ولا بين عظيم وحقير، فكلهم عباد الله اجتمعوا في بيته تظللهم ظلال المحبة والأخوة في الله، وبهذه الممارسة العملية تنتفي فوارق اللون، وفوارق الثراء، وفوارق الدم فيشعر الفرد شعورًا حقيقيًا بأنه للجماعة، وتشعر الجماعة بأنها الفرد"[1].



(١) إسلامنا، سيد سابق، ص١١٨.

٩٩- باب استحباب تقديم اليمين
في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوء وَالغُسْلِ وَالتَّيَمُّمِ، وَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالنَّعْلِ وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَدُخولِ المَسْجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكْتِحَالِ، وَتقليم الأظفار، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإبْطِ، وَحلقِ الرَّأسِ، وَالسّلامِ مِنَ الصَّلاَةِ، وَالأكْلِ، والشُّربِ، وَالمُصافحَةِ، وَاسْتِلاَمِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، والخروجِ منَ الخلاءِ، والأخذ والعطاء وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ في معناه. ويُسْتَحَبُّ تَقديمُ اليسارِ في ضدِ ذَلِكَ، كالامْتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عن اليسار، ودخولِ الخَلاءِ، والخروج من المَسْجِدِ، وخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ والسراويلِ والثوبِ، والاسْتِنْجَاءِ وفِعلِ المُسْتَقْذَرَاتِ وأشْبَاه ذَلِكَ.

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة، الآيات: ١٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[الواقعة: ٨-٩].

الحديث رقم (٧٢١)

٧٢١- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسولُ اللّه ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأنِهِ كُلِّهِ: في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

التيمن: الابتداء باليمين[٢].

وترُّجله: ترجيل شعره وهو تسريحه ودهنه[٣].

وتنعله: لبس نعله[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨/٦٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٣) المرجع السابق ٣٢٤/١.

(٤) المرجع السابق ٣٢٤/١.

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خصلة يحبها النبي ﷺ بأسلوب خبري يتسم بالهدوء والثقة خالٍ من المؤكدات غرضه إفادة معناه، وهو قولها (يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ) وهو البدء باليمين، وقولها: (في شأنه كله) يفيد عموم الحكم وقولها: (في طهوره) من ذكر الخاص بعد العام عناية به، والطهور: صيغة مبالغة من الطهر، ويراد به الوضوء، والغسل، وتقديم الطهور؛ لأنه مقدمة العبادات، وقولها (وترجله) وهو تسريح الشعر ودهنه و (في تنعله) أي لبس النعل، وحرصه على البدء باليمين لأَنَّهُ كَانَ يُحِبّ الْفَأْل الْحَسَن إِذْ أَصْحَاب الْيَمِين أَهْل الجنة.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- الابتداء في الأفعال باليد اليمنى، والرجل اليمنى، والجانب الأيمن: لا خلاف بين أهل العلم على استحباب البداءة باليمين في كل ما هو من باب التكريم، والتزيين، والنظافة، وما كان بضدهما استحب فيه التياسر. إلا من به علة تمنعه من ذلك، كأن قطعت يمناه، فلاحرج عليه[2].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: (التيامن أمر مشروع في جميع الأعمال، لفضل اليمين على الشمال حسًا في القوة والاستعمال، وشرعًا في الندب إلى تقديمها وصيانتها)[3].

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٥/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٢/١، والشرح الكبير ١٠٨/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٠/١، والإقناع ٤٥/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٤٣٣/٨.

فيبدأ باليمين من يديه ورجليه في الوضوء، والتيمم مثله، ويقدم الجانب الأيمن على الأيسر في الغسل، ويدخل كمه الأيمن قبل الأيسر في لبس الثوب، ورجله اليمنى قبل اليسرى في دخول المسجد، وكذا في النعل والخف والسراويل، ويبدأ بجانب فمه الأيمن قبل الأيسر في السواك، وبالعين اليمنى قبل اليسرى في الاكتحال، وكذلك يقدم اليد اليمنى في الأكل، والشرب، والمصافحة، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، والأخذ والعطاء، والجهة اليمنى في استلام الحجر الأسود، وقص الشارب، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغير ذلك مما هو في معناه.

ويقدم اليسار في ضد ذلك، كالامتخاط، والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف، والنعل، والسراويل، والثوب، والاستنجاء وفعل المستقذرات وأشباه ذلك[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إعجاب النبي ﷺ بالتيمن في شأنه كله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شؤونه.

رابعًا: من واجبات الداعية: الالتزام بما يدعو إليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إعجاب النبي ﷺ بالتيمن في شأنه كله:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها "كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله".

قال ابن حجر: (قيل لأنه يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة)[٢].

قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨﴾[٣]، قال شبير العثماني:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٣) سورة الواقعة، آية: ٨.

(قوله: "في شأنه كله..." إلخ. "الشأن" الحال والخطب، وتأكيده بلفظ "كل" يدل على التعميم، وقد خص ذلك من دخول الخلاء، والخروج من المسجد)[١].

وقال النووي: (قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين، وما كان بضدها استحب فيها التياسر. قال: وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين في الوضوء سنة، من خالفها فاته الفضل، وتم وضوؤه)[٢]. ولإعجابه ﷺ بالتيمن كان يأمر به ويرغب فيه.

وعن ابن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: ((كنتُ غلامًا في حَجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: يا غلامُ، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَلِيك))[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

يظهر أسلوب الإجمال والتفصيل في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله. وهذا هو الإجمال، والتفصيل في قولها في طهوره، وترجله، وتنعله. وأسلوب الإجمال والتفصيل من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهذا أسلوب بلاغي رفيع، ففي الإجمال لا إخلال، وفي البيان لا حشو ولا إسهاب.

فقد ذكر الله في سورة البقرة، أنه قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل، دون أن يبين أو يفصل في ذلك. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[٤] فتتشوق النفوس، وتتطلع الأفئدة لمعرفة ذلك الميثاق، وسرعان ما يأتي البيان والتفصيل في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ

(١) موسوعة فتح الملهم ٢/٥٢٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٦٣.

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١])[٢].

ومن الشواهد على الإجمال والتفصيل ما ورد في قوله ﷺ: ((كلُّكم راعٍ ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِه: فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رَعيَّتِه، والرجُلُ في أهلِهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ، والمرأةُ في بيتِ زوجها راعيةٌ وهيَ مسؤولةٌ عن رعيَّتِها، والخادمُ في مالِ سيِّدِهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه))[٣]. فأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو إلى سماع الدعوة.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شؤونه:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث إن المسلم مأمور بإتيان ما أتى به رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر)[٥].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾[٦] أي فتأسوا به في الأمر كله[٧].

رابعًا - من واجبات الداعية: الالتزام بما يدعو إليه:

يظهر ذلك في تطبيق النبي ﷺ التيمن عمليًا في شأنه كله.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية، حتى يكون عمله مطابقًا لقوله، فلا يخفى أثر التزام الدعاة بما يقولون في نجاح الدعوة، أو في النجاة من المؤاخذة والحساب يوم الدين، ولقد مضت رسالات الله على التلازم التام بين الأقوال والأفعال وهو معلوم بارز، بل أساس وطيد من أسس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن الأمثلة على ذلك قول نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[1].

فالداعية الملتزم يمضي قُدُمًا في سبيل الدعوة، ويحقق بفضل الله ما لا يحققه المتهاون أو المتخاذل المتكاسل[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم جيدًا فائدة القدوة في الدعوة، ويعلم جيدًا مدى اهتمام أصحابه ﷺ بالاقتداء به والتأسي بهديه، لذلك نراه حين أراد التخفيف عنهم في أمر، ألزموا أنفسهم العزيمة فيه، يبدأ بنفسه فيتابعونه عليه مقتدين به ومتأسين بفعله، فمثلا: إفطاره علانية أمام الناس عند فتح مكة ويوم حنين: روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((خرجَ النبيُّ ﷺ في رمضانَ إلى حُنَين والناسُ مُختلِفونَ: فصائمٌ ومُفطرٌ. فلما استوى على راحلتِهِ دعا بإناء من لبن أو ماءٍ فوضَعَهُ على راحتِه - أو على راحلتِه- ثمَّ نظرَ إلى الناس، فقال المفطرونَ للصُّوَّمِ: أفطروا))[3].

وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((سافَرَ رسولُ اللهِ ﷺ في رمضانَ، فصامَ حتى بلغَ عُسفانَ، ثمَّ دعا بإناءٍ من ماءٍ فشربَ نهارًا ليَراه الناسُ فأفطرَ حتى قَدِمَ مكة))[4].

إن رسول الله ﷺ كان قدوة لأصحابه في خصال الخير وأنواع الهدى، وهذه بعض

---

(١) سورة هود، آية: ٨٨.

(٢) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ١٠، ١١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٢٧٩.

سجايا الرسول ﷺ التي اتصف بها، والتي هي من أساسيات شخصية القدوة، التي يجب على المسلمين عامة، وعلى القدوات خاصة، التحلي بها تأسيًا برسول الله ﷺ[1].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٣٢-٢٣٤.

الحديث رقم (٧٢٢)

٧٢٢- وعنها، قالت: كَانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ اليُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أذَىً. حديث صحيح، رواه أبُو داود[١] وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب سابقه نفسه بدأته أم المؤمنين عائشة بأسلوب خبري غرضه إفادة معناه؛ لأنه لم يكن معلوماً لدى المخاطبين، وهو من باب تعليم الأمة حسن الأدب في العادات، وقد كان الصحابة يرجعون إليها فيما أُشكل عليهم كما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)[٢]، وهو من الأمور التي تدلل على مكانة المرأة في الإسلام، وتقديرها مادامت مطيعة لزوجها مخلصة لربها، وقد بنت أم المؤمنين العبارة على المقابلة بين المعاني، فإن الضد يتضح إذا ذكر مع ضده فقد قابلت بين اليمنى، واليسرى، وبين الطهور، وما كان من أذى؛ لأنه في معنى النجس، كما قابلت بين الطعام، وبين الخلاء الذي هو كالضد منه، والتعبير بالخلاء كناية عن موصوف وهو ما لا يستحسن ذكره، وكذا التعبير بالأذى وهو من أدب أم المؤمنين - رضي الله عنها وأرضاها - كما أن في العبارة إيجاز بالحذف في قولها (كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ) أي مختصة، وكذلك في قولها (وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلائِهِ) أي مختصة وسميت اليسرى؛ لأنها تيسر لليمنى عملها، فاليمنى هي الأصل.

وقد ورد في معنى هذا الحديث عن حَفْصَةَ رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ) الحديث: (٧٢٩).

---

(١) برقم (٣٣).

(٢) سنن الترمذي حديث: (٣٨١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في استخدامه ليده اليمنى ويده اليسرى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ في استخدام اليد اليمنى واليد اليسرى.

ثالثًا: من آداب الداعية: نقل أخبار النبي ﷺ وهديه للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في استخدمه ليده اليمنى ويده اليسرى:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى. وقول أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك".

فكان ﷺ يقدم اليمنى فيما فيه تكريم، مثل الوضوء والغسل والتيمم والثياب وكذلك الطعام، فلا يجوز أن يأكل باليسرى[1] لنهي النبي عن ذلك وقال ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ))[2]، وكان ﷺ يقدم اليسرى فيما فيه مهانة، وأذى كما في الاستنجاء فقد نهى ﷺ أن يستنجي الرجل بيمينه[3]. لأن اليمين محل الإكرام، ويؤكل بها ويُشرب بها؛ فينبغي إبعادها عن القاذورات، وكذلك كل شيء مستقذر. فإنه يكون باليسرى، فاليسرى تكون للأذى، واليمنى لما سواها[4]، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٠٤٣، ١٠٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٠٤٥.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ في استخدام اليد اليمنى واليد اليسرى:

يظهر هذا من عموم الحديثين[١]، حيث بينت عائشة وحفصة رضي الله عنهما استعمالات النبي ﷺ ليده اليمنى فيما هو مكرم ومحبوب من عبادات وطعام وغيره، واستعمالات يده اليسرى فيما هو مهان وضيع، وهذا من هدي النبي ﷺ الذي حرص عليه وأمر به، فينبغي على المسلم التأسي برسول الله في ذلك، وتعليم الصغار على استعمال اليد اليمنى فيما أمر به رسول الله ﷺ، واستعملها فيه، وتقديم اليسرى في غيره مما به أذى.

ومما ورد في ذلك عن عمر بن أبي سلمة قال: ((كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: يَا غُلاَمُ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ))[٢].

قال القرطبي: (هذا الأمر على جهة الندب، لأنه من باب تشريف اليمين على الشمال لأنها أقوى في الغالب وأسبق للأعمال وأمكن في الأشغال، وهي مشتقة من اليمن، وقد شرف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، وعكسه في أصحاب الشمال. قال: وعلى الجملة فاليمين وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينًا، والشمال على نقيض ذلك، وإذا تقرر ذلك فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة عند الفضلاء، اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة والأحوال النظيفة، وقال أيضًا: كل هذه الأوامر من المحاسن المكملة، والمكارم المستحسنة، والأصل فيما كان من هذا الترغيب والندب)[٣].

قال ابن حجر: وقوله "فما زالت تلك طعمتي بعد" بكسر الطاء أي صفة أكلي، أي لزمت ذلك وصار عادة لي.

---

(١) حدرث رقم (٧٢٢)، (٧٢٥)..

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٢٩٥ - ٢٩٨.

قال وفيه منقبة لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه)[١].

والتأسي بالنبي ﷺ من أهم أعمال المسلم وأفضلها أجرًا، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[٢]، أي: إلى الصراط المستقيم قولاً، وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك لا يمكن، بل هو محال[٣].

ثالثًا - من آداب الداعية: نقل أخبار النبي ﷺ وهديه للمدعوين:

ويظهر ذلك في نقل أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما لهدي النبي ﷺ في استعمالات يده اليمنى واليسرى وأخباره.

وهذا من الآداب التي يجب أن يحرص عليها الداعية، وذلك لأن النبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً، وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤] وعلى ذلك فمجالات متابعة النبي ﷺ والتأسي به في كل صور الحياة، وأنماطها، وأشكالها الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والفردية والجماعية... الخ[٥]؛ ونشر سنته ﷺ وتبليغها، من تمام محبته وتعظيمه، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: ((فلْيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ))[٦] وقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٧] وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَل الغَيثِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٣/٩، ٤٣٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢١.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) صفات الدعاة، د. عبدالرب بن نواب الدين ص ٦٣.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩.

(٧) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

الكثِيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[1].

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية المشار إليها في الحديث. فأما من أوتي فهمًا ثاقبًا، مع حفظه للعلم، فانتفع أولاً ونفع ثانيًا، فهو لاشك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنة، وتبليغها وتعليمها للناس، باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعي لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس، ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه[2]. لذا فينبغي على الدعاة نقل أخباره وهديه ﷺ للمدعوين، حتى يلتزموا بها ويقتدوا برسولهم ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف محمد الحسن بحث ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٨، ٨٩.

الحديث رقم (٧٢٣)

٧٢٣- وعن أم عطية رضي الله عنها : أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لهن في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رضي الله عنها : ((ابْدَأنَ بِمَيَامِنِهَا ، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

ام عطية الأنصارية: هي نُسيبة - ويقال: نسيبة بالفتح - بنت الحارث. ويقال: بنت كعب الأنصارية، معروفة باسمها وكنيتها.

أسلمت وبايعت النبي ﷺ وكانت من كبار نساء الصحابة، ومن كبار الصحابيات المجاهدات، فشهدت مع النبي ﷺ كثيرًا من الغزوات، وشهدت معه فتح خيبر، وكانت تتقن الأعمال الطبية، فكانت تمرض المرضى، وتعالج الجرحى، وتصنع الطعام. قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى[٢] وكانت من فقهاء الصحابة، فكانت تغسل الموتى، وهي التي تولت غسل بنت النبي ﷺ زينب كما في الحديث الذي نحن بصدده فأتقنت ذلك، وحديثها أصل في غسل الميت. وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت.

وكان النبي ﷺ يبعث إليها بطعام من الصدقة، فتهدي منه إلى بيت النبوة. قالت: بعث إليّ رسول الله ﷺ بشاة من الصدقة فبعثتُ إلى عائشة منها بشيء. فلما جاء رسول الله ﷺ إلى عائشة قال: هل عندكم شيء؟ قالت: لا، إلا أن نسيبة بعثت إلينا من الشاة التي بعثتم بها إليها. قال: إنها قد بلغت محلها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩/٤٢) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٢-١٨١٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٦)، ومسلم (١٧٤ - ١٠٧٦) واللفظ له.

نزلت العراق وسكنت البصرة حيث نشرت علمها وفقهها. قال الذهبي: عاشت إلى حدود سنة سبعين[(١)].

الشرح الأدبي

قصت خبر هذا الحديث - أُمُّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها وقد صاغته في صورة خبرية مؤكدة بأن مع اسمية الجملة لتنفي أي شك فيما تذكر، أو لرغبتها في تعظيم الخبر في نفوس المخاطبين، أو لإحساسها بأهميته، وقولها (قال لهن) يقرر أنها لم تكن وحدها بل اشترك معها غيرها كما أن نون النسوة تقرر أن الذي قام بتغسيلها جماعة من النسوة، لأنه لا يجوز لرجل أن يغسل امرأة أجنبية، وقولها (في غسل ابنته) يشير إلى أنه، وإن كان في شدة الحزن، فلا ينسى أوامر الله، وقوله لهن: (إبدأن بميامنها، ومواضع الوضوء منها) على عادته في البدء بالميامن كما مرَّ في الحديث السابق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: البدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت.

ثانيًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في غسل الميت.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: البدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت:

يظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها "ابدأن بميامنها، ومواضع الوضوء".

---

(١) الطبقات (٤٥٥/٨)، و الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٥٦/٧) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٢٢، والسير (٣١٨/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٨١/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٩٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢١٥٢/٣).

وهذا هديه ﷺ في غسل الميت مخالفًا لهدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وكان هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها[1]. والبدء في غسل الميت بالميامن وأعضاء الوضوء من الأشياء التي يُرغب فيها رسول الله ﷺ لأنه كان يستعمل يده اليمنى في كل تعبد وعمل فيه تكريم، وتغسيل الميت نوع من العبادة لمن يقوم به وتكريم للميت، فينبغي البدء بغسل الأعضاء الشريفة، وهي الميامن وأعضاء الوضوء.

وقد شرَّف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[3].

قال السعدي: (قوله "وأما إن كان من أصحاب اليمين" وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم بعض التقصير في بعض الحقوق، التي لا تخل بإيمانهم وتوحيدهم، "فـ" يقال لأحدهم: "سلام لك من أصحاب اليمين" أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليه ويحيونه عند وصوله إليهم، ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين الذين سلموا من الموبقات[4].

فالبدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت؛ لأن الموت أول منازل الآخرة إنما هو ترغيب في التيامن، ورغبة من المسلمين في أن يكون الميت من أصحاب اليمين عند الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٨.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧٧.

ثانيًا - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في غسل الميت:

يظهر ذلك في أمر النبي ﷺ لمن يغسلن ابنته "ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها". والمدعو مأمور باتباع أمره ﷺ لأنه لا يأمر إلا بخير وأما الذي يخالف أمره وهديه فقد قال عنهم الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١). أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا "أن تصيبهم فتنة" أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة "أو يصيبهم عذاب أليم" أي: في الدنيا، بقتل أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك(٢).

وعلى المسلم أن يتبع هدي النبي ﷺ في كل أقواله وأفعاله وليحذر من مخالفة هديه ﷺ.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: النساء:

إن من أصناف المدعوين في هذا الحديث النساء. ويظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها، إن النبي قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها...".

وقد اهتم الإسلام بالنساء، واعتبرهن شقائق الرجال، وشملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" في كثير من آيات القرآن الكريم، وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول أن أول من أسلم وصدق النبي ﷺ امرأة "أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها" وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة" وأول من استشهد "سمية رضي الله عنها" وإن أسماء ذات النطاقين كان لها دور في الهجرة، وإن المرأة هي أم الشهداء "الخنساء" وإن أم عمارة وخولة قد جاهدتا بالسيف في سبيل الله.

وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير، واحترام عال في شريعة الإسلام سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، ومادام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، والمؤثرات على الأزواج والمحارم فالعناية بهن عناية بالدعوة(٣).

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩٠/٦.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

الحديث رقم (٧٢٤)

٧٢٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا انْتَعَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأْ بِالشِّمَالِ. لِتَكُنْ اليُمْنَى أوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

انتعل: لبس النعل[2].

الشرح الأدبي

بُني الحديث على أسلوب الشرط الذي يرتب الحكم على إرادة الفعل في قوله: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ) والفاء واقعة في جواب الشرط، ووجْه الابْتِدَاء بِالشِّمَالِ عِنْد الْخُلْع أَنَّ اللُّبْس كَرَامَة لأَنَّهُ وِقَايَة لِلْبَدَنِ، فَلَمَّا كَانَتْ الْيُمْنَى أَكْرَم مِنْ الْيُسْرَى بُدِئَ بِهَا فِي اللُّبْس، وَأُخِّرَتْ فِي الْخَلْع لِتَكُونَ الْكَرَامَة لَهَا أَدْوَم وَحَظّهَا مِنْهَا أَكْثَر.

وبين انتعل، ونزع طباق يقرر المعنى، ويوضحه كما أن بين اليمين، والشمال، وكذا بين الفعل تنعل، وتنزع، طباق يقرر كيف يبدأ المؤمن، وكيف ينتهي في أمور هي من العادات حتى إذا ما وطَّنَ المؤمن نفسه عليها صارت كل حركة، وسكْنة عبادة لله تعالى - ومن هنا تتحقق البركة في العمر، وقد كان بعض الصالحين يقول إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، فالمؤمن يحتسب حياته لله في كل لحظة، وفي كل عمل مهما قلَّ؛ لأنه يعلم أنه محاسب على اللحظة بما فيها من عمل، ولذلك نجد الصحابة يرصدون حركة الرسول ﷺ بكل ما يحيط بها، ويرصدون لكل لحظة عملها الذي وقع فيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦) واللفظ له، ومسلم (٦٧/٢٠٩٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٢٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في لبس النعل وخلعه.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: المسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

من مهام الداعية التي تظهر من هذين الحديثين البيان والإيضاح، وذلك في قول رسول الله ﷺ "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال... إلخ الحديث" وقوله ﷺ "إذا لبستم وإذا توضأتم، فابدأوا بأيامنكم" حيث بيّن ووضح طريقة اللباس سواء كان ثيابًا أو نعلاً وغيره، وبين طريقة نزع الخف.

وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[2] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[3].

قال د. محمد محمود حجازي في تفسير قوله تعالى "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس..." (ما تشير إليه الآية: إن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله أن يبينه ويوضحه، ويظهر ما فيه من عظة وأسرار في الأحكام العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأحكام الدينية وعلاقتها بمصالح الأمة، وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء فيثابروا ويتعاونوا ويستهينوا بالصعاب، حتى يخرجوا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر، فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ- تبيين الدين وحقيقته لغير المسلمين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

ب- تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته، ويعرفوا أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد وداء كامن ومستعمر جاثم فوالله أيها الناس لا خلاص لنا إلا بالدين، ولا خير إلا في القرآن، فتعلموه وافهموه وادرسوه، تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة. وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا)[١].

فينبغي على الداعية أن يبين ويوضح للمدعوين دعوته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في لبس النعل وخلعه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال ولتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع" قال ابن حجر: (قال ابن العربي: البداءة باليمين مشروعة في جميع الأعمال الصالحة لفضل اليمين حسًا في القوة وشرعًا في الندب إلى تقديمها) وقال النووي: (يستحب البداءة باليمين في كل ما كان فيه التكريم أو الزينة، والبداءة باليسار في ضد ذلك كالدخول إلى الخلاء ونزع النعل والخف والخروج من المسجد والاستنجاء وغيره من جميع المستقذرات، وقال الحليمي: (وجه الابتداء بالشمال عند الخلع، أن اللبس كرامة لأنه وقاية للبدن، فلما كانت اليمنى أكرم من اليسرى، بدئ بها في اللبس، وأخرت في الخلع، لتكون الكرامة لها أدوم وحظها منها أكثر.

وقال ابن عبدالبر: من بدأ بالانتعال في اليسرى أساء لمخالفته السنة، ولكن لا يحرم عليه لبس نعله. وقال غيره: ينبغي أن ينزع النعل من اليسرى ثم يبدأ باليمنى ويمكن أن يكون مراد ابن عبدالبر ما إذا لبسهما معًا، فبدأ باليسرى فإنه لا يشرع له أن ينزعهما ثم يلبسهما على الترتيب المأمور به، إذ قد فات محله. ونقل عياض وغيره الإجماع على أن الأمر فيه للاستحباب)[٢].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٥٩/٤/١ - ٦٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١٠.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: المسلمين:

يظهر ذلك في توجيه الأمر في الحديثين لعامة المسلمين وذلك بقوله ﷺ: "إذا انتعل أحدكم... أي: أحد المسلمين، وقوله "إذا لبستم وإذا توضأتم". والمسلمون من أصناف المدعوين الذين يجب الاهتمام بهم، فكثير من المسلمين اليوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا يفهمون منه إلا بعض صوره وأشكاله.

وهكذا حال الكثير من المسلمين، وهناك البقية المتمسكة بدينها الحنيف وبمبادئه القيمة وأخلاقه السامية، بيد أنه يخشى عليها وهي محاطة بهذه الأجواء الداكنة، فتحتاج هي وغيرها احتياجًا ملحًا إلى الدعوة إلى الله تعالى، ليرجع الجميع إلى دينهم الحنيف، ويفهموا حقائقه ويعلموا أنه دين الحق، ولا دين سواه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

إن المسلمين في حاجة إلى من يبصرهم بأمور دينهم، كما هم في حاجة إلى من يبصرهم بأمر أعدائهم ومؤامراتهم، شرقيين كانوا أو غربيين، ومدى عداوتهم للإسلام والمسلمين[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فابدأوا بأيامنكم" حيث أمر رسول الله ﷺ بالبدء بالميامن في اللباس والوضوء، وذلك كان شأنه، فهو يحب أهل اليمين، لأن أهل اليمين من أهل الفضائل في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[4] وكان ﷺ يعجبه التيامن في شأنه كله: ((في طهوره،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي ابن الحبيب ص ٥٨ -٥٩.

(٣) سورة الحاقة، آية: ١٩.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

وَتَرَجُّلِهِ وتَنعُّلِهِ))[1] لذلك يأمر به في اللباس والوضوء وكل أمر فيه تكريم.

والأمر من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في أمر المدعوين بما ينفعهم وما فيه خيرهم.

(١) أخرجه البخاري ١٦٨، ومسلم ٧٦، ٢٦٨.

الحديث رقم (٧٢٥)

٧٢٥- وعن حفصة رضي الله عنها : أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يجعل يَمينَهُ لطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ[1] لِمَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أبو داود والترمذي وغيره[2].

ترجمة الراوي:

حفصة بنت عمر بن الخطاب: هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنهما ولدت بمكة قبل مبعث الرسول ﷺ بخمسة أعوام، تزوجها خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها، فلمَّا تأيمَّت ذكرها عمر لأبي بكر، وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبوبكر رضي الله عنهما كلمة، فغضب من ذلك عمر رضي الله عنه ، ثم عرضها على عثمان رضي الله عنه ، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فشكا إليه عثمان، فقال له النبي ﷺ ((يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة)) ثم خطبها النبي ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فلقي أبوبكر عمر بن الخطاب فقال له: لا تجد عليَّ في نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة فلم أكن لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها[3].

وقد تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وقالت فيها عائشة بنت الصديق - رضوان الله عليهما - هي التي كانت تُسَاميني من أزواج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد طلق حفصة ثم راجعها بعد ما قال له جبريل عليه السلام ((راجع حفصة، فإنها

---

(١) لفظ أبي داود : (شماله).

(٢) برقم (٣٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٢٢٧)، وقال الحاكم (١٠٩/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٤٦/١): حديث حسنٌ.

(٣) أخرجه ابن سعد وهذا لفظه في بعض طرقه وأصله في الصحيح عند البخاري رقم ٤٠٠٥، ٥١٢٢. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٦٥.

قوّامة صوّامةُ وإنها زوجتك في الجنة))[١].

وبهذه الشهادة الصادقة من أمين الوحي جبريل عليه السلام وعتْ حفصةُ مواعظ الله تعالى حق الوعي، وتأدبتْ بآداب كتابه الكريم حقّ التأدّب، فقد عكفت على المصحف تلاوةً وتدبُّرًا وتفهمًا وتأملاً، مما أثار انتباه أبيها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عظيم اهتمامها بكتاب الله تبارك وتعالى، مما جعله يُوصي بالمصحف الشريف الذي كُتب في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابنته "حفصة" أم المؤمنين، وبعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُهِدتْ الصحيفة التي كتب عليها القرآن كله إلى حفصة، وقد سأل عثمان رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها أن تعطيه الصحيفة؛ وحلف ليردَّنها إليها، فأعطته إياها فعرض المصحف عليها، فردَّها إليها، وطابتْ نفسُهُ، وأمر الناس فكتبوا المصاحف.

وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث بلغت في الصحيحين ٦٠ حديثًا.

وقد استمرت في المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفيت بها سنة ٤١هـ وقيل ٤٥هـ. وصلى عليها مروان بن الحكم[٢].

المضامين الدعوية[٣] الشرح الأدبي[٤]

(١) اخرجه البزار في مسنده ١٤٠١، وابن أبي عاصم ٣٠٥٢، والطبراني ٣٠٦/٢٣ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أنس، وفي إسناد الحديثين الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف، وأخرجه ابن سعد ٨٤/٨، والطبراني ٩٣٤/١٨، والحاكم ١٦/٤ من حديث قيس بن زيد، وقيس هذا تابعي صغير لكنه مجهول وروي من أوجه مرسلة عند ابن سعد ٨٤/٨ و٨٥، وأخرجه أبو داود ٢٢٨٣، وابن ماجه ٢٠١٦ من حديث عمر، والنسائي ٣٥٦٠، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها"، وهو صحيح، وهذا تخريج محقق الاستيعاب، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٨٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨٢/٨-٨٣)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٦٧/٧-٦٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٨٢-٨٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (١٦٦٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٥٢٧/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٦٩/٤)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥٢٧/١)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٦٤/٢-٢٦٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٢٩/١-١٣٩).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٢٥) مع المضامين الدعوية للحديث (٧٢٢).

(٤) تم دمج الشرح الأدبي لهذا الحديث (٧٢٥) مع الشرح الأدبي للحديث (٧٢٢).

الحديث رقم (٧٢٦)

٧٢٦-وعن أَبي هُريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأتُمْ، فَابْدَاوا بأَيَامِنِكُمْ)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فابدأوا بأيامنكم: أي البداءة بالميامن أي اليمين عند لبس الثياب والوضوء[٢].

الشرح الأدبي

الحديث من باب ما سبقه من ناحية الموضوع، وهو التيمن في كل شيء، وقد جاء في أسلوب خبري بأسلوب الشرط المؤذن بقوة الصلة بين جملتيه، والذي يربط وقوع الجواب بوقوع الفعل وقد استخدم (إذا) كأداة للشرط وهي تمحض الفعل الماضي للاستقبال والمعنى في قوله (لبستم - توضأتم) أي إذا أردتم اللباس وإذا أردتم الوضوء، وهي الأنسب لهذا المقام؛ لأنها توحي بتحقق حدوث الفعل؛ لأن الفعل من الأمور المعتادة ففعل الشرط (لبستم) و (توضأتم) أمور متكررة في حياة المؤمن، وتقديم اللباس ؛لأن فيه ستر العورة وحفظ البدن، ومن الملاحظ أن فعل الشرط تكرر، وجاء جوابه واحداً، وهو قوله (فابدأوا بأيامنكم) وذلك لأن اللبس، والتطهر من باب الإكرام، واليمين أولى، وخص اللباس، والوضوء بالذكر، وكرر أداة الشرط ليؤذن باستقلالهما، وأنهما يستوعبان جميع ما يدخل في الباب أما الوضوء، فلأنه فتح لأبواب الطاعات كلها فبذكره يستغنى عنها كلها، وأما اللباس، فلأنه من النعم التي امتن الله بها على عباده في آية (قد أنزلنا عليكم لباساً) إشعاراً بأن الستر باب عظيم في التقوى، ولذلك لما عصى آدم ربه عاقبه بإبداء السوءة، ونزع اللباس.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) اخرجه أبو داود (٤١٤١)، والترمذي (١٧٦٦). وصحّحه ايضًا ابن حبان (الإحسان ١٠٩٠)، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٤٨/١): هذا حديث صحيحٌ غريبٌ.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٧٤.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا (٧٢٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٢٤).

الحديث رقم (٧٢٧)

٧٢٧- وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أتى مِنىً، فَأتَى الْجَمْرَةَ فرَمَاهَا، ثُمَّ أتَى مَنْزِلَهُ بِمِنىً ونحر، ثُمَّ قَالَ لِلحَلَّاقِ: ((خُذْ)) وأشَارَ إلَى جَانبِهِ الأيْمَنِ، ثُمَّ الأيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ[2]: لما رمَى الجمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَاوَلَ الحَلَّاقَ شِقَّهُ الأيْمَنَ فَحلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أبَا طَلْحَةَ الأنْصَارِيَّ رضي الله عنه ، فَأعْطَاهُ إيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأيْسَرَ، فَقَالَ: ((احْلِقْ))، فَحَلَقَهُ فَأعْطَاهُ أبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: ((اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ)).

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

منى: بكسر الميم وفتح النون، مكان قريب من مكة ضمن الحرم، يقيم فيه الحجاج أيام التشريق، سمى بذلك لما يُمنى فيه من الدماء[3].

الجمرة: هي في الأصل: الحصاة، ويسمى الموضع الذي ترمى فيه الحصيات السبع: جمرة[4].

نسكه: جمع نسيكة: الذبيحة[5].

شقه: جانبه[6].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٠٥/٣٢٣).

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٥٠/٢، رقم ١٩٠٥) وقال: عن محمد بن سيرين، عن أنس، أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه، كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره، كذا في رواية ابن عون، عن محمد، ولم يزد، هكذا قال الحميدي، وهذه الرواية أخرجها البخاري برقم (١٧١)، ثمَّ ساق الحميدي هذا اللفظ الذي أورده المؤلف، وهو من أفراد مسلم.

(٢) برقم (١٣٠٥/٣٢٦) من حديث سفيان بن عيينة.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٤٣٠.

(٤) المرجع السابق ١٤٥.

(٥) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٥٦.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٠٥، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ق ق).

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث أنس ﷺ ويبدأ بأسلوب خبري يناسب مقام الإرشاد والتعليم، لأن المسترشد، والمتعلم يكون في يقظة لما استرشد عنه فلا يحتاج إلى أدوات تنبيه تصرفه إلى المتكلم، ومن ثمَّ ناسب البدء بهذا الأسلوب، وقد أكَّد الخبر تعظيماً له، فهو إخبار بمناسك الحج، ولها ما لها في القلوب، وقوله (أتى منى فأتى الجمرة) فاء الربط توحي بسرعة الانتقال بين المشعرين، وقوله: (فرماها) يشير إلى ترتب الرمي على الإتيان دون فاصل زمني بينهما، وفي رمي الجمرات ملمح بديع يشير إلى منتهى الإنقياد لحكم الله دون تحكيم العقول القاصرة عن فهم مراده، فقد كان العربي في فترة ليست بالبعيدة يعبد تلك الحجارة، ويخضع لها، فجاء الإسلام، وحرره من عبوديتها، وأخضعه لله، وجعله في منتهى الانقياد له، فجعل له حجراً يُقبِّل إرضاءً لله هو الحجر الأسود، وحجراً يرجم إرضاءً لله إشارة إلى الطاعة المطلقة وأنها لله وحده فلا يجب أن يخضع مخلوق لمخلوق إلا بأمر الخالق ووفق مراده فيهما.

وقول الرسول ﷺ للحلاق (خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ) أمر إرشاد وتوجيه وإشارة الرسول ﷺ تقوم مقام قوله في التوجيه إلى التيمن في الحلق وهو ما قررته الأحاديث السابقة بالقول الصريح، وأكده هذا الحديث بالإشارة، والتلميح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ يوم النحر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي طلحة ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في رمي الجمرة والنحر والحلق.

اولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ يوم النحر:

ويظهر ذلك في قول أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى مِنى، فأتي الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.

قال النووي: (هذا الحديث فيه فوائد كثيرة منها: بيان السنة في أعمال الحج يوم النحر بعد الدفع من مزدلفة، وهي أربعة: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي أو ذبحه، ثم الحلق أو التقصير، ثم دخوله إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ويسعى بعده إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم، فإن كان سعى بعده كرهت إعادته)[(١)].

وقد ذكر الحديث أفعال النبي ﷺ يوم النحر، وفي ذلك تعليم المسلمين مناسك الحج، فعن جابر أنه قال: ((رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ»))[(٢)].

ومعناه: خذوا مناسككم وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره، هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات، هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم، فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، وهو نحو قوله ﷺ ((صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي))[(٣)][(٤)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي طلحة رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه، فأعطاه إياه...". قال ابن علان: قول أنس رضي الله عنه: "... وحلق، وناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري" واسمه زيد بن سهل زوج أم أنس بن مالك "وأعطاه إياه" لأنه كان له ﷺ مزيد خصوصية ومحبة به وبأهله ليست لغيرهم من الأنصار ولا لكثير من المهاجرين، ولذا خصه ﷺ بدفنه لبنته أم كلثوم وزوجها عثمان حاضر، ولذا خصه الصحابة بأنه الذي حفر القبر الشريف، وألحد فيه النبي ﷺ وبنى فيه اللبن "ثم" أي: بعد أن ناول أبا طلحة "ناوله" أي: الحلاق شعر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٤.

الجانب الأيسر فقال: "احلق، فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس" لكن في رواية لمسلم أن الشعر الذي قسمه بين الناس شعر رأسه الأيمن، وأن الذي أعطاه أبا طلحة شعر شق الرأس الأيسر)[١].

وكون أبي طلحة خصه الرسول بالجانب الأيمن كله، يدل على أن من الناس من يختص بخصيصة يخصه الله بها، وإن كان من الصحابة من هو أفضل منه، فأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وكثير من الصحابة أفضل من أبي طلحة، لكن فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء، وكان الصحابة يتبركون بشعر النبي ﷺ وبثيابه وبعرقه، لكن غيره لا يتبرك بشعره، ولا بثيابه ولا بعرقه[٢]؛ فإعطاء النبي ﷺ أبا طلحة شعره يدل على فضل أبي طلحة رضي الله عنه.

قال أبو العباس القرطبي: (إن النبي ﷺ لم يخص أبا طلحة بأن يأخذ شعر جانبه الأيمن كاملاً له بل خصه بالتوزيع بمفرده) [٣].

وفضائل أبي طلحة رضي الله عنه كثيرة. فلقد شهد العقبة مع السبعين، وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين. وله من الولد: عبدالله، وأبو عمير: أمهما أم سليم بنت ملحان.

وعن أنس بن مالك قال: ((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيَ بِالْمَدِينَةِ مَالاً. وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَا. وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٤] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللّهِ فَقَالَ: إِنَّ اللّهَ يَقُولُ: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاء. وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للّهِ. أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللّهِ. فَضَعْهَا يَا

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٠٥-١٠٠٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٠٥٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٤٠٦، ٤٠٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أراك الله. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَخْ وذَلكَ مَالٌ رَابحٌ. أو رايح. وقَدْ سَمِعْتُ ما قلت وإني أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ قال أبو طلحة أفعل يا رسول الله. قال: فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ))[1].

وعنه قال: ((كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله، فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ، قال: ويقول: يا رسول الله، نحري دون نحرك))[2].

وروي أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال: ((لَصَوْتُ أبي طَلْحَةَ في الجَيْش خيرٌ مِنْ فِئَةٍ))[3].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: "من قتل قتيلاً فله سَلَبه" فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم.

وعنه أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفر، حتى لقي الله.

وعنه أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عامًا.

وقيل: أن أبا طلحة غزا بحر الروم فتوفي في السفينة، والأشهر أنه مات بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان.

قلت: وما روينا عن أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا. والله أعلم)[4].

ثالثًا – من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في رمي الجمرة والنحر والحلق:

فقد بيّن أنس بن مالك رضي الله عنه سنة النبي في يوم النحر وهي: رمي جمرة العقبة، ونحر

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦١، ٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٥٦١١، ومسلم ٩٩٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٦/٣ رقم ١٣١٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١١١/٣ برقم ١٢٠٩٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٤) انظر: صفة الصفوة، ابن الجوزي ٢١٥/١-٢١٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٧/٢ - ٣٤.

الهدي، والحلق أو التقصير والحلق أفضل، وكان من هديه في (الحج) الحلاقة، لكنه ﷺ لم يطلق هذا الهدي، بل أشار إلى عادة من عاداته وهي الأخذ بالجانب الأيمن أو الابتداء باليمين في أفعاله والتي منها الحلاقة؛ فإنه كان يحبُّ ﷺ التيمن في شأنه كله، وبعد ذلك أمر بتوزيع شعره على الناس، حرصًا منه على تشريكهم في التبرك به وفي ثوابه[١]، ثم دخول مكة فيطوف طواف الإفاضة.

والسنة في هذه الأعمال الأربعة أن تكون مرتبة كما ذكرنا لهذا الحديث الصحيح، فإن خالف ترتيبها فقدم مؤخرًا أو أخر مقدمًا، جاز للأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم بعد هذا: ((افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ))[٢][٣]؛ فينبغي أن يحرص المدعو على اتباع هدي النبي ﷺ يوم النحر.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٣، ٤٠٧.

(٢) أخرجه الباري ٨٣، ١٧٣٦، ومسلم ١٣٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حرص الإسلام على تقديم اليمين على اليسار في كل فعل محمود يفعل، ويقدم اليسار على اليمين فيما سواه من أمور الخلاء، والحكمة في هذا مراعاة طبيعة النفس وطباع الآخرين، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على التيامن في كل ما هو من باب التكريم:

إن من الأهداف السلوكية التي ترمي التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على استحباب التيامن في كل ما هو من باب التكريم، وعنوان الباب الذي أورده الإمام النووي والأحاديث التي جاءت تحته تومئ إلى هذا، ومن ذلك ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلِّهِ: في طهوره وترجله وتنعُّله»، وقولها أيضًا: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه ....»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ....»، وحديث حفصة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ....».

وهذه الأحاديث تبين حب النبي ﷺ للتيامن وتقديمها واستعمالها في كل ما هو فيه تكريم، قال الإمام النووي: "وهذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر وهو مشطه، ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها والله أعلم"[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

وقال ابن مفلح: " ويكره لكل أحد أن ينتثر وينقي أنفه ووسخه ودرنه ويخلع نعله، ونحو ذلك بيمينه مع القدرة على ذلك بيساره مطلقًا، ويتناول الشيء من يد غيره باليمنى، وإذا أراد أن يناول إنسانًا توقيعًا أو كتابًا فليقصد يمينه"[١].

واليمين لها فضل وكرامة فأصحاب الجنة هم أصحاب اليمين، والمؤمن يقرأ كتابه بيمينه فالتيامن له كرامة وشرف، قال ابن الجوزي: "لما جعلت الشمال للاستنجاء ومباشرة الأنجاس، واليمنى لتناول الغذاء، لم يصلح استعمال أحدهما في شغل الأخرى لأنه حط لرتبة ذي الرتبة ورفع للمحطوط، فمن خالف ما اقتضته الحكمة وافق الشيطان"[٢].

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية لما يوجه إليه، ومما جاء في أحاديث الباب يوضح هذا الحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلِّهِ: في طهوره وترجله وتنعُّله»، وحديثها أيضًا: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى»، وحديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل يساره لما سوى ذلك». ومن الممارسة العملية أيضًا حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَتَىٰ مِنًى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا. ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: «خُذْ» وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ».

ففي جملة هذه الأحاديث تتضح الممارسة العملية من النبي ﷺ في استعماله اليمين وحبه للتيامن في كل ما هو من باب التكريم.

"وأسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب الممارسة العملية وتؤمن بأنه هو

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٤٣/٣.

(٢) كشف المشكل، الإمام ابن الجوزي، نقلًا عن كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص١٥٧.

الترجمة الحقيقية لآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك؛ لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد، وأن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا مارسوا ما تعلموا من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة"[(١)].

إن الممارسة العملية أمام النشء تعطيه قوة دافعة إلى التنفيذ الفعلي للتوجيهات التربوية، وتحفيزه إلى الالتزام والتطبيق.

"إن أسلوب الممارسة العملية يعد من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم، وقائمًا على أساسه وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران ويطالب الدين الإسلامي كل معتقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا.

وأسلوب الممارسة العملية له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل"[(٢)].

ثالثًا: التوجيه المباشر:

من أساليب التربية التوجيه المباشر وهو يتمثل في توجيه المتربي إلى الفعل وطلب تنفيذه، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها: «ابْدَأْنَ بمَيَامِنِها ومَوَاضِعِ الوُضوءِ مِنها»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا لبستم وإذا توضأ تم فابدؤوا بأيمانكم».

"وأسلوب التربية بالتوجيه المباشر يعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، وذلك من خلال البيان والإرشاد حيث يقوم المربي

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، ص٨٦، ٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧.

بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه، أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بأن يلقي الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1]. أو بصيغة النهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ...﴾[2]. وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي"[3].

خامساً- التربية على التنظيم:

إن حضّ النبي ﷺ على البدء باليمين في كل ما هو من باب التكريم، إن حضه على ذلك بالفعل والقول يمكن أن يستنبط منه أنه تربية على التنظيم والترتيب، فاليد اليمنى تستخدم في أشياء معينة واليد اليسرى تستخدم في أشياء أخرى، فكان في ذلك دلالة على حب التنظيم ولو في الأشياء الحياتية المعتادة، وأما في الأمور ذات الخطورة فكان التنظيم فيها أولى.

لذا ينبغي على المربين والمعلمين أن يغرسوا في نفوس المتعلمين والمخاطبين حب التنظيم في كل شؤون حياتهم لما في ذلك من أثر كبير في تحقيقهم النجاح المأمول في الدنيا والآخرة، وبدون تنظيم تهدر الأوقات الثمينة وبدون التنظيم تذهب الجهود القيمة هباءً، وبدون التنظيم تبعثر الجهود المجتمعة ولا تأتي بالنتائج المرجوة.



---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٤.

٢- كتاب آداب الطعام

١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره

الحديث رقم (٧٢٨)

٧٢٨- وعن عُمَرَ بنِ أبي سَلَمة رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن ابي سلمة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩٩).

الشرح الأدبي

لم يدع الإسلام كبيرة، ولا صغيرة في حياة الإنسان إلا وضع لها منهجاً معتدلاً يحكمها وما ترك رسول الله عملاً يقرب من الله إلا علّمنا إياه، والمؤمن إذا تتبع أوامر الله وسنن نبيه وجد نفسه يحيا في معية الله كل حركة بذكر، وكل ذكر بنية لله تعالى فيصير - دون عناء - في عبادة لله في كل أحواله.

وتوجيهات الرسول ﷺ في هذا الحديث من تلك النوعية التي تحوّل العادة إلى عبادة، وقد بدأ بالأمر (سم الله) أي اذكر اسم الله، وهو أمر توجيه وإرشاد يحقق البركة في الزاد، ويردُّ الفضل إلى صاحبه، ويصير المؤمن به شاكراً لربه متبعاً لرسوله ﷺ، وقوله (وكل بيمينك) هو كسابقه توجيه، وإرشاد إلى ما يرضى ربه، ويعجب رسوله، ويؤجر باتباعه، والباء للاستعانة أي مستعيناً بيمينك، وقوله (وكل مما يليك) وهو أدب اجتماعي يراعي حال جميع الآكلين، وهو سلوك قد يبدو بسيطاً، ولكنه في الحقيقة ترسيخ لمبدء الإلتزام في جميع الحقوق، والواجبات، ويربي المؤمن على عدم التجاوز، وتخطي الحدود لاسيما إن كان المأمور صغير السن.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٢٩٩).

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- التسمية في أوله: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يستحب التسمية قبل الأكل، فيقول (بسم الله) وهو أقلها، فإن قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أكمل وأحسن. كما يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره وينبهه عليها، ولو ترك التسمية في أول الطعام لعارض ما (عامداً أو ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً أو عاجزاً) ثم زال ذلك العارض، وتمكن أثناء أكله، يستحب أن يسمى ويقول: "بسم الله أوله وآخره".

بينما ذهب ابن حزم إلى أنها فرض على كل آكل عند ابتداء أكله[2].

٢- الأكل باليمين: يسن الأكل باليمين، وصرّح الشافعية والحنابلة بأنه يكره الأكل أو الشرب بالشمال، إلا من ضرورة، أو عذر، كمرض، أو جراحة، فإن كان فلا كراهة[3].

٣- الأكل مما يليه: اتفق الفقهاء على أنه من السنة أن يأكل الإنسان مما يليه في الطعام مباشرة، ولا تمتد يده إلى ما يلي الآخرين، ولا إلى وسط الطعام، لأن أكل المرء من موضع صاحبه سوء عشرة وترك مروءة، فقد يتقذره صاحبه، لا سيما في الأمراق وما شابهها، ويستثنى من ذلك، ما إذا اختلفت الأنواع، أو كان نحو

---

(١) اي احاديث الباب.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، ورد المحتار ٣٠١/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن ابي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٥/١٢، والمحلى، ابن حزم ١٠٣/٦.

(٣) الاختيار ٣٤/٤، والقوانين الفقهية ٤٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٤/٥، والمحلى، ابن حزم ١٠٣/٦.

الفاكهة، والتمر، مما يتنقل به، فيأخذ من أي جانب شاء[1].

٤- الحمد في آخره: اتفق الفقهاء على أنه يسن للآكل أن يحمد الله عقب الفراغ من الطعام، فإن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها.

وقد وردت صيغ كثيرة للحمد والدعاء، بعد الفراغ من الطعام، ولا يتعين شيء منها، فبأيها ختم طعامه أصاب السنة[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، والقوانين الفقهية ٤٧٧، ومغني المحتاج ٢٥٠/٣، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٧/٩، ٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥، ١٩٧. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١٢/٧ .

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٨/٦.

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩٩).

الحديث رقم (٧٢٩)

٧٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، فإنْ نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى في أوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بسم اللهِ أوَّلَهُ وَآخِرَهُ)) رواه أبو داود والترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبيِّن، ويؤكد أهمية التسمية قبل تناول الطعام حتى أنه ﷺ أمر من نسيها قبل الطعام أن يتداركها في أثناء الطعام، وهو ما روته عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد بدأته بأسلوب خبري مؤكد تعظيماً له، وقد صاغ الرسول ﷺ المعنى في ثوب الشرط الذي يجعل البسملة مقرونة بالأكل لا يجب أن تنفك عنه، ومعنى قوله (إذا أكل) أي إذا أراد أن يأكل، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وقوله (فليذكر) الفاء واقعة في جواب الشرط، وتنادي بالسرعة، وعدم تأخير ذكر الله، ثم إن الجملة الدعائية المعترضة (تعالى) بعد لفظ الجلالة فيها تنزيه، وتقديس يورث الهيبة ويرغِّبُ في الذكر، وقد استخدم (إذا) للدلالة على تحقق وقوع التسمية، واستخدم (إن) الشرطية للدلالة على الشك في تحقق الوقوع أي: وقوع النسيان، وهذا من حسن الظن بالمسلمين، وأنهم قلَّما ينسون التسمية، وفيه إشارة أنه لا ينبغي للمسلم أن ينسى ذلك، وبين قوله: (يذكر، ونسي، وبين أوله، وآخره) طباق يوضح مضمون الحديث بين ذكر الله أولاً، أو نسيانه، وتداركه آخراً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧) واللفظ له، والترمذي (١٨٥٨). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢١٤)، وقال الحاكم (١٠٨/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: آداب التسمية عند الأكل.

ثالثاً: من واجبات الداعية: تعليم المدعوين الآداب الإسلامية في الأكل.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل التسمية على الأكل.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "فليذكر اسم الله تعالى" وقوله "فليقل بسم الله أوله وآخره" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من توجيه المدعو إلى الخير وحمله عليه، وقد جاء في القرآن الأمر بأمر الإنسان لمن له ولاية عليه فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[1].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: آداب التسمية عند الأكل:

ذكر النبي ﷺ في الحديث أدب التسمية عند الأكل فقال "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره" والمقصود عود البركة عليه، ومنع الشيطان من الطعام، فليتقيأ ما أكله قبلها لما أتى به بعدها[2] فإن التسمية من الآداب البارزة للطعام، وهي أول ما يبدأ به كما قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عباس "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" وقد أجمع العلماء على استحباب التسمية على الطعام في أوله[3] وذلك حفاظاً على بركة الطعام فإن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه[4].

وصيغة التسمية أن يقول: "بسم الله، ولو زاد الرحمن الرحيم كان حسناً؛ فإنه أكمل

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٠٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٣٢/٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٥/٢.

لأنها بركة الطعام، فيكفي القليل بها وبدونها لا يكفي"[١].

ثالثاً - من واجبات الداعية: تعليم المدعوين الآداب الإسلامية في الأكل:

إن الداعية تحمل مهمة التبليغ للدين، وتعليمه الناس بكل أسسه ودعائمه وإرشاداته، وذلك انطلاقاً للداعية من شعوره بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، من تبليغ الناس آداب الدين وتعاليمه[٢] حتى ولو كان في نظر الناس شيئاً هيناً كآداب الطعام والشراب، ولذا لم نجد النبي ﷺ يهمل شيئاً، وإنما أطلع الأمة على الآداب كبيرها وصغيرها، ومنها ما ورد في الحديث من أدب التسمية على الطعام "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى". وذلك من الآداب النبوية الكريمة التي ينبغي مراعاتها عند تناول الطعام لما فيها من تذكر نعمة الله تعالى، وطلب بركة الطعام وحفظه عن الشياطين، فيسمى الآكل في أول طعامه، ويأكل بيمينه وطلب الاستفادة من الطعام بالتقوِّي على فعل الخير به، وعدم الانهماك في تناوله إلى درجة فقد الشعور، ومن فوائد هذا الحديث: أنه يستحب أن يجهِر بالبسملة لينبه غيره، وليسمع الشيطان ذكر الله فيهرب، لكن أقل ذلك أن يُسمع نفسه حيث لا مانع، لأن العلماء قالوا: يستحب في الأذكار الواردة التلفظ بها بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع[٣]، وفي الحديث بيان أن عمل المؤمن كله حتى العادي كالطعام والشراب، بالله ولله[٤].

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فضل التسمية على الأكل:

إن من آثار وفضل التسمية على الطعام حصول البركة فيه، ولذا جاء في الحديث إرشاد النبي ﷺ إلى التسمية على الطعام فقال "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى"، كما أنه كان من هديه ﷺ وسيرته في الطعام ذكر الله، فكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره[٥]. وذلك سبب لحلول البركة في الطعام، يقول

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، ١٠٢/٢.

(٢) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٤.

(٣) إذا الألباب في شرح منظومة الآداب ١٠٢/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٣٨.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٤٨/١.

الإمام ابن مفلح المقدسي: (والتسمية بركة الطعام يكفي القليل بها، وبدونها لا يكفي كما دلت عليه الأحاديث، ومنها ما روي عن أبي أيوب الأنصاري ((كنا عند النبي ﷺ يوماً، فقرب طعاماً، فلم أر طعاماً كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا، ولا أقل بركة في آخره، قلنا: كيف هذا يا رسول الله؟ قال: لأنا ذكرنا اسم الله عزَّ وجلَّ حين أكلنا، ثم قعد بعد ذلك من أكل ولم يسمِّ فأكل معه الشيطان))[1][2].

ويشهد لذلك أيضًا ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ))[3].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٣٠٩، ٣١٠.

(٢) اخرجه أحمد ٥/٤١٦، رقم ٢٣٥٢٢، وقال محققو المسند: حديث حسن اخرجه أحمد بسند ضعيف، ويشهد له حديث حذيفة عند مسلم "وإن الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه" ٣٨/٥٠٤.

(٣) اخرجه مسلم ٢٠١٧.

الحديث رقم (٧٣٠)

٧٣٠- وعن جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقولُ: ((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ (لأَصْحَابِهِ)[1]: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أدْرَكْتُمُ المَبِيتَ؛ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أدْرَكْتُم المَبِيتَ وَالعَشَاءَ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الحديث السابق نفسه ويقرر أهمية التسمية عند كل عمل حتى عند الدخول، والخروج، وهي أمور إذا حافظ عليها المؤمن أصبح يتقلب في ذكر دائم لله، وفي معيته، ومن كان في معية الله لم يصحبه شيطان، وهذا ما يؤكده نص هذا الحديث الذي بني على الشرط المكون من أداة الشرط (إذا) الدالة على تحقق ما بعدها، والفعل الماضي (دخل) يفيد تحقق والوقوع، وقوله (فذكر الله) معطوف على (دخل) والفاء تلغي الزمن بين الدخول، والذكر، وقوله (عند دخوله) يؤكد هذا، ويحدد للذكر وقتاً مخصوصاً تتحقق به الغاية، ويفوت بتركه الغرض، وكذلك قوله (وعند طعامه) أي عند إرادة الطعام، وحكاية قول الشيطان في قوله: (قَالَ الشَّيْطَانُ لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ) تصوير للأثر المترتب على التسمية من خيبة أمل الشيطان، وحزنه على فوت الفرصة للتغلل في حياة المؤمن لإفسادها أو انتقاصها.

ولذلك جاءت الصورة المقابلة (وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ...) لتحكي الأثر المترتب على عدم التسمية، وهو استيلاء الشيطان، وأعوانه على طعام المؤمن، واحتلال بيته، وليس هناك أقبح من بيت سكانه من الشياطين.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف رحمه الله.

(٢) برقم (٢٠١٨/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٣).

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام.

ثانياً : من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام.

ثالثاً : من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

رابعاً: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام:

بين النبي ﷺ في الحديث أنه من فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام حلول البركة، وعدم مشاركة الشيطان للإنسان في المبيت والطعام، فقال ﷺ: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء"، والهدف من ذلك قصر البركة في الطعام والمبيت، ومنع الشيطان منهما(١).

وذلك من أسباب الهناء بالطعام والشراب والمبيت وما شابه ذلك، قال ابن القيم: وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته، قال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحُمِدَ الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حل(٢).

ثانياً - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام:

إنه مما ينبغي مراعاته على المدعو اتباعه هديه ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام، استجابة لأقواله ﷺ ومنها ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تعالى))(٣) مبيناً العلة من ذلك في الحديث "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء" وإن اتباع هديه ﷺ والتأسي به من الأمور الواجبة، فقد ألزم الله سبحانه وتعالى الناس على اختلاف مستوياتهم وأجناسهم

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٠٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٧٦٧، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٠٢).

أن يتخذوا من رسوله ﷺ القدوة الطيبة والأسوة الحسنة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١) وأهمية القدوة الحسنة التي امتاز بها رسول الله ﷺ عامة ليست خاصة بالاقتداء به في العبادات، بل تشمل الاقتداء به في سائر الأمور إلا ما كان من خصائصه ﷺ(٢).

واتباع هديه ﷺ في المطعم والمشرب ونحوهما لون من ألوان الدعوة فكما أن الدعوة بالكلمة، فإنها تكون أيضاً بالفعل الجميل، والتفاعل مع ما جاء في الإسلام من إرشادات(٣).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله عند الدخول للمنزل وعند الطعام بحلول البركة فيهما وحرمان الشيطان منهما، والترهيب بعكس ذلك فقال "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء" وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه، والتحذير من نقيض ذلك.

رابعاً – من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم:

إن من أبرز صفات الداعية إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وما فيه صلاحهم وتحذيرهم مما يضرهم، وغايته في ذلك صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين، وإن اضطلاع الداعية بالإرشاد شرف ورفعة في المنزلة، إذ أنّه وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنِهم من العلماء العاملين، والهداة الراشدين، والعظماء المجاهدين، فإنهم

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد محمد هادي مدخلي ص ١٦.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

إنما بعثوا لهداية العالم وسن طريق السعادة للناس في الدارين، بتعليمهم عند الجهالة، وإيقاظهم من الغفلة، ووقفهم عند حدود الأدب، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في إرشاد الناس حتى في آداب طعامهم ودخولهم منازلهم كما في الحديث "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء..."[1].

---

(١) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢، ٧٣.

الحديث رقم (٧٣١)

٧٣١- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا إذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَاماً، لَمْ نَضَعْ أيدِينَا حَتَّى يَبْدأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً، فَجَاءتْ جَارِيَةٌ كَأنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أعْرَابِيٌّ كأنَّمَا يُدْفَعُ، فَأخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإنَّهُ جَاءَ بِهذِهِ الجارية لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعرابيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّ يَدَهُ في يَدِي مَعَ يَدِهِمَا**[1])) [2].

[3] ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

تُدْفَعُ: أي لشدة سرعتها[5].

---

(١) لفظ مسلم: (يدها) قال النووي في المنهاج (١): هكذا في معظم الأصول: (يدها) وفي بعضها: (يدهما) فهذا ظاهر، والتثنية تعود إلى الجارية والأعرابيّ، ومعناه: أن يدي في يد الشيطان مع يد الجارية والأعرابيّ، وأما على رواية: (يدها) بالإفراد، فيعود الضمير على الجارية، وقد حكى القاضي أن الوجه التثنية، والظاهرُ أن رواية الإفراد أيضًا مستقيمة، فإنَّ إثبات: (يدها) لا ينفي يدَ الأعرابيّ، وإذا صحّت الرواية بالإفراد وجب قبولها وتأويلها على ما ذكرناه.

(٢) برقم (٢٠١٧/١٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٥).

(٣) قال الحميدي في جمعه (٢٩٣/١، رقم ٤٢٣): زاد عيسى بن يونس، ثمَّ ذكره، ورواية عيسى بن يونس أخرجها مسلم بعد حديث (٢٠١٧/١٠٢)، والنووي أدرج اللفظين مع بعض مما يوهم القارئ أن جميعه حديث واحد، ولم ينتبه أحدٌ ممن اشتغل في هذا الكتاب على ذلك. ولم يذكر المنذري في ترغيبه اللفظ الأخير.

(٤) بعد حديث (٢٠١٧/١٠٢).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

يَسْتَحِلُّ: يتمكن من أكله، والمعنى أن الشيطان يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله[١].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر ما مرَّ في الحديث السابق من أن ترك التسمية عند دخول البيت يفتح بابه للشيطان، وكذا تركها عند الطعام يدعو إليه الشيطان، وهذه الواقعة التي يرويها الراوي تكشف عن حيلة من حيل الشيطان يستحل بها ما للإنسان، وهي إغراء الصغار، والغافلين بأخذه دون تسمية، وقد صوّرَ ذلك الصحابي بعدة أساليب منها: رصد الحركة في الصورة مع تتابعها السريع، وذلك عن طريق استخدام الفاء العاطفة دون غيرها من أدوات العطف لأنها تفيد سرعة الأحداث مع تتابعها في ترتيب السبب على المسبب (فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا).

ومنها: التشبيه: الذي يجسِّد الحركة الخاصة في الأخذ (فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ) ووجه الشبه قوة الاندفاع وشدة الهجمة، واستخدام (كأن) أداةً للتشبيه يؤكد قوة الشبه، وقد أصاب الحقيقة لأنها كانت مدفوعة من قِبَل شيطان، وهذا التشبيه يؤكد على ضرورة التسمية، وقوله (فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا) كناية عن منعها حتى لا يستغلها الشيطان وقد كشف الرسول ﷺ سر هذا الاندفاع كما كشف عن سر منعه للجارية والأعرابي عن الطعام بقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وقد أكَّد كلامه بأكثر من مؤكد لغرابة الخبر لأنه ﷺ يرى ما لا يرون وقوله (يستحل) معناه يطلب حلَّه، ويشير هذا المعنى إلى أن الشيطان ممنوع بقوة الله عن ما يخص الإنسان، وأن التسمية هي المانع له، وأنه يبحث عن سبب يأخذ به.

وقول الرسول ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا) طبيعة هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

بالتكذيب يوحي بأهمية ما بعده وهو قوله: (إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا) لأن القبض على يد شيطان والإمساك به خبر غير معهود يحتاج إلى كثافة المؤكدات وهذه خصيصة للنبي ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ.

ثانياً: من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل والصلاح والعلم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: التعليم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ.

لقد ضرب الصحابة ﷺ أروع الأمثلة في التأدب وحسن التعامل مع رسول الله ﷺ، وقد ورد في الحديث صورة من صور أدب الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ في قول حذيفة ﷺ: "كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده" وذلك التوقير إنما هو امتثال لما افترضه الله تعالى من توقير للنبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[1] فقوله: وتعزروه وتوقروه، أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي تعظموه وتجلّوه، وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم"[2].

ويتفرع على توقيره ﷺ تعظيم أمره ووجوبه طاعته، وقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ذلك، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١] ثم توضح آيات القرآن أن الإيمان ليس مجرد عقيدة باهتة، بل من مقتضى الإيمان الالتزام والاتباع، إنه الاتباع الكامل لمنهج الله تعالى، هذه هي الصورة الحقيقة لهذا الدين[٢]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾[٣].

ثانياً - من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل والصلاح والعلم:

إنَّ من الآداب التي ينبغي التحلي بها احترام وتقدير أهل الصلاح والفضل، وفي تعامل الصحابة لرسول الله ﷺ مَثَلٌ أعلى في ذلك كما جاء في الحديث "كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده" قال النووي: (فيه بيان هذا الأدب، وهو أن يبدأ الكبير والفاضل في غسل اليد للطعام وفي الأكل)[٤]. وفي ذلك تربية وتدريب على احترام أهل العلم والفضل، وكذا احترام الصغير للكبير، ومعرفة أقدار الناس[٥].

ثالثاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

اشتمل الحديث على وسيلة التعليم من خلال تعليم النبي ﷺ آداب الأكل من تسمية وذكر الله تعالى وذلك بالطريقة القولية "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالى عليه" وبالطريقة العملية بمنع الجارية والأعرابي من الأكل بغير ذكر الله تعالى "فأخذ رسول الله ﷺ بيدها" ثم تطبيقه ﷺ عملياً للذكر قبل الأكل "ثم ذكر اسم الله تعالى، وأكل" والتعليم من وسائل الدعوة المفيدة لما فيه من

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي ص ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

(٥) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٣، ٢٨٤.

إيجاد نهضة فكرية وتعليمية، وهو سر نجاح الأمم ونقلها من الظلمات إلى النور[١]. ولقد كانت أول آيات القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] فهذه الآيات تبرز حقيقة التعليم، وتبين أهمية التفقه، وتعطي الأولية للتعلم[٣].

رابعاً - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ "والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديها" وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المؤثرة، لما فيه من التأكيد والتعظيم وجمع الانتباه[٤]، وإيقاع الدعوة في قلب المدعو موقع القبول والتسليم. ولقد استخدم القرآن أسلوب القسم في تقرير كثير من القضايا والأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٥] وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٦].

خامساً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام:

إن لذكر الله تعالى عند الطعام فضلاً لا ينكر ومنه ما بينه النبي ﷺ في الحديث من منع الشيطان وحرمانه منه، وإحلال البركة فيه، فنهى ﷺ في الحديث عن الأكل بغير ذكر الله عملاً وقولاً "فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله تعالى عليه" يقول ابن القيم: (والحكمة في التسمية حرمان الشيطان من مشاركة الآكل المسمى في طعامه)[٧].

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٤٧.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٣٦٣.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٧.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٦) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٧) الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

وليس هناك من يرضى أن يشاركه الشيطان في طعامه ويمنعه من بركته، قال ابن عثيمين: (والتسمية على الأكل واجبة، إذا تركها الإنسان فإنه يأثم، ويشاركه الشيطان في أكله، ولا أحد يرضى أن يشاركه عدوه في أكله، فإذا لم تقل: بسم الله، فإن الشيطان يشاركك فيه)[1].

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٥١.

الحديث رقم (٧٣٢)

٧٣٢- وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ الصحابيِّ ﷺ ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ جَالِساً، وَرَجُلٌ يَأكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ الله[(١)] حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: ((**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**)) رواه أبُو داود والنسائيُّ[(٢)].

ترجمة الراوي:

امية بن مخشي: هو أمية بن مخشي الخزاعي.

صحب النبي ﷺ، ثم سكن البصرة.

روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في التسميةِ عند الأكل، رواه عنه: ابن أخيه، وقيل ابن ابنه المُثَنَّى بن عبدالرحمن[(٣)].

غريب الألفاظ:

استقاء: أخرج ما في جوفه قيئاً[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل خبراً طريفاً وموقفاً يراه النبي ﷺ بما كشف له من الغيب يرى شيطاناً يأكل مع إنسان لم يسم الله تعالى وهو ما يبين سر الجمع بينهما، وهو عدم

---

(١) لفظهما: (فلم يسمِّ).

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٦٨ واللفظ له، والنسائي في الكبرى ٦٧٢٥، و١٠٠٤٤. وقال الحاكم ١٠٩/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٤).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٢/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٨٤/١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٨٦/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٨٨/١-١٨٩.

(٤) انظر: ل في (ق ي أ).

ذكر الله تعالى مما يكشف عن أهميتها، وقد صاغ الصحابي المعنى في أسلوب خبري يناسب أسلوب القص، والحكاية، والفعل المضارع في قوله (وَرَجُل يَأْكُل فَلَمْ يُسَمِّ الله) يصوِّر الحدث وقوله: (فلم يسم الله) تحدد موضع الخطأ وقوله: (حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة) أسلوب قصر بطريق النفي والاستثناء يؤكد انتهاء طعامه إلا لقمة سيكون عندها نقطة التحول، ويدرك بها ما فاته وقوله قال: (قال بسم الله أوله وآخره) الباء للاستعانة أي أستعين بالله، أو للابتداء أي: أبدأ بسم الله، وقوله (أوله وآخره) طباق يقرر المعني، ويحيط بذكر الله طعامه فيحفظه من الشياطين، ولا يترك للشيطان مدخلاً إلا أن يقيء ما أكل، وهو ما أضحك الرسول ﷺ على خيبة الشيطان من جهة، وعلى تذكر الرجل، وإدراكه ما فاته بذكر الله من جهة، وقوله (ما زال) يقرر استمرار الشيطان في الأكل مع هذا الغافل حتى ذكر الله، والفعل المضارع (يأكل) يستحضر الصورة، والظرف (معه) يؤكد المشاركة، وقوله (استقاء) فيها معنى طلب القيء، وكأن الشيطان لما سمع ذكر الرجل لله اشتعل ما أكل في بطنه ناراً فأراد الخلاص منه، وهذه القصة تؤكد قيمة البسملة وأثرها في حفظ الإنسان، وأثرها في طرد الشيطان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية ذكر الله عند الطعام.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين، وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية ذكر الله عند الطعام:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية على بيان أهمية ذكر الله عند الطعام جلباً للبركة فيه وحرماناً للشيطان من مشاركة الآكل فيه[1]. وكما جاء في الحديث تأثير التسمية في بركة الطعام أو حرمان الشيطان "كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة واحدة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله

---

(١) انظر: الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

وآخره، فضحك النبي ﷺ ثم قال: "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه" قال ابن القيم: (وللتسمية في أول الطعام والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته، وقال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً، فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحُمِد الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حِلٍّ)[1].

ولما بدا لذكر الله على الطعام من أهمية بالغة، كان من الأهمية بمكان أنه ينبغي على الداعية أن يولي تعليم الناس الأدعية والأذكار اهتمامًا خاصاً لما فيها من إظهار العبودية لله تعالى، واستحضار ذكر الله تعالى واستصحابه، وصَبغ حياة الإنسان به، فحياة الإنسان كلها لله وبالله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

ثانياً - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم:

إن من أبرز واجبات الداعية الواجب التحلي بها: بيان الحقائق للمدعوين حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] وإرشادهم إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين[4]. وقد جاء في الحديث ما يشير إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من بيان الحقائق وذلك في قوله ﷺ "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه".

وفي ذلك تبيين من الرسول ﷺ لحلول البركة في الطعام وحفظه من الشيطان إذا ذكر اسم الله عليه، وفقدان ذلك كله إذا لم يذكر اسم الله عليه، وفي ذلك إرشاد

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

وتحذير وتلك مهمة الدعاة والعلماء قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[١].

ثالثاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في التسمية وذكر الله على الطعام، حتى يُبارك في الطعام، ويُحرم الشيطان من المشاركة في الأكل، فقال ﷺ عن ذلك الرجل الذي تذكر وذكر اسم الله عند آخر لقمة، مما يرغّب في ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه" وأسلوب الترغيب من آكد أساليب الدعوة استخداماً وتأثيراً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[٢]، وبما فيه الصلاح في الأولى والآخرة. قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

وأسلوب الترغيب يولد عند المدعو الرغبة في نيل ما وُعد به، فلا يبقى من الجهد مبذولاً، ولا يدع للهمة ذبولاً، ولا يترك غير القصد مأمولاً، فرغبته لا تدع من مجهوده مقدوراً له إلا بذله، ولا تدع لهمته وعزيمته فتوراً ولا خموداً، وعزيمته في مزيد لا تترك في قلبه نصيباً لغير مقصوده[٤].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ٢٠٧.

الحديث رقم (٧٣٣)

٧٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأكُلُ طَعَاماً في سِتَّةٍ مِنْ أصْحَابِهِ، فَجَاءَ أعْرَابِيٌّ، فَأكَلَهُ بلُقْمَتَيْنِ. فقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أما إنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لكفاكم: لأغناكم واستغنيتم به عن غيره[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق أشار إلى أثر التسمية على الشيطان، وصوَّر ذلك بأسلوب القصة، وهذا الحديث يبيِّن أثر التسمية على بركة الطعام، والحديث يبدأ بأسلوب خبري يسرد الأحداث في تسلسل حيث استحضرت الصورة بالفعل المضارع (يأكل) والذي يوحي بالاستمرارية، وتنكير (طعاماً) للتقليل، وقولها (في ستة) تشير إلى أن البركة كانت

---

(١) بعد حديث (١٨٥٨، بدون رقم). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢١٤)، وقال الحاكم (١٠٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

تنبيه: هذا الحديث تقدم برقم (٧٣٤) أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١) بهذا اللفظ برقم (٧٣٨) وعزاه إلى أبي داود والترمذي، وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وزاد: (فإذا أكل أحدكم طعامه، فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره) وقال المنذريُّ: وهذه الزيادة عند أبي داود، وابن ماجه مفردة.

فرّق النووي بين اللفظين عن عائشة، فأورده برقم (٧٣٤) وعزاه إلى أبي داود، والترمذي وهو كما قال. ثمَّ أورده عن عائشة رضي الله عنها برقم (٧٣٨) وعزاه إلى الترمذي وهو كما قال. والحديث جمعه بين اللفظين في حديث واحد ابن ماجه (٣٢٦٤)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٥٢١٤)، ولم يورد أبي داود، والحاكم إلا بلفظ الأول، وفرقهما الترمذي في جامعه.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ف ا).

حاصلة في الطعام بذكر الآكلين لله مع كثرتهم، وقولها (فجاء أعرابي فأكله بلقمتين) تتابع الفاءات في العبارة يوحي بالسرعة التي تؤكد النَّهم في الأكل ،ويؤكده قولها (فأكله بلقمتين)، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ) تركيب العبارة، وكثافة المؤكدات فيها تؤكد قوة أثر التسمية في بركة الطعام؛ لأنه صدَّرها بأما الاستفتاحية تلاها حرف التوكيد (إن) المتصلة بضمير الشأن المشعر بالتعظيم، وحرف الامتناع لامتناع (لو) الذي يمثل نقطة التقصير، وسبب محق البركة، وهو امتناع التسمية، ثم لام التوكيد المتصلة بالفعل الماضي الدال على تحقق الكفاية، والمتصل بميم الجمع الذي يؤكد أثر التسمية على الطعام مع كثرة العدد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: التواضع.

ثالثاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يحقق لهم الراحة والكفاية.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث، حيث أخبر النبي ﷺ أن التسمية على الطعام سبب للبركة فيه وبتركها تنزع البركة منه[1] فقال ﷺ عن الأعرابي الذي أكل من غير أن يسم "أما إنه لو سمى لكفاكم" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية النافعة، لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق وإرشادهم إليها.

ثانياً - من صفات النبي ﷺ: التواضع:

يبدو ذلك واضحاً جلياً في الحديث في قوله "كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين" وذلك من جم تواضعه ﷺ أنه كان لا يستنكف عن مجالس الأصحاب والأعراب، وتواضعه ﷺ يدل على علو منصبه

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ١٠٠٩.

ورفعة مرتبته، فكان أشد الناس تواضعاً وأعدمهم كبراً، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، قال: ((بَلْ عَبْداً رَسُولاً))[١] فكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس، إلى غير ذلك من الآثار التي تدل على انتهاء رسول الله ﷺ في كمال الأخلاق، واعتدال غايتها[٢].

وذلك يبين لنا ما كان عليه ﷺ من حسن الخلق وجميل التعامل، لذا فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى وعلى كل محب لرسول الله ﷺ التحلي بأخلاقه ﷺ والتي من أبرزها خلق التواضع، والذي جعله الله من أكبر وأظهر سمات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٣].

ثالثاً - من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يحقق لهم الراحة والكفاية:

إن من أبرز المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم ويحقق لهم الكفاية والراحة، كما هو واضح في أحاديث آداب الطعام والشراب، حيث وجّه النبي ﷺ المؤمنين إلى ما يحافظ على بركة الطعام ويُمَكّن من استمرائه ففي الحديث جاء قول رسول الله ﷺ "أما إنه لو سمى لكفاكم" أي بورك لكم في الطعام[٤] وذلك من أسباب الراحة والكفاية. قال ابن القيم: (وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته)[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣١/٢، رقم ٧١٦٠، وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين ٧٧/١٢.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٣، ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٩٢/٢.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية على بيان فضل ذكر الله عند الطعام وبيان أوجهه والتي منها حلول البركة في الطعام، وحرمان الشيطان من المشاركة فيه[1] وجاء في الحديث ما يدل على ذلك، وذلك في قوله ﷺ عن الأعرابي الذي أكل من غير أن يسم "أما إنه لو سمى لكفاكم" وذلك يدل على أن التسمية مطلوبة عند وضع اليد في الطعام أول الأكل[2] رجاء حصول البركة فيه وحرمان الشيطان من الإصابة منه[3]؛ إذ أن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه، لأن الشيطان يأكل معه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه، لأن البركة تنزع منه[4].

---

(١) انظر: الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

(٢) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ١٢١.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٥٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٥/٢.

الحديث رقم (٧٣٤)

٧٣٤- وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: ((الْحَمْدُ للهِ حَمداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُسْتَغْنَىً عَنْهُ رَبَّنَا)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

غير مكفيٍّ: غير مردود عليه إنعامه[2].

مُودَّع: متروك[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جملة الأحاديث التي تربط العادة بالعبادة، وهي نوع من الآداب التي تربط المؤمن بربه، وتجعله - دائماً - نزيل رحمته، ورفيق معيته.

وقول الراوي (إذا رفع مائدته) كناية عن انتهائه من طعامه، ولم يكن له ﷺ مائدة بالمعنى المعروف إلا إذا أريد بالمائدة الطعام نفسه أو بقاياه، وقول الرسول ﷺ (الحمد لله) اللام في الحمد للجنس أي جنس المحامد كلها لله والجملة فيها قصر بتعريف الطرفين يقصر الحمد - على الحقيقة - عليه وحده دون من سواه، ووصفه بأنه (كثيراً طيباً) لأن حمد الله نعمة تستحق الحمد وهكذا تتوالى سلسلة المحامد والتكثير من باب التسديد والمقاربة، ولن يؤدي عبد حقَّ الله في الحمد وقوله (غير مكفي) (يَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ كَفَأْت الإِنَاء، فَالْمَعْنَى: غَيْر مَرْدُود عَلَيْهِ إِنْعَامه.

---

(١) برقم (٥٤٥٨).

(٢) فتح الباري ٩/٤٩٣. وهناك أقوال أخرى في تفسيره انظرها في الفتح.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٩٤.

وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون مِنْ الْكِفَايَة أَيْ إِنَّ اللَّه غَيْر مَكْفِيّ رِزْق عِبَاده، لأَنَّهُ لا يَكْفِيهِمْ أَحَدٌ غَيْره. وَقَالَ اِبْن التِّين: أَيْ غَيْر مُحْتَاج إِلَى أَحَد، لَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْعِم عِبَاده وَيَكْفِيهِمْ، وَهَذَا قَوْل الْخَطَّابِيُّ. وَقَالَ الْقَزَّاز: مَعْنَاهُ أَنَا غَيْر مُكْتَفٍ بِنَفْسِي عَنْ كِفَايَته[1].

وقوله (ربنا) أي يا ربنا وتخصيص الرب بالنداء لأنها تستلزم الرعاية والتربية والحفظ فناسب أن يختم بما فيه مدد النعمة من الطعام ومن الحمد عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام والشراب.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته:

جاء في الحديث هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع مائدته، قال: "الحمد لله حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولا مستغنى عنه ربنا" أي أحمد الله كثيراً طيباً منزهاً عن سائر ما ينقصه من رياء أو سمعة أو إخلال بإجلال[2] غير مكفيٍ، قال القزاز معناه: أنا غير مكتفٍ بنفسي عن كفايته.

وقال الداودي: معناه: لم أكتف من فضل الله ونعمه[3] ولا مستغنى عنه أي عن الطعام وفضل الله، لذا كان من السنة بدء الطعام بالتسمية وختامه بالحمد، قال ابن البناء: (وتحقيق الفقه أن التسمية على الأكل والحمد كلاهما مسنون)[4]. ومن آداب الأكل أيضاً أن يدعو الآكل لمن أكل عنده بدعاء رسول الله ﷺ ((اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني حديث (٥٠٢٧).

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٤٩٣/٩، ٤٩٤.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣١٢/٣.

أَطْعَمَنِي. وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي))[١].

قال النووي: (وفي ذلك الدعاء للمحسن والخادم ولمن سيفعل خيراً، وفيه ما كان عليه الصلاة والسلام من الأخلاق المرضية والمحاسن المرضية)[٢].

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة، ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام الذي يعتبر به في مثل هذه المواطن، فمن ذلك: أن يأكل بلا تكلف، وأن لا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، فإن ذلك يخجلهم، وأن لا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب، كنفض اليد في الإناء والأكل والفم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام، أو مجرد فتح فمه والتجشؤ، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم[٣].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام والشراب:

لقد تفضل الله على عباده بعظيم الفضل على حمده بعد الفراغ من الطعام والشراب ومن ذلك الفضل رضا الله تعالى، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[٤][٥].

وقد بين القرآن أن حمد الله وشكره على نعمه مُؤْذِن بالمزيد[٦]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٧] كما أن حمد الله على الطعام والشراب سبب لغفران الذنوب والآثام، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَكَلَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠١.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٥٥.

(٥) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب ص ١٥٤، ١٥٥.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٧٢/٢.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٧.

طَعاماً فقالَ الْحَمدُ للهِ الّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولاَ قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1]. لهذه الأسباب وغيرها كان حرص النبي ﷺ تعليم أمته حمد الله بعد الطعام، كما هو ظاهر في الحديث "كان إذا رفع ما ئدته قال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنىً عنه ربنا".

ثالثاً - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إن ما ينبغي على المسلم سواء كان داعية أو مدعواً التأسي برسول الله ﷺ في شؤونه وأحواله كلها إلا ما كان خاصاً به ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2] والأسوة اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله، وفي الآية جعل الله متعلق الائتساء ذات رسول الله ﷺ دون وصفٍ خاصٍ، ليشمل الائتساء به في أقواله وأفعاله اجتناب نواهيه وامتثال أوامره[3] والتأسي برسول الله ﷺ في شؤونه كلها، حتى في آداب الطعام والشراب وغيرها مظهر من مظاهر المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ[4] وفي الحديث جانب من الجوانب التي يتأسى فيها برسول الله ﷺ وهو حمد الله بعد الطعام والشراب "وكان إذا رفع مائدته قال: "الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولاموَّدع ولا مستغنى عنه ربنا".

وذلك يفيد أن الحمد الخالص من الرياء والتظاهر، وغير ذلك من الشرور، ليس إلا لله تعالى الذي يكفي غيره احتياجاته ولا يحتاج لأحد، المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه، وما ذاك إلا ليستحضر الإنسان نعم الله عليه في كل ما يتصل به ليرعى حقوق الله تعالى، ويبتعد عما نهي عنه[5].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٥١).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٢/٢١/٨، ٣٠٣.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٤٠.

الحديث رقم (٧٣٥)

٧٣٥- وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : ((**مَنْ أكَلَ طَعَامَاً، فَقَال: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الحمد وبيان فضله جاء في أسلوب خبري خال من المؤكدات لأن الخطاب فيه لخالي الذهن، وقد بني على أسلوب الشرط غير الجازم الذي يربط الفعل بالجزاء ترغيباً فيه، وهوأسلوب شائع في البيان النبوي، وفعل الشرط هو (أكل طعاماً) وما عطف عليه وجوابه جملة (غفر له ما تقدم من ذنبه).

والدعاء الذي ذكره الرسول ﷺ له خصوصية توفر له عناصر القبول، وتحقيق الغاية بمغفرة الذنوب مع آداء شكر النعمة، وطلب المزيد، وهذه العناصر أولها: الثناء على الله (الحمد لله) أي هو المخصوص بالحمد، وثانيها: النَّص على النعمة؛ لأنه أكمل في الثناء على المنعم من حيث أن القلب يكون أكثر إحساساً بها حال حضورها (الذي أطعمني هذا) وثالثها: الاعتراف للمنعم بنعمته (ورزقنيه) ورابعها: الاعتراف بالعجز، والمسكنة (مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ) ولذلك كان الجزاء مغفرة الذنوب لأنه استجمع أسباب القبول.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي ٣٤٥٨) واللفظ في هذا الحديث للترمذي، أما أبو داود فقد زاد: "غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" زيادة في أبي داود. وقال الحاكم (١٩٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان آداب الطعام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى بعد الطعام.

رابعاً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً واضحاً، حيث رغب النبي ﷺ في حمد الله على الطعام بمغفرة الذنوب، فقال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" فجاء في الحديث الترغيب بمغفرة الذنوب بقول تلك الكلمات بعد الفراغ من الطعام التي لا تكلف الإنسان نفقة ولا تعييه نصباً.

وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية وأعظمها تأثيراً، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وقد تكرر أسلوب الترغيب كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبَلِ الداعي المسلم[1].

ثانياً - من مهام الداعية: بيان آداب الطعام:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما ينبغي على الإنسان فعله بعد الفراغ من الطعام ما يؤكد مهمة الداعية في توضيح آداب الطعام، حيث قال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال الحمد الله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" وفي توضيح الداعي للناس الأحكام والآداب، قيام بأمانة التبليغ، وهي أن يبين للناس ما وجب عليه تبليغه، وأن ذلك مما يجعل المحبة للداعية قوية، والثقة به عظيمة، وتأثيره في الناس بالغاً مداه[2].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) انظر: أخلاقية الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٢٤-٢٦.

وذلك مما يسهل على الداعية الارتفاع بهمم من يقوم بدعوتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس على فعل الخير وخير العمل.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى بعد الطعام:

ذكر لنا النبي ﷺ جانباً من جوانب فضل حمد الله تعالى بعد الطعام، بأنه سبب للغفران فقال: "من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي رزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" فحمد الله بعد الطعام أداء شكر المنعم، وطلب زيادة النعمة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] إذ الشكر من دواعي الزيادة واستمرار النعم، فمن شكر أعطى ومن كفر حُرم[2] وفي الحديث حث على ختم الطعام بالحمد لأن المدار على حسن الخاتمة، مع ما فيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما، قدراً ووصفاً ووقتاً، احتياجاً واستغناءً بحسب ما قدره وقضاه[3].

رابعاً - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام:

إن مما يحسن ويجمل بالمسلم اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام من حمد لله وشكره على ما أسبغ من نعم، كما جاء في الحديث ترغيب وبيان لأثر حمد الله بعد الطعام، فقال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من به" وإن اتباع رسول الله ﷺ أكبر دليل وأقوى شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ إذ أن موافقة المحب لمحبوبه دليل على صدق المحبة، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه[4] وفي نفس الوقت دليل على محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٣/٦٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٦٢.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(فهذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما. فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه)[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأصل في النعم أن تذكر بالله وتجلب الشكر للمنعم، ومن هذه النعم نعمة الطعام والشراب، وقد حرص الرسول ﷺ على تربية أصحابه على هذا الخلق في الأكل وإن كان من كسب اليد أو يد الآخر إلا أن تناوله يتطلب ذكر الله عن طريق البسملة، فإذا كان الفراغ من الأكل كان شكر الله على نعمة التناول مع نعمة الإسلام. ومثل ذلك الشرب، البدء بالبسملة والفراغ منه بالحمد شكراً للمنعم على نعمة الماء العذب الفرات الذي ساقه وسقانا منه برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا.

وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على التسمية في أول الطعام والحمد في آخره:

إن من الآداب التي ينبغي غرسها في نفوس المتربين آداب الطعام، ومن أهم آداب الطعام التسمية في أوله والحمد في آخره، ومن أحاديث الباب التي تدلل على هذا المعنى حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَلِيك»، وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ...»، وحديث جابر رضي الله عنهما: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأصْحَابه: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ ...».

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنىً عنه ربَّنا».

وجملة هذه الأحاديث تشير إلى أنه من آداب الطعام التسمية في أوله والحمد في آخره.

"لقد اهتم الإسلام بمراعاة الآداب الاجتماعية العامة، وتتضمن الآداب الاجتماعية أمور الحياة العادية التي تقوم عليها حياة الإنسان في المجتمع، ومن هذه الآداب أدب الطعام والشراب، ومن آدابه التي حرص الإسلام عليها، وعلى تعليمها للمنتسبين إليه تسمية الله والأكل باليمين والأكل من أمام الشخص كما يستحب التحدث على

الطعام، ومن آداب الشرب: استحباب التسمية في أول الشرب والحمد في آخر الشرب"[1].

"ومن الآداب الاجتماعية التي يجب أن يحرص المربي على غرسها وتعميقها أدب الطعام والشراب، وذلك لأن للطعام والشراب آدابًا على المربي أن يعلمها الولد ويرشده إليها، ويلاحظه في تطبيقها، ومن ذلك التسمية في أول الطعام والحمد في آخره"[2].

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية التي ينبغي على المربين أن يسلكوها في العملية التربوية التربية بالمواقف والأحداث حيث يستغل المربي الحدث أو الموقف في التعليم والتوجيه والتربية، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث حذيفة ﵁ قال: «كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تُدفع، ...، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشَّيْطانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللَّهِ تعالى عَلَيْهِ، وإنَّهُ جاءَ بِهَذِهِ الجَارِيةِ ...»، وكذلك حديث أمية بن مخشى الصحابي ﵁ قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فلَمْ يُسَمِّ الله حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فلَمَّا رَفَعَهَا إلَى فِيهِ قال بِسْمِ الله أوَّلَهُ وآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ ثُمَّ قال: مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ الله اسْتَقَاءَ مَا في بَطْنِهِ». وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّهُ لوْ سَمَّى لَكَفاكُمْ».

فمن خلال هذه الأحاديث يتضح أن النبي ﷺ بين ووضح من خلال الموقف والحدث أهمية التسمية على الطعام.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٦١.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٤٣٢/١.

الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها للمسلمين. وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إن المربي الناجح هو الذي يستغل الحدث والموقف في حينه ليعطي توجيهاته وإرشاداته فيكون ذلك أكثر استقرارًا في العقل والقلب "إن من طرق التربية الفعّالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه، وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث -تلقائية كانت أم مخططة- تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب"[2].

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يلمس المتربي التطبيق العملي للفعل المأمور به، ومما ورد في أحاديث الباب يدلل على ذلك حديث حذيفة رضي الله عنه، وجاء فيه «.... والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل»، وكذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيٍّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنىً عنه ربّنا».

والتربية بالممارسة العملية تقنع المتربي، وتحفزه إلى التطبيق والتنفيذ.

"إن أسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والعمل والنظرية والتطبيق والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية، وتؤمن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٤٦.

أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك؛ لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه"[1].

رابعًا- التربية بالترغيب:

إن التربية بالترغيب من الأساليب التربوية المهمة حيث يطمع المتربي في الأجر والمثوبة فيدفعه ذلك إلى العمل، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابه: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ.....». ففي هذا ترغيب في ذكر الله عند دخول البيت، وعند الطعام، لأن ذلك يطرد الشيطان، فلا يجتمع مع أهل البيت في مبيت ولا طعام، ومن الترغيب أيضًا حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعامًا فقَالَ: الحَمْدُ لله الّذي أَطْعَمَني هذَا وَرَزَقَنيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي وَلا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

"والترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويمكن أن نقول: إن الترغيب وعد بالثواب، والمكافأة على عمل حسن قولاً كان أو فعلاً، ويمتاز الترغيب في التربية الإسلامية أنه يعتمد على النصوص القرآنية والنبوية وعمل الصحابة رضي الله عنهم في إقناع المربي والأولاد في الأخذ به وبيان أن الترغيب مرتبط بالإيمان الصحيح والعقيدة السليمة"[2].



---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٦، ٨٧.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢١٨.

١٠١- باب لا يَعيبُ الطّعام واستحباب مَدحه

الحديث رقم (٧٣٦)

٧٣٦- عن أَبي هُريرة رضي الله عنه ، قَالَ: مَا عَابَ رسولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قلب الرسول ﷺ أطهر القلوب وأرضاها بنعمة الله ولم يكن غذاء البطن غاية يسعى إليها يوماً وإنما كان الطعام وسيلة للتقوي على القيام بأوامر الله يقتصر منه على ما يؤدي الغرض دون النظر إلى مسماه، أو ماهيته، بل إنه كانت تمرُّ عليه الشهور ولا يُوقد في بيته نار، وأتت عليه أيام قضاها دون طعام، أفضل خلق الله يربط على بطنه حجراً من شدة الجوع.

وهذا الحديث يؤكد ذلك، وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وهو من أكثر الصحابة ملازمة لرسول الله ﷺ ومعرفة بما يحب ويكره، وقد بدأه بأسلوب خبري تصدَّرته (ما) النافية الداخلة على الفعل الماضي الذي يفيد تحقق نفي الفعل، وتنكيره لـ (طعاماً) يفيد العموم أي: ما عاب قليلاً ولا كثيراً ولفظ (قط) يؤكد ذلك وينفي وَهْم المبالغة، وقوله: (إنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ) فيه طباق بين اشتهاه، وكرهه، وبين أكله، وتركه، وهذا الطباق يوضح كيفية تعامله مع ما يقدم إليه من غير إزدراء لنعمة الله، ولا تجريح لمن أعده.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٨٧/٢٠٦٤).

فقه الحديث

عدم ذم الطعام: ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب للآكل مدح الطعام، ويكره له ذمه، أو تعييبه، فالنبي ﷺ ما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم.

يقول النووي: من آداب الطعام المتأكدة ألا يعاب كقوله: مالح، حامض، قليل الملح، غليظ، رقيق، غير ناضج، ونحو ذلك[١].

قال ابن بطال: هذا من حسن الأداب، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ:

لقد بلغ النبي ﷺ منزلة عالية في كمال الخلق وحسن الأدب، يتضح ذلك من الحديث: (ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط)، قال النووي: "هذا من آداب الطعام المتأكدة وعيب الطعام كقوله: مالح قليل الملح، حامض رقيق غليظ، غير ناضج ونحو ذلك وأما حديث ترك أكل الضب فليس هو من عيب الطعام إنما هو إخبار بأن هذا الطعام الخاص لا أشتهيه"[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٤/٢٦ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٥٩ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣/٢٥٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥/١٩٨، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٣/١٥٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٦.

وقال ابن حجر: "ما عاب النبي ﷺ طعامًا، أي: مباحًا أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، قال: لأن صنعة الله لا تعاب، وصنعة الآدميين تعاب، قلت: والذي يظهر التعميم فإن فيه كسر قلب الصانع، قال ابن بطال: هذا من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب"[١].

وكل ذلك إنما يدل على كمال خلق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان أحد أحسن خُلُقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه رضي الله عنهم ولا من أهل بيته إلا قال لَبَّيْك، وعن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾). أي: على أدب القرآن[٣].

وقد جعل النبي ﷺ صاحب الخلق الحسن من خيار الناس، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا))[٤]، قال النووي: "وفيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه، قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه. قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة. قال: وحكى الطبري خلافًا للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره"[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٩ - ٤٥٩.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٢٢/١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٢٣٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٣٠.

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: "وأما حسن خلقه ﷺ فلقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وقيل لزيد بن ثابت رضي الله عنه: أخبرنا عن أخلاق رسول الله ﷺ؟ فقال: عن أي أخلاقه أخبركم؟ كنت جاره فإذا أنزل عليه الوحي بعث إلي فأكتبه، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنان فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ. وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل بعض بيوته، فامتلأ البيت، ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبي ﷺ فأخذ ثوبه فلفه ورمى به إليه، وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير، ووضعه على وجهه وقبّله"[1].

لقد بلغ النبي ﷺ مبلغًا كبيرًا في حسن الخلق، "وأحسن البشرية أخلاقًا على الإطلاق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ولحسن خلقه وكمال أدبه، فهو محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم، وما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل، وهو أحمد الخلق لربه وهو محمود بما يملأ به الأرض من الهدى والإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح، فتح الله به القلوب وكشف به الظلمة، أغاث الله به البلاد والعباد، وأحيا به الخليقة بعد الموت فمحمد ﷺ أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأصبرهم، وأعظمهم عفوًا ومغفرة ورحمة، وأعظم الخلق نفعًا للعباد في دينهم ودنياهم وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، ولما كانت هذه صفاته وهذه أخلاقه، أمرنا الله عز وجل أن نقتدي به"[2].

ثانيًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إن النبي ﷺ بلغ الغاية والكمال في حسن الأدب والخلق، ولذا كان من آداب المدعو التأسي بالنبي ﷺ، ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده، وإذا كان هدي النبي ﷺ أنه لا يعيب طعامًا قط، فالواجب التأسي بهدي النبي ﷺ في ذلك، لأنه

---

(١) أخلاق النبي ﷺ وآدابه ١٩ - ٢٢.

(٢) موسوعة فقه القلوب، د. محمد بن إبراهيم التويجري ٢٦٤١/٣ - ٢٦٤٢.

الأسوة والقدوة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

قال ابن علان: "وفي الحديث استحباب عدم إعابة الطعام لأن إعابة الطعام تكون من الترفه والرعونة، وليس منها قوله ﷺ في الضب: (إني أعافه)، لأنه إخبار عن طبعه لا إعابة للطعام، وكان من هديه أنه ما عاب طعامًا قط في زمن من الأزمنة، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه من جهة الطبع تركه من غير ذم"[2]، وقال ابن عثيمين: "والذي ينبغي للإنسان إذا قدم له الطعام أن يعرف قدر نعمة الله بتيسيره، وأن يشكره على ذلك، وألا يعيبه ولا يتكلم فيه بقدح أو بعيب"[3].

وقد جعل الله تعالى اتباع النبي ﷺ والتأسي به دليل محبة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على هدى النبي ﷺ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الإسلامي، ويسير على منهج النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله فباتباعه يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحبَّ، ثم قال تعالى: (ويغفر لكم ذنوبكم) أي باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته"[5].

إن المسلم الذي يتأسى بالنبي ﷺ ويتبعه إنما يحقق السعادة لنفسه في الدنيا

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ١٠١١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٥٦/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

والآخرة، "فالمسلم الذي رضي بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ولم يلتفت إلى غير هديه، ولم يعول في سلوكه على غير سنته، وحكّمه وحاكم إليه، وقبل حكمه وانقاد له وتابعه واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فيسكن قلبه لذلك، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره، ويرى نعمة الله عليه وعلى الخلق بهذا النبي ﷺ وبدينه أيما نعمة فيفرح بفضل ربه عليه ورحمته له بذلك، حيث جعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع:

يتضح هذا من الحديث: (ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط)، وهذا يدل على تواضع النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[٢]، ومن تواضعه ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: (كانتِ الأمَةُ من إماء أهلِ المدينة لتَأخُذُ بيد رسولِ اللّه ﷺ فتنطَلقُ به حيث شاءت)[٣]، والدعاة إلى الله من أحوج الناس إلى صفة التواضع "إن التواضع من خير الخلال، وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، والتواضع يمكن الدعاة إلى الله من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم، ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس، مع الكبير والصغير، والغني والفقير، وكل أصناف المجتمع"[٤].

قال الشيخ علي محفوظ: "إن التواضع ومجانبة العجب بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالمرشدين أقبح لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتميزهم بفضيلة العلم، ولو أنهم

---

(١) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، مقال بمجلة البيان، العدد: ٩١ ربيع الأول ١٤١٦هـ/ أغسطس ١٩٩٥م ص ١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل، قال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تُعلمَه أنه ليس لك عليه بدنياك فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تُعلمَه أن ليس له بدنياه عليك فضل"[1].

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ١٠٤ - ١٠٥.

الحديث رقم (٧٣٧)

٧٣٧- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَأَلَ أهْلَهُ الأُدْمَ، فقالوا : مَا عِنْدَنَا إلاَّ خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ، ويقول: ((نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأُدْم: ما يؤكل به الخبز بما يطيبه سواء كان مرقًا أم لا[٢].

الخَلُّ: ما حمض من عصير العنب وغيره[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مؤكد لمعنى سابقه، وهو أن الرسول ﷺ لا يعيب طعاماً قط، إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه، وهو من كمال أخلاقه ﷺ، وقد بدأ الراوي بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه خطاب لخالي الذهن، وقوله (سأل أهله الأدم) طلب من زوجاته ما يؤتدم به، وقد جاءت إجابتهن له بأسلوب القصر الذي ينفي وجود أي أدم غير الخل، وقوله (فدعا به فجعل يأكل به) الفاء تدل على سرعة استجابته بطلبه، والفاء الثانية تدل على سرعة إقباله عليه فعلاً بالأكل، وفي هذا دلالة عملية على منتهى الرضى بما وجد من فضل الله، يدل على ذلك أسلوب المدح في قوله (نِعْمَ الأُدم الْخَلّ) بالإضافة إلى التكرار الذي يدل على منتهى الرضي مع الشكر على النعمة؛ لأن الرضى بالنعمة، وقبولها من مظاهر شكر المنعم.

---

(١) برقم (٢٠٥٢/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٧/٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٠.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (خ ل ل).

فقه الحديث

استحباب الحديث على الأكل تأنيسًا للآكلين[١]، وقد بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب الكلام على الطعام[٢]، ثم قال: (قال الإمام أبو حامد الغزالي في "الإحياء": من آداب الطعام أن يتحدثوا في حال أكله بالمعروف، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان بساطة العيش في بيوت النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة تزكية النبي ﷺ لطعام الخل.

ثالثًا: من صفات النبي ﷺ: التواضع.

رابعًا: من آداب المدعو: مدح الطعام ولو كان بسيطًا والاقتصاد في العيش.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان بساطة العيش في بيوت النبي ﷺ:

لقد امتلك النبي ﷺ الدنيا فزهد فيها وقنع ورضي بالقليل، ورغب في بساطة العيش هو وأهل بيته، يتضح هذا مما جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خل)، وهذا يدل على بساطة عيش النبي ﷺ وأهل بيته.

قال محمد الخضري: "ونبينا ﷺ أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد، وأحلت له

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٧/١٤/، وانظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي ٢٤٤/٥، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية ١٠٧/٤، وأسنى المطالب في صلة الأقارب، أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ٢٢٧/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧٦/٥-١٨٠ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٠/٣٥).

(٢) كما بوّب عليه: مدح الآكل الطعام الذي يأكل منه، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦٢، الحديث ٥٨٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦٤.

الغنائم وفتحت عليه في حياته البلاد، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهمًا، بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين، واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فأنت ترى رسول الله ﷺ حاز فضيلة المال بالزهد فيه، وإنفاقه على مستحقيه[1].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((لم يمتلىء جوفُ رسول الله ﷺ شبعًا قطّ، ولم يَبُثّ شكوى إلى أحدٍ، وكانت الفاقةُ أحبَّ إليهِ من الغِنى. وإنْ كان ليظلُّ جائعًا يلتوي طولَ ليلته من الجُوع؛ فلا يمنعه صيامُ يومه، ولو شاءَ سأل ربّه كنوزَ الأرض وثمارها ورغد عيشها. ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مّا أرى به، وأمسحُ بيدي على بطنهِ ممّا أرى به من الجُوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلّغتَ من الدُّنيا بما يقوتُكَ فيقول: يا عائشة ما لي وللدنيا؟ إخواني من أولي العَزم من الرُّسل صَبروا على ما هو أشدّ من هذا فمضَوا على حالهم، فَقَدِمُوا عَلى ربّهم، فأكرم مآبهم وأجْزل ثوابهم؛ فأجدني أستحيي إن ترفّهتُ في معيشتي أن يُقصّر بي غدًا دونهم، وما مِن شيءٍ هو أحبّ إليّ مِن اللّحوق بإخواني وأخلاّئي قالت: فما أقام بعدُ إلا شهرًا حتى توفي صلواتُ الله عليه وسلامه))[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها أيضًا: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا، مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ)[3]، وعنها رضي الله عنها قالت: (إِنْ كُنَّا، آلَ مُحَمَّدٍ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ. إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ)[4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ شَاةً، وَلاَ بَعِيرًا)[5]، وقالت: (تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ وما في بيتي شيء

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٢٧.

(٢) أخرجه السيوطي في مناهل الصفا ص ٨٣، وقال: الحديث بطوله لم اقف عليه، ولكن اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره... فذكر بعضه بنحوٍ منه، انظر: تعليق محمد أنس مصطفى الخن على نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٩٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٨، ومسلم ٢٩٧٢.

(٥) أخرجه البخاري ٢٧٣٩، ومسلم ١٦٣٥.

يأكله ذو كبد، إلاّ شَطرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي)[١].

وما من شك أن كل هذه الأمثلة تبين مدى بساطة عيش النبي ﷺ، "لقد اختار ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزًا عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها، وعمَّ فيؤها، وأغنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد، ومع هذا كان يمضي الشهر، ولا توقد في بيوته نارٌ مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله. ولقد ضرب النبي ﷺ بذلك المثل الأعلى، وكان فيه القدوة الحسنة لكل من زهد في الدنيا من أتباعه من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم"[٢].

ومن هذا يتضح أن بساطة عيش النبي ﷺ إنما كانت عن زهد في الدنيا، رغم امتلاكه لها، "لقد كان رسول الله ﷺ تنصب بين يديه أموال الجزيرة العربية، وتأتيه أخماس الغنائم، وتؤول إليه فدك وغيرها فيئًا خالصًا له من دون المسلمين، فما وقف قلبه على شيء من هذا، بل كان يصرفه لفوره إلى وجوه البر، والمصالح العامة وربما ربط الحجر على بطنه، يثبت به قلق معدته الجائعة، فما كان جوعه عليه السلام من إقلال، بل عن غنى زهدت فيه نفسه"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تزكية النبي ﷺ لطعام الخل:

إن النبي ﷺ زكّى الخل، وجعله نعم الأدم، فقد جاء في الحديث: (نعم الأدم الخل) وما من طعام زكاه رسول الله ﷺ إلا وفيه خير وبركة ونفع للمسلمين.

قال د. الحسيني هاشم: "ومعنى الحديث: ائتدموا وكلوا بالخبز الخلّ وما في معناه مما تخف مؤونته، ولا تتنافسوا في الشهوات، وفيه مدحٌ للخل نفسه"[٤].

ولقد أثبت التقدم العلمي أن للخل فوائد عديدة، ومزايا كثيرة للإنسان، قال د.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٥١، ومسلم ٢٩٧٣.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ١٩٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤١.

زغلول النجار: "إن الدراسات العلمية أثبتت أن الخل مضاد حيوي جيد يمنع تسوس الأسنان، ويطهر الجهاز الهضمي، ويقضي على ما به من جراثيم وطفيليات، وينشط عمليات الهضم في الجسم، ويعين على محاربة السمنة المفرطة، وفي علاج كل من أمراض الربو والحساسية، وحالات الإسهال الحاد لاحتوائه على عدد من المواد القابضة كما يعين في علاج آلام المفاصل، وتلطيف آثار لدغات النحل، ولدغات غيره من الحشرات والحيوانات البحرية.

ولقد وصف النبي ﷺ الخل بأنه (إدام) والإدام هو ما يؤتدم به، أي ما يتغذى به وما يطيب به الطعام ، والخل حامض من الأحماض الدهنية البسيطة المكونة للزيوت والدهون، التي هي من المكونات الأساسية للطعام لقيمتها الحرارية العالية، وإن كان الإفراط في تناول الدهون قد يكون ضارًا بالصحة، ومن هنا فإن تركيز حمض الخليك في الخل بنسب تتراوح بين ٤ و٥٪ يوحي بأنه غذاء مناسب لصحة الإنسان، ووصف رسول الله ﷺ الخل بأنه (إدام) وبأنه (نعم الإدام) يعتبر سبقًا علميًا مبهرًا؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، إدراك لقيمة الخل الغذائية"[(١)].

وقال د. صالح بن أحمد رضا: "يقول د. سيريل سكوت، وموريس هانس عن فوائد خل التفاح: "إنه يمنع الإسهال لاحتوائه على مادة قابضة، ويمنع تنخر الأسنان، وينشط عملية الهضم والاستقلاب في الجسم، ويقول: إن الخل ليس دواء لكل داء إلا إنه ينشط العمليات الحيوية في الجسم، ويمكن أن يفيد في الوقاية من السمنة، والتهابات الأنف والحنجرة والحساسية، ويقوم الخل بفعل مطهر للأمعاء، وبعض الناس ينصح باستعماله لغرغرة الفم والحلق، فيطهر جوف الفم من الجراثيم، والخل يفيد في علاج الإسهال إلى أن قال: إن الخل يفتح فصلاً رائعًا في الحياة"[(٢)].

ومن خلال هذا يتضح أن ما من شيء يحبه أو يمدحه رسول الله ﷺ إلا ويكون فيه خير كثير لمن تبعه بذلك.

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/٦٦ - ٦٧.

(٢) المرجع السابق ١/٣٠٥ - ٣٠٦.

ثالثًا - من صفات النبي ﷺ: التواضع:

إن النبي ﷺ بلغ الكمال في أخلاقه فهو فيها لا يباري ولا يجاري، ومن جملة أخلاقه الطيبة خلق التواضع، ويتضح هذا من سياق الحديث، ولقد كان ﷺ على أعلى درجات التواضع، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ((ياأبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير))[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما بَعثَ اللهُ نبيًّا إلاّ رَعَى الغَنمَ. فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم، كنتُ أرعاها على قَراريطَ لأهلِ مكةَ))[2]، ولا شك "أن التواضع من أحب الخصال إلى الله، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في التواضع، وبلغ من تواضعه أنه كان في بيته في مهنة أهله، يخدم نفسه ويخدمهم، وكان يجيب دعوة الحر والعبد، وكان يصافح أصحابه رضي الله عنهم وهم جلوس، وكان إذا مرّ على صبيان سلّم عليهم، وكان يكره أن يتمايز على أصحابه رضي الله عنهم بشيء، ولما كان كذلك رفع الله قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة"[3].

قال ابن القيم: "ولقد كان ﷺ من تواضعه يبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بسامًا، متواضعًا من غير ذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب رحيمًا بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم"[4]، ولقد مدح الله نبيه ﷺ في القرآن، أنه كان متواضعًا لين الجانب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٦٢.

(٣) دعوة الإسلام، السيد سابق ص ١٩٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١٢/٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

رابعًا - من آداب المدعو: مدح الطعام ولو كان بسيطًا والاقتصاد في العيش:

يتضح هذا من الحديث: (نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل)، قال ابن عثيمين: "ولما جيء إليه ﷺ بالخل جعل يأتدم به، يعني: يغط فيه الخبز ويأكله ويقول: نعم الأدم الخل، وهذا ثناء على الطعام، لأن الخل وإن كان شرابًا يشرب، لكن الشراب يسمى طعامًا، قال تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾[1]، وإنما سمي طعامًا، لأن له طعمًا يطعم، وهذا من هدي النبي ﷺ أنه إذا أعجبه الطعام أثنى عليه"[2]، وأما الاقتصاد فلا يتحقق إلا بالقناعة والرضا، ومما يعين عليه: "أن يتحقق المرء بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، وأن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة، وأن يتأمل في أحوال الأنبياء عليهم السلام ويطالع أحوالهم، ليتطلع لأن يكون على مشابهة الأبرار، فيهون عليه الصبر على القليل، والقناعة باليسير"[3].

قال الشيخ على محفوظ: "إن الاقتصاد في عرف الناس ادخار جزء من المال ينفع صاحبه عند الحاجة إليه، وهو وسط بين طرفين، كلاهما ذميم وقبيح عند الله والملائكة والناس أجمعين: إسراف وتبذير، وشح وتقتير، فالإسراف كالسرف مجاوزة الحد، وهو نتيجة الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير تفريق المال كما يفرق البذر كيفما كان من غير تعمد لمواقعه، فهو نتيجة الجهل بمواقع الحقوق، والإسراف والتبذير في نظر الدين معناهما واحد، لأن مآلهما واحد، وهو إنفاق المال في غير مواضعه.

ولذا قال الشافعي: "التبذير إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير، أما الشح والتقتير فهو إمساك المال والضن به عن الواجبات التي لا بد منها، والبخل به على

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٥٧/٢.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢٦٣.

نفسه وعياله، وهو أيضًا ذميم قبيح، وتفريط مهين مشين، فتحصل من هذا البيان أن الاقتصاد الحسن الجميل، وقع وسطًا بين جارين، كلاهما قبيح وذميم عند الله والملائكة والناس أجمعين، وهما الإسراف والتقتير"[1].

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الطعام نعمة وهبة إليهة، والتأمل فيه يبعث على الشكر لا على الكفر، ومن عافت نفسه شيئاً منه ما كان له أن يزدريه، بل يعرض عنه، في غير إنكار ولا جحود، ندرك ذلك من هدي الرسول ﷺ، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الناجعة التربية بالقدوة حيث يكون المربي قدوة صالحة أمام المتربي فيما يأمر به، مما يزيد في إقناعه، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إنِ اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ». وكذلك أيضًا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: «نِعْمَ الأدمُ، الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدمُ الْخَلُّ».

ففي هذين الحديثين يتضح كيف كان النبي ﷺ قدوة في عدم عيب الطعام ومدحه ليكون أسوة في ذلك لغيره من المسلمين.

"إن القدوة هي أفضل وسائل التربية على الإطلاق وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تصميم منهج أو تأليف كتاب في التربية لكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة تتحرك في واقع الأرض، وإلى بَشَرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ هذا المنهج ومعانيه، ولذلك فعندما أراد الله تعالى لمنهجه أن يسود الأرض، ملأ به قلب إنسان وعقله كي يحوله إلى حقيقة في واقع الأرض، فكان أن بعث الله محمداً ﷺ ليكون قدوة للناس في تطبيق هذا المنهج ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. هكذا أرسل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس في تطبيق منهج الله تعالى في واقع الأرض فكان ﷺ هاديًا مربيًا بسلوكه الشخصي وليس فقط بالكلام به قرآنًا أو حديثًا، وهكذا يرى الإسلام أن القدوة هي أعظم طرق التربية ويقيم منهجه التربوي على هذا الأساس"[(١)].

ثانيًا- التربية على شكر النعمة:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية الحث على شكر النعمة، وعدم البطر، ونعم الله عز وجل كثيرة لا تحصى، ومنها نعمة الطعام والشراب، فلا يليق بالمسلم أن يعيب طعامًا أو يذمه، وحديثا الباب يشيران إلى شكر النعمة على الطعام، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ». وفي حديث جابر رضي الله عنه: لما سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فما وجد إلا خلاً فمدحه وقال: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ».

والنعمة تزيد بالشكر، وتُمْحَق بالبطر والكفر.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إِنَّ النعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَزِيد، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزِيدُ مِنَ اللهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ».

وعن ابن أعْبُد قال: «قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن أعبُدٍ هل تدري ما حق الطعام؟، قلت: وما حقه يا بن أبي طالب قال: تقول بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت وما شكره؟ قال: تقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ...»[(٢)].

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ، فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَذًى، وَيَخْرُجُ بِغَيْرِ أَذًى إِلاَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ». وقال الحسن البصري: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا ولهذا كانوا يسمون الشكر "الحافظ" لأنه يحفظ النعم الموجودة، "والجالب" لأنه يجلب النعم المفقودة[(٣)].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/١ رقم ١٣١٣، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٤٣٥/٢.

(٣) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، الإمام ابن القيم الجوزية، ص١٢٢، ١٢٣، نقلًا عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٢٤١٥/٦.

ثالثًا- الحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ».

ففي هذا الحديث كان الحوار والمناقشة بين النبي ﷺ وأهله حول الأدم، ولاشك أن أسلوب الحوار والمناقشة له أثره التربوي الفريد.

"وأسلوب الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار. ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته"[1].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٥، ٨٦.

١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

الحديث رقم (٧٣٨)

٧٣٨- عن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ)) رواه مسلم[1].

قال العلماء: معنى: "فَلْيُصَلِّ" فيدع، ومعنى "فَلْيَطْعَم": فليأكل.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث دعوة اجتماعية للتواصل بين المسلمين ومشاركة في الخير المباح تنزع الأحقاد وتقوي الروابط، لذلك وجَّه الرسول ﷺ إلى ضرورة إجابة الدعوة، وقد جاء المعنى في أسلوب خبري تصدَّره أسلوب الشرط الذي يعلق الإجابة على الدعوة وقد رتبها عليها بالفاء، وقوله (فإن كان صائما فليصل) شرط ثانٍ وضعه الرسول ﷺ لأمر محتمل وهذا من فطنته ﷺ أنه كان يفترض أموراً محتملة قد تقع مستقبلاً، ويضع لها حلولاً حتى إذا صادفت فرداً من أمته وجد حلها معها ثم إن الصائم الذي وجهت له الدعوة مأمور بأن يُصلِّ أي يدعو، أو ينشغل بالصلاة حتى يقوِّيه أما المفطر فليطعم تطييباً لنفس صاحبها ومشاركة ترضي الله تعالى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم من دعي إلى طعام، وكان صائمًا تطوعًا: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن من دعي إلى طعام، فإن كان مفطرًا فإنه يستحب له الأكل، وفي قول عند بعض المالكية، يجب.

---

(١) برقم (١٤٣١/١٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٥).

وإن كان صائمًا تطوعًا، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يستحب له الأكل، لأن في الأكل إجابة أخيه المسلم وإدخال السرور على قلبه، وجبر خاطر الداعي أفضل من إمساكه ولو آخر النهار، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الصائم يكتفي بالدعاء لصاحب الطعام[1]، ولا يفطر بل يمتنع ويقول: إني صائم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة.

ثالثًا: من آداب المدعو: التواضع وتطييب نفوس إخوانه.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على التواصل والتلاحم بين المسلمين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث: (إذا دعي أحدكم) ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من اساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين، وتشدهم إلى معرفة الجواب، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3].

٢- **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فليجب)، (فليصل)، (فليطعم)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به، وضرورة الاستجابة والتنفيذ،

---

(١) المبسوط ٢٣١/١١، مجمع الأنهر، داماد أفندي ٢٠٢/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣١/١١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٠٤/١٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٠/٧، والفروع، ابن مفلح ٢٣٦/٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧.

ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله جلّ شأنه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة:

إن المسلم يشارك إخوانه، ويؤدي ما عليه من واجبات تجاههم، ومن ذلك إجابة الدعوة، حيث جاء في الحديث: (إذا دعي أحدكم فليجب)، ومما لا شك فيه أن إجابة الدعوة، من موضوعات الدعوة المهمة، قال النووي: "وفي الحديث الأمر بحضور الدعوة ولا خلاف في أنه مأمور به، والاختلاف في كونه، هل هو أمر إيجاب أو ندب؟ وأما الأعذار التي يسقط بها وجوب إجابة الدعوة أو ندبها، فمنها أن يكون في الطعام شبهة، أو يخص بها الأغنياء، أو يكون هناك من يتأذى بحضوره معه، أو لا تليق به مجالسته أو يدعوه لخوف شره، أو لطمع في جاهه، أو ليعاونه على باطل، وأن يكون هناك منكر من خمر أو لهو، فكل هذه أعذار في ترك الإجابة"[4].

"ومن معاني الدعوة: الدعوة إلى الطعام، وهي ما دعوت إليه من طعام وشراب، ومن آداب الداعي أن يعين من يدعوه، وأن لا يلح بالفطر على من كان صائمًا، وأن يخص بدعوته أهل الصلاح والتقوى، ومن آداب المدعو أن ينوي بإجابة الدعوة تكريم الداعي وأن لا يمتنع من الطعام إلا إذا كان صائمًا، وأن يدعو لصاحب الطعام بعد الفراغ، وأن لا يدخل بيت الداعي إلا بإذنه، وإجابة الدعوة في الأصل واجبة إن كانت إلى وليمة عرس، وأما ما عداها فقد اختلف في الإجابة إليها"[5].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٩٤.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/ ٣٣٥.

إن إجابة الدعوة من حق المسلم على أخيه المسلم، وهي تدعم الترابط بين أفراد المجتمع، "وإجابة الدعوة تزيد الألفة والمحبة بين المسلمين، وتزيد في الوصال والتقارب، وتطهر القلوب من الغل والظنون السيئة، وتصفي النفوس من أكدارها، ولذا حثّ الشارع عليها، ورغّب فيها، وجعلها حقًا للمسلم على أخيه المسلم بأن يلبي دعوته، ويفرح معه في مناسبته، قريبًا كان أو جارًا أو صديقًا، فمشاركة المسلم لأخيه المسلم أفراحه تدخل السرور على قلبه، وتزيد في التآلف والتآخي، ويضاعف الله سبحانه الأجر والمثوبة، ومما ينبغي أن يُعلم في إجابة الدعوة، أن لا يمنعه من الإجابة كون الداعي بعيدًا عن منزله، أو أن يكون صائمًا فعليه الإجابة، ولو لم يأكل، ومن ناحية أخرى فإن إجابة الدعوة تقتضي من الداعي - الذي أجيبت دعوته - أن يقدر هذه الإجابة قدرها، ويرحب بالمدعوين، ويستقبلهم بالبشر والترحاب، ويشعرهم بفرحه وسروره، وغبطته بحضورهم، فعلى المسلم الصادق أن يبادر إلى القيام بهذا الحق، متى ما دعاه أخوه، إحياءً لسنة النبي ﷺ"[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: التواضع وتطييب نفوس إخوانه:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن هذا من آداب المدعو المهمة إذ يجب أن يلين الإنسان جانبه للناس ولا يترفع عليهم، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ومما قال لقمان لابنه يوصيه، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3].

ولقد كان من هدي النبي ﷺ إجابة دعوة الداعي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لو دُعيتُ إلى كُراعٍ[4] لأجَبتُ، ولو أُهْديَ إلي كراع

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) الكُراع: هو مستدق الساق من الرجل ومن حد الرسغ من اليد، وقيل هو ما دون الكعب من الدواب، وقال ابن فارس: كراع كل شيء طرفه. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

لَقَبِلْتُ))[١]، قال ابن حجر: "وفي الحديث المبالغة في الإجابة مع حقارة الشيء، وفيه دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه، وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل"[٢].

ولقد كان النبي ﷺ يطيب نفوس أصحابه، حتى إنه كان يدع فضل طعامه مواساة لهم وتطييبًا لقلوبهم، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ، أَكَلَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيَّ. وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا بِفَضْلَةٍ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا. لأَنَّ فِيهَا ثُومًا. فَسَأَلْتُهُ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: ((لاَ. وَلَـٰكِنِّي أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ))[٣].

قال النووي: "قال العلماء في هذا: إنه يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة، ليواسي بها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، وكذا إذا كان في الطعام قلة ولهم إليه حاجة، ويتأكد هذا في حق الضيف، لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يخرجوا كل ما عندهم، وتنتظر عيالهم الفضلة، كما يفعله كثير من الناس، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة، وهذا الحديث أصل ذلك كله"[٤].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على التواصل والتلاحم بين المسلمين:

يتضح هذا من سياق الحديث، ففي إجابة الدعوة تحقيق لمعاني الأخوة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: "لا ينبغي أن يكون فقر الداعي، أو خفة شأنه، أو قلة الطعام مانعًا من إجابة الدعوة، فإن ذلك من الكبر، والدعوة مشروعة لإحياء المودة بين المسلمين ومزيد من التآلف"[٥]، وعن نافع قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٥٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٨/٢٠.

الله ﷺ: ((أجيبوا هذه الدعوةَ إذا دُعيتم لها» قال: كان عبدُ الله يأتي الدعوة في العُرْس وغير العُرس وهو صائمٌ))[١]، قال ابن حجر: "قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة، وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه، والتحبب إليه بالمؤاكلة، وتوكيد الذمام معه بها، فلذلك حض ﷺ على الإجابة ولو نزر[٢] المدعو إليه، وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف"[٣].

قال محمد عبدالعزيز الخولي: "الولائم تقام للنعم الحادثة من زواج أو رزق ولد، أو ختانة، أو نجاحة أو شفاء أو إدراك غاية، وتقام إكرامًا للإخوان والأصدقاء، وبرًا بهم، وقضية الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك والحب معنى نفسي، وشعور داخلي، تظهره الأعمال فإن أجبت أخاك إلى دعوته، وشاركته في مسرته، برهنت بعملك على حبك له، وأن ما حلّ به من النعم كأنما حلّ بك، وفي ذلك تأكيد العلاقات، وتوثيق الصلات. وإن رفضت الإجابة بلا عذر أحزنت نفسه، وأوغرت صدره، وعرضت الصلة للقطع أو الضعف، بل ربما سبب ذلك عداءً وخصامًا، فلتقوية الصلات، ومنع الحزازات أمرنا الرسول ﷺ بإجابة الدعوة"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٧٩، ومسلم ١٤٢٩.

(٢) نَزُرَ الشَّيءُ: أي: قَلَّ. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة نزر.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٥٤.

(٤) الأدب النبوي ١٦٢ - ١٦٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إجابة الدعوة جبر لخاطر الداعي، ومن دُعي فليجب، ومن كان صائماً فليُبق على صيامه ويدعو لمن دعاه ومن كان مفطراً أكل، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية، من أبرزها ما يلي:

أولاً- تقوية الروابط الاجتماعية:

إن من الأمور التي تهدف التربية الإسلامية إلى تحقيقها وغرسها تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ومما يدعم هذه الروابط إجابة دعوة المسلم إلى الطعام، وحديث الباب الذي أورده النووي يدلل على هذا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ». ففي هذا الحديث توجيه لإجابة الدعوة جبرًا لخاطر قلب الداعي وتحقيقًا لروح الأخوة، وغرسًا للترابط الاجتماعي.

"إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عمليًا فإن لها آثارًا تربوية بين أفراد المجتمع فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى ﷺ حيث وصل ذلك التوادُّ والتعاطف إلى ذروته"[1].

إن إجابة الدعوة تزيد المجتمع الإسلامي ترابطًا وتكاتفًا وتآزرًا، ولذا "فإن التعارف - لا التنافر- أساس العلائق بين البشر، وكل رابطة توطد هذا التعارف، وتزيح عن طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها، والانتفاع بخصائصها، وليس الإسلام رابطة

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٤٠.

تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب، ولكنه جملة الحقائق التي تقرر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ثم بين الناس أجمعين. ومن ثمَّ فأصحاب الإسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التي شرح الله بها صدورهم، وجمع عليها أمرهم وأن يُولُوا التعارف عليها ما هو جدير به، من عناية وإعزاز.... إنه تعارف يجدد ما دَرَس من قرابة مشتركة بين الخلق.

وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم فكأنهم أغصان انبعثت من دوحة واحدة أو روح واحد حل في أجسام متعددة"[1].

ثانيًا- الثناء والشكر:

إن من الأهداف الأخلاقية للتربية الإسلامية غرس خلق الثناء والشكر لمن يصنع معروفًا، أو يسدى خيرًا لأخيه المسلم، وفي حديث الباب الذي أورده الإمام النووي يوجِّه الرسول ﷺ من حضر الطعام الذي دُعى إليه ولم يفطر أن يُصلِّ أي يدعوا لصاحب الدعوة مكافأة له على دعوته، وإشعاره بجميل صنيعه وحسن فعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ».

وما من شك أن هذا التوجيه النبوي يغرس في المسلم خلق الثناء والشكر "إن الشكر أحد أركان الخلق الفطري السامي، وإن من الواجب على الإنسان أن يشكر كل من أسدى إليه معروفًا، وقد رغب الإسلام في الشكر وأمر به كما رغب في حسن الثناء واصطناع المعروف. وشكر الإنسان للإنسان يكون بمكافأة المعروف بمثله، أو بشكر المعروف باللسان والثناء عليه، وفي هذا قال بعض الحكماء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وهو واجب لسببين:

أولهما: أن في شكر الناس للناس شكرًا لله تعالى؛ فهو الذي أجرى المعروف على يد العبد.

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٦٥، ١٦٦.

وثانيهما: أن الناس ينتظرون المكافأة على ما قدموا من معروف فإن لم يجدوها حبسوا معروفهم على أنفسهم، ومن هنا تشيع الكراهية بين الناس والأثرة ويشيع الجحود، ومن ثَمَّ أمر الإسلام بأن يشكر الإنسان كلٌّ من أسدى إليه معروفًا.

وفي هذا مسلك قويم وتهذيب رائع وتربية إنسانية صحيحة، فالإنسان الشاكر هو من أظهر حمده لمن قدم له خيرًا أو عملاً نافعًا، وأحسن إليه مهما كان نوع الإحسان"[1].



---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ص ٣٥، ٣٦.

١٠٣- باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره

الحديث رقم (٧٣٩)

٧٣٩- عن أَبي مسعود البَدْريِّ ﷺ، قَالَ: دعا رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ، قَالَ النَّبيّ ﷺ: ((إنَّ هَذَا اتَّبعَنَا، فَإنْ شِئْتَ انْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ)) قَالَ: [١] بل آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

الحديث يتعلق بآداب الدعوة ووجوب التلبية، وتَوَقُّف حضور الطعام عليها ويحكي موقفاً حدث مع الرسول ﷺ وإذا كان الموقف مع الرسول ﷺ فأحداثه تشريعات تشرَّع، وسنن تتبع، وقد ورد المعنى في صورة خبرية باستثناء النداء في آخر الحديث، وقد بدأ بدعوة وجِّهت للرسول ﷺ وبتواضعه وحسن خلقه يلبي الدعوة وقوله: (خامس خمسة) يشير إلى أن العدد مقصود، وأن الداعي أعد ما يكفي لهذا العدد، وقوله (فتبعهم رجل) في الكلام إيجاز بالحذف ينشط العقل، ويعلي من طبقته في درج البلاغة، وتقدير المحذوف (فأجابه، وذهب معه) وجملة: (إن هذا قد تبعنا) هي لب الحديث وقلب المعنى الذي تدور القصة حوله، وتوكيد العبارة تنبيه إلى عدم تعديه ﷺ على حق الداعي في الزيادة على المدعوين، وقوله (فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ) أسلوب شرط بغرض التخيير، وفيه إيجاز بحذف الجواب تقديره (فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ أذنت) والجملة المعطوفة عليها فيها إيجاز بحذف المفعول تقديره (وَإِنْ شِئْتَ الرجزع رَجَعَ) وهو من جميل بلاغته ﷺ لأن في الكلام دليلاً على المحذوف، وجملة

---

(١) عندهما زيادة: (لا)، وهي ليست عند الحميدي في جمعه (٤٩٣/١، رقم ٧٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (٢٠٣٦/١٣٨) واللفظ له.

الشرط وما عطف عليها نص على حق الداعي في القبول، أو الرد دون أن يفرض عليه شيء.

وقوله: (بل آذن له يا رسول الله) أسلوب نداء غرضه التكريم لرسول الله ﷺ؛ لأنه تضمَّن إجابة لطلبه، وناداه بالرسول، وأضافه لله، واستخدم (يا) التي للبعيد مع قرب الرسول ﷺ منه إشارة إلى علو منزلته، وارتفاع مكانته، وكلها علامات محبة امتلأت منها صدور القوم لرسول الله ﷺ ففاض منها ما فاض على ألسنتهم - رضي الله عنهم جميعاً -.

فقه الحديث

الإذن للتابع غير المدعو:

قال النووي: (في هذا الحديث أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء، ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة، بأن يؤذي الحاضرين أو يشيع عنهم ما يكرهونه، أو يكون جلوسه معهم مزريًا بهم لشهرته بالفسق ونحو ذلك، فإن خيف من حضوره شيء من هذا، لم يأذن له، وينبغي أن يتلطف في رده، ولو أعطاه شيئًا من الطعام إن كان يليق به، ليكون ردًّا جميلاً، كان حسنًا)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستئناس برسول الله ﷺ ودعوته إلى الطعام.

ثانيًا: من آداب الداعية: احترام الناس والاستئذان من صاحب الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الكرم والسماحة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستئناس برسول الله ﷺ ودعوته إلى الطعام:

حيث جاء في الحديث: (دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة)،

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٦/١٣/٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٠/٩، ففيه استنباطات فقهية من هذا الحديث.

وهـذا يـدل علـى مـدى حـرص الـصحابة رضي الله عنهم علـى الاسـتئناس برسـول الله ﷺ، ومحبتهم له، ودعوته إلى طعام يعدونه له خاصة، قال ابن حجر: "وفي الحديث مشروعية الضيافة، وتأكد استحبابها لمن غلبت حاجته لذلك، وفيه أن من صنع طعامًا لغيره فهو بالخيار بين أن يرسله إليه أو يدعوه إلى منزله، وأن من دعا أحدًا استحب له أن يدعو معه من يرى من أخصائه وأهل مجالسته، وفيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يديمون النظر إلى وجهه ﷺ تبركًا به، وكان منهم من لا يطيل النظر في وجهه حياء منه"[1]، وقد تكرر هذا الموقف من أبي طلحة رضي الله عنه في دعوة النبي ﷺ إلى الطعام، ففي الصحيح قال أبو طلحة رضي الله عنه لأم سليم: (لقد سمعتُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوعَ، فهل عندَكِ من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجتْ أقراصًا مِن شعيرٍ، ثمَّ أخرجت خِمارًا لها فلفَّتِ الخُبزَ ببعضه، ثم دسَّتْهُ تحت ثوبي وردتني ببعضهِ ثم أرسلَتْني إلى رسول الله ﷺ)[2].

قال النووي: "وفي الحديث بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ"[3]، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستئناس برسول الله ﷺ نابع من كونه الأسوة والقدوة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

ثانيًا – من آداب الداعية: احترام الناس والاستئذان من صاحب الدعوة:

حيث جاء في الحديث: (إن هذا تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع)، قال النووي: "وفي الحديث أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة"[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧١/٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٢، ومسلم ٢٠٤٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٤٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٧.

وقال ابن عثيمين: "وفي الحديث دليل على أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يدع، فإنه يستأذن له، خصوصًا إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرض خاص لا يحب أن يطلع عليه أحد، فحينئذ لا بد أن يستأذن، ولا حرج على صاحب البيت إذا لم يأذن للذي تبع المدعو؛ لأنه لو كان في ذلك حرج ما استأذنه النبي ﷺ فلما استأذنه دلّ على أنه بالخيار"[١]، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان على درجة عالية من الأخلاق العظيمة والآداب الجليلة، فهو يحترم الناس ويقدرهم، كيف وقد قال الله تعالى في خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الكرم والسماحة:

إن المسلم كريم النفس، جوادًا غير ممسك، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: (بل آذن يا رسول الله)، قال ابن حجر: "وينبغي لمن استؤذن في مثل ذلك أن يأذن للطارئ، أو لعله أذن رجاء أن يعم الزائد بركة النبي ﷺ، وفي الحديث أنه لا ينبغي للداعي أن يظهر الإجابة وفي نفسه الكراهة لئلا يطعم ما تكرهه نفسه، ولئلا يجمع الرياء والبخل وصفة ذي الوجهين"[٣].

والواجب على المدعو أن يكون كريم النفس، سمح الخلق، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[٤]، قال الكفوي: "الكرم يكون مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه، والجود: صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال"[٥].

قال الغزالي: "وتقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير"، وقال الحسن: "كل

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٥٩.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩/٤٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٥) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبتة، إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك"، وقال علي ﷺ: "لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتق رقبة"، وكان ابن عمر ﷺ يقول: "من كرم المرء طيب زاده في سفره، وبذله لأصحابه، وكان الصحابة ﷺ يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا ﷺ يجتمعون على قراءة القرآن، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، وقيل: اجتماع الأخوان على الكفاية، مع الأنس والألفة، ليس هو من الدنيا"[١].

وقال ابن مفلح: "ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين، ويأكل ويشرب مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع العلماء بالتعلم والاتباع، قال جعفر بن محمد: قال لي أبو عبدالله: يعني أحمد بن حنبل يوم عيد: خذ عليك رداءك وادخل، قال: فدخلت فإذا مائدة وقصعة على خوان عليها عراق، وقد زال جانبه، فقال لي: كل، فلما رأى ما نزل بي، قال: إن الحسن كان يقول: والله لتأكلن، وكان ابن سيرين يقول: إنما وضع الطعام ليؤكل. وكان إبراهيم بن أدهم يبيع ثيابه وينفقها على أصحابه، وكانت الدنيا أهون عليه من ذلك، وقال الإمام أحمد لمحمد بن جعفر: يا بني كُل فإن الطعام أهون مما يحلف عليه"[٢].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٦٦٤/٢ - ٦٦٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٩٥/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

رعاية مشاعر الآخرين مطلوبة ومنها رعاية ظروف من أعد طعاماً، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

إن آثار الموقف أو الأحداث تظل عالقة بالأذهان خاصة، ومن ثَمَّ فإن العملية التربوية تكون أكثر ثباتًا في نفس المتربي، ولذا فإن التربية بالمواقف والأحداث من أنجح الأساليب التربوية، ومما جاء في حديث الباب يدلل على هذا ما جاء عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذَا اتَّبَعَنا فإن شِئْتَ أنْ تأذَنَ لهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ، قال: بل آذنُ له يا رسول الله».

فمن خلال هذا الموقف بيّن النبي ﷺ آداب الضيافة، وأن من دُعِيَ إلى طعام فتبعه غيره ينبغي أن يستأذن من صاحب الدعوة.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية. فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إنه من خلال المواقف والأحداث يمكن غرس الكثير من القيم والآداب، وهذا ما يجب أن يستغله المربون.

"إن الناس يتعرضون في حياتهم دومًا للأحداث تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي الحاذق لا يترك الأحداث

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

تذهب سُدَىً بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومَزِيَّةُ الأحداث كأسلوب تربوي أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قام القرآن الكريم وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر، وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطرق والحديد ساخن حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[١].

ثانيًا- التربية على آداب الضيافة:

من الأهداف الخلقية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين آداب الضيافة، وحديث الباب يبرز لنا أن من أهم آداب الضيافة أن يُدعى الشخص إليها، لا أن يأتي من تلقاء نفسه بدون دعوة ففي الحديث: «دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذَا اتَّبَعَنا فإن شِئْتَ أنْ تأذَنَ لهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ، قال: بل آذنُ له يا رسول الله».

وواجب المربي أن يغرس في نفوس الناشئة والمتربين أدب الضيافة حتى لا يكون هناك تطفل على موائد الطعام.

"ومن الأمور التي يستهجنها العرب فيما يتعلق بالدعوة إلى الطعام وآداب الموائد التطفل، وهو أمر بعيد عن الضيافة، إذ يمكن أن يحل ضيف أو أكثر على رجل دون دعوة مسبقة فيرحَّب بهم ويكرمون، أما التطفل فهو أن يسعى المرء إلى الموائد ويتجسس ليعرف مَنْ عنده وليمة، فيهرول إليها ليشارك فيها دون دعوة، رغم أن حضوره مزعج للآخرين، وكانت العرب تجيز التطفل على طعام السلطان، ولكنها تكرهه على طعام رجل من عامة الناس لدرجة أن شهادة المتطفل كانت تُرَدُّ ولا تقبل. أما الصديق فلا يدخل في عداد المتطفلين، أو الطفيليين إن حضر مائدة صديقه دون دعوة"[٢].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٣٣/٣، ٣٤.

قال ابن قدامة: "ومن آداب الطعام أنه لا ينبغي لأحد إذا علم أن قومًا يأكلون أن يدخل عليهم فإن صادفهم من غير قصد فسألوه الأكل نَظَرَ، فإن علم أنهم إنما سألوه حياء منه فلا يأكل، وإن علم أنهم يحبون أكله معهم جاز له أن يأكل. ومن دخل دار صديقه فلم يجده، وكان واثقًا به عالمًا أنه إذا أكل من طعامه سُرَّ بذلك جاز له أن يأكل، ومن آداب الضيافة أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق، وقال بعض السلف: لا تأكل إلا طعام تَقيٍّ، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ"[1].



(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص٧٩.

١٠٤- باب الأكل ممَّا يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

الحديث رقم (٧٤٠)

٧٤٠- عن عمر بن أبي سَلمَة رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ غُلامًا في حِجْرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((**يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قوله: "تَطِيشُ": بكسر الطاء وبعدها ياء مثناة، معناه: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصَّحْفَة.

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٩).

الشرح الأدبي

الراوي يحكي قصة وقعت معه عندما كان صغيراً يتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم وقوله (كانت يدي تطيش في الصفحة) إسناد الطيش إلى اليد فيه مبالغة وهو من إسناد الفعل إلى مفعوله فهو مجاز عقلي وأصل الكلام - أطيش بيدي في الصفحة - وفيه دليل على كثرة تحرك يده في مختلف الاتجاهات مما يؤذي الآكلين، لأنَّ أَكْلَه مِنْ مَوْضِع يَد صَاحِبه سُوء عِشْرَة، وَتَرْك مُرُوءَة فَقَدْ يَتَقَذَّرُهُ صَاحِبه فجاء توجيه النبي صلى الله عليه وسلم تأديباً له، وتعليماً (يا غلام) النداء نداء رحمة، وحنو بالإضافة إلى ما فيه من التنبيه اللازم للتمهيد لما بعده من أوامر، وقوله (سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) توجيه وإرشاد إلى ما يحقق البركة في الطعام بذكر الله عليه، والتيمن في التناول، وما يراعي حال الآكلين، وفي الحديث ثلاث سنن: التسمية، والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨)، وتقدم برقم (٢٩٩).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- استحباب الأكل باليمين، وكراهته بالشمال، وقد سبق بيانه في الحديث رقم (٧٣٣).

٢- الأكل مما يليه، وقد سبق بيانه كذلك في الحديث نفسه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٩).

الحديث رقم (٧٤١)

٧٤١- وعن سلمةَ بن الأَكْوَع ﷺ: أنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ بشِمَالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ بِيَمِينِكَ)) قَالَ: لا أسْتَطِيعُ. قَالَ: ((لاَ اسْتَطَعْتَ))! مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه بيان لأهمية اتباع السنة، وخطر مخالفتها، بدأه الراوي بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة لغرابة القصة التي يتضمنها وقوله (أن رجلا أكل) بيان للحدث الذي تدور حوله القصة، و الظرف (عند رسول ﷺ) فيه إشارة إلى شرف الموضع الذي يلزم منه توقيره، وقوله (بشماله) فيه بيان لموضع الخطأ، والباء فيه للاستعانة، وقول الرسول ﷺ (كل بيمينك) أمر توجيه وإرشاد وفيه تصويب للخطأ وقول الرجل: (لا أستطيع) فيه تكبر وتعالٍ ورفض لأمر رسول الله ﷺ وقول الراوي (مامنعه إلا الكبر) ينص على هذا المعنى وهوأسلوب قصر يقصر سبب رفضه لأمر رسول الله ﷺ على الكبر، وينفيه عن غيره من الأسباب كالعجز، والمرض، ونحوه وقول الرسول ﷺ (لا استطعت) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى لأنها دعائية وقول الراوي (فما رفعها إلى فيه) إشارة إلى استجابة دعوة النبي ﷺ ودليل على أن الرجل كان كاذباً متكبراً وفيه تهديد لكل من يخالف سنن رسول ﷺ كبراً وبطراً في كل زمان ومكان فقد قال ﷺ (... فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٢٠٢١/١٠٧)، وتقدم برقم (١٥٩، و ٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٧٥.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

ملاحظة الأبناء مفروضة ونصحهم فرض عين، وتربيتهم على المثل العليا مسؤولية دينية واجتماعية، وقد رأينا رسول الله ﷺ يربي الناشئة بالطرق التالية:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الفعّالة التربية بالمواقف والأحداث، حيث يقوم المربي بالتقويم والتهذيب في حالة التصرف الخاطئ من المتربي، وهذا يتضح من خلال حديثي الباب، فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنتُ غلامًا في حِجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: ياغلامُ، سَمِّ الله تعالى، ...».

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ».

فمن خلال الموقف والحدث وجّه النبي ﷺ إلى ضرورة مراعاة آداب الأكل. والتوجيه والإرشاد عندما يأتي مصاحبًا للحدث والموقف يكون أقرب إلى التنفيذ.

"والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه، ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية، والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها. والتربية بالأحداث تُعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما عن طريق الحس إن كانت هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل إن كانت داخلية، والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي ﷺ في شتى مجالات الحياة"[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٣٨.

ثانيًا- التربية بالملاحظة:

من أنجح الأساليب التربوية التربية بالملاحظة حيث يتعاهد المربي ابنه أو الناشئة ويراقبه في تصرفاته وأعماله وأفعاله ويقومه ويوجهه ويرشده إلى الصواب فيما يقع فيه من تصرفات.

ولقد سلك النبي ﷺ هذا الأسلوب في تقويم مَنْ أخطأ أمامه، ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «لما رآه الرسول ﷺ يأكل ويده تطيش في الصحفة، قال له: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لاحظ النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله فقال: «كُلْ بيَمِينِكَ ...». ففي هذين الحديثين قام النبي ﷺ بالتوجيه التربوي من خلال الملاحظة والمراقبة.

"والمقصود بالتربية بالملاحظة، ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي، ولاشك أن هذه التربية تعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة، والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسؤولياته ويضطلع بواجباته على أكمل وجه، وأنبل معنى. فمن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته، وأقواله وأفعاله واتجاهاته، فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه وإن رأى منه شرًا نهاه عنه، وحذره منه وبين له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة"[1].

وهكذا نرى رسول الله ﷺ يعلم الكبار والصغار سلوكيات الحياة عن طريق مراقبته وملاحظته لهم وتعديل سلوكهم بما يتفق مع ما شرعه الله تعالى من تحليل وتحريم.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٩.

ثالثًا- التربية على آداب الأكل:

إن من أهداف التربية الاجتماعية التربية على آداب الأكل، ومما جاء في حديثي الباب يبرز حرص الرسول ﷺ على غرس آداب الطعام والشراب، وما ينبغي فيهما، ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: «كنت غلامًا في حِجْر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ». فأرشده النبي ﷺ إلى جملة من آداب الأكل منها التسمية والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ.

فهذا الآكل بشماله أرشده النبي ﷺ إلى أن من آداب الأكل تناوله باليمين.

"ومن آداب الطعام والشراب استحضار نية التَّقَوِّي على طاعة الله عز وجل وأن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب، ومن آدابه غسل اليدين قبله، والتسمية في أوله والأكل باليمين، والأكل مما يليه"[1].

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجبات على المربين الاهتمام بتدريب الأطفال على آداب الطعام وتعويدهم على الالتزام بها.

"وإذا لم يجلس الوالدان مع الطفل باستمرار أثناء الطعام، ويصححا له أخطاءه، فإن الطفل سيبقى في براثن العادات السيئة المنفرة، كذلك فإن عدم الجلوس معهم في أثناء طعامهم سيفقد الوالدين وقتًا مناسبًا لتلقي الطفل وتعليمه، وقد أكل النبي ﷺ مع الأطفال وشاهد ولاحظ جملة من الأخطاء فقدَّمها بأسلوب حيوي أثار به عقل ونفس الطفل إلى التصحيح وهكذا كان. ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما «لما كانت يده تطيش في الصحفة، قال له رسول الله ﷺ: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٠٢.

بيَمينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ»، فأنت تجد في هذا دعوة النبي ﷺ الطفل إلى الطعام معه ثم وجهه بكل رفق إلى طريقة الطعام وآدابه، وغدا الصحابة ﵃ يصطحبون معهم أطفالهم إلى الولائم، وخاصة التي يحضرها رسول الله ﷺ فيتعلمون في هذه الولائم علمًا نافعًا وآدابًا جامعة"[1].

رابعًا- التربية على الأخذ بالسنة وعدم الإعراض عنها:

وهذا واضحٌ من حديث سلمة بن الأكوع ﵁، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: "كل بيمينك، قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت. ما منعه إلا الكبر. فما رفعها إلى فيه".

فقد منع الكبر هذا الرجل من الاستجابة لما أمره به رسول الله ﷺ وأعرض عن الأكل باليمين، فدعا ﷺ فأصاب يده اليسرى ما جعله لا يستطيع أن يرفعها إلى فمه، وإذا كان هذا في مجال الطعام فما بالنا بمن استكبر وتكبر وأعرض عن سنة النبي ﷺ ولم يأخذ بها في المجالات الأخرى ذات الأهمية الكبيرة؟ إن على المربين أن يربوا من يقومون بتربيتهم على أن يقولوا سمعًا وطاعة لما جاء به الرسول ﷺ، وأن ينفروا أشد النفور من الإعراض عن سنة النبي الهادي ﷺ. وليس في ذلك كما يدّعي من في قلوبهم مرض مصادرة لعقولهم ومصادرة لحرياتهم وإلغاء لشخصياتهم، ليس في ذلك شيء من هذا مطلقًا، بل فيه كل الخير لهم والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، لأن كل ما أمر به الرسول ﷺ هو الخير والمصلحة وكل ما نهى عنه ﷺ هو الشر والمفسدة.



(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٧٦، ٧٧.

١٠٥- باب النّهي عن القِرَانِ بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلاَّ بإذن رفقته

الحديث رقم (٧٤٢)

٧٤٢- عن جَبَلَة بن سُحَيْم، قَالَ: أصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابن الزُّبَيْرِ؛ فَرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكَانَ عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما يَمُرُّ بنا ونحن نَأكُلُ، فَيقُولُ: لاَ تُقَارِنُوا، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عنِ القِرَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: إلاَّ أنْ يَسْتَأذِنَ الرَّجُلُ أخَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

عام سنةٍ: عام قحط[٢].

القران: ضم تمرة إلى تمرة لمن أكل مع جماعة[٣].

أخاه: المراد بالأخ رفيقه الذي اشترك معه في ذلك التمر[٤].

الشرح الأدبي

تضمَّن هذا الحديث مع قصره أبعاداً نفسية، واجتماعية، واقتصادية، إن روعيت في التعاملات، وطُبِّقت على نطاق واسع كان لها عظيم الأثر على الأفراد والمجتمعات، وملابسات الحديث التي أشار إليها الراوي تشير إلى أن الحالة الاقتصادية يومئذ كانت متردية، والناس في ضيق، وشدة من المعيشة، وهذه الملابسات تستلزم أن يكون الإنسان أكثر رعاية لمن حوله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٦) واللفظ له، ومسلم (١٥٠/٢٠٤٥) وزاد: (قال شعبة: لا أُرى هذه الكلمة إلا من كلمة ابن عُمر: إلا أن يستأذن الرجل أخاه).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٢/٩.

(٣) المرجع السابق ٤٨٢/٩.

(٤) المرجع السابق ٤٨٢/٩.

والحديث يبدأ بأسلوب خبري يناسب القصة، وقوله (أصابنا عام سنة) الجملة كناية عن الشدة، وضيق العيش، ونسبة الإصابة للعام مجاز عقلي من نسبة الفعل لزمانه حدوثه، وهو يفيد المبالغة فيما حل بهم من ضيق الرزق، وشدة الحال.

وقوله (فرزقنا تمراً) اتصال الفعل بـ (نا) الفاعلين إشارة إلى إشتراكهم جميعاً فيه، وتنكير كلمة (تمراً) يفيد التقليل وقوله: (ونحن نأكل) يؤكد أنهم عدد كبير معهم تمر قليل وقوله) لا تقارنوا) أسلوب نهي عن أن يخص أحدهم نفسه بمزيد من التمر دون أصحابه، -خاصة - زمن المجاعة والشدة، والقران الجمع بين التمرتين، والمقصود به الإكثار؛ وقوله (فإن النبي ﷺ نهى عن القران) الفاء للتعليل والجملة تعليل لسبب نهي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقوله: (إلا أن يستأذن الرجل أخاه) استثناء من الحكم السابق يقرر جواز الزيادة بشرط الاستئذان من الشركاء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم القران بين التمرتين ونحوهما: من الأدب للمرء حين يطعم، ترك ما يقتضي الشره، والطمع المزري به، أو يكون فيه غبن برفيقه.

لذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره القران في أكل التمر، وما شابهه، مما جرت العادة بأكله أفرادًا، كالرطب، والزبيب، والعنب، مثلاً، إلا أن يأذن له من يؤاكله، فإذا أذن فلا بأس.

وذهب ابن حزم إلى أنه لا يحل القران في الأكل، إلا أن يأذن المؤاكل، فإن أذن المؤاكل فهو حقه[1].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٨/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٧/٣، والمحلى، ابن حزم ١٠٠/٦.

والصواب والتفصيل كما قال النووي: (إن كان الطعام مشتركًا بينهم فالقران حرام إلا برضاهم، ويحصل الرضا بتصريحهم به، أو بما يقوم مقام التصريح من قرينة حال، أو إدلال عليهم كلهم، بحيث يعلم يقينًا، أو ظنًا قويًا، أنهم يرضون به، ومتى شك في رضاهم فهو حرام، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم، اشترط رضاه وحده، فإن قرن بغير رضاه فحرام، ويستحب أن يستأذن الآكلين معه ولا يجب، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فلا يحرم عليه القران، ثم إن كان في الطعام قلة فحسن ألا يقرن لتساويهم، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس بقرانه، لكن الأدب مطلقًا: التأدب في الأكل وترك الشره، إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر)(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: تذكير الناس بما ينبغي فعله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

ثالثًا: من آداب المدعو: اتباع هدي رسول الله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: استحباب رضا الرفقة عن تصرفات الإنسان معهم.

أولاً - من آداب الداعية: تذكير الناس بما ينبغي فعله:

حيث جاء في الحديث: (وكنا نأكل فيمر علينا ابن عمر ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا)، وهذا يدل على أن من أهم آداب الداعية، تذكير الناس بما ينبغي فعله وبالتذكير أمر الله نبيه ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقال جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٩/١٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٠/٩.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) سورة الأعلى، آية: ٩.

(٤) سورة الغاشية، آية: ٢١.

والداعية الناجح هو الذي يحرص على تذكير المدعوين، وإذا رأى مخالفة شرعية ذكرهم بنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وبهدي النبي ﷺ حتى لا يقعوا في محظور شرعي، قال الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق وقد عرفوه أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، وكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح أو صيحة زاجر، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط، وعمل الواعظين - في أغلب الأحيان - هو ذلك التذكير النافع وهو تذكير لا يستغني عنه الناس يومًا، إذ طالما يعصف النسيان بأفكارهم، ويبعثهم على السير في الحياة دون وعي أو هدف"[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد:

١- **النهي**: حيث جاء في الحديث: (لا تقارنوا)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تؤثر في المدعو من حيث التأكيد عليه في خطورة فعل المنهي عنه، وقد حث القرآن على فعل المأمورات وترك المنهيات، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[2].

٢- **التوكيد**: حيث جاء في الحديث: (فإن النبي ﷺ نهى)، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تعمل على إقناع المدعو بما يقول الداعية، ومن صور استعمال أسلوب التوكيد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3]، وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[4].

"إن التوكيد في القرآن كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه. فجاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب - ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهورًا دهشًا مقرًا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الاتيان بمثله"[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: اتباع هدي رسول الله ﷺ:

يؤخذ هذا من سياق الحديث، ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات المدعو اتباع هدي النبي ﷺ في جميع الأمور وبهذا أمر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2]، وقال جلّ شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[3].

قال ابن القيم: "وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذّلة والصَّغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"[4].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: استحباب رضا الرفقة عن تصرفات الإنسان معهم:

حيث جاء في الحديث: (إلا أن يستأذن الرجل أخاه)، قال النووي: "هذا النهي متفق عليه حتى يستأذنهم، فإذا أذنوا فلا بأس، والاختلاف جاء في النهي هل هو على التحريم

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي ص ١٢٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/ ٣٧.

أم على الكراهة والأدب"[١].

وقال ابن حجر: "ويستحب للإنسان أن يستأذن الآكلين معه، وحسن للمضيف أن لا يقرن ليساوي ضيفه، إلا إن كان الشيء كثيرًا يفضل عنهم، مع أن الأدب في الأكل مطلقًا ترك ما يقتضي الشره"[٢].

قال ابن مفلح: "ويكره القران في التمر، وقيل: مع الشركاء فيه، لا وحده ولا مع أهله، ولا مع من أطعمهم ذلك، وتركه مع كل أحد أولى وأفضل وأحسن. وذكر القاضي عياض عن أهل الظاهر أن النهي للتحريم، وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب. ويستحب أن يستأذن الآكلين معه، وإن كان الطعام لنفسه، وقد ضيفهم به فحسن ألا يقرن ليساويهم إن كان الطعام فيه قلة، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس، لكن الإذن مطلقًا للتأدب وترك الشره، إلا إن يكون مستعجلاً، ويريد الإسراع لشغل آخر.

وقال الخطابي: إنما كان هذا في زمنهم حين كان الطعام ضيقًا، فأما اليوم مع اتساع الحال، فلا حاجة إلى الإذن، وفيما ذكره نظر. والقران بين غير التمر مثله إلا أن ذلك لا يقصد وتظهر فائدته إلا في الفواكه وما في معناها. قال الشيخ تقي الدين: وعلى قياسه قِران كل ما العادة جارية بتناوله أفرادًا"[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: "الأدب في تناول الطعام والبعد عن النهم مطلوب، ومن ذلك عدم تناول ما يعتاد أكله واحدة واحدة كالتمر وغيره بأعداد كبيرة في المرة الواحدة، كما هو شأن الكثيرين، لئلا ينبو في نظر إخوانه، ويظهر نهمه وحرصه على الحصول على أكبر نصيب من الطعام، إلا إذا علم رضا رفقائه وعدم تضررهم من ذلك، وهو أدب محمود يرتفع بالمسلم إلى أعلى الدرجات في عالم الذوق والسلوك"[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٤/٩.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٧/٣ - ١٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الشره منهي في الإسلام، ولذا أوجب رسول الله ﷺ على من يأكل مع غيره ألا يجعل همه تناول أكبر قدر من الطعام، فإن كان ولا بد، فليكن بالتتابع لا بالتسارع، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً-التربية بالمواقف والأحداث:

من خلال المواقف والأحداث يستطيع المربي أن يغرس الكثير من القيم والتوجيهات التربوية، ولذا فالتربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية الناجحة، وفي حديث الباب ما يبرز هذا الأسلوب فعن جبلة بن سُحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرًا وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ﷺ نهى عن الإقران ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه".

ففي هذا الحديث استغل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الموقف والحدث وأسدى فيه توجيهه التربوي بالنهي عن القِرَان في التمر.

(ولا شك أن من طرق التربية الفاعلة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه وهذا التغيير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر.

والأحداث إما أن تكون تلقائية تحدث بسبب التصرفات الخاصة للناس أو لأسباب خارجة عن إرادتهم وتقديرهم وإما أن تكون منظمة ومخططة مسبقًا كي يمر بها الصغير أو الكبير بقصد إثارة مشاعره وانفعاله حتى يسهل تشكيله وتغيير سلوكه في الاتجاه المرغوب. والمربي الحاذق لا يترك الأحداث - تلقائية كانت أم مخططة - تذهب سُدَىً بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب)[1].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٧.

ثانيًا-التربية على آداب الأكل مع الجماعة:

من الآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على آداب الأكل مع الجماعة، ومن هذه الآداب النهي عن القران بين تمرتين في حالة الأكل مع جماعة إلا بإذنهم وذلك من حسن الأدب في الأكل، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يبرز لنا هذا الجانب من الأدب، ففيه عن جبلة بن سحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرًا وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ﷺ نهى عن القران ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه".

قال ابن مفلح المقدسي: (ويكره القران في التمر وقيل مع الشركاء فيه، لا وحده ولا مع أهله ولا مع مَنْ أطعمهم ذلك وتركه مع كل أحد أولى وأفضل وأحسن، وذكر القاضي عياض عن أهل الظاهر أن النهي للتحريم وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب، وذكر النووي أن الصواب التفصيل فإن كان الطعام مشتركًا بينهم فالقِران حرام إلا برضاهم بقولٍ أو قرينة يحصل بها علم أو ظن، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم اشترط رضاه وحده فإن قرن بغير رضاه فحرام ويستحب أن يستأذن الآكلين معه، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فحسن ألا يقرن ليساويهم إن كان الطعام فيه قلة، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس لكن الإذن مطلقًا للتأدب وترك الشره إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر.

وقال الخطابي: إنما كان هذا في زمنهم حين كان الطعام ضيقًا، فأما اليوم مع اتساع الحال فلا حاجة إلى الإذن، وفيما ذكره نظر والقران بين غير التمر مثله إلا أن ذلك لا يقصد، وتظهر فائدته إلا في الفواكه وما في معناها. قال تقي الدين: وعلى قياسه قِرَان كل ما العادة جارية بتناوله أفرادًا)[1].



---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/١٥٧، ١٥٨.

١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

الحديث رقم (٧٤٣)

٧٤٣- عن وَحْشِيِّ بن حرب رضي الله عنه: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، قالوا: يَا رسولَ اللهِ، إنَّا نَأكُلُ ولاَ نَشْبَعُ؟ قَالَ: ((فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ)) قالوا: نَعَمْ. قَالَ: ((فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ)) رواه أَبُو داود[١].

ترجمة الراوي:

وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل: كان عبدًا أسود من سُودان مكة، كان مشهورًا برمي الحراب، وقد قَتَلَ بحربته حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ فكوفئ على ذلك بأن أصبح حرًا، حتى فتح النبي ﷺ مكة، فهرب إلى الطائف، فلما أراد أهل الطائف أن يُسلموه أراد الهرب مرة أخرى، لكن من معه طمأنه بأن النبي ﷺ لا يقتل من دخل الإسلام، فأتى النبي ﷺ فأعلن إسلامه، وسأله النبي ﷺ أن يغيب عنه وجهه[٢]، لقتله حمزة فكان يتجنب أن يراه النبي ﷺ.

وكان قتله حمزة يقضّ عليه مضجعه، ويجعل فكره غير صافٍ، حتى جاءت الفرصة التي يريح بها باله، فخرج مع خالد بن الوليد إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب فكان هو قاتله وقيل: إنه قتله بالحربة التي قتل بها حمزة.

قال عبدالله بن عمر: سمعت صارخًا يصرخ يوم اليمامة: قتله العبد الأسود.

فأعلن ذلك بصيحة قوية وفرحة غامرة، فقال: إنكم يا معشر المسلمين تقولون: إني قتلت حمزة، فإن أك قد قتلت خير الناس. فقد قتلت شر الناس، فهذه بهذه.

وظلّ على جهاده في سبيل الله فشهد اليرموك وفتح دمشق.

---

(١) برقم (٣٧٦٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٢٢٤)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٢١٠): إسناده حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٤٠٧٢).

وظلّ بالشام فسكن حمص ومات بها في خلافة عثمان[1].

الشرح الأدبي

الخبر مؤكد بإن مع اسمية الجملة إشارة إلى أهميته، والنداء في قوله (قالوا يا رسول الله) نداء تكريم لرسول الله ﷺ؛ لأنه اشتمل على صفته (الرسول) دون اسمه مع إضافته لله، واستخدام (يا) التي للبعيد مع قرب الرسول ﷺ منهم إشارة إلى علو منزلته، وارتفاع مكانته، وقولهم (إنا نأكل ولا نشبع) عرض للمشكلة وبيان لأبعادها، وقوله: (لعلكم تفترقون؟) استفهام تقرير غرضه لفتهم، وتنبيههم إلى سبب قلة البركة، وقوله (فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ) أمر إرشاد، وتوجيه لما فيه مصلحتهم في الدنيا بالبركة في الطعام، ومحبة الإخوان، وفي الآخرة برضى الله بذكره عند الطعام، وحمده عند الختام.

فقه الحديث

١- استحباب الاجتماع على الطعام، لأنه من أسباب البركة فيه، وأن لا يأكل المرء وحده. قال بعضهم: وفي الأكل مع الجماعة فوائد منها ائتلاف القلوب وكثرة الرزق والمدد وامتثال أمر الشارع، لأنه تعالى أمرنا بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، ولا يستقيم ذلك إلا بائتلاف القلوب، ولا تألف إلا بالاجتماع على الطعام، وشر الناس من أكل وحده ومنع رفده، فمن فعل ذلك وأراد من الناس نصرته على إقامة الدين فقد أتى البيوت من غير أبوابها، وربما خذلوه عنادًا لبغضهم له، إذ البخيل مبغوض ولو كثر تعبده، والسخي محبوب ولو فاسقًا كما هو مشاهد[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤١٨/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٧ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠٩/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٥٣/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٠٥/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (١١١/٨) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٩٦٨/٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٩/٩، شرح ابن بطال ١٢١/١٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٧/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم:

إن النبي ﷺ يتنزل عليه الوحي، ومن ثم كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على سؤال النبي ﷺ في كل ما يعرض لهم من أمور، وما يخفى عليهم من أشياء ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع)، والصحابة رضي الله عنهم كان عندهم حرص شديد على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم، وهم بهذا يستجيبون لتوجيه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال السعدي: "وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل عليهم السلام المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه"[2].

ولا أدلّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ مما جاء في القرآن

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

الكريم من لفظ يسألونك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [(٣)]، وقد أنكر النبي ﷺ على من لم يسأل، ففي قصة المجروح الذي توضأ واغتسل فمات، فلما أخبر بذلك قال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَ سَألُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[(٤)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه:

وذلك حيث جاء في الحديث: (فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه)، "وقوله لعلكم تفترقون أي: حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده، وقوله: اذكروا اسم الله عليه، أي: في ابتداء أكلكم يبارك لكم في طعامكم، وقد دلت الأحاديث على البركة في تكاثر الأيدي على الطعام، وأما قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[(٥)]، محمول على الرخصة، أو دفعًا للحرج على الشخص إذا كان وحده"[(٦)].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

١- **الأمر**: حيث جاء في الحديث: (فاجتمعوا على طعامكم)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي توجه المدعو إلى ضرورة فعل المأمور به، ومن استعمال القرآن له قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [(٧)]. وفي الحديث أمر النبي ﷺ بالاجتماع على الطعام

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ص ١٦١٥.

(٧) سورة الإخلاص، آية: ١.

حتى تحصل لهم البركة فيما يأكلون.

٢- الترغيب: يتضح هذا من الحديث: (يبارك لكم فيه)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ترغب المدعو في فعل المأمور به، "والترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه ويكون الترغيب في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[(١)].

وفي الحديث رغّب النبي ﷺ في الاجتماع على الطعام ببيان أن البركة تحصل مع الاجتماع.

رابعًا - من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

يتضح هذا من سياق الحديث، وواجب المسلم الاستجابة لأمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(٢)]، وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[(٣)].

قال ابن عاشور: "وأمر الله بالاستجابة للرسول ﷺ إذا دعاهم إلى شيء، فإن في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم، وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية، وقوله: (لما يحييكم) أي: دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كماله، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة، ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال، فإن الرسول ﷺ لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم"[١].

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤/٩/٣١٢ - ٣١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

العلم خزائن مفاتحه السؤال، ومن جهل شيئاً فسأل عنه فإنه لا يعدم الإجابة وهذا ما حدث للصحابي الذي سأل الرسول ﷺ أنه يأكل ولا يشبع، فكانت الإجابة عن طريق الهدي النبوي المتمثل في:

أولاً-التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والمناقشة حيث يستطيع المربي من خلالها أن يغرس الكثير من القيم والتوجيهات والإرشادات التربوية، ومما يشير إلى ذلك في حديث الباب ما جاء عن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: "يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: فلعلكم تفترقون قالوا: نعم قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه".

ففي هذا الحديث دار الحوار والمناقشة بين النبي ﷺ وصحابته الكرام، وأرشدهم الرسول ﷺ إلى ما يقولونه ويفعلونه عند الطعام من الاجتماع عليه وذكر اسم الله تعالى.

(ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار والمناقشة في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق -وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد تُوجَّه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم. ويمكن القول: إن الرسول ﷺ كان كثير الاستعمال للطريقة الحوارية مع أصحابه، ومع خصوم الإسلام من المشركين وأهل الكتاب)[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٢٣، ٢٢٤.

إن واجب المربين الاعتناء بأسلوب الحوار والمناقشة لما له من أهمية في إقناع المتربين.

(إن أسلوب المحاورة والمناقشة يعد من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن الكريم ملئ بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، ولذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته)[1].

ثانيًا-غرس روح الجماعة:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة، وذلك لما في الاجتماع من البركة والخير الحاصل للجميع، ومما جاء في حديث الباب يؤكد أهمية الجماعة والاجتماع ما جاء عن وحشي بن حرب ﷺ أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: فلعلكم تفترقون قالوا: نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه.

ففي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ أنه بسبب الافتراق نزعت البركة على الطعام، وأن الاجتماع على الطعام مع ذكر الله تعالى مَظِنَّةُ حصول البركة. وفي هذا التوجيه النبوي غرسٌ لروح الجماعة، وتنفير من الافتراق.

(إن ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج، من أوضح تعاليم الإسلام، وألزم خلال المسلمين المخلصين... ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، ولئن كانت كلمة التوحيد باب الإسلام فإن توحيد الكلمة سر البقاء فيه والإبقاء عليه، والضمان الأول للقاء الله بوجه مشرق وصفحة نقية.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

إن العمل الواحد في حقيقته وصورته يختلف أجره اختلافًا كبيرًا حين يؤديه الإنسان وحيدًا، وحين يؤديه مع آخرين)[١].

إن تعاليم الإسلام وتوجيهاته تدعم روح الجماعة، وتحث عليها ففي تحقيق الجماعة يكون الخير للفرد وللمجتمع.

(إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد، وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة.

وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عمليًا فإن لها آثارًا تربوية بين أفراد المجتمع، فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى ﷺ، حيث وصل ذلك التوادُّ والتعاطف إلى ذروته)[٢].



(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٧٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٠.

١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

الحديث رقم (٧٤٤)

فيهِ: قَوْله ﷺ: ((وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفق عَلَيْهِ[1] كما سبق.

٧٤٤-وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

حافتيه: جانبيه[3].

الشرح الأدبي

شيوع أساليب التوكيد في مقدمات الأحاديث التي يذكرها الرواة يرجع غرضها غالباً إلى إحساسهم العميق بعظمة الإخبار عن النبي ﷺ؛ لأنه يخرج من أفواههم إلى أسماع الأمة، ولذلك نجدهم يصدِّرون ما يروون عنه بلون، أو أكثر من ألوان التوكيد إشعاراً بما يخالج أنفسهم، من جهة ومن أخرى تنبيهاً على أهمية ما يليه وهذا الحديث من هذه النوعية التي يتصدرها حرف التوكيد تنبيهاً على أهمية ما يليه، وقد بدأ الرسول ﷺ الحديث بما يرغِّب فيه قبل أن يوجه الأمر بالتزامه وهو من فطنته ﷺ

---

(١) تقدم برقم (٢٩٩، ٧٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥) واللفظ له. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢٤٥)، وقال الحاكم (١١٦/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤١).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ف).

قال: (البركة تنزل وسط الطعام) البركة الثبات، والاستقرار، وعدم الزوال، ومعناها ألا ينقص الشيء بل يزيد عن المعتاد لمثله، ولا يتعلق بأسباب ظاهرة غالباً، وتنزلها في الوسط لأنه أعدل الجهات؛ ولذلك جاء أمره ﷺ مرتباً عليها بالفاء (فكلوا من حافتيه) وأكّده بالنهي عن ضده، وهو الأكل من الوسط (ولا تأكلوا من وسطه) وطريقة الرسول ﷺ في التوجيه، والإرشاد في هذا الحديث تشير إلى أهمية الأمر فقد بدأ بالتمهيد له بالترغيب فيه، ثم بالأمر الصريح، ثم بالنهي عن ضده.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى:

موضع الأكل: يستحب عند الجمهور الأكل من جوانب الطعام، ويكره الأكل من أعلاه ووسطه، ولا بأس بذلك في الفواكه بأنواعها.

وقال ابن حزم: (يحرم ذلك)، وهو نص الشافعي في الأم، حيث قال: فإن أكل مما لا يليه أو من رأس الطعام أثم بالفعل الذي فعله، إذا كان عالمًا بنهي النبي ﷺ ولم يحرم ذلك الطعام عليه، وذلك أن الطعام غير الفعل ا. هـ)[١].

لكن نص الشافعي على أن تحريمه محمول على أنه مشتمل على الإيذاء[٢].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، والقوانين الفقهية ٤٧٧، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٧/٩، ٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥، ١٩٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢١٠/٤، والأم ٣٠٦/٧، والمحلى، ابن حزم. وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٦.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مواطن البركة في الطعام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الأمور النافعة للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: (البركة تنزل وسط الطعام)، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تعرّف المدعوين بما هو مطلوب منهم، وأسلوب الإخبار تقوم به الحجة على المدعوين في تبليغهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، قال القاسمي: وقال في الانتصاف: ولما كان عدم تبليغ الرسالة أمرًا معلومًا عند الناس، مستقرًا في الأفهام أنه عظيم شنيع، ينقم على مرتكبه، بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع، فضلاً عن كتمان الرسالة من الرسول ﷺ استغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء، للصوقها بالجزاء في الأفهام، وإن كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد. ولا خفاء في أن النبي ﷺ قد بلّغ البلاغ التام، وقام به أتمّ القيام، وثبت في الشدائد وهو مطلوب، وصبر على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، حتى أصبح سراج الدين وهاجًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا"[2].

وبالإخبار تتبين الحقائق للمدعوين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وبالإخبار تتحقق الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٨٤/٦.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

من قبل المدعوين، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مواطن البركة في الطعام:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: (البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه)، قال المباركفوري: "والوسط أعدل المواضع، فكان أحق بنزول البركة فيه، والمراد بحافتيه جانبيه، وفيه مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه، قال الغزالي: "وكذا لا يأكل من وسط الرغيف بل من استدارته إلا إذا قل الخبز فليكسر الخبر، والعلة في ذلك ما في الحديث من كون البركة تنزل في وسط الطعام"[٢].

قال شرف الحق العظيم آبادي: "وإذا كان الحديث يدل على مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه، فقد قال الخطابي: فيه وجه آخر وهو أن يكون النهي إنما وقع إذا أكل مع غيره، وذلك أن وجه الطعام هو أفضله وأطيبه، فإذا قصده بالأكل كان مستأثرًا به على أصحابه، وفيه من ترك الأدب وسوء العشرة ما لا خفاء به، وأما إذا أكل وحده فلا بأس به"[٣].

وقال ابن عثيمين: ويدل الحديث على أن الإنسان إذا قدم إليه الطعام فلا يأكل من أعلاه بل يأكل من الجانب، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه ولا يأكل مما يلي غيره، ويدل الحديث على أن الإنسان إذا أكل من أعلاه - أي من الوسط - نزعت البركة من الطعام"[٤].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٦٥/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٠٦٥/٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

١- **الأمر**: حيث جاء في الحديث: (فكلوا من حافيته)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية المأمور به وضرورة الالتزام به، ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾(١)، وقوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٢). وفي الحديث أمر النبي ﷺ بالأكل من حافة الطعام.

٢- **النهي**: حيث جاء في الحديث: (ولا تأكلوا من وسطه)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٣)، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٤)، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾(٥). وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن الأكل من وسط الطعام لأن البركة تنزل في وسطه.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الأمور النافعة للمدعوين:

حيث جاء في الحديث: (البركة تنزل وسط الطعام)، ولا شك أن من أهم واجبات الداعية أن يبين الأمور النافعة للمدعوين، لأن الداعية دائمًا مصدر نفع وخير على كل من حوله، وهو دائمًا يرشد إلى الصالح والطيب والنافع، قال الله تعالى واصفًا الرسول ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(٦).

---

(١) سورة المزمل، آية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

وهذا شأن الداعي إلى الله دائمًا أن يحرص على نفع المدعوين وإرشادهم إلى الخير، "إن دعوة الإسلام تدعو الناس جميعًا إلى الفطرة، لتشركهم في خير الإسلام ونعمه وعطاياه، فهي دعوة النصح للناس وحب الخير لهم وتمني هداتيهم، بعد توضيح الطريق لهم على أساس من العلم والحكمة، وهذه سمات تختص بها دعوة الإسلام القائمة على النصيحة التي أساسها الإيمان الصحيح بالله تعالى دون غيرها من الدعوات الأخرى، ويبرز دور النصيحة في الدعوة إلى الله من خلال إشفاق الداعية على المدعو، لأن النصيحة ثمرة الإيمان، والإيمان يقتضي حب الخير للناس والسعي فيه بالقول والعمل قدر الاستطاعة، وبالتالي تتم الدعوة إذا اتسمت بالنصح بأنسب الأساليب، ويراعى فيها حال المنصوح أو من توجه إليه دعوة الخير، وهذا أدعى إلى قبول الدعوة وأعون على نجاحها فحرص الداعي على خير المدعو من شأنه أن يؤلف القلوب ويجمع شتاتها، ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية"[1].

---

(١) النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٢٢١ - ٢٢٢.

الحديث رقم (٧٤٥)

٧٤٥- وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ للنَّبيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أرْبَعَةُ رجالٍ؛ فَلَمَّا أضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ القَصْعَةِ؛ يعني وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا، فَالتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ. فَقَالَ أعرابيٌّ: مَا هذِهِ الجِلْسَةُ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا))، ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَها يُبَارَكْ فِيهَا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيد.

"ذِرْوَتَهَا": أعلاها: بكسر الذال وضمها.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٨).

غريب الألفاظ:

القصعة: وعاء يؤكل فيه[2].

الغراء: تأنيث الأغرّ بمعنى: الأبيض الأنور[3].

أضحوا: دخلوا في الضحى[4].

وسجدوا الضحى: صلوا الضحى[5].

ثُرِدَ فيها: فُتَّ الخبز فيها[6].

جثا: جلس على ركبتيه من جهة ضيق المكان توسعة على الإخوان[7].

ذروتها: أعلاها[8].

---

(١) برقم (٣٧٦٧). وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٤١/٩): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ع).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٤) المرجع السابق ١٦١٩.

(٥) المرجع السابق ١٦١٩.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ث ر د).

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٨) رياض الصالحين ٣١٩.

الشرح الأدبي

قوله: (يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ) كناية عن اتساعها مما يدل على كرمه ﷺ وإن كان كرمه لا يحتاج إلى دليل، وقوله (جثا رسول الله ﷺ) أي جلس على ركبتيه تواضعاً منه ﷺ وعلى جهة التوسعة لأصحابه يدل على ذلك قول الراوي (فلما كثروا) وقول الأعرابي: (ما هذا الجلسة؟) استفهام ظاهره تحقير الجلسة كأنه يجلُّ الرسول ﷺ عنها - يرى أن مقامه أعظم من أن يجلس هذه الجلسة - وهو ما يدلُّ عليه ردُّ النبي ﷺ (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) فقد أكّد العبارة بعدة مؤكدات منها: حرف التوكيد، واسمية الجملة، ثم بنفي ضد ما أثبت في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) أي: جعلني متواضعاً حَسن الأخلاق كريم الطباع، ولذلك نكّر كلمة (عبد) وتعبيره بعبد يشير إلى منتهى تواضعه، ودماسة خلقه ﷺ، وقوله (كلوا من حواليها) أمر توجيه، وإرشاد لما يحقق البركه، ومن براعته ﷺ أنه قابل الجمع (كلوا) بالجمع (حواليها) ولم يقل حولها بالإفراد إشارة إلى ضرورة إلتزام كل واحد منهم بالأكل مما يليه، ثم أكّد جملة الأمر بالأمر بترك ضدها، ورغّبهم في إتيان ما أمَر بالفعل المجزوم في جواب الطلب (يبارك فيها).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كرم النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع وعدم الترفع.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كرم النبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث: (كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء يحملها أربعة رجال)، وهذا يدل على كرم النبي ﷺ وجوده، قال القاضي عياض: "وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة والإنفاق وطيب النفس فكان ﷺ لا يُوازَىَ في هذه

الأخلاق الكريمة ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه"[١].

وقد جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ، فَقَالَ: لاَ))[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[٣].

وقد جاء في الحديث أيضًا ما يبين كرم النبي ﷺ، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بينما هوَ يسيرُ معَ رسولِ الله ﷺ ومعه الناسُ، مَقفَلَهُ من حُنَينٍ، فَعَلِقَتِ الناسُ يسألونه حتّى اضطَرّوه إلى سَمُرَةٍ فخطِفَتْ رداءه فوقفَ النبيّ ﷺ فقال: ((أَعْطوني ردائي، لو كان لي عدد هذهِ العِضاهِ نَعمًا لقَسمتهُ بينكم، ثمَّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوبًا ولا جَبانًا))[٤]، وجاء عن ابن أبي الدنيا: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ما رأيت أحدًا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوفى من رسول الله، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم، إلا أنه كان ضحاكًا بسامًا)[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام:

حيث جاء في الحديث: (فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ)، ولا شك أنه بالاجتماع على الطعام تكون البركة فيه، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ. وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ. وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ))[٦]، قال ابن قدامة: "ومن آداب الطعام يجتهد المرء في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده"[٧]، ومما هو معلوم أن استحباب الاجتماع على الطعام؛

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٩٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٦).

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

(٥) مكارم الأخلاق ٢٥٦.

(٦) أخرجه مسلم ٢٠٥٩.

(٧) مختصر منهاج القاصدين ٧٧.

لأنه سبب لحلول البركة فيه، وكلما زاد عدد الآكلين زادت البركة، قال ابن حجر: "وعند الطبراني من حديث ابن عمر ما يرشد إلى العلة في ذلك وأوله: (كلوا جميعًا ولا تفترقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين)، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة"[1].

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع وعدم الترفع:

حيث جاء في الحديث: (إن الله جعلني عبدًا كريمًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا)، قال الطيبي: "وفي سؤال الأعرابي: ما هذه الجلسة؟ كأنه استحقرها، ورفع منزلته عن مثلها فأجاب صلوات الله وسلامه عليه أن هذه جلسة تواضع لا حقارة ولذلك وصف نفسه بقوله: عبدًا كريمًا"[2]، ولا شك أن صفة التواضع من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [4].

وجاء في الحديث عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[5]، وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((ألا أُخبِرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبرٍ))[6]. ولا غرو "فالتواضع يجعل الداعية محبوبًا في قومه وبيئته، ذا أثر فعال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جدارًا حاجزًا بين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٦/٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٨/٨.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٥٦.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٧١ واللفظ له، ومسلم ٢٨٥٣.

الداعية والمدعوين، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه، غير مألوف ممن حوله"[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن من أهم أساليب الدعوة السؤال والجواب، لما له من قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، والشاهد على ذلك: فقال الأعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال رسول الله ﷺ إن الله جعلني ..."[2].

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة ٥٨/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النظام والنظافة والجمال من القيم الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم في عاداته وتقاليده وسلوكه، فإذا خالف الإنسان في ذلك وجب أن يوجه ويرشد، وهذا ما فعله الرسول ﷺ في منهجه التربوي الوارد في أحاديث الباب على النحو التالي:

أولاً-الإرشاد إلى آداب الأكل:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية الإرشاد والتوجيه إلى آداب الأكل لما في ذلك من الآداب الاجتماعية، ومما جاء في حديثي الباب يرشد إلى هذا قوله ﷺ "البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه" وكذلك حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه وفيه "... ثم قال رسول الله ﷺ: كلوا من حواليها، ودعوا ذِرْوتها يبارك فيه".

ففي هذين الحديثين أرشد النبي ﷺ إلى أحد آداب الأكل وهو الأكل من حافة الإناء لا من وسطه لما في ذلك من المنفعة الحاصلة للآكلين وهي حصول البركة في الطعام.

(وخص الوسط بنزول البركة لأنه أعدل المواضع، وعلة النهي حتى لا يحرم الآكل البركة التي تحل في وسطه، وقد يُلحق به ما إذا كان الآكلون جماعة، فإن المتقدم منهم إلى وسط الطعام قبل حافته قد أساء الأدب معهم، واستأثر لنفسه بالطيب دونهم)[١].

ثانيًا-التربية بالمواقف والأحداث:

إن المواقف والأحداث من الأهمية بمكان في العملية التربوية ذلك أنه بتعدد المواقف والأحداث تتعدد الدروس والتوجيهات التربوية إضافة إلى أن الموقف والحدث يكون راسخًا في الذهن مما يساعد على نجاح العملية التربوية، ومما جاء في حديثي الباب

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٥٩.

يدلل على التربية بالحدث والموقف حديث عبدالله بن بُسر ﵁ قال: كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة - يعني وقد ثُرد فيها - فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي ما هذه الجلسة؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا...".

فمن خلال هذا الموقف والحدث أعطى النبي ﷺ درسًا تربويًا في التواضع والبساطة.

(إن الناس يتعرضون في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث كأسلوب تربوي أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، والحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطَرْقُ والحديد ساخن حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى)[1].

إن واجب المربين استغلال المواقف والأحداث في غرس القيم والمبادئ التربوية التي تسهم في صلاح حال الفرد والمجتمع على حدٍ سواء (فلا شك أن من طرق التربية الفعالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب)[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦، ٤٤٧.

ثالثًا-إيجابية المتربي:

إن من الأهداف العامة للتربية الإسلامية إيجاد الإيجابية عند المتربي، وذلك بأن يكون شريكًا في العملية التربوية، وهذا يتحقق من خلال مشاركته بالسؤال والاستفسار عما يجهل، وعما لا يفهم، ومما يشير إلى ذلك من حديثي الباب ما جاء في حديث عبدالله بن بسر ﵁ وفيه "... فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا، ثم قال رسول الله ﷺ كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيه".

ففي هذا الحديث كانت المشاركة من الأعرابي بالسؤال عن جلسة النبي ﷺ، ومن خلال هذه المشاركة بيّن النبي ﷺ أنه عبد كريم وليس بجبار عنيد، وأضاف النبي ﷺ قيمة تربوية بالإرشاد إلى الأكل من جوانب القصعة وترك ذروتها لتحل البركة في الطعام.

(إن السؤال مفتاح العلم، قال ابن شهاب: العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فإنما يؤجر في العلم ثلاثة: القائل والمستمع والآخذ، وجاء عن ابن عمر ﵄: حسن السؤال نصف العلم.

وقال الأندلسي: من السنة أن من سمع شيئًا لا يعرفه فليراجع فيه حتى يعرفه ليتبين حقه من باطله، لأنه قد يكون فيه مصلحة لا يعرفها فيكون رده وجهله سببًا لحرمانه من تلك المنفعة، ولذلك قال السادة العلماء: من جهل شيئًا عاداه، وكان الرسول ﷺ يحض أصحابه على فهم أمور دينهم فيأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم، وقيل لابن عباس ﵄: بم نلت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول)[1].

إن المتربي ينبغي أن يكون إيجابيًا، ولا يكتفي بالتلقي والتلقين، ولكن يحرص على السؤال والاستفادة من المربي الذي أمامه.

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٣٣٥، ٣٣٦.

(إن كل إنسان في هذه الحياة له طاقات معينة، وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير الجهد والوقت والمال كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت عن الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمَد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل، وسكوت الإنسان على جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب)[2].



(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣، ١٢٤.

١٠٨- باب كراهية الأكل متكئًا

الحديث رقم (٧٤٦)

٧٤٦- عن أَبي جُحَيْفَةَ وَهْب بن عبد الله رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا)) رواه البخاري[1].

قال الخطابي: المُتكِيءُ هنا: هو الجالس معتمداً على وِطاءٍ تحته. قال: وأراد أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام، بل يقعد مُسْتَوفِزًا لا مستوطِئًا، ويأكل بُلغَةً. هذا كلام الخطابي، وأشار غيره إلى أن المتكئ هو المائل على جنبه، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٩).

غريب الألفاظ:

لا آكل متكئًا: المتكئ ههنا: هو الجالس على وطاء تحته، أي: أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام[2].

الشرح الأدبي

من تواضعه ﷺ أنه كان لا يأكل متكأ والاتكاء: مُخْتَلفُ فِي صِفَته، قِيلَ أَنْ يَتَمَكَّن فِي الْجُلُوس لِلأَكْلِ عَلَى أَيّ صِفَة كَانَ، وَقِيلَ أَنْ يَمِيلَ عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ، وَقِيلَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى يَده الْيُسْرَى مِنْ الأَرْض قَالَ الْخَطَّابِيُّ: تَحْسَب الْعَامَّة أَنَّ الْمُتَّكِئَ هُوَ الآكِل عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ الْمُعْتَمِد عَلَى الْوِطَاء الَّذِي تَحْته. قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنِّي لا أَقْعُد مُتَّكِئًا عَلَى الْوِطَاء عِنْدَ الأَكْلِ فِعْلَ مَنْ يَسْتَكْثِر مِنْ الطَّعَام فَإِنِّي

---

(١) برقم (٥٣٩٨).

(٢) رياض الصالحين ٢١٩.

لا آكُل إلاَّ الْبُلْغَة مِنْ الزَّاد، فَلِذَلِكَ أَقْعُد مُسْتَوْفِزًا)[١] فالسر في كراهيته للأكل متكأ يرجع إلى أنها جلسة فيها تكبر أو أنها جلسة المستكثر من الطعام الذي يتهيأ له والرسول ﷺ لم يكن هذا ولا ذاك بل كان طعامه للضرورة وما ملأ بطنه من طعام قط وأحاديث الباب فيها دلالة على ذلك وقوله (لا آكل متكئاً) أسلوب خبري فيه أدب في عرض النصيحة ما لم تكن فرضاً فمن اقتدى به في هذه الفضائل فله الأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ في الأكل.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا آكل متكئًا" وهذا إخبار بهيئة النبي ﷺ حال الأكل وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تقيم الحجة على المدعوين، وبه يعرفون هدي النبي ﷺ في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وجميع أموره. فيطالبون بالالتزام بما أخبروا به من هدي النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣] والدعاة إلى الله مطالبون باتباع أسلوب الإخبار لتعريف المدعوين بحقائق هذا الدين، وبيان هدي سيد المرسلين، وجميع أخبار القرآن والسنة الصحيحة كلها صادقة، فيجب أن يعتمد عليها الدعاة، لأن مصداقية الخبر من أولى الخطوات المهمة لتبليغ الدعوة وإقناع المدعوين بها.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي حديث (٣٢٧٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ في الأكل:

حيث جاء في الحديث "لا آكل متكئًا" وهذا بيان لهيئة النبي ﷺ في الأكل قال ابن حجر: (واختلف في صفة الاتكاء، فقيل أن يتمكن في الجلوس للأكل على أي صفة كان، وقيل أن يميل على أحد شقيه، وقيل أن يعتمد على اليسرى من الأرض وقال الخطابي: تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل على أحد شقيه وليس كذلك، بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، وإذا ثبت كونه مكروهًا أو خلاف الأولى فالمستحب في صفة الجلوس للآكل أن يكون جاثيًا على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى)[1]. وأما السبب في علة الكراهة في الأكل متكئًا فقد قال المباركفوري: (جاء من طريق إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاءً مخافة أن تعظم بطونهم)[2].

وقال ابن عثيمين: (وليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل الإنسان متكئًا، إما على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، وذلك؛ لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء وهذا معنى نفسي، ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا، فلا يكون على طبيعته، فربما حصل في مجاري الطعام أضرار من ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ "لا آكل متكئًا" يعني ليس من هديي أن آكل متكئًا)[3]. قال الدكتور الحسيني هاشم: (احترام الأكل مطلوب، وعدم الاعتدال عند تناوله من شأن المستهترين، وقد كان هذا حال رسول الله ﷺ، وما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين من الاعتدال عند تناوله واحترامه والاعتناء به)[4].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

ويتضح هذا من سياق الحديث، وإذا كان من هديه ﷺ أن لا يأكل متكئًا،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٢/٩.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٥٧٩/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٦٧/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤٥.

فمن آداب المدعو أن يلتزم بالاقتداء بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

قال ابن كثير: (أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، واتقوا الله في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه)[3].

وقال السعدي: (والأسوة الحسنة في الرسول ﷺ فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ)[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨، ٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٨.

الحديث رقم (٧٤٧)

٧٤٧- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: رَأَيْتُ رسول الله ﷺ (جَالِسًا) [(١)] مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا. رواه مسلم[(٢)].

"المُقْعِي": هو الذي يُلصق أَلْيَتَيه بالأرض، وينْصبُ سَاقيه.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

المقعي هو الذي يلصق إليته بالأرض، ويرفع ساقيه وهي جلسة من جلسات التواضع والوقار بالإضافة إلى أنها جلسة من لا يريد أن يملأ معدته.

وقول أنس رضي الله عنه (رأيت النبي ﷺ) الرؤية من أقوى طرق العلم، ورأى هنا بصرية بمعنى أبصرته وهذا تأكيد لصحة ما سيقول، ونقل هذه المواقف عنه ﷺ تعليم للأمة، وبيان لشرائع الله خلال السنن القولية، والفعلية لأنه ﷺ لا يصدر في أقواله وأفعله إلا عن وحي، وجملة (يأكل تمراً) تنبيء عن تواضعه وعن رقة حاله وقلة ذات يده والفعل المضارع يستحضر الصورة، صورة فقير متواضع يتناول تمرات ينفض عنها رمل الصحراء هو في جوهره، وحقيقته خير الأولين، والآخرين، وأحب خلق الله إليه، أتراك هل أدركت جانباً من سر هذه الأفضلية.

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ ونقلها.

ثانيًا- من صفات النبي ﷺ: التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ ونقلها:

يتضح هذا من الحديث "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا" قال القاضي عياض:

---

(١) (جالسًا) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٢٠٤٤/١٤٨).

(والإقعاء: جلسة المستوفز على أطراف إليتيه وهذا هو تفسير قوله: "أما أنا فلا آكل متكئًا" ومعناه: أي لا آكل أكل من يريد الاستكثار من الأطعمة، ويتمكن للقعود لها بل يقعد مستوفزًا وعند بعضهم الإقعاء: الاتكاء على الجانب، وهو تأويل أكثر الناس وعلته عندهم وجهان:

أحدهما: أنه من شيم أهل الكبر والترفه.

الثاني: يخشى ضرره لأجل ضغط مجاري الطعام بضغط الجانب والأضلاع بالاتكاء)[١]. قال النووي: (وقوله "مقعيًا" أي جالسًا على إليتيه ناصبًا ساقيه، وهي جلسة من لا يريد الاستكثار من الطعام ويقعد متمكنًا له، بل يقعد مستوفزًا ويأكل قليلاً)[٢]. وقال ابن عثيمين: (والإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه، وإنما أكل النبي ﷺ كذلك، لئلا يستقر في الجلسة فيأكل كثيرًا، ولاشك أن إكثار الطعام لا ينبغي فمن أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئنًا الطمأنينة الكاملة)[٣].

وما من شك في أن وصف أنس رضي الله عنه لهيئة جلوس النبي ﷺ دليل على حرصه على تتبع أحواله ونقلها لنا، ذلك لأن رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة في جميع أموره وأحواله، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] وحذر الله تعالى من مخالفة هديه فقال جلّ شأنه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٢٧/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٦٧/٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

ثانيًا- من صفات النبي ﷺ: التواضع:

حيث جاء في الحديث "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا" ولاشك أن هذا يدل على كمال تواضعه ﷺ قال القرطبي: (والإقعاء: جلسة المستوفز على أطراف إليتيه مأخوذ من إقعاء السبع، وإنما كان يأكل كذلك لعدم نَهَمِهِ، وقلة مبالاته بأكله، إذ لم تكن همته فيما يجعل في بطنه، وإنما كان يأكل القليل من الطعام عند الحاجة وعلى جهة التواضع)[1].

وقال محمد تقي العثماني: (والإقعاء هيئة متواضعة للجلوس، وعلل الأكثرون الإقعاء بأنه كان تواضعًا منه ﷺ واستعجالاً للفراغ من الأكل، ليتوجه بعد ذلك إلى شغله، ودل الحديث على أن المرء ينبغي له أن يجلس على الطعام جلوسًا متواضعًا ويجتنب هيئة المتكبرين)[2].

قال القاضي عياض: (وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة شأنه فكان أشد الناس تواضعًا، وأعدمهم كبرًا، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا)[3]. وقد أمره الله بالتواضع، فقال سبحانه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4] وقال جلّ شأنه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[5] ومن تواضعه ﷺ أنه نهى عن مدحه وإطرائه فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا تُطْروني كما أطرَتِ النصارَى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد اللهِ ورسوله))[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٥/٥.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٤٢/١٠-٤٣.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٩١/١.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) أخرجه البخاري ٣٤٤٥.

والدعاة إلى الله أحوج الناس إلى خلق التواضع، لأنهم يخالطون الناس ويدعونهم إلى الحق، والناس لا يتقلبون دعوة أو قول من يتطاول عليهم بعلم أو معرفة، لأن قلوب الناس جبلت على حب من أحسن إليها بالتواضع وسماحة النفس، والنفور ممن يتكبر عليها فلا يتقبلون له دعوة ولا يأخذون عنه إرشادًا، ولقد كان من أهداف دعوته ﷺ: القضاء على نزعة التكبر والاستعلاء التي فشت في العالم، وعلى الداعي الناجح أن يجعل من رسول الله ﷺ أسوة حسنة في الاقتداء في جميع خصاله الكريمة[1].

---

(١) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢٤٣ - ١٤٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النعم تقابل بالشكر والاحترام والتقدير، والقدرة على تناول الطعام نعمة حرص الرسول ﷺ على التعامل معها بما يناسبها، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي.

أولاً-تعليم آداب الجلوس على الطعام:

إن من الآداب التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين وتعليمها لهم تعليمهم آداب الجلوس على الطعام، لما في ذلك من حسن الأدب والتواضع، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى ذلك قوله ﷺ "لا آكل متكئًا" وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا".

ففي هذين الحديثين بيان لبعض آداب الجلوس على الطعام التي ينبغي أن يلتزم بها المتربي.

قال ابن مفلح المقدسي: (ومن آداب الطعام أن لا يأكل إلا مطمئنًا وقوله ﷺ "أما أنا فلا آكل متكئًا" أي لا آكل أكل راغب في الدنيا متمكن، بل آكل بحسب الحاجة، وقد فسر ذلك بالتربيع لما فيه من التجبر، وفسر الاتكاء بالميل على الجنب والإسناد إلى شيء وهذا هو المتبادر إلى الفهم عرفًا، وهو يضر من جهة الطب لتغير الأعضاء والمعدة عن الوضع الطبيعي ولا يصل الغذاء بسهولة، وقال ابن هبيرة: (أكل الرجل متكئًا يدل على استخفافه بنعمة الله تعالى فيما قدمه بين يديه من رزقه، وفيما يراه الله من ذلك على ما تناوله، ويخالف عوائد الناس عند أكلهم الطعام من الجلوس إلى أن يتكئ فإن هذا يجمع بين سوء الأدب والجهل واحتقار النعمة، ولأنه إذا كان متكئًا لا يصل الغذاء إلى قعر المعدة الذي هو محل الهضم فلذلك لم يفعله النبي ﷺ ونبه على كراهته.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأبي عبدالله: تكره الأكل متكئًا؟ قال: أليس قال النبي ﷺ: لا آكل متكئًا. قال في المستوعب إن من آداب الأكل أن لا يأكل

متكئًا ولا منبطحًا، ولا يأكل إلا مطمئنًا)[١].

وقال ابن القيم: (ومن هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل أنه ﷺ كان يأكل وهو مقع، ويُذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركًا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعًا لربه عز وجل)[٢].

والحاصل أنه يجب على المتربي أن يعرف آداب الجلوس على الطعام وأن يجلس مطمئنًا (ومن آداب الطعام عدم الجلوس متكئًا فليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، قال ابن عثيمين: وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء وهذا معنى نفسي، ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا فلا يكون على طبيعته فالإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه هذا هو الإقعاء، وإنما كان يأكل النبي ﷺ كذلك لئلا يستقر في الجلسة فيأكل أكلاً كثيرًا لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مقعيًا لا يكون مطمئنًا في الجلوس فلا يأكل كثيرًا، قال: و الحاصل: أن عندنا جلستين: الجلسة الأولى الاتكاء وهذه ليست من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا، وكل أنواع الجلوس الباقية جائزة)[٣].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

إن الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي لما يدعو ويوجه إليه مما يزيد في قناعة المتربي بما هو مأمور به ومنهي عنه، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا الأسلوب حديث أنس رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا".

ففي هذا الحديث التطبيق العملي والممارسة الفعلية لعدم الجلوس على الطعام متكئًا.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٦٩/٣، ١٧٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢١/٤.

(٣) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٤٥٣/١.

(إن أسلوب الممارسة العملية يعد من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل. ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلام دين عمل شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران ويطالب الدين الإسلام كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا)[1].

هذا وواجب المربي الناجح الاهتمام بالتطبيق والممارسة العملية أكثر من قوله حيث إن للممارسة العملية أثرًا بالغًا في نجاح العملية التربوية وفي توجيه المتربي وإرشاده.



(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع

واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها

واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة الّتي تسقط منه وأكلها

وجواز مسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

الحديث رقم (٧٤٨)

٧٤٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلاَ يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ[1] حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَها)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

التواضع خلق عالٍ رفيع يربي الإسلام أفراده عليه، لأن مقابله، وهو الكبر يحرم صاحبه دخول الجنة بأقل القليل منه كما أن صاحبه يكون مكروهاً ممن حوله في الدنيا فهو بهذا الخلق في نار قبل النار، وهذا الحديث فيه صورة من صور البساطة والتواضع التي يتربى عليها المسلم، وهي لعق الأصابع، والمعنى فيه مبني على أسلوب الشرط المنبيء بقوة اتصال الجمل، فالجملة الثانية تتحقق بتحقق الأولى وتنتفي بانتفاءها، وهو ما يجعل جملتي الشرط كالجملة الواحدة، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) التي تشير إلى تحقق الوقوع؛ لأن الأكل أمر معتاد، وفعل الشرط في الماضي (أكل) ودخول إذا عليه يُمَحِّضَه للاستقبال، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وجملة الجواب (فلا

---

(١) عندهما بلفظ: (يده). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٥٦، ومسلم ٢٠٣١/١٢٩ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٩٣.

يمسح أصابعه) الفاء في جواب الشرط، ولا ناهية، والمنهي عنه المسح المؤقت بـ (حتى) الدالة على بلوغ الغاية، وهي لعق الأصابع؛ لأن ما فيها جزء من الطعام، ولا يدري في أي طعامه البركة، بالاضافة إلى أن فيه رياضة النفس على خلق التواضع، وقوله (أو يُلْعقها) أي غيره، و (أو) هنا للتخيير، وهذه أكثر ترويضاً للنفس على التواضع من لعقها بنفسه، بالإضافة إلى أن فيها نوعاً من التآلف بين المؤمنين، وما أعمقها من معانٍ لو فطن إليها المسلمون.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- الأكل بثلاثة أصابع: السنة الأكل بثلاثة أصابع، ويكره الأكل بأكثر منها، لأنه من الشره، وسوء الأدب، ولأنه غير مضطر لذلك لجمعه اللقمة، وإمساكها من جهاتها الثلاث، إلا أن يضطر إلى الأكل بأكثر من ثلاثة أصابع، لخفة الطعام مثلاً، وعدم تلفيقه بالثلاث، فيدعمه بالرابعة أو الخامسة[2]. هذا إن أكل بيده ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها[3].

٢- أكل اللقمة الساقطة: يستحب عند جمهور الفقهاء إذا وقعت اللقمة أن يميط الآكل عنها الأذى، ويأكلها، ما لم تتنجس، ولا يدعها للشيطان، لأنه لا يدري موضع البركة في طعامه، وقد يفوّت تركها على المرء بركة الطعام. فإن تنجست غسلها، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان.

---

(١) اي احاديث الباب.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢١/٦.

بينما ذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك[١].

٣- لعق الإناء والأصابع: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه من السنة للآكل لعق أصابعه قبل غسلها، أو مسحها، تحصيلاً لبركة الطعام، وكذلك يسن له لعق الإناء وتتبع ما بقي فيه من طعام[٢].

وهل للعق الأصابع صفة واردة؟

ورد عند الطبراني في الأوسط من حديث كعب بن عجرة قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، الإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها، ويلعق الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[٣].

وذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك كله[٤].

وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (٦٠٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل لعق الأصابع بعد الفراغ من الأكل.

ثالثًا: من آداب الداعي: بيان الأمور النافعة للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

النهي من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو على اجتناب الأمر المنهي

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٨/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٧/٦.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإردات ٦٨/٩.

(٣) المعجم الأوسط ١٦٩/٦، ١٧٠٩. وقال الهيثمي: فيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة، ولم أعرفهما رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ٢٩/٥.

(٤) المحلى، ابن حزم ١١٧/٦.

عنه، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ "...، فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها"، وما النهي في ذلك إلا لعظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل لعق الأصابع بعد الفراغ من الأكل:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "...، فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها" قال النووي في قوله ﷺ "يلعقها أو يلعقها: (معناه: والله أعلم: لا يمسح يده حتى يلعقها، فإن لم يفعل فحتى يلعقها غيره ممن لا يتقذر ذلك كزوجه وجارية وولد وخادم يحبونه ويلتذون بذلك ولا يتقذرون... وكذا لو ألعقها شاة ونحوه والله أعلم)[1].

وقال ابن حجر: (وفي الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذارًا، نعم يحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل لأنه يعيد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه، قال الخطابي: عاب قوم أفسد عقلهم الترفه فزعموا أن لعق الأصابع مستقبح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع أو الصحفة جزء من أجزاء ما أكلوه، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرًا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرًا، وليس في ذلك أكبر من مصه أصابعه بباطن شفتيه. ولا يشك عاقل في أن لا بأس بذلك، فقد يمضمض الإنسان فيدخل إصبعه في فيه فيدلك أسنانه وباطن فمه، ثم لم يقل أحد إن ذلك قذارة أو سوء أدب)[2].

وقد بين النبي ﷺ فضل لعق الأصابع بعد الأكل فقال: ((فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ. فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ))[3].

قال النووي: (معناه والله أعلم: إن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة ولا يدري أي تلك البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه... فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصل البركة: الزيادة وثبوت الخير والامتاع به، "والمراد" هنا والله أعلم ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله تعالى وغير

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/ ٤٩١.

(٣) اخرجه مسلم ٢٠٣٣.

ذلك)[1]. وقال ابن حجر: (قد أبدى عياض علة أخرى فقال: إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام)[2].

ثالثًا - من آداب الداعي: بيان الأمور النافعة للمدعوين:

هذا ما يستفاد في الحديث من إرشاده ﷺ إلى ما فيه نفع وخير للأمة وذلك من قوله "فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها" لما في ذلك من فضل عظيم كما سبق وبينا، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في ذلك ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3] (وفي هذه الآية دليل على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أن أمته تتخذه أسوة في الأحكام...، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله واليوم الآخر)[4]، وهذا فضلاً عن عظم أجر الداعية إلى ذلك، فقد قال ﷺ ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[5]، وقال ((ومَنْ دَعَا إلى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[6]، فعلى الداعية أن يحرص على بيان الأمور النافعة للمدعوين لما في ذلك من عظيم الأجر والفائدة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩١/٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

(٥) اخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٦) اخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٧٤٩)

٧٤٩- وعن كعب بن مالك ﷺ، قَالَ: رأيتُ[١] رسولَ الله ﷺ يَأكُلُ بثَلاَثِ أصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

وهذا الحديث كسابقه في بيان فضل لعق الأصابع ما بين تحقيق البركة، وبين توطين النفس على التواضع المشعر بشكر النعمة وحمد المنعم، وهذا الحديث يقرر بالسنة الفعلية هذا المعنى بالإضافة إلى أنه يشير إلى أدب آخر من آداب الطعام، وهو الأكل بثلاث أصابع، لأن الزيادة على ذلك تُشعر بالجشع، وتُستقذر من بقية الآكلين، وقد ساق الصحابي المعنى في الحديث بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه يؤسس معنى جديداً، ولا يواجه بإنكار، والصورة التي تصورها الأفعال الثلاثة (يأكل - فرغ - لعقها) للنبي ﷺ في أثناء طعامه تعكس أدبه العالي، وتواضعه الجم.

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية أكل النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على متابعة ونقل أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

اولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية اكل النبي ﷺ:

قد كان هدي النبي ﷺ أنه كان يأكل بثلاث أصابع، وكان يلعق يده بعد الفراغ من طعامه، وهذا ما بينه كعب بن مالك ﷺ في نص الحديث من قوله: "رأيت

---

(١) لفظ مسلم: (أن رسول الله ﷺ كان يأكل).

(٢) برقم ١٣٢/٢٠٣٢.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٤٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٥٠).

رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها".

وقد بيّن القاضي عياض: (أن قوله ﷺ "كان يأكل بثلاثة أصابع": هو أدب الأكل وسننه ومن المروءة؛ لأن الأكل بأكثر منها إنما هو من الجشع وسوء الأدب فيه وتكثير اللقم، وذلك من غير آدابه ومستحسناته، ولأنه غير مضطر لأكثر من ثلاث لجمع لقمته وإمساكها من جهاتها، إلا أن يضطر إلى غير ذلك لخفة الطعام، وعدم تلفيفه بالثلاث فيدعمه بالرابعة)[1].

وقال ابن القيم: (وكان ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ، وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة، والجَشِعُ الحريص يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة)[2].

وقد بين ابن علان ذلك فقال: (قال العلماء: فيستحب الأكل بثلاث أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لضرورة... ثم بين أن من عادته ﷺ في أكثر الأوقات هو الأكل بثلاث أصابع. قيل: وإنما اقتصر عليها لأنه الأنفع؛ إذ الأكل بأصبع واحدة مع أنه فعل المتكبرين لا يستلذّ به الآكل ولا يستمرئ به؛ لضعف ما يناله منه كل مرة، فهو كمن أخذ حقه حبة حبة، وبالأصبعين مع أنه فعل الشيطان ليس فيه استلذاذ كامل مع أنه مفوّت الفردية، واللّه وتر يحبّ الوتر، والخمس مع أنه فعل الحريص الفجع يوجب ازدحام الطعام على مجراه من المعدة، فربما أفسد مجراه فأوجب الموت فورًا وفجأة "فإذا فرغ" أي: من أكله "لعقها" بكسر المهملة: أي لحسها)[3].

وقال القاضي عياض: (وفي الحديث جواز مسح اليد بعد الطعام بالمنديل، وهذا - والله أعلم - فيما لم يحتاج فيه لغسل مما ليس فيه غمر ولزوجة مما لابد منه إلا الغسل، فقد جاء في الحديث في الترغيب في غسله أو الحذر من تركه، فذكر أبو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٢/٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم /١٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٠٢٠.

داود في مصنفه، ... وغيره من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ))[١])[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على متابعة ونقل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم:

يظهر ذلك جليًا في الحديث من متابعة كعب بن مالك رضي الله عنه لحال النبي صلى الله عليه وسلم أثناء أكله، ونقل ذلك عنه في قوله رضي الله عنه: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع".

(والصحابة رضي الله عنهم خير القرون، وصفوة هذه الأمة، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان، فهم حملة هذا الدين، ... وقد وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًا طريًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة، ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص، ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن)[٣].

وفي بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة ونقل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ((بتُّ عندَ خالتي مَيمونة، فقلتُ لأنظرنَّ إلى صلاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم...))[٤] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَنزِلُ يومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلكَ... إلخ))[٥] وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة ونقل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، (وقد كان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به أحد

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٨٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٢).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٢/٦.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ٢٧١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٧٠، ومسلم ٧٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ٨٩، ومسلم ١٤٧٩.

ركائز الإسلام وأساسياته، ومن أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد استفاضت النصوص الشرعية الصحيحة في بيان ذلك والتأكيد عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] وقوله عز وجل ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2])[3].

(والتأسي بالنبي ﷺ معناه تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين)[4]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾[5]، والله جعل نبيه ﷺ للناس كافة الهادي والمبلغ والسراج المنير قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا ﴿٤٥﴾ إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[6].

(ومبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره)[7].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني ص ٩٣، ضمن بحوث حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.

(٤) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٧) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٩-٦٠.

الحديث رقم (٧٥٠)

٧٥٠- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: ((إنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الصحفة: الإناء الذي يؤكل فيه[٢].

الشرح الأدبي

يكشف هذا الحديث جانباً من حكمة الرسول ﷺ في الأمر بلعق الأصابع، والصفحة، وقول الرسول ﷺ (إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة) الجملة مؤكدة بأكثر من مؤكد تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين أو تعظيماً للخبر، ورغبة في تعظيمه في أنفس المخاطبين، واتصاله بكاف الخطاب، وميم الجمع يجعل الجميع مَعْنين بموضوع الحوار وقوله (لا تدرون) يشير إلى الجهل بمحل البركة والذي يؤكده الإبهام الذي توحي به (أي) وينادي بتتبع البركة في كل بقايا الطعام، وجملة أحاديث هذا الباب فيها جانب اقتصادي لو طُبق حق التطبيق لوفّر للمسلمين ما يحتاجون إليه، وصاروا في غنى عن الحاجة لأعدائهم في طعامهم، وأساس المسألة هو توقير نعمة الله واحترامها واتباع سنة رسوله.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٢٠٣٣/١٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ح ف).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٥١)

٧٥١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ، فَلْيَأخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَان، وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بالمنْدِيل حَتَّى يَلْعَقَ أصَابِعَهُ، فَإنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فلْيُمِطْ: فليُنحَّ وليُزل[2].

الشرح الأدبي

الحديث يعالج جانباً مهماً من جوانب السلوك في تناول الطعام، يعتمد حسن استعمال النعمة، والمحافظة عليها، ويُبنى على أسلوب الشرط بعد التوكيد الذي يمهِّد النفوس للخبر، ويدخله على القلوب دخول المأنوس، وقد ربط أسلوب الشرط جزاءً بفعله، فكلما وقعت لقمة أخذها فأماط الأذى عنها فأكلها، والحديث تكاثفت فيه الأساليب الإنشائية التي تمثل جانب الحركة في اللغة؛ وتبدو من خلالها انفعالات المتكلم، ومشاعره، ومدي تأثره بموضوعه، وقد ورد أسلوب الأمر ثلاث مرات، وأسلوب النهي مرتين، وأساليب الأمر هي (فليأخذها - فليمط - وليأكلها) ومن الملاحظ أنها أفعال مضارعة دخلت عليها لام الأمر، وهذا الصيغة من صيغ الأمر أدل على اللزوم، وأبعد عن المجاز ثم إن هذه الأفعال ترتبت على بعضها، فقوله (إذا وقعت لقمة) نسب فعل الوقوع إلى اللقمة وهي في الحقيقة مفعولاً والفاعل هو الآكل الذي أوقعها إشارة إلى أن المسلم لا يلقي بطعامه وإن لم يكن له به حاجة، فلابد أن أحد إخوانه في حاجة إليه، ولذلك رتب الرسول ﷺ على وقوع اللقمة بالفاء المؤذنة بالسرعة

---

(١) برقم (٢٠٣٣/١٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٠).

(٢) ل في (م ي ط).

أخذها، ثم إصلاحها، ثم استخدامها مرة أخرى، انظر كيف يعلمنا الرسول ﷺ المحافظة على أموالنا، وألا نترك منها قليلاً، ولا كثيراً يضيع هباءً، ثم إن في المسألة بُعداً آخر، وهو عدم تركها للشيطان ليتقوى بها علينا، ألا يعلمنا ذلك أن إهدار مال المسلمين إضعاف لهم، وقوة لأعدائهم؟ لذلك جاء نهي الرسول ﷺ (ولا يدعها للشيطان) إشارة إلى ذلك.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح رواية في الحديث رقم (١٦٤).

الحديث رقم (٧٥٢)

٧٥٢-وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، (فإذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ)[1] (فَلْيَأخُذْهَا)[2] فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابِعَهُ، فإنَّهُ لا يَدْرِي فِي أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليُمِطْ: فليُنحِّ وليُزل[4].

الشرح الأدبي

قول جَابرٍ رضي الله عنه (سمعت) يفيد توكيد الخبر؛ لأنه سماع مباشر من فِيِّ النبي ﷺ وتوكيد الخبر في قول النبي ﷺ: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه) تعظيم له، وتنبيه إلى خطره، أو لأنه من الأخبار غير المعهودة، وقوله: (الشيطان يحضر) يصور الفعل المضارع الشيطان كاللص يتربص بالإنسان حتى تواتيه الفرصة فينقضَّ عليه، وقوله: (أحدكم) اتصال الضمير، وكاف الخطاب بلفظ أحد يشير إلى أن الشيطان يتربص بكل واحد منا لا يتثني أحداً - مهما بلغ صلاحه - مما يستلزم أن يتيقظ كل واحد منا لنفسه، وقوله (عند كل شيء) يقرر أن هذا التربص من الشيطان

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (فإذا سقطت من أحدكم اللقمة)، والمثبت عند مسلم في الرواية التي بعدها، بدون رقم.

(٢) (فليأخذها) لا توجد مسلم. وقال محقق الترغيب (٣/٨٣، هامش ١): ليست في: (ب)، ولا صحيح مسلم، بل مستدركة في هامش: (ب).

(٣) برقم (١٠٣/٢٠٣٣)، وتقدم برقم (١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

عند قليل العمل، وكثيره، وقوله: (من شأنه) أي في أمور حياته اليومية، العادة، أو العبادة، كالطعام، والشراب، والنوم، والعمل، ، والصلاة، وأعمال البر، وغيرها، وعبارة الرسول ﷺ من بدايتها تمهيد لما بعدها، وقوله (فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ) أسلوب شرط يربط الإماطة، وما عطف عليها بالسقوط، ويؤكده بجملة النهي المعطوفة على جواب الشرط (ولا يدعها للشيطان) لأنها قوة لعدوك، ونقص من قوتك، وقوله (فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ) أسلوب شرطٍ ثانٍ يقرر تتبع بقية الطعام، ولا يستهزء بنعمة الله، مع ترويض النفس على خلق التواضع، وقوله (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ) الفاء للتعليل، والجملة تعليل للأمر السابق، وترغيب في إتيانه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح رواية من الحديث رقم (١٦٤).

الحديث رقم (٧٥٣)

٧٥٣-وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذَا أكَلَ طَعَامًا ، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاَثَ، وقال: ((إذَا سقَطَتْ لُقْمَةُ احَدِكُمْ (فَلْيَاخُذهَا)[١]، ولْيُمِطْ عنها الأذى، وَليَاكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْها لِلْشَّيْطَان)) وأمَرَنا أن نَسلُتَ القَصعَةَ، وقال: ((إنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي ايِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليُمِطْ: ليُنحِّ وليُزل[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يتضمَّن سنناً فعلية، وسنناً قولية توجِّه المؤمنين إلى ما فيه صلاح حياتهم، ورضى ربهم؛ لأن من ميزات التوجيهات النبوية أنها شاملة لإصلاح الدنيا، وإصلاح الآخرة، في توزان دقيق يشهد بإعجازها، وأنها من وحي الله على لسان نبيه، وجملة السنن التي يتناولها هذا الحديث، وإن كانت تبدو سهلة بسيطة في تنفيذها إلا أن أثرها عظيم، إذا طُبقت، وصارت سلوكاً في مختلف التعاملات في الحفاظ على نعمة الله التي سنسئل عنها.

فالتواضع، وتتبع أسباب الزيادة، والبركة يشير إليها فعله: (كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ) والحرص على النعمة، وتتبع ما يسقط، وردُّ ما يضيع طاعة لله، وإرغاماً لعدوه في سياق الشرط، وجزائه في قوله (إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ) والأمر المحكي بصيغ خبرية بتتبع ما بقي في الإناء

(١) (فلياخذها) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٢٠٣٤/١٣٦)، وتقدم برقم (٦١٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

في قوله: (وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ) ثم التعليل الموصل للقناعة العقلية بذكر السبب، بعد القناعة القلبية بالتسليم لأمر الله، ورسوله في قوله (فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ) وتلك السلوكيات الخاصة في الطعام لو عممت وصارت خلقا في المسلم بين التواضع، وحسن استغلال نعمة الله لحقق له ذلك النجاح الاقتصادي في الدنيا، وفاز بالأجر من الله في الآخرة.

المضامين الدعوية[١]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٨).

الحديث رقم (٧٥٤)

٧٥٤- وعن سعيد بنِ الحارث: أنّه سأل جابرًا ﷺ عنِ الوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فَقَالَ: لا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النبيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ[١] الطَّعامِ إلاَّ قليلاً، فإذا نَحْنُ وجَدْنَاهُ، لَمْ يَكُنْ لنا مَنَاديلُ إِلاَّ أكُفُّنا وسَواعِدُنَا وأقْدامُنَا، ثُمَّ نُصلِّي ولاَ نَتَوَضَّأُ. رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مناديل: جمع منديل: ما يُتَمَسَّحُ به وهو من نسيج من قطن أو حرير أو نحوهما[٣].

الشرح الأدبي

الحديث بُني على أسلوب الحوار الذي ينبيء عن التواصل بين المتكلم، والمخاطب، وهو مناسب للمسائل العلمية، وحلقات الدرس في التعليم، والإرشاد حتى يتحقق غرض الإيضاح، والحديث يبدأ بأسلوب خبري بحكاية السؤال الذي يمثّل أصل المسألة، وهي حكم الوضوء مما مسَّت النار، فجاءت إجابة الصحابي مبنية على الإيجاز في قوله (قال: لا) أي: لا يوجد سبب للوضوء مما مسَّت النار، ثم ذكر حالهم مع النبي ﷺ كشاهد يؤكد صدق كلامه بجملة خبرية مفادها النفي (قَدْ كُنَّا زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ الطَّعَامِ إلاَّ قَلِيلاً) وقد أكَّد الفعل الماضي بـ (قد) التي أفادت تحقيق الفعل، وقد اشتملت على أسلوب القصر بالنفي والاستثناء الذي يقصر وجدان الطعام على القليل، وفيه إشارة إلى شدة الحال، وضيق العيش مع صبرهم، وشكرهم لله، وقوله: (فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إِلاَّ أَكُفُّنَا وَسَوَاعِدُنَا وَأَقْدَامُنَا) أسلوب

---

(١) عند البخاري زيادة: (من).

(٢) برقم (٥٤٥٧).

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن د ي ل).

شرط فعله محذوف دل عليه المذكور تقديره فإذا وجدناه...) وجملة الجواب هي جملة القصر (لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا...) التي تعكس قلة ذات اليد، والتواضع، وقوله (ثم نصلي، ولا نتوضأ) عود على بدء يؤكد الحكم الذي سبق، ويقرره، وهو مدار الحوار.

فقه الحديث

١- مسح اليد بالمنديل:

ترجم البخاري لهذا الحديث: باب المنديل[١]، وترجم له ابن ماجه "مسح اليد بالمنديل"[٢] قال النووي: (يجوز مسح اليد بالمنديل لكن السنة أن يكون بعد لعقها)[٣].

٢- الوضوء مما مست النار:

قال ابن حجر: (قال النووي كان الخلاف فيه معروفًا بين الصحابة والتابعين، ثم استقرّ الإجماع على أنه لا وضوء مما مست النار إلا ما استثني من لحوم الإبل)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة العيش التي كان عليها الصحابة ﭬ على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مسح اليد بعد الطعام.

أولاً - من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

قد يعرض للمدعو ما يشكل ويلتبس عليه من أمورٍ دينية أو مسائل دنيوية، مما قد يجعله في حيرةٍ من أمره، فيتحتم عليه آنذاك أن يزيل هذه الأمور التي قد تعيقه وتمنعه

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٩/٩ .

(٢) كذا قال ابن حجر في فتح الباري ٥٧٩/٩ وما في سنن ابن ماجه: باب مسح اليد بعد الطعام، الحديث ٣٢٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٣/١٣/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/١.

عن الامتثال للدعوة والاستجابة لها، وذلك يكون بسؤال أهل العلم كما وقع في هذا الحديث من سؤال سعيد بن الحارث لجابر ﷺ، عن الوضوء مما مست النار، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بسؤال أهل العلم عما أشكل فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي ذلك قال السعدي: (... وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حال الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها. ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[2].

وقد أكد النبي ﷺ على أهمية السؤال عما خفي فقال: ((... ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال))[3] أي: (أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعليم)[4].

وفي ذلك يكون المرء على بصيرة من دينه وعلى علم بسنة نبيه ﷺ فيعبد الله على بينة ويدعو إليه على بصيرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة العيش التي كان عليها الصحابة ﷺ على عهد رسول الله ﷺ:

هذا الحديث ينقل لنا فيه جابر بن عبدالله ﷺ صورة من صور شظف العيش التي عاناها الصحابة ﷺ، فأخبر عما كان يعانيه الصحابة من قلة في الطعام "قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً"، والملابس "لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا"، لقد اشتغل الأولون من صحابة رسول الله ﷺ بنشر

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

الإسلام ولم يشغلهم عن ذلك رغد عيش أو طيب دنيا، فضلاً (عما أعقب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة، من ظهور مشكلة تتعلق بطبيعة معيشة المهاجرين، الذين تركوا بيوتهم وأموالهم ومتاعهم بمكة فرارًا بدينهم من طغيان المشركين، ولاشك أن بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم إلى المدينة، لأن الطابع الزراعي يغلب على إقتصاد المدينة وليست للمهاجرين خبرة زراعية، فمجتمع مكة تجاري، كما أنهم لا يملكون أرضًا زراعية في المدينة، وليست لديهم رؤوس أموال، فقد تركوا أموالهم بمكة، وقد وضع الأنصار إمكاناتهم في خدمة المهاجرين، لكن بعض المهاجرين، بقي محتاجًا، وهذا ما جعل في العيش شدة وخشونة)[1].

وذلك ما أشار إليه نص الحديث من قول جابر ﷺ: "...، قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً"، وفي بيان ذلك قال أبو هريرة ﷺ: ((خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هٰذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُومُوا فَقَامُوا مَعَهُ. فَأَتَىٰ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّهِ أَيْنَ فُلاَنٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للّهِ. مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ. فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هٰذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ فَذَبَحَ لَهُمْ. فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ. وَمِنْ ذٰلِكَ الْعِذْقِ. وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هٰذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هٰذَا النَّعِيمُ))[2].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: ((إني لأوَّل العَرَب رمى بسَهم في سبيل الله، ولقد كنا نَغزُو مع رسول الله ﷺ مالنا طعامٌ إلا ورقُ الحُبْلَةِ وهذا السَّمُر، وإن أحدَنا

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، ٢٥٧/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٨.

لَيَضعُ كما تَضعُ الشاة ماله خِلط))[١] أي: لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته[٢]، وأيضًا يظهر ذلك من قول عتبة بن غزوان ((وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ . مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ. فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا...إلخ))[٣].

قال النووي في بيان قوله "حتى قرحت أشداقنا" أي: (صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته)[٤]، وفي ذلك بيان لشدة العيش التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثًا – من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

إن البيان والإيضاح من مهام الداعية التي تعينه على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه، وهذا ما ظهر في الحديث من بيان جابر رضي الله عنه ما خفي عن السائل في قوله: "لا، قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً، فإذا نحن وجدناه، لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ"، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٥]. قال السعدي: (... على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أوقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم، يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٢٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٠٦/٧.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٩٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٧.

وقد توعد الحق تبارك وتعالى من يكتم العلم ولا يبينه للناس فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[١]. وفي ذلك قال أبو هريرة ﷺ: ((لَوْلاَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّه مَا حَدَّثْتُكُمْ))[٢] (ثم قال: عروة الآية: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات..." الآية، معناه: لولا أن الله تعالى أوجب على من علم علمًا إبلاغه، لما كنت حريصًا على تحديثكم، ولست متكثرًا بتحديثكم)[٣].

(وبهذه الآية استدل العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق، وتبيان العلم على الجملة...)[٤] وفي تأكيد ذلك قال الحسن بن عمارة: (أتيتُ الزهري بعد ما ترك الحديث، فألفيته على بابه، فقلتُ: إن رأيت أن تُحدثني. فقال: أما علمت أني تركت الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك، قال: حدثني. قلت: حدثني الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا، حتى أخذ على العلماء أن يعلموا. قال فحدثني أربعين حديثًا)[٥]. فعلى الداعية أن يوضح ويبين الحقائق للمدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مسح اليد بعد الطعام:

(قد أشار الحديث إلى استحباب مسح اليد بعد الطعام إذا لم تكن هناك حاجة لغسلها، وذلك من قول جابر ﷺ "... لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ"، وقد يتعين الندب إلى الغسل بعد اللعق لإزالة رائحة الطعام، وعلى ذلك يحمل حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ نَامَ وَفِي

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٥٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/ ٤٨٠.

(٥) المرجع السابق، ٥/ ٤٥٨.

يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ))[١])[٢] (وقد اختلف في غسل اليد للطعام، فكرهه مالك قبل الأكل وقال فيه: قيل إنه من فعل الأعاجم، وكرهه الليث قبل الأكل وأجازه بعده، ولعل قول مالك بكراهته قبل الأكل لمن كانت يده طاهرة أما كراهته بعد الأكل فيما لو خلا الطعام من الدسم، أما لو كانت هناك حاجة لغسل اليد سواء قبل الأكل أو بعده، فإن الكراهة تنتفي، وفي الحديث أيضًا نسخ لما جاء من الأمر بالوضوء عند أكل ما مسته النار)[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٨٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٢).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٧٩/٩.

(٣) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الوشتاني الأبي ١٤٦/٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للأكل أسس وآداب تختلف من زمن إلى زمن، وما يلزم أهل زمن لا يلزم غيرهم، ما لم يكن هناك خروج عن آداب الإسلام، ووسائل النظافة تختلف من زمن إلى زمن، ولكن المتفق عليه أن إضاعة شيء من الطعام يسأل عنه الإنسان ولهذا كان هدي الرسول ﷺ في الجوانب التربوية من خلال المضامين التالية:

أولاً-تعليم آداب الأكل:

إن من الآداب التي تعتني بها التربية الإسلامية تعليم آداب الأكل، ولعل عنوان الباب الذي أورده الإمام النووي يدلل على هذا فهو في بيان استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعقها ولعق القصعة، وكراهة مسحها قبل لعقها، وفي هذا إرشاد إلى آداب الأكل، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا قوله ﷺ "إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يمسح أصابعه حتى يَلْعقها أو يُلْعقها" وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه "رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها". ففي جملة هذه الأحاديث إرشاد إلى آداب الأكل وكيفية تناوله.

قال ابن القيم: (فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الآكل، ولا يمريه ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتُغْصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث)[١].

ثانيًا-التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالقدوة حيث تترك أثرًا صالحًا في

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٢٢.

نفس المتربي، وتقنعه بما يؤمر بفعله وتنفيذه، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها" ففي هذا الحديث يروي الصحابي أنه رأى رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، وأما القدوة في لعق الأصابع بعد الأكل ففيه حديث أنس رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث...".

وما من شك في أن القدوة لها دور رئيس في العملية التربوية (إن إيجاد المنهج التربوي المتكامل ووضع الخطط المحكمة لا يغني في بناء الشخصية الإسلامية عن وجود القدوة الصالحة التي تتمثل في الإنسان المتحلي بالأخلاق الإسلامية والكمال السلوكي، وبما أن القدوة الصالحة هي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي: اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سُلَّم الكمال السلوكي. فالقدوة الصالحة هي من أنجح الوسائل لبناء الشخصية الإسلامية خصوصًا في مرحلة الاكتساب، وهي فترة الطفولة، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدي بها، أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسير الصالحة التي يسمعها)[1].

ثالثًا-التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية التوجيه المباشر حيث يقوم المربي بالتوجيه المباشر، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا الأسلوب حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" ومنها حديث أنس رضي الله عنه وفيه "... إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان" وأمرنا أن نسلت القصعة وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة".

(ويعتمد أسلوب التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر وذلك من خلال البيان والإرشاد حيث يقوم المربي

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ١٧٧.

بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا من خلال التلقين بالكلام حيث يلقى الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1] أو بصيغة النهي كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[2] وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المتربي)[3].

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العملية التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه)[4].

رابعًا-السؤال والاستفسار:

إن من الآداب التي ينبغي أن يتعود عليها المتربي السؤال والاستفسار لما في ذلك من كشف المبهم وإيضاح الخفي، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث سعيد بن الحارث أنه سأل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن الوضوء مما مسّت النار فقال: لا قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلاً فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا ثم نصلى ولا نتوضأ).

(ولا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت على الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمدُ عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. وسكوت الإنسان عن جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ١٥٤.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٤.

لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب. ولأهمية السؤال حرص الصحابة ﵃ رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم، وورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك مثل قوله: يسألونك ويستفتونك وليس هذا خاصًا بالرجال بل حتى النساء)[1].

خامسًا-التربية الوقائية:

من الأمور التي تعنى بها التربية الإسلامية: التربية الوقائية، لما فيها من الحفظ والصيانة للإنسان من الأمور التي تضره. ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا قوله ﷺ "إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة" وكذلك قوله ﷺ "إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة" وكذلك حديث أنس ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث وقال: "إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان وأمرنا أن نسلت القصعة وقال: إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة".

ففي جملة هذه الأحاديث تربية وقائية من الشيطان، والاحتراز من حضوره طعام الإنسان، وما ينبغي فعله عندما تسقط لقمة على الأرض حتى لا تكون من نصيب الشيطان.

(إن الشيطان يتربص بالإنسان ويلازمه ويحاول النيل منه، ويرغب في مشاركته حتى في أكله وشربه، ومن ثمَّ ينبغي إماطة الأذى من تراب وغيره عن اللقمة الساقطة ثم أكلها وحرمان الشيطان منها لأنه عدو، والعدو ينبغي حرمانه والتحرز منه،

---

(١) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٤.

والبركة في الطعام قد تكون في اللقمة الساقطة فلا يفرط فيها، ويجب أن يعلم الإنسان أن الشيطان يحضر ويلازم الإنسان ولا مدخل للعقل في إنكار حضوره)[1].

إن واجب المربين الاهتمام بالتربية الوقائية لتحذير المتربين مما يضرهم في الدنيا والآخرة.

(والوقاية هي نوع من أنواع التحذير، وهي تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية أو الامتناع من فعل ما من شأنه أن يُفْضي إلى مفسدة أكبر منه. والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال)[2].



(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦١، ١٦٢.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام

الحديث رقم (٧٥٥)

٧٥٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طَعَامُ الاثنينِ كافِي الثلاثةِ، وطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كافِي الأربعة)) متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور التكافل التي يُربِّي عليها الإسلام أفراده، كما يغرس خلق الإيثار، وينميه بالحث على مثل هذه الخصال، وقد ساق النبي صلى الله عليه وسلم المعنى في صورة خبرية خالية من المؤكدات حقيقة مجردة، وكأن الخبر من الوضوح بحيث لا يتوقع وجود من يعارضه، وفي هذا إعلاء من شأن المعنى، وقوله: (طعام الإثنين كافي الثلاثة) قاعدة عامة تؤسس مبدأ عاماً في التكافل والإيثار، والتعبير باسم الفاعل (كافي) دون الفعل إشارة إلى ثبات الكفاية في كل حالة يتشارك فيها الثلاثة طعام الإثنين، والجملة الثانية (وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ) توكيد لمضمون معنى الجملة الأولى، وهي دعوة إلى المشاركة، والإيثار، ونهي ضمني بألا يضيق المسلم بأخيه في طعامه، وماله، وحسن خلقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨/١٧٨)، وتقدم برقم (٥٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٢).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٤) مع زيادة في الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (٧٥٦)

٧٥٦- وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، وهو الحثُّ على التكافل، والإيثار مع زيادة في جمله واختلاف دقيق في تركيبه، وقد جاء في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة خالٍ من المؤكدات، وهو ما يتفق فيه مع الحديث السابق، ولكنه اختلف من ناحية المعنى في الحديث السابق حيث إنه قرر أن طعام الإثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة) والنسبة في الجملة الأولى الثلث، وفي الجملة الثانية الربع، أي أن طعام الثلاثة مقسم على أربعة، أما في هذا الحديث، فإنه يقسم الطعام على ضعف الآكلين في كل جملة، فالنسبة تمثِّل النصف، ومعنى هذا زيادة البركة، وكثرة الخير كلما زاد الإيثار، وازدادت النفس سماحة، فالزيادة مرتبطة بالإيمان ومدى سماحة النفس، ولذلك نجد الطعام الذي يضع الرسول ﷺ فيه يده، ويشارك في تناوله يكفي أضعاف أضعاف الآكلين، والروايات في مثل هذا المعنى كثيرة متواترة.

وذِكرَ المسند إليه (طعام)، ونصٌّ عليه في كل جملة من الجمل الثلاثة إيذاناً باستقلاله في كل جملة، ولأنه مدار الحديث، وتكراره يجعله ملأ الأسماع والأبصار، والتعبير هنا بالفعل المضارع يفيد التجدد، والحدوث كلما حصل إيثار حصلت كفاية بالإضافة إلى أن الفعل المضارع يستحضر الصورة المرجوة صورة كفاية الطعام لحاجة الآكلين.

المضامين الدعوية[(٢)]

---

(١) برقم (٢٠٥٩/١٧٩)، وتقدم برقم (٥٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٥) وهو مدمج في الشرح مع الحديث رقم (٥٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

سبق الإسلام النظم المعاصرة، حين دعا إلى المشاركة في الطعام، ونفي الخوف من قلته لأن هذه المشاركة تجلب المحبة وتورث المودة وتؤلف القلوب، ومن فوائدها:

أولاً-غرس روح الجماعة:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة لما في ذلك من تحقيق التعارف والتآلف بين أفراد المجتمع ويتضح هذا من خلال حديثي الباب في دعوة النبي ﷺ إلى تكثير الأيدي على الطعام و الاجتماع عليه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة، وفي حديث جابر رضي الله عنه "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

ففي هذين الحديثين دعوة إلى الاجتماع وتكثير الأيدي على الطعام مما يحقق الوحدة، ويعمق روح الجماعة، ويكون سببًا في حصول البركة في الطعام.

(إن تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه وفق هذه المبادئ وذلك بتوحيد عقيدتهم أولاً فيتم تجانسهم الفكري، وتتحد مقاييسهم الخلقية، وتتوحد مصادر التلقي عندهم إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم، وقد بيّن الله تعالى أن الاعتصام بالقرآن والصدور عنه هو سبيل الوحدة بين المسلمين، وأن الاختلاف عنه هو سبيل الشقاق والتفرق. وقد ورد في القرآن والسنة الحث على كل ما يقوي الوحدة والتآلف بين المؤمنين كما ورد النهي عن كل أسباب الشقاق والفرقة)[1].

وما من شك في أنَّ الاجتماع على الطعام أحد أسباب تحقيق الأخوة وتعميق الصلات بين أفراد الجماعة المؤمنة، وواجب المربين الاعتناء بتنمية الجانب الاجتماعي والتشجيع عليه.

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٥٠.

(إن النجاح في بناء العلاقات الاجتماعية أمر لا غنى للداعية عنه، وهو مفتاح تأثيره على الأقربين الذين هم أَوْلى بدعوته من سائر الناس، كما أنه لا غنى له عنه ليعيش حياته الاجتماعية، ومن ثَمَّ تبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه القدرة لدى الشباب ومن وسائل تحقيق ذلك إبراز أهمية الجانب الاجتماعي والحاجة له، وتنمية الجانب الخلقي الذي يجعل الشاب مقبولاً من الآخرين، وتحقيق قدر من الاندماج الاجتماعي والتخفيف من العزلة التي يعيشها كثير من الشباب الصالحين تجاه المجتمع، وتنمية مهارات التعامل مع الآخرين والتعويد على احترامهم)[1].

ثانيًا-الترغيب في خلق الكرم:

إن من الأهداف الخلقية التي تسعى الديانة الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين الترغيب في خلق الكرم والجود، فمن أهم صفات المؤمن الكرم والبذل والإيثار، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا قول النبي ﷺ "طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة" وقوله ﷺ "طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

ففي هذين الحديثين ترغيب في خلق الكرم، وأن القليل من الطعام مع الاجتماع عليه يكفي للعدد الكثير مما يدعم روح الكرم في نفس المؤمن (والكرم قيمة من قيم الإسلام، وشيمة من أبرز الشيم العربية والكريم من أسماء الخالق، وصفة من أبهى صفات الرسول الكريم ﷺ، والكرم من المكارم التي جاء الإسلام فأقرها، وامتدحها ودعا إليها وبشر أصحابها، وما أكثر الآيات الكريمة التي تدعو إلى الكرم وتجعل لأهله عظيم الأجر في الدنيا والآخرة، كما حفل الحديث الشريف بالدعوة والحض على الجود والعطاء وإكرام الضيف، ونكاد نجزم بأن الموروث الأدبي والأخلاقي قد احتفى بتلك القيمة احتفاءً لم تحظ بها قيمة أخرى من مكارم الأخلاق، وربما يعود ذلك الاحتفاء لعراقة تلك القيمة فالكرم العربي أصل لا فرع، وجَوْهر لا عَرَض، وحلية أساسية لا زينة كمالية، وخلق يقرب صاحبه من ربه ومن الناس،

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٨٧.

والبخيل مذموم حتى من أهله ومن نفسه التي يحرمها ويقصر في حقها.

ومن المعروف أن للكرم آثارًا هائلة في بناء المجتمع، وترابط أفراده، وهي آثار لا تعود على فرد بل تخص الجماعة، وتسهم في ربط المجتمع الإنساني ربطًا وثيقًا لا انفصام فيه، فالكرم قيمة تجمع ولا تفرق، وتقرّب بين البشر ولا تبعد، وتحبب ولا تنفر، وتصل من غير فصل، وتتودد في غير نفور وتعمل على لمِّ الشعث ورأْب الصدع في دعوة إلى التسامح والمحبة، وإلى التراحم والتواصل)[1].

إن واجب المربين الاعتناء بغرس القيم والأخلاق الإسلامية النبيلة والتي منها الكرم، وبيان دعوة الإسلام لذلك، وأن الكرم مع صدق صاحبه فيه، أمره سهل، فطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية كما جاء في الحديث الشريف.

(إنه لم يوجد في الدنيا - ولن يوجد- نظام يستغني فيه البشر عن التعاون والمواساة، بل لابد لاستتباب السكينة وضمان السعادة من أن يعطف القوي على الضعيف، وأن يرفق المكثر بالمُقلِّ ما دامت طبيعة المجتمع البشري أن تتجاور فيه القوة والضعف والإكثار والإقلال.

ولو كان المال في وفرته وندرته يتبع ما أوتي الناس من مواهب معنوية لاكتنز البعض الكثير، وعاش البعض على الكفاف، فتلك سنن الخليقة التي لا افتعال فيها، وإنما يتسرب الشقاء إلى الناس عندما يحيون متقاطعين لا يعرفون إلا أنفسهم ومطالبها فحسب؛ مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض، وجعل اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختبارًا عويصًا يمحص به الإيمان ويوزع به الفضل والإسلام ينشئ نفوس أتباعه على فعل الخير وإسداء العون وصنائع المعروف)[2].



---

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٦٢٥/٤٧.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١١٥، ١١٦.

١١١- باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التَّنَفُّس في الإناء واستحباب إدارة الإناء عَلَى الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

الحديث رقم (٧٥٧)

٧٥٧- عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرابِ ثَلاثًا. متفق عَلَيْهِ[(١)].

يعني: يتنفس خارج الإناء.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتنفس: يعني خارج الإناء[(٢)، (٣)].

الشرح الأدبي

لم يترك الرسول ﷺ خيراً إلا وأرشدنا إليه علم حكمته من علم، وجهل حكمته من جهل كما حذرنا من كل شر، وما ترك عادة، ولا عبادة إلا وبين لنا وجه رضى الله فيها حتى لا يتحرك المؤمن حركة إلا أُجِرَ بها، وهو ما يحقق البركة في العمر والسعة في الرزق، وهذا الحديث يتناول هديه ﷺ في الشراب، وقد ساق الراوي المعنى في صورة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد إحساسًا منه بعظمة من يُحدِّث عنه، وما يحدِّث به، وقوله (يتنفس في الشراب) أي يشرب على ثلاث مرات، وليس معناه التنفس

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨/١٢٣) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٢.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٤٠.

داخل الإناء، والفعل المضارع (يتنفس) تصور التؤدة، والأناة في الشرب بما يضمن راحة البدن ورضى الله باتباع هدي نبيه ﷺ.

فقه الحديث

هذه الأحاديث [1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

سنن الشرب وآدابه:

١- التسمية في أوله: يستحب للشارب أن يسمي الله في أول شربه، فيقول "بسم الله" وهو أقلها، فإن قال "بسم الله الرحمن الرحيم" فهو أكمل وأحسن. كما يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره وينبهه عليها، ولو ترك التسمية في أول الشرب لعارض ما (عامدًا أو ناسيًا أو جاهلاً أو مكرهًا أو عاجزًا) ثم زال العارض، وتمكن أثناء شربه، يستحب أن يسمي ويقول: "بسم الله أوله وآخره"[2].

٢- الشرب في ثلاثة أنفاس يسن أن يشرب الماء في ثلاثة أنفاس، ثم اختلفوا في الشرب بنفس واحد فروي عن ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبدالعزيز، ومالك، أنهم أجازوه بنفس واحد. وروي عن ابن عباس وطاووس وعكرمة كراهة الشرب بنفس واحد، وقال ابن عباس هو شرب الشيطان[3].

٣- حكم التنفس في الإناء: يندب إبعاد القدح حين التنفس حالة الشرب، ويكره التنفس في الإناء، لئلا يخرج من الفم بزاق يستقذره من شرب بعده منه، أو تحصل فيه رائحة كريهة تتعلق بالماء أو الإناء. فيتنفس ثلاثًا، يحمد الله في آخر كل نفس، ويسمي الله في أوله -كما سبق-.

---

(١) يعني أحاديث الباب.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٤/٥.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٢٨/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

٤- وكما لا يتنفس في الإناء، كذلك لا يتجشأ فيه، بل ينحيه عن فيه أيضًا، مع الحمد لله، ويرده مع التسمية[١].

٥- الحمد في آخره: يسن للشارب أيضًا أن يحمد الله عقب الشرب[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: آداب الشرب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النهي والأمر.

رابعًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والاستجابة لهديه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: آداب الشرب:

إن من آداب الشرب التي يجب مراعاتها، ما ورد في نص الحديث من استحباب التنفس في الشراب ثلاثًا، وذلك لقول أنس رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا)، وقوله ﷺ: (لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث...)، وهذا ما أكده أنس رضي الله عنه في قوله: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاَثًا، وَيَقُولُ: ((إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ))[٤].

وفي بيان ذلك قال الأبي: "ومعنى (يتنفس في الإناء) أي يقطع شربه بأن يزيل القدح عن فيه، لا أنه يتنفس داخل الإناء، لأن الأحاديث قد صحت بالنهي عن ذلك، وعن

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٥٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٥٨).

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٢٨.

النفخ في الطعام والشراب"[١].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن السنة إذا تنفس الإنسان في الإناء ثلاثًا فإنه كما قال ﷺ: (فإنه أرى،وأبرأ ، وأمرأ) وصدق ﷺ.

فأما كونه (أروى) فإن الشديد العطش إذا التهبت معدته، فإنه لا يصرف عطشه مثل أن يجرع من الماء جرعة بعد جرعة قليلاً، حتى إنه ربما كفاه لديه نصف المقدار الذي يعبه عبًا.

فأما قوله: (وأبرأ) فإنه يعني ﷺ أن الشديد العطش إذا جرع الماء قليلاً قليلاً في مرات متفرقة أقلهن ثلاث كما ذكرنا فإنه يأمن من نكايته...

وأما قوله: (وأمرأ) فإنه يعني به ﷺ أن الماء إذا شرب عبًا على طعام قد أكله الآكل، طفا الطعام على رأس المعدة فلم يستمر به أكله، ولو كان قد شرب في المرات المتفرقة لكان قد حصل في بدن الغذاء فأثقله، فحطه إلى قعرها الذي يهضم به فكان يكون أمرأ"[٢].

وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: "والمعنى أن يصير هنيئًا مريًا بريًا أي: سالمًا أو مبريًا من مرض أو عطش أو أذى، ويؤخذ من ذلك أنه أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل أثرًا في ضعف الأعضاء وبرد المعدة"[٣].

وفي ذلك بيان على أهمية واستحباب التنفس في الشراب ثلاثًا، ولكنه يباح الشرب دفعة واحدة ولا كراهة في ذلك، لقول أبي المثني الجهني: "كنت عند مروان بن الحكم فدخل عليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال له مروان بن الحكم: أسمعت من رسول الله ﷺ أنه نهى عن النفخ في الشراب؟ فقال له أبو سعيد: نعم، فقال له رجل: يا رسول الله إني لا أروى من نفس واحد، فقال له رسول الله ﷺ: ((فَأَبِنِ الْقَدَحَ عَنْ فِيكَ، ثُمَّ تَنَفَّسْ))، قالَ: فإنّي أرى القَذَاةَ فيهِ قال : ((فَأَهْرِقْهَا))"[٤].

---

(١) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الوشتاني الأبي ١٤٢/٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٩/٥ - ٦٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٦/١٠.

(٤) أخرجه الترمذي ١٨٨٧ ، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٣٨).

قال المباركفوري: "في قوله: (فإني لا أروى) بفتح الواو (من نفس واحد) بفتح الفاء، أي: بتنفس واحد، أي لا يحصل لي الري من الماء في تنفس واحد، فلا بد لي أن أتنفس في الشراب (قال فأبن القدح) أي: أبعده، أمر من الإبانة (عن فيك) أي عن فمك، وقول (فإني أرى القذاة فيه) أي أبصرها... فلا بد لي أن أنفخ في الشراب لتذهب تلك القذاة، (فقال: أهرقها)، بسكون الهاء من الإراقة بزيادة الهاء، أي: فارق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه"[1].

قال مالك في الحديث: "فكأني أرى في ذلك الرُّخصة أن يشرب من نفس واحد ما شاء، ولا أرى بأسًا بالشرب من نفس واحد، وأرى فيه رخصة؛ لموضع الحديث: إني لا أروى من نفس واحد".

قال أبو عمر: "يريد مالك أن النبي ﷺ لم ينه الرجل حين قال له: (إني لا أروى من نفس واحد) أن يشرب من نفس واحد، بل قال له كلامًا معناه: فإن كنت لا تروى من نفس واحد فأبن القدح عن فيك. وهذا إباحة منه للشراب من نفس واحد، إن شاء الله، وقد رويت آثار عن بعض السلف فيها كراهية الشرب في نفس واحد، وليس منها شيء تجبُ به حجة"[2].

ومن آداب الشرب وسننه التي أشار إليها الحديث، أن يبتدأ المرء شرابه بذكر الله وذلك بأن يسمي الله عز وجل، فإن انتهى من شرابه حمد الله تعالى، وذلك لقوله ﷺ: (وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم)، وقد رغّب النبي ﷺ في ذلك بقوله: ((إِنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[3]، قال النووي: "وفي الحديث استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنًى عنه ربنا، وجاء غير ذلك، ولو اقتصر على الحمد لله حصل أصل السنة"[4].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦١٠.

(٢) التمهيد، ابن عبدالبر ضمن موسوعة شروح الموطأ ٢٢/٣٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٠٣.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد جعل الله تعالى الدعوة إليه من أكرم الأعمال، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد، وقد رغّب تعالى في تبليغها والإخبار عنها فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فالإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، حيث أفاد نص الحديث مراعاة آداب الشرب من تسمية الله تعالى وحمده، فضلاً عن استحباب التنفس في الشراب ثلاثًا.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النهي والأمر:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (لا تشربوا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث...، وسموا...، واحمدوا... إلخ)، والنهي والأمر من الأساليب الدعوية التي يكون بها إرشاد المدعو، وحمله على اجتناب أو فعل أمرٍ معينٍ لما في ذلك من الخير له والفائدة.

رابعًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والاستجابة لهديه:

لقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة.

ولم تزل تلك السيرة تصنع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، حتى كأنهم نسخ أخرى لتلك الشخصية الفذة، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

وقد كانت لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام،

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيديهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة[1].

وقد ضرب ابن عمر رضي الله عنهما أروع الأمثلة في الاقتداء بهدي النبي ﷺ، والاستجابة لسنته، وقد قالت فيه عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[2]، وقال ابن وهب: "عن مالك، عمن حدثه، أن ابن عمر كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك، وعن نافع: أن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس"[3]، فعلى المدعو أن يقتدي بهدي النبي ﷺ في عموم حياته، ومن ذلك ما ورد في نص الحديث من مراعاة سنن الشراب وآدابه.

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ص ٧٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١١.

(٣) المرجع السابق ٢١٣.

الحديث رقم (٧٥٨)

٧٥٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلاَثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنتُمْ رَفَعْتُمْ)) رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

كشرب البعير: أي كما يشرب البعير دفعة واحدة لأنه يتنفس في الإناء[2].

رفعتم: أي: رفعتم الإناء عن الفم في كل مرة أو في الآخر[3].

الشرح الأدبي

بدأ الرسول ﷺ حديثه بأسلوب النهي، (لا تشربوا واحداً) وهو للإرشاد والتوجيه، بترك هذه العادة، وهي الشرب مرة واحدة، وقد صعَّد درجة التنفير منها عن طريق التشبيه (كشرب البعير) والتشبيه بالبعير يوحي بغياب العقل حيث لا تسمية، ولا حمد، ولا أناة، والبعير يتنفس في إنائه، ولا يعنيه إلا أن يروي ظمأه أما المؤمن فإن له في كل عادة عبادة، وفي كل عمل ذكراً، وحمداً لله - تعالى-، ولذلك استدرك لكي يعرض الصورة الصحيحة البديلة لشرب البعير في قوله: (ولكن اشربوا مثنى، وثلاث) أمر إرشاد وتوجيه بالشرب على مرتين أو ثلاث، وقوله: (وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ) أسلوب شرط محذوف فعل الشرط لدلالة السابق عليه وصياغة المعنى في أسلوب الشرط يجعل التسمية، والحمد عادة مرتبطة بالشرب، فكلما جدَّ شُرب جدَّت تسمية في أوله، وحمد في آخره.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (١٨٨٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وضعَّف إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٩٣).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٠٩/٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٠٩/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٥٩)

٧٥٩- وعن أَبي قَتَادَة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى أنْ يُتَنَفَّسَ في الإناء. متفق عَلَيْهِ[1].

يعني: يتنفس في نفس الإناء.

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يتنفس في الإناء: يعني: يتنفس في نَفْس الإناء[2].

الشرح الأدبي

الحديث يؤكد معنى سابقه في النهي عن التنفس في الإناء غير أن هذا الحديث ورد في صورة خبرية يحكيها الراوي عن النبي ﷺ وقد أكد ما يروي عن النبي ﷺ بأكثر من مؤكد إشارة إلى أهمية الخبر؛ لأن كل ما يخبرون به عن النبي ﷺ من الأمور المهمة التي تنقاد لها الأمة، ومن ثمْ كانوا شديدي الحرص على كل ما يرونه عنه ﷺ، وقد نقل هذا الصحابي نهي النبي ﷺ عن التنفس داخل الإناء لما يترتب عليه من أضرار منها ما نعلمها كنقل الجراثيم، واستقذار الشاربين بعده، وما لانعلمها، بالإضافة إلى أن التنفس في الإناء يفوِّتُ الأجر المترتب على اتباع السنة، والفعل المضارع (يتنفس) يصور الحدث موضع الخطأ، والجار والمجرور (في الإناء) يحدد موقعه عن طريق الظرفية التي تفيدها (في) أي: داخل الإناء؛ لأن التنفس في أثناء الشرب خارج الإناء مباح - كما سيتضح في الأحاديث التالية -.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٠)، ومسلم (٦٥/٢٦٧) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن التنفس في الإناء.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والتوضيح

قد أمر الله تعالى بالدعوة إلى سبيله وتعريف الناس به، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[2]، وهذا لا يكون إلا ببيان الحق وتوضيحه للناس، وهذا ما يستفاد من الحديث في بيان أبي قتادة رضي الله عنه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء.

ولقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا ويبينوا الحق للناس فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

والميثاق هو العهد المؤكد الذي أُخذ على أهل الكتاب بوساطة الأنبياء عليهم السلام (لتبيننه) لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار، حتى يعرفه الناس على وجهه الصحيح...، وقد أشارت الآية إلى أن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله أن يبينه ويوضحه، ويظهر ما فيه من عظة وأسرار في الأحكام العامة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحكام الدينية، علاقتها بصالح الأمة - وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء، فيثابروا ويتعاونوا، ويستهينوا بالصعاب، حتى يخرجوا للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر. فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ/ تبيين الدين وحقيقته لغير المؤمنين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

ب/ تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته، ويعرفوا مخلصين أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد، وداء كامن، ومستعمر جائر، فوالله! أيها الناس لا خلاص لنا إلا بالدين، ولا خير إلا في القرآن فتعلموه وافهموه وادرسوه تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة، وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا"[1].

"فعلى الداعية أن يوضح الحق ويبينه للناس، ويكون كالغيث أينما وقع نفع، فإن قصر في قيامه بذلك استحق من الله -على علمه الذي كتمه ولم يبينه- عظيم العقوبة"[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[3].

قال الخطابي: "الممسك عن الكلام مُمثَّلٌ بمن ألجم نفسه كما يقال: التقيُّ ملجم. وكقول الناس: كلِّم فلانًا فاحتجَّ عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته.

والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار، وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[4]، قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه. كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتيًا

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١/٤/٥٨ - ٦٠.

(٢) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، طلعت محمد عفيفي ص ١٣٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٦٥٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٦).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني، فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا للوعيد والعقوبة وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: النهي عن التنفس في الإناء:

يؤكد الحديث على ما جاء في أحاديث الباب من النهي عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، لئلا يحصل تغير في الطعام من آثار النفس، إما بسبب تغير فم المتنفس من مأكول أو عدم تنظيفه، أو لأن النفس يخرج معه شيء من المعدة، لهذا كله جاء النهي عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه سواء كان مملوءًا طعامًا أو ماءً.

قال النووي: "والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب، مخافة من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك"[٢].

وقال ابن حجر: "جاء في النهي عن النفخ في الإناء عدة أحاديث، وكذا النهي عن التنفس في الإناء، لأنه ربما حصل له تغير من النفس، إما لكون المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس"[٣].

وقال أيضًا: "قال المهلب: النهي عن التنفس في الشراب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره، إذ كان التقذر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئا مما يتناوله فلا بأس، قلت: والأولى تعميم المنع، لأنه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك، وقال ابن العربي: قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق، ولكن يحرم

---

(١) معالم السنن ٢٥١/٥ - ٢٥٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩٥/١٠.

على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره، فإن فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه، فإن لم يعلمه فهو غش، والغش حرام.. إلخ»[١]، وفي ذلك دليل على عظمة هذا الدين ومراعاته لأحوال ومشاعر المدعوين.

(١) المرجع السابق ١٠/٩٦.

الحديث رقم (٧٦٠)

٧٦٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بماءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أعْرَابيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أبُو بَكْر رضي الله عنه، فَشَرِبَ، ثُمَّ أعْطَى الأعْرابيَّ، وقال: ((الأيْمَنَ فالأيْمَنَ)) متفق عَلَيْهِ[1]. قوله: "شِيبَ" أي: خُلِط.

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التيامن، يؤسس مبدأً من المبادىء الاجتماعية التي تحافظ على روابط المجتمع المسلم؛ لأن البدء باليمين - خاصة في المجلس الذي يضم مختلف الطبقات - ينفي فكرة التمييز بين الناس نظراً للشرف، أو الوضاعة التي تحدث التفكك الذي يحاربه الإسلام.

والحديث يبدأ بأسلوب التوكيد الذي يمهِّد للخبر حتى يدخل على النفس دخول المأنوس فتتلاقاه بالقبول، والإذعان، وقوله: (أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ) بناء الفعل للمجهول إما لجهل الراوي بالفاعل، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وقوله (شيب بماء) خلط بماء لقلة اللبن، أو لكثرة الشاربين، أو لتبريده لأنهم في بلاد حارة، واللبن حال حلبه يكون ساخناً، وقوله: (من البئر) بالتعريف اللام فيه للعهد أي البئر المعهود لهم، وقوله: (وَعَنْ يَمِينِهِ أعْرَابيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) يشير إلى المفارقة في اختيار من يبدأ به بصاحب المنزلة، والشرف أبي بكر الصديق، أم بمن على اليمين وهو الأعرابي، وقوله (فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ) قرار فعلي بالبدأ باليمين، وقوله: (وَقَالَ الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ) قرار قولي يؤكده، ورواية النصب على تقدير فعل محذوف أي: أعطوا، أو قدموا الأيمن، وحرف العطف (الفاء) يفيد الترتيب، والتعقيب فهو ﷺ يحب التيمن في كل شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦١٩)، ومسلم (٢٠٢٩/١٢٤) واللفظ له.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التيامن في مناولة الشراب: ذهب الجمهور إلى أنه يستحب أن يقدم من على يمين الشارب في الشرب، لبنًا كان الشراب، أو غيره، فيناول الأيمن فالأيمن وهلم جرا، ولو صغيرًا أو مفضولاً، لأن النبي ﷺ قدم الأعرابي على أبي بكر، والغلام على الأشياخ. ليس ترجيحًا لمن هو على اليمين، بل هو ترجيح لجهته، وهو فضلها على جهة اليسار، أما تقديم الأفاضل أو الأكابر، فإنما هو في الحالة التي يجلسون فيها متساوين، إما بين يدي الكبير، أو عن يساره كلهم، أو خلفه، أو حيث لا يكون فيهم، فتخص هذه الصورة من عموم تقديم الأيمن، أو يخص من عموم الأمر بالبداءة بالكبير ما إذا جلس بعض عن يمين الرئيس وبعض عن يساره، ففي هذه الصورة يقدم الصغير على الكبير، والمفضول على الفاضل[١].

بينما ذهب ابن حزم الظاهري إلى أن من شرب يجب عليه أن يناول الأيمن منه، فالأيمن، ولا بد، كائنًا من كان[٢].

وذهبوا إلى أنه يتوجهب على الشارب أن يستأذنه في مناولته الأكبر، فإن لم يأذن ناوله له، لأن حكم التيامن في المناولة آكد من حكم السن[٣].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٢/١، والقوانين الفقهية ٢٧٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) المحلى، ابن حزم ٢٣٢/٦.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٣٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥، والمحلى، ابن حزم ٢٣٢/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الشراب.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الشراب:

إن التيمن من أدلة كمال الإيمان، وحسن الإذعان، وهو من شعائر الإسلام، وقد بينه ابن الأثير في قوله: "الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن"[1]، وقال ابن حجر نقلاً عن النووي: "إن قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين وما كان بضدهما استحب فيه التياسر"[2].

وقد كانت العادة جارية بتقديم الأيمن في الشرب وغيره، فبين النبي ﷺ بفعله وقوله أن تلك العادة لم يغيرها الشرع، وأن السنة تقديم الأيمن وإن كان الأيسر أفضل منه"[3].

وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (الأيمن فالأيمن).

قال ابن هبيرة: "وفي الحديث الحجة على أن صاحب اليمين أحق بالسؤر، ولما كان الأعرابي صاحب ذلك الحق، قدمه على أبي بكر في تلك المرة، وذلك من أجل أن أبا بكر في الغالب هو صاحب اليمين عند رسول الله ﷺ، فهو يتناول سؤره دائمًا، فأراد ﷺ أن يعطي الأعرابي لكونه جلس في مكان أبي بكر مرة، فإن أبا بكر يسبق الناس إلى اليمين مرات كثيرة؛ فلا أرى أن الأعرابي جلس عن يمين رسول الله ﷺ في تلك إلا لكونه سبق إلى الجلوس عند رسول الله ﷺ؛ أو لأنه قد وفد من

---

(١) ل في (ي م ن).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٥/١.

(٣) تطريز رياض الصالحين، فيصل عبدالعزيز ص ٤٧٩.

مكان بعيد أو نحو ذلك، وإلا فيمين رسول الله ﷺ أفضل المجالس عنده، ومن عدله ﷺ أنه يخص بالأفضل من مجلسه الأفضل من أصحابه ﵃، وهذا مقام أبي بكر ﵁"[١].

ولكنه ﷺ لم يقدم أبا بكر ﵁ ولم يستأذن الأعرابي في ذلك على عكس ما ورد في حديث سهل بن سعد الساعدي ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ. فَشَرِبَ مِنْهُ. وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ. فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: ((أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَـؤُلاَءِ؟)) فَقَالَ الْغُلاَمُ: لاَ. وَاللَّهِ لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي يَدِهِ[٢].

وقد بين القاضي عياض: "أن النبي ﷺ استأذن الغلام ولم يستأذن الأعرابي استئلافًا للأعرابي، وحذر الحماسة من استئذانه في صرفه عنه لأصحابه، وقرب عهده بأنفة الجاهلية، واستأذن الغلام - وهو ابن عباس - ثقة منه بطيب نفسه باستئذانه بدفعه للأشياخ والكبراء من آله وقومه...، وقد يكون لم يستأذن الأعرابي للعادة عندهم في جري الشراب عندهم عن اليمين، كما قال:

صددت الكأس عنا أم عمرو ... وكان الكأس مجراها اليمينا

فلو استأذنه لظن به غضاضة منه، وتقصيرًا في حقه مع أنفة الجاهلية، وجفاء الأعرابي"[٣].

وهذا ما بينه القرطبي في قوله: "والغلام الذي كان يمين النبي ﷺ هو عبدالله بن عباس ﵄، وإنما استأذن النبي ﷺ الغلام، ولم يستأذن الأعرابي في الحديث الآخر، وبدأ به قبل أبي بكر ﵁ لما علم النبي ﷺ من حال الغلام: أن ذلك الاستئذان لا يخجله ولا ينفره لرياضته، وحسن خلقه، ولينه بخلاف الأعرابي؛ فإن الجفاء والنُّفرة غالبةٌ على الأعراب، فخاف عليه أن يصدر منه سوءُ أدب والله أعلم"[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/١٨ - ١٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٩٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٢٩١.

"فالتيامن في الأكل والشرب وجميع الأشياء من السنن"[١]، وهذا ما أكدته السيدة عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كان النبيُّ ﷺ يُعجبهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلهِ وتَرَجُّلهِ وطُهورهِ في شأنهِ كلِّه))[٢].

قال ابن حجر في قول عائشة رضي الله عنها: "(يعجبه التيمن) إذ هو لفظ مشترك بين الابتداء باليمين وتعاطي الشيء باليمين، والتبرك وقصد اليمين، وقيل إنه ﷺ كان يحب اليمين، لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة"[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

(إن مبعث الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله ﷺ، اصطفاه الله لهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤])[٥]، فهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[٦].

(والأمر لا يتوقف عند حد الأفراد، بل إنه لا فلاح لأمة بعث فيها النبي ﷺ إلا في اتباعه وإيثاره والاجتماع تحت رايته، والتمسك بأهدابه والسير في ركابه بعز عزيز وذل ذليل، فلا تفلح أمة مهما أوتيت من الحول والطول والذكاء والوسائل، ومهما تقدم

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٦٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٦٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٠/٢.

الزمان وتقدمت الحضارة، وتنوعت الفلسفات وتغيرت الأحوال، إلا باتباع هذا النبي والحب له والانتصار لدعوته، رضيت بذلك أم أبيت، وكل أمة تحاول أن تنال العزة والسؤدد والكرامة والقوة الحقيقية عن غير هذا الطريق، معتمدة على سياستها الحكيمة، أو الانضمام إلى معسكر من المعسكرات القوية، فلن يكون ذلك، وليس عاقبتها إلا الذل والهوان والإخفاق الذريع، والانشقاق الداخلي، والخيبة عاجلاً أو آجلاً، فعلى الأمة جمعاء أن تقتدي بالنبي ﷺ في أمره كله دقيقه وجليله"[1]، ومن ذلك اتباع تيمنه في الشراب كما ورد في نص الحديث.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه، وبيان سنة نبيه ﷺ، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في ذلك قائلاً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وعنه ﷺ أنه قال: ((نَضَّرَ الله أمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ....))[3]، وقد أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث، بيان هدي النبي ﷺ في اتباع التيمن في الشراب.

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء، أبو الحسن الندوي ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٦٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابي داود ٣١٠٨).

الحديث رقم (٧٦١)

٧٦١- وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أشْيَاخٌ، فَقَالَ للغُلامِ: ((أتَأْذَنُ لِي أنْ أُعْطِيَ هؤُلاَءِ؟)) فَقَالَ الغُلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بنَصيبي مِنْكَ أَحَدًا. فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَوْله: (تَلَّهُ) أيْ وَضَعَهُ. وهذا الغلامُ هُوَ ابْنُ عباس رضي الله عنهما.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

الغلام: هو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما[2].

تَلَّه: وَضَعه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يقرر بطريق عملية سنة فعلية، وهي التيمن، وقد بدأ الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة تصدَّره حرف التوكيد (أن) مع اسمية الجملة لاستعظام الصحابة النقل عن الرسول ﷺ ثم رغبة منهم في نقل هذا التعظيم إلى المخاطبين بنفس الدرجة؛ ولذلك نجد أن أساليب التوكيد تتقدم تحديث الصحابة عن الرسول ﷺ كثيراً مع أنهم لا يواجهون بتكذيب، ولا إنكار.

وقوله (وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ) في العبارة طباق بين اليمين، والشمال، وبين لفظ غلام، وأشياخ يوضح المفارقة التي سببت هذا الموقف، لأن سنته ﷺ البدء باليمين، وعلى يمينه غلام، وعلى شماله أشياخ، فأراد النبي ﷺ أن يخرج من هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (١٢٧/٢٠٣٠)، وتقدم برقم (٥٦٩).

(٢) رياض الصالحين.

(٣) رياض الصالحين.

الموقف دون أن يتعدى على حق الغلام، أو يجرح الأشياخ فقال للغلام (" أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ) وهو أسلوب استفهام قصد به طلب الإذن، تأمل هذا المشهد النبي ﷺ مع جلال قدره يطلب الإذن من صبي ! أرأيت كيف يربي طفل الإسلام؟ وكيف يبني شخصيته ويربي فيه ملكة التفكير وحرية اتخاذ القرار؟ بما يجعله فرداً صالحاً ينفع أمته، ويخدم دينه، وتأمل ردَّه لِتَعلَم أثر التربية النبوية قال (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْك أَحَدًا) فقد بدأ بأسلوب القسم بلفظ الجلالة (الله) مما يدل على الجزم بما بعده، ثم إن اعتزازه بنفسه، وتمسكه بحقه لم ينسه مقام رسول ﷺ فجاء نداؤه (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة حيث استخدم (يا) التي لنداء البعيد مع قرب النبي ﷺ منه إقراراً بعلو مكانته، ثم نداء الرسول ﷺ بلقبه دون اسمه، ثم إضافته لله تشريفاً وتكريماً، وتقديم الجار والمجرور (بنصيبي) يفيد إعتزازه، وتمسكه بحقه، وتقديم الجار والمجرور (منك) على المفعول (أحداً) يشير إلى أن سرَّ تمسكه به هو كونه من رسول الله ﷺ يريد أن ينال شرف الشرب من المكان الذي شرب منه رسول الله ﷺ، ولذلك احترم الرسول رغبته وأعطاه إياه (هذا الغلام أصبح حبر الأمة، ابن عباس رضي الله عنهما.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٥٦٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً-تعليم آداب الشرب:

إن من الآداب التي تهدف التربية الإسلامية إلى تعليمها معرفة آداب الشرب، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، وعنوان الباب الذي أورده الإمام النووي يشير إلى هذا فهو في بيان آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التنفس فيه واستحباب إدارة الإناء على الأيمن، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث أنس رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا" وحديث ابن عباس رضي الله عنهما "لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا رفعتم". وحديث أبي قتادة رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء".

ففي جملة هذه الأحاديث بيان وتعليم لآداب الشرب ومنها استحباب التنفس خارج الإناء ثلاثًا، والنهي عن الشرب من نَفَسٍ واحد للتنزيه والأمر بالتسمية عند الشراب، والحمد عند الفراغ، والنهي عن التنفس في نفس الإناء.

قال ابن القيم: (والشراب في لسان الشارع وحملة الشرع: هو الماء ومعنى تنفسه في الشراب: إبانته القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود إلى الشراب كما جاء مصرحًا به، وفي هذا الشرب حِكَم جمة وفوائد مهمة، وقد نبه ﷺ على مجامعها بقوله "إنه أروى وأمرأ وأبرأ" فأروى أشد ريًا، وأبلغه وأنفعه وأبرأ: أفعل من البرء وهو الشفاء، أي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه، وأيضًا فإنه أسلم لحرارة المعدة، وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة. وأيضًا فإنه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها، ولما تكسر سَوْرتُها وحِدَّتها، وإن انكسرت لم تبطل بالكلية بخلاف كسرها على التمهل والتدريج.

وأيضًا فإنه أسلم عاقبة، وآمن غائلة من تناول جميع ما يُروي دفعة واحدة، ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يُخافُ منه الشَّرَق بأن يَنْسدَّ مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغصَّ به، فإذا تنفس رويدًا ثم شرب، أمن من ذلك، وللتسمية في أول الطعام

والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته)[١].

إن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، ولذا ينبغي تعلم آداب الشرب التي أرشد إليها رسول الله ﷺ.

(ومن آداب الشرب أن لا يتنفس الشارب في الإناء، ولا ينفخ فيه، وجاء في ذلك أحاديث صحيحة، والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك)[٢].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية النافعة التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق والتنفيذ العملي لما يأمر به مما يكون له أبلغ الأثر في نجاح العملية التربوية، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث أنس رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثا" ففي هذا تطبيق وممارسة عملية من الرسول ﷺ لاستحباب التنفس خارج الإناء ثلاثًا.

(إن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران. كما أن الدين الإسلامي يطالب كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الدنيا)[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٠-٢٣١.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

ثالثًا-التربية بالمواقف والأحداث:

تعتبر التربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية حيث إنه من خلال الموقف والحدث يغرس المربي الآداب والإرشادات التربوية التي تثبت في ذهن المتلقي، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبوبكر رضي الله عنه فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن".

وكذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا فتلّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده".

ففي جملة هذين الحديثين بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أدبًا من آداب الشرب وهو مناولة الأيمن فالأيمن وذلك من خلال الحديث والموقف.

(إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية فقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة وبهذا يرتبط العلم بالحياة، ويتصل الدين بالواقع)[١].

إن المربي البارع الحريص على نجاح العملية التربوية لا يترك الأحداث والمواقف تمر دون أن يستغلها في التعليم والتوجيه والإرشاد وغرس القيم والسلوكيات الصحيحة.

رابعًا-الاستجابة للحقوق المشروعة للطفل:

إن من الأسس التربوية في تربية الطفل الاستجابة للحقوق المشروعة للطفل مما يعطيه دافعًا نفسيًا، وسلوكًا إيجابيًا، ومما يدلل على ذلك في أحاديث الباب حديث سهل بن سعد رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

يساره أشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا فتلّه رسول الله ﷺ في يده".

ففي هذا الحديث استجاب النبي ﷺ للحق المشروع للغلام بأن أعطاه قبل الأشياخ لأنه كان على اليمين، وفي هذا تعليم للمربين بضرورة الاستجابة لحقوق الطفل المشروعة.

(إن إعطاء الطفل حقه وقبول الحق منه يغرس في نفسه شعورًا إيجابيًا نحو الحياة، ويتعلّم أن الحياة أخذ وعطاء، كذلك فإنه تدريب للطفل على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها، فهذا رسول الله ﷺ يستأذن غلامًا على يمينه لكي يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير الذي على يساره، فإذا بالطفل لا يؤثر سُؤْرَ رسول الله ﷺ على نفسه لأحد أبدًا فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب ويهنأ في الاستمتاع بحقه)[1].



(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٢.

١١٢- باب كراهة الشرب من فم القِربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

الحديث رقم (٧٦٢)

٧٦٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: نَهَى رَسُول الله ﷺ عَنِ اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ. يعني: أن تُكْسَرَ أفْوَاهُها، وَيُشْرَبَ مِنْهَا. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

ساق الصحابي الحديث في صورة خبرية خالية من المؤكدات مساق الخبر المعلوم الذي لا ينكره أحد أو يشك فيه، وقد حكى النهي بطريق الخبر في قوله (نهى رسول الله) وقوله (اختناث) أي كسر أفواهها ليشرب منها ومعنى هذا النهي - والله أعلم - على وجه الأدب لجواز أن تكون في أفواهها حية، أو بعض الهوام لا يراها الشارب، فيدخل في حلقه، وقد قيل: إن ذلك على سبيل التقذر؛ لأنه يدخلها في فيه وهو من الآداب التي فيها وقاية للمسلمين مما يمكن أن يؤذيهم.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[2] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الشرب من فم القربة ونحوها: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره "تنزيهًا" الشرب من فم السقاء، ونحوه، لأنه لا يؤمن من دخول شيء من الهوام مع الماء في جوف السقاء، فيدخل فم الشارب وهو لا يدري. فعلى هذا لو ملأ السقاء وهو يشاهد الماء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٣/١١١). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٦).

(٢) أي أحاديث الباب.

الذي يدخل فيه ثم يربطه ربطًا محكمًا، ثم لما أراد أن يشرب حله فشرب منه لا يتناوله النهي، وقيل: إن الذي يشرب من في السقاء قد يغلبه الماء، فينصب منه أكثر من حاجته، فلا يأمن أن يشرق به أو تبتل ثيابه[١].

ونقل ابن التين وغيره عن مالك أنه أجاز الشرب من أفواه القرب وقال: لم يبلغني فيه نهي[٢].

وجزم ابن حزم بأنه يحرم، لثبوت النهي[٣].

والأولى التفريق بين ما يكون لعذر، كأن تكون القربة معلقة، ولم يجد المحتاج إلى الشرب إناء، ولم يتمكن من التناول بكفه، فلا كراهة حينئذ -وعلى هذا يحمل حديث أم ثابت- وبين ما يكون لغير عذر فتحمل عليه أحاديث النهي.

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كراهة الشرب من فم الأسقية والأواني واختناثها.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي صريحًا في الحديثين[٥] في قوله: (نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية)، وقوله: (نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من توجيه المدعو إلى الاحتراز عما يضره ويجلب إليه الكدر في معاشه ومعاده.

---

(١) شرح معاني الآثار ٤٠٤/٥، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٢٢/٨.

(٣) المحلى، ابن حزم ٢٢٨/٦.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٦٣).

(٥) حديث رقم (٧٦٢)، (٧٦٣).

ثانيًا - من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم:

إن الدعوة إلى الله تفرض على أصحابها ضرورة إبلاغها للآخرين ونقلهم إلى نور العلم والإيمان، وتحذيرهم مما يضرهم أو يلحق الأذى بهم في دينهم أو دنياهم[١]، وقد بيّن الحديث خوف الداعي على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم، ودليل ذلك: (نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية - يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها)، وقوله: (نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة)، وذلك انطلاقًا من الحفاظ على صحة المسلم، وعدم انتقال الأوبئة[٢].

فهذه الوصايا وغيرها في كيفية الشرب، والحرص على أن يتناوله بطريقة صحيحة لا تكون سببًا في وصول الأذى إلى الإنسان، تشير إشارة واضحة إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ من معرفة عميقة في صحة الأبدان، لا تقل عن معرفته بصحة الأرواح، فسبحان من جمع له العلوم وملكه بنواصي جوامع الكلم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: كراهة الشرب من فم الأسقية والأواني واختناثها:

ورد في الحديث النهي عن الشرب من فم القربة ونحوها، فإنه لا يؤمن من دخول شيء من الهوام مع الماء في جوف السقاء فيدخل فم الشارب وهو لا يشعر[٤]، ولأنه يقذره على غيره ولأنه ينتنه بتردد أنفاسه، ولأنه ربما غلبه الماء فتضرر به، إضافة إلى أنه لا يتمكن من حسن الشراب[٥]، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية"، قال المازري: (وتفسير ذلك بأن يُقلب رأسها ثم يشرب منها، وأصل

---

(١) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٢٦٦/١ - ٢٦٧.

(٣) سورة النجم الآيات: ٣ - ٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٤/١٠.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣١٤/٣ - ٣١٥.

كلمة: "اختناث" من التكسر والتثني واللين، ومنه سمي الرجل المتشبه بالنساء في طبعه وكلامه مخنثًا، لتكسُّر ولين معاطفه، ويحتمل أن يكون منهي عنها لئلا ينال الشارب أذى مما يكون في الماء ولا يشعر به، لأنه يشرب ما لا يبصر، أو يكون ذلك لأنه يغير رائحة السقاء بما يكتسبه من نكهة الشارب)(١).

وقال القاضي عياض: (قال ابن دريد: اختناث الأسقية كسر أفواهها إلى خارج ليشرب منها، فأما كسرها إلى داخلها فهو القبع، والنهي عن هذا كله، والأمر به عند العلماء من باب الأدب والترغيب، لا من باب الواجب والفرض، وقد قيل في النهي عن اختناث الأسقية والشرب من فم السقاء أنه للتقذر أيضًا لإدخالها في فيه، أو إدخال شفتيه فيها، أو لما يخشى من وقوع بصاقه فيها أو غيره، وفي النهي عن اختناث الأسقية قيل: قد يكون للتقذر أيضًا مخالفة ما يكون برأسها، وما تطويه من خارجه من قذر، فينعكس عند جلبه في الماء فيقذره)(٢).

قال النووي: "واتفقوا على أن النهي هنا نهي تنزيه لا تحريم"(٣).

وإنما الذي ينبغي هو صب الشراب في إناء أو كوب ثم الشرب منه(٤)، وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم التي من أجلها جاء هذا النهي نذكر منها:

١/ أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها.

٢/ أنه ربما يكون في القربة أو السقاء حشرات أو قذاة أو غيرها لا يشعر بها الشارب فتدخل جوفه فيتضرر بها.

٣/ أنه ربما يخالط الماء شيء من ريق الشارب فيقذره على غيره(٥).

٤/ أن ريق الشارب ونَفَسَه قد يكون ممرضًا غيره، لما ثبت عند الأطباء أن العدوى

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢١٤ - ٢١٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٨٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨١.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد عبدالباقي الشلهوب ص ١٦٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٩٤، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٢.

قد تنتقل عن طريق الريق والنفس، لذا كان الحديث سابقًا لغيره في مراعاة الحفاظ على الصحة، والوقاية من الأمراض وحجرها، مما يسهل القضاء عليها.

الحديث رقم (٧٦٣)

٧٦٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِيِّ[١] السِّقَاءِ، أَوْ: القِرْبَةِ. متفق عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فيِّ السقاء أو القربة: أي فم السقاء أو القربة[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى الحديث السابق من حيث تصدِّيه لعلاج بعض الأخطاء الاجتماعية في الطعام، والشراب، وهومن باب وقاية المسلمين من تبعة تتابع الأفواه على مكان واحد، وما يمكن أن ينقله من جراثيم، وإذا نظرت إلى قيمة هذه التوجيهات - خاصة في زماننا - الذي كثرت فيه الأوبئة وسهل تنقلها بسبب الغفلة عن مثل هذه التوجيهات أدركت قيمتها، وعلمت بعد نظر الرسول ﷺ في الزمان والمكان لأنه نبي الناس إلى يوم القيامة، وتوجيهاته صالحة لكل زمان إلى قيام الساعة، بالإضافة إلى أن تعدد الأفواه على في السقاء الواحد مما يستقذره كثير من الناس

---

(١) لفظ البخاري: (فم). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه، وهو لفظ الحاكم (١٤٠/٤) فقد عزاه المنذري في ترغيبه إلى البخاري، والحاكم.

(٢) اخرجه البخاري (٥٦٢٧)، وهو من أفراده كما في الجمع للحميدي (١١٠/٢، رقم ١١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٧).

تنبيه: عزا المؤلف هذا الحديث إلى الشيخين بهذا اللفظ، وليس كذلك وإنما في آخر الحديث عند البخاري زيادة: (وأن يمنع جاره أن يغرز خشبة في جداره)، فهذا اللفظ هو المتفق عليه، أخرجه مسلم برقم (١٦٠٩/١٣٦). وعزاه المنذري في ترغيبه (٣١٢٧) إلى البخاري والحاكم، وأشار إلى الزيادة التي في آخر الحديث عند الحاكم.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٢/١٠.

وقد ساق الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتناسب مع الجو النفسي للمتكلم والمخاطبين حيث لم يواجه بإنكار، ولم يقابل بشك، والتعبير بإن المصدرية والفعل المضارع في قوله (أن يشرب) دون المصدر الصريح (الشرب) لأن المصدر المنسبك من أن والفعل بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر نفسه، فإنه يستحضر الصورة، المنهي عنها صورة تتابع الشاربين على في سقاء واحد، الأمر الذي يحدث في النفس قناعة عقلية بالنهي بعد القناعة القلبية الحاصلة من نهي الرسول ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٦٤)

٧٦٤- وعن أمِّ ثابتٍ كَبْشَةَ بنتِ ثابتٍ أُختِ حَسَّانَ بن ثابتٍ رضي الله عنهما، قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائمًا، فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

وإنَّما قَطَعَتْهَا: لِتَحْفَظَ مَوْضِعِ فَمِ رسول الله ﷺ، وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَال. وهذا الحديث محمولٌ عَلَى بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

كبشة بنت ثابت: هي كبشة - ويقال كُبيشة - بنت ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارية، وهي أخت شاعر الرسول حسان بن ثابت لأبيه.

كان يقال لها: البَرْصاء، كأنه لقبٌ لها.

وكانت من نساء الأنصار اللاتي أسلمن وبايعن رسول الله ﷺ على الإيمان بالله وعلى فضائل الأعمال والأخلاق، وعلى السمع والطاعة.

وقد روى عنها حفيدها عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وليس لها إلا هذا الحديث المشروح[(٢)].

غريب الألفاظ:

فِيها: فمها[(٣)] وإنما قطعتها؛ لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به، وتصونه

---

(١) برقم (١٨٩٢). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣١٨).

(٢) الطبقات (٤٤٩/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٠/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٥٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٧٢/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٦/٤).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

عن الإبتذال. وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم[(١)].

الشرح الأدبي

تروي الحديث إحدى الصحابيات الجليلات بأسلوب خبري مجرد من عوامل التوكيد عارٍ عن أدوات التنبيه، مما يوحي بيقظة المخاطبين، وإقبالهم عليها كما يوحي بثقتها في عدم إنكار المخاطبين للخبر، أو الشك فيه.

وقولها: (دخل... فشرب) الفاء تدل على الترتيب، والتعقيب، وفيه إشارة إلى شدة عطشه ﷺ وقولها: (من قربة معلقة) فيه تواضع من الرسول ﷺ ودماسة خلق ومودة، وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل، والأكمل، وقولها: (فقُمْت إِلَى فِيهَا فَقَطَعْته) قَالَ التِّرْمِذِيّ: وَقَطْعهَا لِفَمِ الْقِرْبَة فَعَلَتْهُ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا أَنْ تَصُونَ مَوْضِعًا أَصَابَهُ فَم رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يُبْتَذَل وَيَمَسّهُ كُلّ أَحَد، وَالثَّانِي أَنْ تَحْفَظهُ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَالِاسْتِشْفَاء. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَهَذَا الْحَدِيث يَدُلّ عَلَى أَنَّ النَّهْي لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ. وَاللَّهُ أَعْلَم[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شرب النبي ﷺ من فم القربة.

ثانيًا: من آداب الداعي: بيان اليسر في الإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شرب النبي ﷺ من فم القربة:

ورد في الحديث شرب النبي ﷺ من فم القربة، "فشرب من في قربة معلقة قائمًا" قال النووي: (هذا الحديث محمول على بيان الجواز والحديثان السابقان اللذان نهى فيهما ﷺ عن الشرب من فم السقاء، النهي فيهما محمول على بيان الأفضل

(١) رياض الصالحين ٣٢٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم حديث (٣٧٦٩).

والأكمل)[١]. قال ابن علان: (وإنما شرب النبي ﷺ من فم القربة؛ لبيان أن النهي عن الشرب من فم القربة ليس على سبيل التحريم بل على سبيل التنزيه، أو أنه فعل ذلك لعدم إمكان الشرب حينئذ إلا كذلك)[٢].

ثانيًا - من آداب الداعي: بيان اليسر في الإسلام:

إن من أهم الآداب التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، بيانه للناس ما في الإسلام من يسر، فدين الإسلام دين يسر وشريعة سمحاء، وإن المتأمل في الكتاب والسنة ليظهر له بجلاء، أن اليسر مقصد من مقاصد الشريعة وأصل مقطوع به[٣].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤] وفي الحديث مثال تطبيقي ليسر الإسلام، حيث نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من في السقاء، كما في حديث أبي هريرة "نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة" ثم جاء في هذا الحديث "فشرب من في قربة معلقة قائمًا" وذلك ما يكشف التيسير في حياة الرسول ﷺ، وأنه كان ملتزمًا بهذا المبدأ في جميع تصرفاته رعاية لمصلحة المسلمين ورفع الحرج عنهم[٥]. فلقد كانت حياته ﷺ أنموذجًا لما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلمين، فعن عائشة رضي الله عنها: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسهِ إلاّ أن تُنْتهكَ حُرمةُ اللهِ فيَنتَقِمَ للّه بها))[٦]. وبالجملة (فإن النبي ﷺ جاء بالتيسير والسماحة، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم)[٧] وقال القاسمي: قال الجشمي في تفسير قوله تعالى في وصف

---

(١) رياض الصالحين، النووي ص ٢٢٣.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٨.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رافت كامل عيد السيوري ص ١٣١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٤.

(٦) اخرجه البخاري ٦١٢٦ واللفظ له، ومسلم ٢٣٢٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٢٥٤.

نبينا ﷺ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١] دلت الآية على أن شريعته أسهل الشرائع وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم السابقة[٢]. لذلك كان التيسير سمة ظاهرة للدين الإسلامي ويتجلى ذلك في عقائده وعبادته ومعاملاته وأخلاقه[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ:

جاء في صريح الحديث ما يدل على تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ فعنها أنها قالت: "دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من في قربه معلقة قائمًا، فقمت إلى فيها فقطعته" قال المباركفوري: (لعله للتبرك به لوصول فم النبي ﷺ)[٤]، وقال النووي: (وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به وتصونه عن الابتذال[٥] أي الامتهان)[٦] وقد وردت صور كثيرة لتبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ. وقد أقر النبي ﷺ ذلك مما يدل على مشروعيته[٧] ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عَتِيدَتها[٨] فجعلت تنشّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال أصبت[٩].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٠٨/٥/٢.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٤١٩/٤.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

(٥) رياض الصالحين، النووي، ٣٢٣.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٩.

(٧) فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٠٥.

(٨) عَتِيدَتها: هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٧/١٥.

(٩) أخرجه مسلم ٢٣٣١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قاعدة الوقاية خير من العلاج من هدي الرسول ﷺ وإذا كان العلم الحديث لم يكتشف العدوى عن طريق الفم إلا في العصر الحديث، فإن الرسول ﷺ نهى عن التعامل المباشر مع الأواني التي يتعامل معها كثيرون، ومن الباب المذكور أخذ العلماء المفاهيم التربوية الآتية:

أولاً-التربية الوقائية:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية الوقائية حيث يقوم المربي بتحذير المتربي من الأمور الضارة التي قد تلحق به وقاية له مما يضره، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية. يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها" وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة" ففي هذين الحديثين توجيه نبوي بالنهي عن الشرب من في السقاء وقاية للإنسان من الأخطار والأضرار.

(والوقاية هي نوع من أنواع التحذير وهي تحصين الفرد وتحذيره سلوكيًا وفكريًا من الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه فالوقاية الصحية للإنسان تكمن في تحذيره من ارتياد المواطن الموبوءة أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو حقنه بجُرَع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين، والإسلام استخدم الوقاية للفرد المسلم وللأسرة وللمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، وهذه التحذيرات والتوجيهات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم، وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهي كذلك بمثابة حمْية وقائية يتقي بها

من الأمراض المهلكة)[1].

وفي بيان الحكمة في النهي عن الشرب من في السقاء والقربة، قال الإمام ابن القيم: (وفي هذا آداب عديدة منها: أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زُهومة ورائحة كريهة يُعاف لأجلها. ومنها: أنه ربما غلب الداخِلُ إلى جوفه من الماء فتضرر به ومنها: أنه ربما كان فيه شيء ضار لا يشعر به فيؤذيه، ومنها أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه، ومنها أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء فيضيق عن أخذ حظه من الماء، أو يزاحمه أو يؤذيه ولغير ذلك من الحِكَم)[2].

(ولقد جاء النهي الصريح عن الشرب من فم القربة أو السقاء، والذي ينبغي هو صب الشراب في الإناء ثم الشرب منه وهذا النهي حمله بعض أهل العلم على التحريم، وحمله بعضهم على كراهة التنزيه وهم الأكثر، ومنهم من جعل أحاديث النهي ناسخة للإباحة، وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم التي من أجلها جاء هذا النهي ومنها أنه ربما يخالط الماء من ريق الشارب فيتقذر غيره، ومنها: أنه ربما يكون في القربة أو السقاء حشرات أو حيوانات أو قذاة أو غيرها لا يشعر بها الشارب فتدخل في جوفه فيتضرر بها، ومنها: أن ريق الشارب ونَفَسه قد يكون ممرضًا غيره لما ثبت عند الأطباء أن العدوى قد تنتقل عن طريق الريق والنفس)[3].

هذا وواجب المربي الحرص على وقاية المتربي مما يضره ويؤذيه وتنبيهه وإرشاده إلى ذلك.

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية، وهي من الأهمية بمكان في نجاح العملية التربوية، حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية للأمر والنهي أو التوجيه والإرشاد التربوي، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث أم ثابت

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦٩.

كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنها فعنها أنها قالت: "دخل عليَّ رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلقة قائمًا فقمت إلى فيها فقطعته".

فالممارسة العملية من النبي ﷺ بالشرب من في السقاء لبيان الجواز، فالنهي عن الشرب من فم القربة ليس على سبيل التحريم بل على سبيل التنزيه، وفعل النبي ﷺ يثبت ذلك.

(والتربية الإسلامية تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام، وقد كان الرسول المربي ﷺ يثبت بالبراهين العملية والتجارب الفعلية أن ما يدعو إليه هو أمر ممكن التنفيذ، وآية ذلك أنه مشخص في سلوكه، والتعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية وقد مارس الجيل الأول من المسلمين السنة الشريفة بغيرة وإيمان وذلك لقربهم من ينبوع الوحي)[1].

وبناء على هذا فيجب على المشتغلين بالتربية من الآباء والمعلمين والمربين الاهتمام بأسلوب الممارسة العملية لما له من أثر طيب في توجيه المتربي وإرشاده.

(وأسلوب الممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية وتؤمن أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك ملموس، لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد)[2].



(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٦.

١١٣- باب كراهية النفخ في الشراب

الحديث رقم (٧٦٥)

٧٦٥- عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عَن النَّفْخ في الشَّرَاب، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أراها في الإناءِ؟ فَقَالَ: ((اهرقها)). قَالَ: إنِّي لا أرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: ((فَأَبِنِ القَدَحَ إذاً عَنْ فِيكَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

النفخ في الشراب: إخراج الهواء من فمه في الشراب[2].

القذاة: ما يقع في العين والشراب والماء من تراب وغيره ذلك[3].

أهرقها: من الإراقة أي فأرق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه[4].

أروى: أي لا يحصل لي الري من الماء في تنفس واحد[5].

فَأَبِن: أي أبعده، أمر من الإبانة[6].

القدح: الإناء الذي يشرب فيه ويروي رجلين[7].

فيك: فمك[8].

---

(١) برقم (١٨٨٧). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣٢٧)، وقال الحاكم (١٣٩/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٦١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٥) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٦) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٣٤.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قائم على الحوار الذي ينبيء عن التواصل بين المتحاورين، ويكسب الأسلوب حركة، وانفعالاً، وقد بدأه الراوي بالإخبار المؤكد عن النبي ﷺ بالنهي عن النفخ في الشراب، فثار في ذهن أحد المخاطبين سؤال (الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟) أي كيف أصنع؟ فدلّه على طريقة الخلاص منها بإراقة القدر القليل الذي اشتمل عليها، وقول الرجل (فإني لا أروى من نفس واحد) أكّده بأكثر من مؤكد؛ لأنه يعلم أن كلامه مخالف لكلام الرسول ﷺ فقد توقع معارضة، أو إنكاراً، فأكّد، وكلامه يحمل استفهاماً ضمنياً، فكانت إجابة الرسول ﷺ (فَأَبِنْ الْقَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ) أمر إرشاد وتوجيه، وفيه إيجاز بالحذف أي: أبعد القدح عن فيك وتنفس، ثم عاود الشرب، وبذلك تتحقق المصلحة من وجهيها.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم التنفس في الإناء: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧).

٢-حكم النفخ في الشراب: يكره النفخ في الشراب، "بارداً أو حاراً، ما قل، أو ما جل" ليذهب ما في الشراب من قذارة، ونحوها، لأن النافخ في آنية الماء يجوز أن يقع من ريقه فيها شيء مع النفخ، فيستقذره الناظر ويفسده عليه، فإن كان لابد، فليخرجها بشيء، أو يريق بعض الماء لتخرج تلك القذارة منها.

ويستوي في الحكم من شرب مع غيره، أو وحده، أو مع أهله، أو مع من يعلم أنه لا يستقذر شيئاً مما يتناوله[2].

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) رد المحتار ٢٠٢/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: نهى النبي ﷺ عن النفخ في الشراب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان آداب الشراب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي والأمر

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب" وأسلوب الأمر في قوله ﷺ "أهرقها" وأسلوب النهي والأمر من الأساليب الدعوية المهمة لما فيهما من بيان الحقائق للمدعوين، ودلالتهم على النافع وحثهم عليه وعلى الضار وتحذيرهم منه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب

جاء في صريح الحديث نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب".

قال العلماء: وهذا من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه[1]، وقال ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه)[2]. إذ أن النفخ في الشراب سبيل إلى نزول القذارة فيه، أو على الأقل تغيره بريح الفم، ولهذا نهى النبي ﷺ نهياً تنزيهياً عن ذلك، وأرشد الرجل الذي لا يستطيع الارتواء من نفس واحد إلى أن يستريح أثناء الشراب، ويتنفس خارج الإناء، فقد تنتقل الأمراض مع النفس أو الرذاذ[3] "فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؛ فقال أهرقها، قال: إني لا أروى من نفس واحد؟ قال: فأبن القدح إذاً عن فيك".

---

(١) شرح مسلم، النووي ص ٢٧٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٥..

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان آداب الشراب

تضمّن الحديث أدباً من آداب الشراب وهو المحافظة على الشراب، وعدم إفساده على غيره بالنفخ فيه وغيره، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشراب، بل نهى عن استخدام النفخ في التخلص مما قد يقع في الشراب، والعدول إلى إراقة ما وقع فيه "فقال رجل القذاة أراها في الإناء؟ فقال أهرقها" أي فأرق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه، أي أرق بعض الماء لتخرج تلك القذاة من الإناء[1] وأمر بإبعاد الإناء عن الفم عند التنفس "قال فإني لا أروى من نفس واحد، قال فأبن القدح إذاً عن فيك" أي أبعده[2]، قال ابن عثيمين: وفي الحديث النهي عن النفخ في الإناء، لأن الإنسان إذا نفخ ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه أشياء مؤذية، كمرض وغيره، وأمر بإبانة الإناء حال التنفس، أي فصله عن الفم، ثم التنفس، ثم المعاودة للشرب، وفي ذلك ما يدل على كمال الشريعة من جميع الوجوه، فما من شيء إلا وقد بينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] حتى آداب الطعام والشراب).

وفي ذلك دليل على أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال أجل وذكر ما علمه لنا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك (أن لا نستقبل القبلة بغائط ولا بول، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار وألا نستنجي برجيع أو عظم)[4]؛ فالمهم أن شريعتنا ولله الحمد كاملة من كل وجه ليس فيها نقص ولا تحتاج إلى أحد يكملها[5] وصدق الله العظيم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[6].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦١٠.

(٢) المرجع السابق ٢/١٦١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ج٢/١٠٧٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ج٢/١٠٧٦.

(٦) سورة المائدة، آية: ٣.

الحديث رقم (٧٦٦)

٧٦٦- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإناء، أَوْ: يُنْفَخَ فِيهِ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

يتنفس في الإناء: إخراج النفس داخل الإناء لخوف بروز شيء من ريقه فيقع في الماء[2].

ينفخ فيه: أي يخرج الهواء من الفم في الشراب[3].

الشرح الأدبي

يسوق الراوي الخبر مؤكداً حتى يشق طريقه إلى سمع المخاطب فقلبه دون أن تعترضه عوارض الإنكار، أو الشك، أو ليسلك طريقه في النفس، وهي تستشعر عظمته فتضعه في الموضع اللائق به من القبول، ثم ساق الخبر، وهو نهي الرسول ﷺ عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، وقد عبَّر بإن المصدرية والفعل المضارع في قوله (أن يُتنفس) دون المصدر الصريح (التنفس)، لأن المصدر المنسبك من أن، والفعل بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر نفسه، فإنه يستحضر الصورة المنهي عنها صورة رزاز الشارب اللاهث يتقطر مع أنفاسه، الأمر الذي يحدث في النفس قناعة عقلية بالنهي بعد القناعة القلبية الحاصلة من نهي الرسول ﷺ والجار والمجرور (في الإناء)

---

(١) برقم (١٨٨٨). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٤).

تنبيه: حديث النهي عن التنفس في الإناء، رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وقد تقدم برقم (٧٦٧)، وفيه أيضًا حديث أبي قتادة، رواه البخاري برقم (٥٦٣٠)، ومسلم (٦٣/٢٦٧).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٦١.

يشير إلى أصل الخطأ، وهو التنفس داخل الإناء، والذي تدل عليه الظرفية المفهومة من حرف الجر (في) وقوله: (أو ينفخ فيه) أو للتنويع؛ لأن النفخ نوع آخر من الأفعال المنهي عنها فالنفخ بالفم، والتنفس من الأنف، وكلاهما منهي عنه، ثم إن بناء الفعلين لما لم يسم فاعله، يجعله عاماً لكل من يصلح منه الفعل؛ لأنه لم ينه فاعلاً مخصوصاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في الشراب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة الإسلام للجوانب الصحية والنفسية في الشراب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه

جاءت تعاليم الإسلام لتحث على منع الضرر أو التسبب فيه، ولما كان التنفس في الإناء والنفخ فيه من القذارة والضرر، ولما فيه من فعل غير لائق بصاحب الخلق، نهى عنه رسول الله ﷺ[1] كما جاء في الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" وهذا من الآداب التي تتم بها مصلحة الشراب[2]. قال النووي: (قال العلماء: والنهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه هو من طريق الأدب مخافةً من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك)[3].

ومن ذلك حرص الإسلام على راحة المسلمين، وإبعاد ما يسيء إلى نفوسهم أو يؤدي إلى تقذرهم ولو ضؤول، والتوجيه إلى مراعاة شعور المسلمين وآداب الصحة والوقاية)[4].

ثانياً- من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في الشراب

إن من الواجب على المسلم داعية كان أو مدعواً الاستهداء بهدي سيد

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ١٢٩.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥١.

المرسلين ﷺ والتأدب بآدابه، وتربية النفس على ذلك، وغرس تلك المبادئ والأخلاق السامية في قلوب الناشئة ورعايتها[١]، ومن الآداب الشرعية التي حث عليها ديننا، ورغب فيها اتباعه هدي رسول الله ﷺ في الشراب، وقد جاء في الحديث جانبٌ من هذه الآداب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" خشية الاستقذار[٢]، وهذه الآداب وغيرها مما ينبغي التأدب بها، وتعويد النشء والأولاد عليها، حتى تصبح لديهم عادة وخلقاً[٣].

وفي ذلك بيان لمدى اهتمام الإسلام بالإنسان خَلْقاً وخُلقاً، فكما جاء في تعاليم الإسلام الارتقاء بأخلاق الإنسان، كذلك ورد فيها الاهتمام بخَلْق الإنسان والحفاظ على سلامته وصحته باجتناب كل ما من شأنه الإضرار بالجسم، أو نقل الضرر والعدوى إليه كالتنفس في الشراب والنفخ فيه وما شاكل ذلك، ونرى من خلال ذلك أن الإسلام دين حاز الكمال من أطرافه، ولم يغفل عن شيء يهم الناس في حياتهم وآخرتهم، بل وضحه لهم وأرشدهم إليه، وهكذا: عندما يقوم المربون بتطبيق هذه التعاليم الإسلامية على من تحت أيديهم، ويعودونهم على التقيد بها، فإنهم ولاشك ينشئون على الصحة التامة وتترعرع أجسامهم، وتقوى أبدانهم على طاعة الله عز وجل[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مراعاة الإسلام للجوانب الصحية والنفسية في الشراب:

إن من يدقق النظر في الحديث يظهر له مدى اهتمام الإسلام ومراعاته للجوانب الصحية والنفسية في الشراب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" أما عن الجانب الصحي ففي الحديث إرشاد إلى اتباع القواعد الصحية في الشراب، منعاً للعدوى وتقليلاً للأمراض وانتقالها، وحفاظاً على قوة الجسم

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ٧.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٩.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج١/٢٠٥.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص ٢٢٤.

وسلامة البدن، والصحة و الحيوية والنشاط[١] فهذه الوصايا التي أوصانا بها رسول الله ﷺ عند الشراب من عدم التنفس والنفخ فيه، والحرص على تناوله بطريقة صحيحة حتى لا تكون سبباً في وصول الأذى إلى الإنسان، في ذلك إشارة واضحة إلى المعرفة العميقة لرسول الله ﷺ في صحة البدن والقلب والمجتمع، فكم في السنة النبوية المطهرة من قواعد صحية سامية سبقنا بها الأمم كلها[٢] أما من الجانب النفسي فإن المحافظة على آداب الشراب، سبب لإقبال الآخرين عليه وعدم معافاته، قال ابن القيم: وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة، يُعاف لأجلها[٣] ويستقذر.

---

(١) المرجع السابق ١/٢٠٥.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ١/٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

مراعاة مشاعر الآخرين مطلوبة، والطب الوقائي مهم في حياة الناس، وهدي الرسول ﷺ واجب الاتباع ولهذا كان النهي عن النفخ فيما يشرب منه الإنسان، وبخاصة إذا كان آخرون سيشربون منه، طلباً للسلامة، ورعاية للمشاعر، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- تعليم آداب الشرب:

إن من الآداب التي تحرص التربية الإسلامية على تعليمها والتعريف بها تعليم آداب الشرب، ومما يرشد إلى ذلك في حديثي الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب..." وحديث ابن عباس رضي الله عنهما "أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه".

ففي هذين الحديثين بيان كراهة النفخ في الشراب لئلا يقذر الشراب أو الطعام، وفي هذا تعليم للمتربي آداب الشرب، قال ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه، ولهذا جمع رسول الله ﷺ بين النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه، فإن قيل فما تصنعون بما ورد أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثًا؟ قيل: نقابله بالقبول والتسليم، ولا معارضة بينه وبين الأول فإن معناه أنه كان يتنفس في شربه ثلاثًا، وذكر الإناء لأنه آلة الشرب)[1].

وقال أبو حامد الغزالي: (وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصًا لا عبًا، ولا يشرب قائمًا ولا مضطجعًا، وما ورد أن الرسول ﷺ فعل ذلك فلعله كان لعذر، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه، وينظر في الكوز قبل الشرب، ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز، بل ينحيه عن فمه بالحمد، ويرده بالتسمية)[2].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٥/٤.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٦٧/٢، ٦٨.

وقال ابن مفلح المقدسي: (يكره نفخ الطعام والشراب، أطلقه الأصحاب رحمهم الله لظاهر الخير، وحكمة ذلك تقتضي التسوية ولذلك سوى الشارع بين النفخ والتنفس فيه، وقال الآمدي: لا بأس بنفخ الطعام إذا كان حارًا ويكره أكله حارًا والتنفس في إنائهما. ومن الأدب أن يشرب مقطعًا ثلاثًا ويتنفس دون الإناء ثلاثًا ولا يتنفس فيه وقال في المستوعب: والنفخ في الطعام والشراب منهي عنه)[1].

والواجب على المربين الاهتمام بغرس وتعليم هذه الآداب حتى ينشأ عليها المسلم ويطبقها عمليًا عند طعامه وشرابه.

ثانيًا- السؤال والاستفسار:

إن من الأمور التي ينبغي أن يتدرب عليها المتربي السؤال والاستفسار وذلك حتى يكون إيجابيًا في العملية التربوية، ولا يكتفي بالتلقي فحسب ولكن يسأل ويناقش ويستفسر حتى يكون مشاركًا إيجابيًا ومما يرشد إلى ذلك من حديثي الباب ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشراب فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ فقال: أهرقها قال: إني لا أروى من نَفَسٍ واحد؟ قال: فأبن إذًا عن فيك".

ففي هذا الحديث سأل رجل عن القذاة التي يراها في الإناء، وسأل عن أنه لا يروي من نفس واحد، وهذا يدلل على إيجابيته، وسؤاله واستفساره عما لم يعرف حكمه.

(إن كل إنسان في الحياة له طاقات معينة وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء علمًا، ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة، ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص، قال الله تعالى

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٣/٣.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت عن الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمدُ عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. وسكوت الإنسان عن جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب، ولأهمية السؤال حرص الصحابة رضي الله عنهم جميعًا رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم)[2].



(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣، ١٢٤.

١١٤- باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أنَّ الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا

فيهِ حديث كبشة السابق[(١)].

الحديث رقم (٧٦٧)

٧٦٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَقَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. متفق عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث بيان لحال من أحوال الرسول ﷺ، لذلك نقل الصحابة رضي الله عنهم دقائق حياته وتفصيلاتها بكل ما يحيط بها من ملابسات يمكن أن تؤدي معنى.

والحال التي يعرضها الراوي حال شربه ﷺ وهو قائم، وهو خبر أريد به لازم فائدته، وهو نقل حكم الجواز للشرب حال القيام، وقد ساق الحديث دون مؤكدات مساق الخبر المأنوس الذي لا يُتوقع له معارضة ولا شك، وقوله: (سقيت رسول الله) يوحي بمحبته للرسول ﷺ واعتزازه بما صنع معه، وصياغة الفعل في ثوب الماضي (سقيت) يفيد تحقق الوقوع، وذكر الرسول بصفته تكريم، وإضافته لله تشريف، وقوله (من زمزم) فيه إيجاز بالحذف أي: من ماء زمزم، ومن للتبعيض أي: بعض ماء زمزم، وفيه إشارة إلى شرف الموضع، وبيان لصلاحية المشروب، وتمهيد للحكم المراد تقريره، وقوله: (وهو قائم) جملة حالية تقرر الحكم المراد وهو جواز الشرب في أثناء القيام، وذكر المسند إليه (هو) مع تقدم ذكره، وإمكان الاستغناء عنه للتوكيد، والتقرير.

---

(١) تقدم برقم (٧٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧/١١٧) ولفظهما سواء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الشرب قائمًا: اتفق الفقهاء على إباحة الشرب في غير حال القيام[1]، بينما اختلفوا في الشرب قائمًا، فذهب الجمهور إلى جوازه، وإن كان الأولى والأكمل أن يشرب قاعدًا.

بينما ذهب ابن حزم إلى تحريم الشرب قائمًا، وحمل أحاديث الرخصة على أصل الإباحة[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل أخبار النبي ﷺ وأحواله وهيئاته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ماء زمزم.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على نقل أخبار النبي ﷺ وأحواله وهيئاته:

جاء في الحديثين[4] ما يدل على حرص الصحابة على نقل أحواله وهيئاته ﷺ كما في نقل ابن عباس ﷺ لهيئة رسول الله ﷺ في شربه من ماء زمزم فقال "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" وكذلك في حديث النزال بن سبرة ﷺ قال "أتى عليٌّ ﷺ باب الرحبة فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني

---

(١) مراتب الإجماع ١٨١.

(٢) رد المحتار ١٣٩/١ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٢٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥، والمحلى، ابن حزم ٢٢٩/٦.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٦٨).

(٤) أي حديث رقم (٧٦٧)، (٧٦٨).

فعلت" وغير ذلك من الأمثلة التي تبين نقل الصحابة ﵃ لجميع الوقائع والحوادث وتصرفات النبي ﷺ فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم، وكان ذلك أحد العوامل التي كان لها أكبر الأثر في حفظ السنة دقيقها وجليلها[١].

لقد كان الصحابة ﵃ أحرص ما يكونون على تلقف كل ما يصدر عن النبي ﷺ وحفظه في صدورهم ونقله إلى غيرهم ليعم به النفع، ومن لم يكن بإمكانه منهم متابعة التلقي عن النبي ﷺ كان يتناوب ذلك مع إخوانه، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ علَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بخَبَرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلكَ))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ماء زمزم:

من دلائل قدرة الله المطلقة تفجير المياه من الأرض عيونًا وآبارًا، ومنها ماء بئر زمزم الذي (تفجر بطريق معجز فكان ماءً خالدًا مباركًا لا ينضب ولا يغيض، قد وسع الخلق ووسع الأجيال، وكان ماءً لكل عصر ولكل أمة، فيه غذاء وشفاء، وفيه بركة وأجر)[٣]؛ فزمزم هي عين الماء المبارك، كما جاء في الحديث شرب النبي ﷺ منه، وبين أثر الشرب منه، فعن جابر بن عبدالله ﵄ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))[٤] فالحاصل أنه ماء مبارك، إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث، أن الإنسان إذا كان مريضًا وشربه للشفاء شفي، وإن كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظًا، وإذا شربه لأي غرض ينفعه[٥]، ونص بعض الفقهاء على أن شرب ماء زمزم لنيل

---

(١) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٥-٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٥٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٠٦٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٤).

(٥) شرح رياض الصالحين، النووي، ١٠٨٠/٢.

المطلوب في الدنيا والآخرة شامل لمن شربه بغير محله، وذهب كثير من الفقهاء إلى أنه يستحب التزود من ماء زمزم وحمله إلى البلاد، فإنه شفاء لمن استشفى[(١)].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ:

لقد بات معلومًا أنه من الواجب الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ، وما جاء في الحديثين دليل على ما كان من الصحابة من حرص على نقل ما رأوه من النبي ﷺ حتى في هيئته وفي شربه وطعامه، كما قال ابن عباس: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" فلم يأل الصحابة جهدًا في طلب العلم عن رسول الله ﷺ وحفظه وتبليغه[(٢)]، دفعهم إلى ذلك حبهم لرسول الله ﷺ واستجابتهم لأوامره من مثل قوله ﷺ ((بلّغوا عني ولو آيةً))[(٣)] والمعنى ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليحصل بذلك نقل جميع ما جاء به رسول الله ﷺ[(٤)].

ولقد حض النبي ﷺ في كثير من الأحاديث على نقل سنته، ودعا لمن اهتم بذلك وحافظ عليها في نقلها، ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ))[(٥)].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: وجه التناسب بين قوله "نضر الله امرأً" وبين قوله "ثلاث لا يُغل عليهن..." هو أن يقال: إن النبي ﷺ لما حث من سمع مقالته على أدائها علمهم أن قلب المسلم لا يغل على هذه الأشياء، خشية أن يضنوا بها على ذوي الإحن والحقد، لما يقع بينهم من التحاسد والتباغض، وبيّن أن أداء مقالته على من يسمعها من

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥/٢٤.

(٢) السنة النبوية قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب ص ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٥٧٥/٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٤٠).

باب إخلاص العمل لله تعالى والنصيحة للمسلمين، ومن الحقوق الواجبة المتعلقة بأحكامه، لزوم جماعة المسلمين، فلا يحل له أن يتهاون به، لأنه يخل بالخلال الثلاث)[1].

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/٢٨٤.

الحديث رقم (٧٦٨)

٧٦٨- وعن النَّزَّالِ بن سَبْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ رضي الله عنه بَابَ الرَّحْبَةِ، فَشَرِبَ قَائِمًا، وقال: إنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُوني فَعَلْتُ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن ابي طالب: هو عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي "أبو الحسن" أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة، وأحد الستة الذين جعل "عمر" الأمر شورى بينهم، وابن عم النبي ﷺ وصهره، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين، ورُبي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وهاجر بعد رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاثة أيام، وكان ﷺ قد خلّفَهُ ليؤدّي عنه الودائع والأمانات التي عنده، ثم يلحق به، فلحقه بقُباء، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، وكان قد استعمله النبي ﷺ فيها على المدينة، فلما خرج رسول الله ﷺ وسار قليلاً تبعه عليّ رضي الله عنه، وقال يا رسول الله، تجعلني في النساء والصبيان؟! فقال له ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي))[2] وقد كان له الأثر العظيم في كل مشهد حتى لا يُعلم لأحد من الصحابة في الشجاعة والبسالة في الحروب ما له.

وقد قال فيه النبي ﷺ يوم خيبر ((لأعطين الرايةَ غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله علي يديه))، ثم دعا بعليّ وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله عليه[3].

وقد جعل النبي ﷺ حبه رضي الله عنه من الإيمان وبُغضهُ من النفاق، وفي ذلك كان يقول عليّ رضي الله عنه والله إنه لَعَهدُ النَّبيّ الأميّ إليَّ أنه لا يحبُني إلا مؤمن ولا يبغضُني إلا منافق[4].

---

(١) برقم (٥٦١٥)، والسياق للحميدي في جمعه (١/١٦٦، رقم ١٣٧)..

(٢) أخرجه البخاري، رقم (٤٤١٦) ومسلم، رقم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم (٩٦٤٢) و(٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٤) و (٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم، (٧٨).

وكان من أكابر الخطباء الفصحاء والعلماء القضاة، وكان قد بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، وهو شاب ليقضي بينهم، فقال يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء، فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدره وقال ((اللهمَّ اهْدِ قلبَه، وسدِّد لسانه)) فقال عليّ رضي الله عنه، والله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين[1].

وكان يقول سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله من من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، وقد أثنى عليه جميع الصحابة، منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واعترفوا له بالسبق والتقدم في العلم والفهمّ!! ورجعوا إلى قوله في الفتاوى الحادثة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن رضي الله عنهما.

وقد بويع بالخلافة يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة (٣٥هـ).

وكانت الفتنة قد بلغت ذروتها، فقام جماعة من الصحابة يطلبون دم عثمان رضي الله عنه وكان من بينهم طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، فكانت واقعة الجمل وما اشتهر بها سنة ٣٦هـ، ثم قام معاوية رضي الله عنه في أهل الشام، ودعا إلى الطلب بدم عثمان رضي الله عنه، فكان من واقعة صفين ما كان وذلك سنة (٣٧هـ) والتي انتهت بالتحكيم المشهور.

وكان رأي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنهم يدخلون في الطاعة، ثم يقوم ولي دم عثمان رضي الله عنه، فيدعي به عنده، ثم يعمل ما يوجبه حكم الشريعة المطهرة، وكان من خالفه يقول: تتبعهم واقتلهم، ولم يرى عليّ ذلك؛ لأن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينه لا يجوز وكان كل من الفريقين مجتهد.

وكان هناك فريق من الصحابة لم يدخل في شيء من القتال، ولما قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ظهر بأن الصواب كان مع عليّ رضي الله عنه وذلك لحديث النبي ﷺ ((إن عمار تقتله الفئة الباغية))[2] وقد اتفق أهل السنة على ذلك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣١٠)، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦٩).

(٢) قاله ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص (٩٢٩) وقد تواتر هذا الحديث في ذلك.

ثم أقام عليّ رضي الله عنه، في دار خلافته في الكوفة، إلى أن قتله عبدالرحمن بن ملجم غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان، وقد خلّف ٢٨ ولدًا منهم (١٧) أنثى (١١) ذكرًا من زوجات متعددات، وبلغت رواياته عن النبي ﷺ (٥٨٦) حديثًا، وكانت وفاته سنة (٤٠هـ) وقد اختلف في مكان قبره[1].

غريب الألفاظ:

باب الرَّحبة: رحبة الكوفة[2].

الشرح الأدبي

ساق الراوي الخبر دون مؤكدات في القصة التي يرويها عن علي - كرم الله وجهه- وقوله (على باب الرحبة) تحديد موقع الحدث يدل على وضوح الحدث بتفاصيله في ذهن الراوي، الأمر الذي يؤكد صدقه؛ لأنه يحكي حقيقة في ذاكرته بعكس الكاذب الذي ليس له مرجع في الواقع، فيختلق وقائع مختلفة في كل مرة يذكر فيها القصة، وقوله (فشرب قائماً) رتب الشرب على الإتيان، وبيَّن هيئة الشرب عن طريق الحال المفردة، وهذه الجملة عليها مدار الحديث، وهو حكم الشرب في أثناء القيام، وإلى هنا انتهى خبر الراوي الذي صاغه بأسلوبه، ثم بدأ حكاية قول علي رضي الله عنه.

وقد ساق عليٌّ رضي الله عنه المعنى في صورة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد؛ لأنه يخاطب منكراً، أو شاكاً كما ورد في رواية أخرى لهذا الحديث قوله: (إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٩/٣-٤٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٢٢-٥٤٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٨٧/٤-١١٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٣٩، ٩٤٠)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤٠٥/١) وبيت الأفكار الدولية، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٩٥/٤-٢٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٥٧/٥-٢٦٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٦٩/٣-١٧١)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣٢١/١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٤/١٠.

أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ) [1] وقد أكد الخبر بإن المتصلة بضمير المتكلم، ثم بفعل الرؤية، وهي أقوى طرق العلم، وقد صاغه في ثوب الماضي دلالة على التحقق وقوله: (فعل كما رأيتموني فعلت) تقرير لجواز الشرب في أثناء القيام عن طريق التشبيه حيث شبَّه فعل الرسول ﷺ في الماضي، وهو أمر غابوا عنه بفعل عليٍ ﷺ في الحاضر، وهو أمر رأوه بأعينهم، والغرض من التشبيه بيان حال المشبه، وهو شرب الرسول ﷺ حال القيام، وهذا التشبيه تأكيد معنوي لما قرَّره عليٌ رضي الله عنه بالفعل من جواز الشرب في أثناء القيام.

المضامين الدعوية [2]

(١) صحيح البخاري: (٥١٨٤).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٦٩)

٧٦٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا عَلَى عهد رسول الله ﷺ نَأكُلُ وَنَحْنُ نمشِي، وَنَشْرَبُ ونَحْنُ قِيامٌ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يحكي الراوي الحديث بأسلوب خبري يتصدره فعل الكينونة الماضي الذي يرجع بالمخاطبين إلي الوراء في صفحات الزمن، ومن شأن فعل الكون في صيغة الماضي أن يحقق التشويق، ويضمن إنصات المخاطبين لما يأتي بعده من الخبر، واتصال فعل الكينونة بناء الفاعلين، يدل على أن هذا فعل جماعة من الصحابة، وليس تصرُّف فرد واحد قد يكون مخطئاً، وهو ما يزيد الخبر توكيداً، وقوله (على عهد رسول الله) يزيد الأمر تشويقاً من ناحية، ويقرر أن ما يُذكر تشريع يجب الانتباه له، كما يوحي بأن الرسول أقرَّه، لأنه لم يتركهم على خطأ، ولا معصية، وبين نمشي، وقيام طباق يؤكد معنى الإباحة في مختلف الأحوال، وقد عبَّر بالفعل المضارع في الدلالة على الحركة في فعل المشي، وعبَّر عن الثبات في القيام باستخدام المصدر (القيام) وكثرة الضمائر الدالة على الجماعة في قوله: (نَأْكُل، وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَب وَنَحْنُ قِيَام) يؤكد معنى الجواز، ويقرر إباحته على وجه لا يدركه شك.

المضامين الدعوية[2]

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام.

رابعًا- من آداب الداعي: نقل الأمور المباحة والإبانة عنها للمدعوين.

خامسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

---

(١) برقم (١٨٨٠) وقال: حديثٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣٢٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٩- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٧٠).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديثين[١] في إخبار ابن عمر رضي الله عنهما عن أحوالهم وهيئاتهم في الشرب فقال "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام". وكذلك عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في الحديث الثاني عن رؤيته للنبي ﷺ فقال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

إن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على الحقائق، ودعوته إلى الامتثال بها والانقياد لها، انقيادًا مبنيًا على بصيرة من الأمر وبينة من الدين، كما جاء في الحديث من إخبار ابن عمر رضي الله عنهما جواز الأكل للإنسان وهو يمشي والشرب وهو قائم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على بيان أحوال النبي ﷺ دقيقها وجليلها، ونقلها إلى من بعدهم، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم قال "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" فالصحابة رضي الله عنهم تلقوا السنة عن رسول الله ﷺ وشاركوا في تطبيقها وتجاوبوا مع رسول الله ﷺ بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال، كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام:

إن من أهم المبادئ التي بنيت عليها تعاليم الإسلام اليسر ورفع الحرج، وهذا الحديث دليل عملي على ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" فهذا الحديث فيه دلالة على جواز الأكل

---

(١) الحديث رقم (٧٦٩)، (٧٧٠).

(٢) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٧.

ماشيًا والشرب قائمًا. كما نرى في الحديث الآخر تطبيقًا عمليًا لرسول الله ﷺ لما ينبغي أن يكون الداعية ملتزمًا به من التيسير وإظهاره للمدعوين، "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" وفي ذلك دعوة وإعلام عملي لما تضمنه الإسلام من مقاصد التيسير ورفع الحرج، قال الإمام الشاطبي: (إن الشارع لو كان قاصدًا المشقة في التكليف، لما كان ثمَّ ترخيص ولا تخفيف)[1] فإن الله سبحانه لم يكلف المسلمين بالمشقة، وليست المشقة مقصدًا من مقاصد التشريع[2]. بل إن التيسير والتخفيف ورفع الحرج هو أبرز مقاصد التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾[4] فتلك هي إرادة الله، وتلك هي السمة البارزة في التشريع الإسلامي.

قال قتادة: (قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[5] فأريدوا لأنفسهم الذي أراد الله لكم)[6]. فلا جرم أن كانت الشريعة الإسلامية هي الموصوفة بالحنيفية السمحاء، قال ابن القيم: (جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل)[7].

وأما الأحاديث التي نهت عن الأكل والشرب عن قيام، كحديث أنس "أن النبي ﷺ نهى أن يشرب الرجل قائمًا، فقيل الأكل؟ قال: ذاك أشر" فهي محمولة على كراهة التنزيه[8] فالأكل والشرب عن قيام محمول على الجواز، وإن كان منهيًا عنه

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي، ج٢/١٢٢.

(٢) التيسير ورفع الحرج في الدعوة إلى الله تعالى، د. جمال عبدالستار محمد ص ٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣/٧٦.

(٧) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٥٨.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٠٧.

فالنهي فيه تنزيهي لا تحريمي[(١)]. ومثل هذا الحديث دليل على ما في الإسلام من يسر ورفع للحرج، وتلك هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته سلوك الطريق الوسط واتباع اليسر، فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر، ومراعاة الأحوال ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل، وعلى السماحة التامة، والبعد عن التكلف[(٢)].

فالواجب التوسط فلا إفراط ولا تفريط، إذ أن اليسر والسماحة والسهولة ورفع الحرج في الإسلام، راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح، وعدم تحقيقه مصالح الشرع، وإنما الواجب التوسط الذي هو سمة الأمة الإسلامية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾[(٣)] فالتيسير على الناس والتوسط، هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة، هو في سلوك طريق الوسط والعدل[(٤)]. ولقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالتخفيف والتيسير، ونهاهم عن التعميق والتشديد، وأنكر على من ظهرت في سلوكه بوادر التشديد والتعسير[(٥)].

رابعًا- من آداب الداعي: نقل الأمور المباحة والإبانة عنها للمدعوين:

إن مما يجب على الداعي نقل الأمور المباحة، والإبانة عن الأحكام الجائزة، وعدم الاقتصار على الأمور الممنوعة، دونما بيان لما جاء لها من نسخ وجواز، وفي الحديث بيان لجواز الأكل للماشي والشرب للقائم "كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام"، وحمل الأحاديث التي نهت على ذلك على بيان الأفضل والأكمل[(٦)]. وفي توجيه للذين يحاولون سلوك منهج التعمق والتشدد ظانين أن ذلك طريق

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٠٣٠.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رافت كامل عيد السيوري ص ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ١٣.

(٥) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ١٢٥.

(٦) رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣.

النجاة، وأن الأخذ بالأشد هو الأتقى والأقرب إلى الله سبحانه، ففي هذه الأحاديث العملية بيان أن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله، هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[١].

خامسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

إن في حرص الصحابة رضوان الله عليهم على نقل ما رأوه من النبي ﷺ في شؤونه كلها دعوة إلى الاقتداء به ﷺ ففي الحديث "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" بيانٌ للجواز والرخصة، وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء به ﷺ في أموره كلها فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] وجُعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله وأفعاله جميعها[٣] والاقتداء برسول الله ﷺ وموافقته أقوى شاهد على صدق الحب له ﷺ[٤] كما أن فيه دليلاً على محبة العبد لله، وجلب لمحبة الله للعبد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله[٦].

---

(١) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رافت كامل عيد السيوري ص ١٢٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٠٣/٢١/٨.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٢/٢.

الحديث رقم (٧٧٠)

٧٧٠- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وقَاعِدًا. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يقرر بطريقة عملية عن طريق نقل السنة الفعلية إباحة الشرب حال القيام وحال القعود، وذلك بنقل فعل الرسول ﷺ في ذلك، وقد استخدم الصحابي رضي الله عنه الأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات، ولعله لم يكن مقابلاً بإنكار، أو شك، وقوله (رأيت) يؤكد المعنى لأن الرؤية أقوى طرق العلم - كما ذكرنا سابقاً - وقد اعتمد أسلوب الطباق لتقرير المعنى الذي يريده بين (قائماً، وقاعداً)، والفعل المضارع (يشرب) يستحضر الصورة، ويجعل النفس تأنس للحكم بالإباحة، ويطمئن إليه القلب لكون الفاعل هو المشرِّعُ ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

(١) برقم (١٨٨٣). تنبيه: تقدم حديث ابن عباس برقم (٧٧١)، والنزال بن سبرة برقم (٧٧٢)، في الشرب قائما، الأول في الصحيحين، والثاني في البخاري.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٧١)

٧٧١- وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ : أنه نَهى أن يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قتادة: فَقُلْنَا لأَنَسٍ: فالأَكْلُ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَشَرُّ - أَوْ أَخْبَثُ- رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: أنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَ عَن الشُّرْب قائِمًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

زَجَر: نهى[3].

الشرح الأدبي

جاء المعنى في هذا الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، ومنها حرف التوكيد (أن) وضمير الشأن المتصل به على جهة التفخيم، والتعظيم، لأن المعنى قد يقابل بشك، أو إنكار لوجود ما يشبه تعارض النقول في هذا الأمر، وقد تقدّم في الحديث السابق الإباحة، وتوجيه هذا على ما ذكر في الجانب الفقهي، وقوله: نهى أن يشرب الرجل قائماً) صياغة النهي في صورة الماضي تفيد التحقيق، والفعل المضارع (يشرب) يفيد التجدد، والحدوث، ويستحضر الصورة، وأل في (الرجل) للاستغراق، و (قائما) حال من الفعل تبيِّن موضع الخطأ، وقول قتادة رضي الله عنه : (فقلنا: فالأكل) فيه إيجاز بالحذف، وتقديره: فما حكم الأكل حال القيام؟، وإجابة أنس رضي الله عنه (ذاك أشر أو أخبث) الإشارة فيها لتمييز المشار إليه أكمل تمييز، وهي إشارة للقريب؛ لأنه آخر مذكور، وصياغة المسند (أشر) على أفعل التفضيل للمبالغة، وقول (أو أخبث) شك من

---

(١) برقم (٢٠٢٤/١١٣).

(٢) برقم (٢٠٢٤/١١٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ج ر).

الراوي، وهو من شدة تحريهم للصدق لا يجزم الواحد منهم بأمر إلا بعد تمام اليقين، فإن شك نقل شكه للمخاطب ليكون على علم بالأمر.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل قائمًا.

رابعًا: من آداب المدعو: احترام السنة، وعدم تعمد الشرب والأكل قائمًا.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديثين في قول أنس عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا" وقوله ﷺ "لا يشرب أحد منكم قائمًا" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على المنهيات، وتحذيرهم منها، وحملهم على التجافي عنها.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله ﷺ "فمن نسي فليستقيء" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي لها بالغ الأثر في إيقاف المدعو على المأمورات وحمله على الإتيان بها، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن في مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2] وقوله ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل قائمًا:

ورد في الحديثين النهي عن الأكل والشرب عن قيام "نهى أن يشرب الرجل قائمًا"

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧١- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٧٢).

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

وقوله "لا يشرب أحد منكم قائمًا فمن نسي فليستقيء" أي فليتقيأ والسين للمبالغة، وخص النسيان بالذكر، لكون شأن المؤمن ألا يفعل ذلك بعد النهي غالبًا إلا نسيانًا[١].

قال المازري: (اختلف الناس في الشرب قائمًا فأجازه عمر وعثمان وعلي وجمهور الفقهاء رضي الله عنهم ومالك بن أنس، وكرهه قوم لهذا الحديث.

وقد قال بعض شيوخنا: لعل النهي منصرف لمن أتى أصحابه بماء بارد فشربه قائمًا قبلهم، استبدادًا به، وخروجًا عن الأحسن، من كون ساقي القوم آخرهم شربًا.

وأيضًا فإن حديث أبي هريرة رضي الله عنه : "فمن نسي فليستقيء" ولا خلاف بين أهل العلم أن من شرب قائمًا ناسيًا فليس عليه أن يستقيء.

وقال بعض الشيوخ: والأظهر أن هذا موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا خلاف في جواز الأكل قائمًا ، وإن قال قتادة ، قال: قلنا : فالأكل قال: ذلك شرٌ وأخبث ، ولكن هكذا حكى بعض شيوخنا : أن الخلاف في جواز الأكل قائمًا ، فالذي يظهر لي أن الأحاديث الواردة بشربه صلى الله عليه وسلم قائمًا تدل على الإباحة والجوار.

ويحمل حديث النهي على جهة الاستحسان، والحث على ما هو أولى وأجمل، أو يكون لأن في الشرب قائمًا ضررًا ، وقد قال النخعي في النهي عن ذلك: إنما ذلك لداء في البطن، وهذا نحو ما قلناه، هذا الأظهر عندي إن كان لا بد من بناء الحديثين) [٢].

وقال القاضي عياض: (وشرب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم، لا يقال فيه: ترك ما هو الأولى لعلة ، إنما كان في الحج - والله أعلم - على ما جاء في كتاب الحج، وحاله حينئذ من ألا يخفى في أعمال الحج، وقلة التمكن للجلوس لكثرة الناس، بحيث لا يخفى أو لا يراه الناس فيعلموا أنه غير صائم، وإنما كان في غير هذا اليوم، فليس إباحة ذلك إن كان النهي أولاً على ما تقدم، ولئلا يظن نهيه على العموم وللوجوب، أو ليبين نسخ ذلك إن كان النهي أولاً على الوجوب)[٣].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٣٢.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢١٧ - ٢١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٩١ - ٤٩٢.

وقال النووي: والصواب أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه[١] فقد شرب النبي ﷺ قائمًا لبيان الجواز[٢]. والأحاديث التي ورد فيها النهي، حملها العلماء على الاستحباب، والحث على ما هو أولى وأكمل، ولاشك أن في ذلك فوائد صحية وتعبدية سنها رسول الله ﷺ للمسلمين ليتبعوها ويعملوا بما فيها[٣].

رابعًا - من آداب المدعو: احترام السنة وعدم تعمد الشرب والأكل قائمًا:

لقد جاءت النصوص النبوية بالأكل والشرب عن قيام وقعود، وحمل العلماء أحاديث الأكل والشرب عن جلوس على بيان الجواز[٤]. وأن الأولى الشرب من جلوس وعدم اللجوء إلى الشرب والأكل من قيام إلا لعذر أو مانع، وفي الحديث دعوة وحث على اتباع السنة المطهرة في دقيق الأمور وجليلها، وسريان التعبد في كثير من الأمور العادية[٥].

أما تعمد الأكل والشرب قيامًا، فهذا لا يجوز، فإن احترام سنة رسول الله ﷺ من مستلزمات احترام رسول الله ﷺ وتوقيره، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾[٦] فقوله "تعزروه وتوقروه" أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه بأن تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه[٧] ومن حقوقه اتباع سنته ﷺ فذلك من صفات الإيمان

---

(١) شرح مسلم، النووي ص ١٢٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٢٨٢.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ٢٦٠/١، ٢٦٥.

(٤) انظر: رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٣.

(٦) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

وأسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وسبب للهداية ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

فإن احترام النبي ﷺ وتوقيره هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير، وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن آكد حقوقه ﷺ على أمته، كما أنه من أهم واجبات الدين.

وهذا التعظيم مثل المحبة، من حيث كونه تابعًا للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة، وذلك يتجسد في العمل بطاعته ﷺ وتجريد متابعته وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغضه، والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه وصون حرمته[3].

وإن ما يناقض محبته ﷺ ويلحق بالجفاء: الاستهانة بهديه ﷺ وسنته، وقلة المبالاة بها[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) الصارم المنكي في الرد على السبكي، الحافظ شمس الدين بن عبدالهادي ص ٢٤١.

(٤) محبة الرسول، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٩.

الحديث رقم (٧٧٢)

٧٧٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ يَشْرَبَنَّ احَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيء)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليستقيء: هو من الاستقاء وهو استخراج واستفراغ ما في الجوف[2].

الشرح الأدبي

الحديث في نفس موضوع سابقه في النهي عن الشرب حال الوقوف، وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه في أسلوب خبري خال من المؤكدات، ولعله لم يواجه بإنكار من المخاطبين، أو يتوقع ذلك أما المعنى الذي ساقه الرسول ﷺ فقد جاء في صورة النهي (لا يشربن أحدكم قائماً) وتوكيد الفعل المنهي عنه بالنون يشير إلى أهمية الانتهاء عن هذا الفعل، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وقوله (فمن نسي فليستقيء) الفاء للترتيب، والتعقيب المؤذن بسرعة رد الفعل تصحيحاً لتجاوز الحكم، و (من) اسم موصول متضمن معنى الشرط، وفعل الشرط (نسي) أي تحقق نسيانه، وقوله: (فليستقئ) الفاء في جواب الشرط تنادي بالسرعة، واللام للأمر بالقيء، وحاصل العبارة التشديد في النهي، والتحذير من الشرب في أثناء القيام.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠٢٦/١١٦).

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم (٦٨١/٣١١) مطولا، والترمذي مختصرًا.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ي ا)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١٢٨٢.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تناول الطعام والشراب مرده إلى الأعراف، مع مراعاة السنة عند التناول، كالتسمية في البدء والشكر في النهاية، وأما الحال التي يكون عليها الأكل والشرب فمردها إلى ظروفه، وخير ذلك ما كان من جلوس، ولا حرمة مع القيام، مع مراعاة ما يلي:

أولاً- بيان آداب الشرب:

من الآداب التي ينبغي على المتربي أن يعرفها ويطبقها آداب الشرب، ومن ذلك جواز الشرب قائمًا وأن الأفضل والأكمل الشرب قاعدًا، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا، وحديث أنس رضي الله عنه "نهى النبي ﷺ أن يشرب الرجل قائمًا...".

ففي جملة هذه الأحاديث بيان جواز الأمرين وأن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا، وأن الشرب قائمًا النهي فيه للتنزيه.

قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ الشرب قاعدًا، هذا كان هديه المعتاد وصحّ عنه أنه نهى عن الشرب قائمًا، وصح عنه أنه أمر الذي شرب قائمًا أن يستقيء، وصح عنه أنه شرب قائمًا.

قالت طائفة: هذا ناسخ للنهي، وقالت طائفة: بل مبين أن النهي ليس للتحريم بل للإرشاد وترك الأولى، وقالت طائفة: لا تعارض بينهما أصلاً فإنه إنما شرب قائمًا للحاجة، فإنه جاء إلى زمزم وهم يستقون منها، فاستقى فناولوه الدلو فشرب وهو قائم

وهذا كان موضع حاجة)[١].

إن واجب المربي أن يبين للمتربي آداب الشرب، وذلك حتى يكون المسلم على أكمل الأحوال وأحسن الآداب.

(ومن آداب الشرب أن يشرب قاعدًا وهو أفضل، قال ابن عثيمين رحمه الله: الأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعدًا لأن هذا هو هدي النبي ﷺ ولا يأكل وهو قائم ولا يشرب وهو قائم، وما ورد من النهي عن ذلك فليس للتحريم ولكنه لترك الأولى بمعنى: أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد وأن يأكل وهو قاعد، ولا بأس أن يشرب وهو قائم وأن يأكل هو قائم)[٢].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بتطبيق ما يدعو إليه عمليًا، ويطبقه واقعيًا، ومما يدل على ذلك من أحاديث الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم".

وكذلك حديث النزَّال بن سبرة رضي الله عنه قال: "أتى عليٌّ رضي الله عنه على باب الرحبة بماء فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت".

وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل علي عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام".

وكذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

ففي جملة هذه الأحاديث قام النبي ﷺ بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية بالشرب قائمًا واقتدى به الصحابة رضي الله عنهم لبيان الجواز، وأن النهي للتنزيه وليس للتحريم، وإلا لما فعله رسول الله ﷺ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٢٩.

(٢) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٤٦١.

(إن أسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل ويدرك الفردُ العلاقةَ بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية وتؤمن أن تلك الممارسة هي الترجمة الحقة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك ملموس، لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي للمربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد. وهذا يعني أن المعلم المسلم لا يقتصر على المعرفة اللفظية وإنما يجب أن يتعدى ذلك ليربط بين الفكر والعمل والنظرية والتطبيق ويترك استخدام هذا الأسلوب في التربية الإسلامية بعض الآثار التربوية المهمة في تنشئة الفرد إذ يعوده الدقة في العمل وتوخي صحة النتائج وشعوره بالمسؤولية وتواضعه وحبه للعمل)[1].

إنه من خلال الممارسة العملية تحدث القناعة لدى المتربي بما يطلب منه من أوامر أو نواهٍ مما ينعكس إيجابيًا على نجاح العملية التربوية.

ثالثًا-بيان يسر الشريعة:

من أهداف التربية الإسلامية بيان يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، ويتضح هذا في أحاديث الباب من خلال جواز الشرب قائمًا وقاعدًا وأن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا، ومن شرب قائمًا فلا حرج عليه، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

(إن المتتبع لأبواب الشريعة بل لجزئيات هذه الأبواب يستطيع في مقام الموازنة أن يثبت أن باب العبادات يتجلى فيه اليسر أكثر من غيره وذلك أمر طبعي، لا يستدعي من التأمل سوى معرفة أن العبادة صلة محضة بين العبد وربه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت تلك الصلة مبنية على التسامح، وعدم

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٦، ٨٧.

الحرج والمشقة ولا أدل على ما نقوله من الأمثلة الحية التي نطبقها في حياتنا اليومية أكثر من مرة)[١].

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي التعصب لرأي، ولا التمسك بقولٍ طالما أن في الأمر سعة فإن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج والمشقة.

روي عن ابن وهب عن القاسم بن محمد أنه قال: لقد أعجبني قول عمر بن العزيز: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحدًا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة (وهذا كله لا يعني أن ثَمَّةَ إعراضًا عن معرفة دليل المخالف أو الاستماع إليه أو اعتباره في النظر بأي وجه من الاعتبار لأن طريق المتمسك بالحق هو المناقشة الحرة والاستماع إلى دليل المخالف برحابة صدر واتساع أفق، والرد المشفق الذي يرجى فيه إرشاد المخالف وتبصرته لكي يكون التآلف والاجتماع لا التنافر والاختلاف وما روح الإنصاف والبعد عن التعصب الذي شاع في كثير من فتاوى وكتابات الأئمة الأربعة عنّا ببعيد، فاللبيب عليه أن يتأمل بماذا يعود عليه الانتصار للقول والتعصب للرأي)[٢].

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية يمكن الاستفادة منها، من ذلك:

أ-الإلقاء: كما في قوله ﷺ "لا يشربن أحد منكم قائمًا، فمن نسي فليستقئ" والإلقاء يقوم على عرض شفهي للمعلومات من جانب المعلم، لذا فهو يناسب المتعلمين الذين تتوافر عندهم القدرات على الاستيعاب السريع كالمتعلمين في المرحلة الثانوية والجامعية، فهو يمكن المتعلم من عرض قدر كبير من المعلومات في أقصر وقت ممكن.

ب-المناقشة والحوار: كما في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا. قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال: ذلك أشر أو أخبث.

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن بن علي الربيعة ص ٤٧.

(٢) الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح أحمد يوسف الأنصاري ص ٢٦.

والمناقشة والحوار من الأساليب التي تتيح للمتعلمين الفرصة ليعبروا عما بداخلهم وعن آرائهم وأفكارهم في جو مشجع ومحفز. لذا ينتقل المتعلم إلى المشاركة الإيجابية في العملية التعليمية، فيحس بقيمة ما تعلمه واستفاده.

خامسًا: التربية على الاقتداء بالنبي ﷺ:

لقد شرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائمًا ثم بيّن أنه فعل ذلك اقتداء بصاحب الشرع ﷺ: "إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت" إنه رضي الله عنه فعل كما فعل النبي ﷺ وعمل كما عمل وشرب كما شرب، إنه يريد أن يلفت الذين خاطبهم إلى أنه مقتدٍ به ﷺ متاسٍ به، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يدعوهم إلى أن يفعلوا مثلما فعل ويقتدوا مثلما اقتدى ويهتدوا بهديه ﷺ مثلما اهتدى.

وهذا ما يوضح أيضًا قول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام، إنه رضي الله عنه يبين أن النبي ﷺ كان مطلعًا على ذلك وأَقَرّنا فكان ذلك من سنته ﷺ التي ينبغي على المسلمين أن يلتزموا بها.

والمقصود أن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على الاقتداء به ﷺ في حياتهم ومعاشهم، لأن هديه ﷺ خيرُ الهدى وسنته هي الطريق القويم ومنهاجه أقوم المناهج وأرشدها.



١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرباً

الحديث رقم (٧٧٣)

٧٧٣- عن أَبي قتادة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((ساقي القوم آخِرُهُمْ شُرْباً)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يسنُّ أدبا عالياً علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، ومنهم للأمة في كل زمان، ومكان، وقد ساقه بأسلوب خبري يتسم بسوق الحقيقة مجردة مساق الأمر المأنوس الذي لا يعترضه معترض، ولا يشك فيه شاك، وقوله (ساقي القوم آخرهم شرباً) ساق القوم هو: الذي يقوم على أمر شرابهم، والقوم عشيرة الرجل من الرجال خاصة، وقوله: (آخرهم) حتى لا يخص نفسه دونهم إذا انتهى الشراب، وفيه تربية لخلق الإيثار، وحب الناس، وقوله (شراباً) تمييز للمحكوم به على المسند.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

أدب الساقي: يستحب لمن يتولى سقاية القوم "الماء واللبن ونحوهما" أن يتأخر في الشرب حتى يشربوا جميعاً، ويفرغوا عن آخرهم، وفي معناه ما يفرق على الجماعة، من المأكول كلحم، وفاكهة، ومشموم، وغير ذلك، فيكون المفرق آخرهم تناولاً لنفسه، فهو أبلغ في الأدب، وأدخل في مكارم الأخلاق، وحسن العشرة، وجميل المصاحبة[2].

---

(١) برقم (١٨٩٤).

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٢٩/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٤/٥، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٣١/٨، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٢٤/٨ وما بعدها، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٧٣/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من آداب سقاية القوم.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

ثالثاً: من مهام الداعي: غرس الآداب الاجتماعية في نفوس المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: من آداب سقاية القوم:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكريم الأخلاق، ورفيع الآداب، وحثت عليها؛ بغية التسامي، والارتقاء، وتهذيب الأخلاق، وإصلاح العادات، ومن تلك الآداب ما جاء في الحديث من آداب سقاية القوم وإكرامهم فقال ﷺ "ساقي القوم آخرهم" وهذا أدب من آداب ساقي الماء واللبن ونحوهما، وفي معناه مَنْ يفرق على الجماعة مأكولاً كلحم وفاكهة وغيرهما، فليكن المفرق آخرهم تناولاً من لنفسه، قال ابن رسلان: (وفي الحديث إشارة إلى أن من ولي شيئاً من أمر الأمة، فعليه السعي فيما ينفعهم ودفع ما يؤذيهم، وتقديم مصلحتهم على مصلحته[1] وأن يكون غرضه إصلاح حالهم، وجر المنفعة إليهم، ودفع المضار عنهم، والنظر لهم في دق أمورهم وجلها[2] وقدأعطانا النبي ﷺ لذلك مثالاً تطبيقياً كما جاء في حديث قتادة الطويل قال: ((فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ، حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: اشْرَبْ، فَقُلْتُ: لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا، قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ))[3]. ففي هذا الحديث أدب من آداب شاربي الماء واللبن ونحوهما [4].

ثانياً - من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستجابة المطلقة لتوجيهات رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٣٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨٠.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(١) وقال ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢).

وقد ورد في الحديث توجيهاً من توجيهاته ﷺ التي ينبغي الاستجابة لها وعدم إغفالها فقال ﷺ "ساقي القوم آخرهم" وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة في أن من تولى سقاية قوم، فإنه يقدمهم على نفسه، ويكون هو آخرهم شرباً، اقتداءً برسول الله ﷺ(٣). وتأسياً به في شؤونه كلها، فإن في ذلك السعادة وتمامها، قال ابن القيم: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم)(٤).

والسبيل العملي للتأسي برسول الله ﷺ هو تطبيق السنة تطبيقاً يشمل جميع جوانب الدين والحياة.

ثالثاً - من مهام الداعي: غرس الآداب الاجتماعية في نفوس المدعوين:

من أهم الآداب والصفات التي ينبغي على الداعية الاضطلاع بها غرس الآداب في نفوس المدعوين، وكما جاء في الحديث جانبٌ من جوانب الآداب العامة "ساقي القوم آخرهم" وكانت تلك عادة النبي ﷺ، ودأبه في ملاحظاته، وتفقداته لأصحابه رضي الله عنهم(٥) ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا. نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ «غَضُّ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٧٠، ١٧١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٦٩، ٧٠.

(٥) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٣٠.

الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))[١]، وكذلك من ملاحظاته ﷺ وغرسه الآداب في نفوس الصغار ما روي عن عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: ((كنتُ غلاماً في حَجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ يَا غُلاَمُ سَمِّ اللّهَ. وَكُلْ بِيَمِينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))[٢] وتلك بعض النماذج الحية الواقعية، التي تؤكد حرص النبي ﷺ على تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم[٣].

فما أحرى بالمسلم أن يتخلق بمكارم الأخلاق، ويتحلى بأحاسن الآداب، فإن ذلك من مقامات الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته، المأمور به في مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] إن هذا هو مقام من أراد التخلق بأخلاق الشرع الحنيف، وتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه الكريم، وما ورد عن رسول الله ﷺ وما اتصف به؛ حيث قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥] والرسول ﷺ هو القائل: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ))[٦] وفي رواية: "مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ".

إن تأسي المسلم بالنبي ﷺ من دلائل إيمانه والتزامه بما جاء به ﷺ، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على التأسي برسول الله ﷺ فكانوا يراعون ما يفعل وينظرون إليه كيف يفعل، ويتحينون الفرص لأجل أن يقتدوا به ﷺ[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ٢٩٥-٢٩٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٥٣.

(٧) أفعال الرسول ﷺ، محمد سليمان الأشقر ص ٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإيثار خير من الأثرة ومن يخدُم خيراً ممن يخدم، وروح الأنانية منهي عنها في الإسلام، وأحاديث الباب جاءت بمضامين تربوية منها:

أولاً-غرس روح الإيثار:

إن من القيم والآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين غرس روح الإيثار لما في ذلك من تحقيق التواصل الاجتماعي، وتوطيد روح الجماعة، وتنمية بذور المحبة والمودة بين الجماعة المؤمنة، ولعل الحث على روح الإيثار تتضح من خلال حديث الباب الذي أورده النووي وفيه عن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ساقي القوم آخرهم شربًا".

ففي هذا أدب من آداب الجماعة أن يكون ساقي القوم آخرهم شربًا فهو يؤثرهم على نفسه، ويقدمهم عليها، وهذا له مردوده الإيجابي في نفس الجماعة.

(إن هدف التربية هو إعداد الإنسان وتربيته تربية صالحة تحقق فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة كما أنها تنمي الحاجة إلى الأنس بالمجتمع عند الناشئ والحاجة إلى الانتماء، والميل إلى التقليد الحسن والاعتزاز بالأمة، وتغرس فيه ذلك كله بعيدًا عن الانحراف أو الاستهتار أو الانقياد الأعمى، ودون فقدان للمواهب الخاصة أو إذابة لمقومات الشخصية للمواهب، إنها تجمع باتّزان بين تربية الذات الفردية وتربية النزعة الاجتماعية من غير أن تطغى إحداهما على الأخرى أو تنحرف أي منهما عن الخير وعن طاعة الله تعالى وتحقيق شريعته وعن جادة الصواب والاستقامة في الحياة)[1].

وما من شك أن (الإيثار قيمة خلقية سامية رفيعة تسود كل الخصال السامية التي تشكل بمجملها الإطار الكامل للأريحية المعطاءة الباذلة التي تسعد بالبذل مثلما يسعد

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٣.

الآخرون بالأخذ وهي أريحية تتم البناء النفسي الصحيح، والإيثار هو المعنى الرديف للمروءة تلك السمة الخلقية العظيمة التي تحمل النفس الإنسانية على فعل الخير ودرء الشر وبذلك تكون مفتاح عمارة الشخصية بالكمال الأخلاقي الذي يجنبها السفه والانحطاط وينأى بها عن الجشع وهي كذلك عنوان علوّ الهمة وشرف النفس ودليل الكرم، وهي من دواعي الألفة ودوام المحبة)[1].

إن واجب المشتغلين بالتربية، تعميق روح الإيثار في نفوس المتربين لنجاح العملية التربوية على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المجتمعات (فالإيثار قيمة سامية تدفع إلى الاتحاد والتعاون فقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان اجتماعيًا بطبيعته لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفردًا، ولا الحصول على لوازمه كلها بمفرده بل لابد له من مشاركة غيره وهذه المشاركة هي التي عناها الخالق سبحانه بقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[2] ثم إن تقديم الآخرين على الذات وتفضيلهم على النفس هو غاية نبيلة تؤدي إلى زوال الأنانية وتوثيق الروابط بين الأفراد بل بين المجتمعات، وبذلك ترتقي قيمة الفرد المتطلع إلى إقامة العلائق الاجتماعية على أسس سليمة)[3].

ثانيًا-التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالتوجيه المباشر حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد أو الموعظة والتوجيه التربوي مباشرة إلى المتربي، وفي حديث الباب تتضح التربية بالتوجيه المباشر من خلال قوله ﷺ "ساقي القوم آخرهم شربًا" (وتعتمد التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المرادُ تغييرُ سلوكه أو تقويمه

---

(١) إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق العربية والإسلامية، الدجوي، تحقيق علاء الدين زعتري ص ١٠٨ نقلا عن موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، ١٠/١٠، ١١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون ١٢/١٠، ١٣.

تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر أو النهي، وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المتربي)[١].

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم يرافقها تصحيح لأخطائه)[٢].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ١٥٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٤.

١١٦- باب جواز الشرب

من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة

وجواز الكرع - وَهُوَ الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد- وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

الحديث رقم (٧٧٤)

٧٧٤- عن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فقامَ مَن كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ، وبَقِيَ قَوْمٌ، فَأُتِيَ رسول الله ﷺ بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ[1]، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ. قالوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وزيادة. متفق عَلَيْهِ، هذه رواية البخاري[2].

وفي رواية لَهُ ولمسلم[3]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا بإناءٍ مِنْ ماءٍ، فَأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ماءٍ، فَوَضَعَ أصابعَهُ فيهِ. قَالَ أنسٌ: فَجَعَلْتُ أنْظُرُ إِلَى الماء يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أصَابِعِهِ، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوضَّأ منه مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بمخضب: الإناء الذي يغسل فيه الثياب من أي جنس كان، وقد يطلق على الإناء صغيرًا أو كبيرًا[4].

---

(١) عند البخاري زيادة: (فيه ماء).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٠) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٢٧٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/١.

فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه: أي لم يسع المخضب بسط كفه ﷺ[١].

القدح: الإناء الذي يشرب فيه[٢].

الرحراح: الواسع القصير الجدار[٣].

حزرت من توضأ: قدَّرتهم بالتخمين[٤].

الشرح الأدبي

في الحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ رآها أصحابه - رضوان الله عليهم - وهي نبع الماء من بين أصابعه كما نص على ذلك أنس رضي الله عنه في الرواية الثانية التي رواها مسلم لهذا الحديث، والتي أثبتها صاحب رياض الصالحين عند ذكر هذا الحديث: (فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه)[٥]. وقد ساق أنس رضي الله عنه الحديث في أسلوب قصصي دون مؤكدات، وقوله (حضرت الصلاة) فيه إيجاز بالحذف أي: حان وقتها، وقوله: (فقام من كان قريب الدار إلى أهله) وفي الكلام إيجاز بليغ أي ليتوضأ، والربط بالفاء إيذان بالسرعة التي تعكس حرصهم على أداء الصلاة على وقتها، وقوله) فصغر المخضب) وهو إناء من حجارة لم يتسع لبسط كف رسول الله ﷺ لصغره، وهو ما تبدو خلاله المفارقة بين ضيقه لدرجة لا يتسع فيها لبسط كف، وبين وضوء العدد الكبير من مائه بمعجزة رسول الله ﷺ والذي يؤكده قوله) فتوضأ القوم كلهم) حيث جعل فاعل الوضوء (القوم) وأكده بلفظ (كل) المضاف إلى ضمير الجماعة، وقد صعَّد هذا التوكيد إجابته على سؤال السائلين (كم كنتم؟) وهو استفهام على حقيقته مع ما يلوح منه من تعجب فقال (ثمانين، وزيادة) وفيها إيجاز

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/١.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ق د ح).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٤.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ذ ر).

(٥) البخاري رقم (٢٠٠).

ينشط العقل، ويحفظ على الأسلوب طبقته في الكلام العالي أي: كنا ثمانين، وهو ما يجعل الحدث يخرج عن حد العادة إلى حد الإعجاز للرسول ﷺ، وقوله: (وزيادة) تتميم بلاغي ينفي وهم المبالغة عن العدد المذكور، ويضيف احتمال ارتفاع العدد على الثمانين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أخبار النبي ﷺ معهم.

ثالثًا: من معجزات النبي ﷺ: نبع الماء من بين يديه.

اولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الصلاة:

من موضوعات الدعوة التي في هذا الحديث الحث على أداء الصلاة. ويظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "حضرت الصلاة فقام من كان قريب...".

فالصلاة من أهم العبادات التي يجب على كل مسلم أن يفقه أحكامها درسًا وتطبيقًا، لعظم قدرها، وسمو مكانتها في الإسلام، فإذا كان الإيمان قولاً باللسان واعتقادًا بالجنان، فالصلاة عمل بالأركان وطاعة للرحمن.

ولما كانت الصلاة عبادة يتحقق فيها التجرد لله وحده، وتربية النفس على المعاني الإيمانية، التي تعد المؤمن لحياة كريمة في الدنيا، وسعادة سرمدية في الآخرة، كانت سنة متتابعة عبر الرسالات، وصلة بخالق الأرض والسماوات، وزادًا يعين النفس على التزام الطاعات والبعد عن المحرمات. والصلاة عبادة يجب أن تؤدى على وجهها المشروع، لقول الرسول ﷺ: ((... وصلوا كما رأيتموني أصلي...))[1]. فلابد للمسلم أن يتعلم كل ما يتعلق بأحكام الصلاة، حتى يؤدي العبادة على الوجه الصحيح.

ومن هنا تبدو أهمية الدعوة في التعريف بالصلاة ومكانتها وآثارها في حياة المسلم،

(١) اخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

وكيف يؤدي الإنسان الصلاة صحيحة تامة، كما علمنا إياها رسول الله ﷺ[١].

والصلاة لها مكانة عظيمة في الإسلام، فهي ثاني أركان الإسلام، وثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[٤] وقال رسول الله ﷺ ((بُنِيَ الإِسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، وَإقامِ الصلاةِ، وإِيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضان))[٥] وقد نسب رسول الله ﷺ تاركها إلى الكفر فقال: ((إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ))[٦]. فالصلاة عمود الدين الذي لا يقوم إلا به[٧].

فهي أهم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، ومما يدل على ذلك أنها كانت آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أُمته قبل وفاته، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الصَّلاَةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ، وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ))[٨].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل أخبار النبي ﷺ معهم:

يظهر هذا من عموم الحديث، حيث ذكر أنس رضي الله عنه فعل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عند حضور الصلاة، ولم يجدوا الماء الكافي لوضوئهم؛ فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا رسول الله ﷺ وأخذوا عنه سنته، وعايشوه في أحواله المختلفة،

---

(١) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٩، ١٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٦) أخرجه مسلم ٨٢.

(٧) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥١/٢٧.

(٨) أخرجه أحمد ١١٧/٣ رقم ١٢١٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٠٩/١٩.

فكانوا حريصين على نقل أخباره التي وقعت معهم، وأفعاله المختلفة، حتى تعلم الأمة سنة رسولها وشريعة ربها ومعجزاته التي أيد بها رسوله. وقد دعا رسول الله ﷺ لمن نقل عنه قوله إلى غيره، وحث على هذا التبليغ بقوله ﷺ ((نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[1].

ثالثًا- من معجزات النبي ﷺ: نبع الماء من بين أصابعه:

من معجزات النبي ﷺ التي أيده الله بها نبع الماء من بين أصابعه، ويظهر ذلك في قول أنس: "... فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه" وهذا من معجزات النبي ﷺ. وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي عياض وغيره، أحدهما ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء: أن معناه: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيد هذا أنه جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه، والثاني: يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة)[2].

وقال القرطبي: (قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي... قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ)[3].

ونقل ابن عبدالبر عن المزني قوله: (نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم)[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩).

(٢) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٣٩١/٧، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٢/٦ - ٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧٧/٦.

الحديث رقم (٧٧٥)

٧٧٥-وعن عبد الله بن زيد ﷺ ، قَالَ: أتانا النبيُّ ﷺ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ. رواه البخاري(١).

"الصُّفْر" بضم اصاد، ويجوز كسرها، وهو النحاس، و"التَّوْر": كالقدح، وهو بالتاء المثناة من فوق.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن زيد بن عاصم: وهو عبدالله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مندول، المازنيُّ، النجاريُّ، المدنيُّ، الأنصاري، يكنى بأبي محمد، يعرف بابن أم عمارة، وهو من فضلاء الصحابة، روى عن النبي ﷺ حديث الوضوء، وعدة أحاديث، روى له الجماعة، له في كتب الحديث (٤٨) حديثًا، له ولأبويه وأخيه حبيب صحبة.

اختُلِفَ في شهوده بدرًا، والأصح أن أُحُدًا هي أول مشاهده، شهدها هو وأمهُ أم عمارة، مع النبي ﷺ، ثم شهد بعدها المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان ممن بايع رسول الله ﷺ وقال يوم الحَرَّة لا أبايع على هذا - أي الموت- أحدًا بعد رسول الله ﷺ(٢).

وكان مسيلمة الكذاب قد قتل حبيب بن زيد أخَ عبدالله وقطعه عضوًا عضوًا، وكان حبيب قد بعثه النبي ﷺ إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، وإذا قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: أنا أصمُّ لا أسمع، فعل ذلك مرارًا فقطعه مسيلمة عضوًا عضوًا، ومات شهيدًا، فشاء الله تبارك وتعالى أن يغزو المسلمون اليمامة، وكان منهم عبدالله بن زيد، فانتقم لأخيه وشارك وحشيٌّ بن حرب في قتل مسيلمة الكذاب.

---

(١) برقم (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٩).

أما عن وفاته فيقال إنه قُتِل يوم الحَرَّة سنة (٦٣) وهو ابن (٧٠) سنة، وقتل معه ابناه خلاّد وعلي، وكان ذلك في أيام يزيد بن معاوية[١].

الشرح الأدبي

قول الصحابي ﵁ أتانا النبي ﷺ بصيغة الجمع يشعر باعتزازه بزيارة النبي ﷺ وسعادته بنزوله عليه كما يخبر من حظي بتشريف الملك بقوله: (زارنا الملك) على سبيل الافتخار، والاعتزاز، وأي ملك يساوي تاجه نعل رسول الله ﷺ؟ وحُقَّ للصحابي هذا الاعتزاز، وما يؤكد ذلك تكراره ضمير الجماعة (أتانا، فأخرجنا) وكأنه يستكثر على نفسه أن يكون تشريف الرسول ﷺ مخصوصاً بفرد، ثم إن فاء العطف المتصلة تؤذن بهذا المعنى؛ فإن من أتاه ضيف عزيز أسرع في إكرامه، وتلبية حاجته وقوله (فأخرجنا) توحي بعموم هذه الحالة من الاعتزاز، والسعادة برسول ﷺ للجميع، وإسراعهم جميعاً لإكرامه، وقوله: (في تور من صفر) هو إناء من النحاس، وهو أغلى ما لديهم يومئذ، وهو ما يؤكد حفاوتهم بالرسول ﷺ، وقوله: (فتوضأ) إشارة إلى أنه لم يعترض على استعمال هذا اللون من الآنية لمشابهته للون الذهب.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: التواصل مع المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﵃ على خدمة النبي ﷺ.

أولاً - من آداب الداعية: التواصل مع المدعوين:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن زيد ﵁: (أتانا رسول الله ﷺ)، فدل هذا على

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٠٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٢٥٠، ٢٥١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٧٥)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٢٧٧، ٢٧٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤/١٣٨، ١٣٩)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٣٣٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٤/٨٨).

تواصل النبي ﷺ مع أصحابه وزيارته لهم.

فإن المدعو يؤتى ويدعى حيث كان، ولا ينبغي للداعية انتظار مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل إمام الدعاة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، في جميع الأزمنة والأمكنة؛ فكان رسول الله ﷺ يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلهم ويدعوهم إلى الله تعالى، ويذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة في المواسم فيدعوهم[1].

وكان رسول الله ﷺ يحرص على التواصل مع المسلمين ويقوم بزيارتهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((إن كان النبيُّ ﷺ ليخالطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: يا أبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير))[2].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: ((إنَّا وَاللهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ))[3].

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على التواصل مع المدعوين، فهو يتوفر لطلابه في معظم أحيانه، فهم يجدونه في المسجد، فإن لم يكن ذهبوا إلى بيته، وكان ﷺ يستقبلهم، ويجيب على أسئلتهم، ولم يكن من عادته حجب الناس عنه أوردهم، بل كان يستقبلهم، ويبتسم لهم دائمًا.

عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: ((ما حَجَبني النبيُّ ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وجهي))[4]. وعن عبدالله بن الحارث قال: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ))[5].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٦.

(٢) اخرجه البخاري ٦١٢٩.

(٣) اخرجه أحمد في مسنده ١/٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/٥٣٢.

(٤) اخرجه البخاري ٣٨٢٢، ومسلم ٢٤٧٥.

(٥) اخرجه الترمذي ٣٦٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٨٠).

وكان ﷺ يستقبل أنواع الناس على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم، يستقبل الأعرابي والمتعلم، والمرأة والرجل، والطفل والشاب، والكهل والشيخ والعجوز والسيد والمولى والجارية، وكلٌ يحسُّ بحظوة عنده ومكانة كأنها ليست لغيره، وهي للجميع، وربما أطال من جلس عنده، فاستحيا منه الرسول ﷺ ولم يشعر بذلك، وربما أطال من استوقفه في الطريق أو في المسجد، فلم يعنفه أو ينصرف عنه، وقصصه في هذا كثيرة جدًا، لا يسع المقام لذكرها[1].

فعلى الداعية أن يحرص على التواصل مع المدعوين ومخالطتهم، ويحرص على تبادل المودة والمحبة بينه وبينهم، حتى يقبلوا على دعوته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على خدمة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن زيد ﷺ فأخرجنا له ماء.

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على خدمة رسول الله ﷺ فعن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: سَلْ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))[2].

لقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ قدره، فعزروه ونصروه، وحرصوا على خدمته وأحبوه أكثر من أنفسهم وأموالهم وأهلهم، فهو رسول الله وصفوته من خلقه.

فكيف لا يحرصون على خدمته ﷺ؟ وهو حقه أن يفدى بالأنفس والأموال، وأن يؤثر بكل عزيز وغال. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[3].

فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرة نبيه والرغبة بالأنفس عنه، وأوجب على

---

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٩.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٠.

المؤمنين نصرته، وذلك في آيات عدة من القرآن منها: قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وامتدح الله المهاجرين بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[٢].

كما أثنى على الأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٣].

ونصر الرسول ﷺ يشمل نصره باللسان والسنان والبنان، بالقول والفعل، نصرًا له في ذات نفسه حماية لعرضه، وصونًا لحرمته، وإرغامًا لأعدائه ومبغضيه، وانتصارًا له من كل من يؤذيه، وإجلالاً لمقام النبوة من أي قدح أو عيب[٤].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٧٤.

(٤) محبة الرسول ﷺ، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٨١، ٨٢.

الحديث رقم (٧٧٦)

٧٧٦- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِن الأَنْصَارِ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هذِهِ اللَّيْلَةَ فِي شَنَّةٍ وَإلاَّ كَرَعْنَا)) رواه البخاري[1].

(الشنّ): القربة.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شَنَّةٍ: الشن: القربة[2].

كرعنا: تناولنا الماء بالفم من غير إناء ولا كف.

الشرح الأدبي

سرد الصحابي الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بعظمة من يحدِّث عنه، ورغبته في تعظيم الخبر في أسماع المخاطبين، وقلوبهم، وقوله: (دخل) يفيد تحقق الوقوع، وتنكير كلمة رجل في قوله: (على رجل) يشير إلى تواضع الرسول ﷺ ولين جانبه، وحسن معاملته لكل أمته دون تمييز بينهم من ناحية الغنى، الفقر، أو الشرف، والوضاعة، بل لم يكن من مقياس للتفاضل بينهم إلا بالتقوى، وصياغة الرسول ﷺ لطلبه في صورة الشرط (إن كان عندك ماء) من أدبه العالي حتى لا يكلف الرجل ما لا ليس عنده، ولذلك قدم الظرف (عندك) وقوله: (في شنة) أي قربة، وهي وعاء يحفظ فيه الماء، وقوله: (وإلا كرعنا) فِيهِ حَذْفٌ تَقْدِيره: فَاسْقِنَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدك كَرَعْنَا، وَالْكَرْع بِالرَّاء تَنَاوُل الْمَاء بِالْفَمِ مِنْ غَيْر إِنَاء وَلَا

---

(١) برقم (٥٦١٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٢٦.

كَفّ، وهو من تواضعه ﷺ فإنه لا يتكبر عن الشرب من مجرى الماء بفمه دون إناء مادام طاهراً.

فقه الحديث

حكم الكرع: الكرع جائز(١).

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البساطة والتواضع وعدم التكلف مع المدعوين.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان السعة واليسر في الأمور.

أولاً - من صفات الداعية: البساطة والتواضع وعدم التكلف مع المدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنة وإلا كرعنا".

ويدل هذا على بساطة وتواضع النبي ﷺ وعدم تكلفه مع المدعوين، والتواضع ولين الجانب، وبسط الوجه للناس، وسماحة النفس والبشاشة، أخلاق كريمة، تنشأ من طيب معدن النفس، وكذلك من معرفة الإنسان بنفسه وقدرها وحقيقتها، وأنه إن لم يأخذ بنفسه إلى خلق جميل، جمحت به وأوردته في مهابط الرذيلة والأخلاق السافلة، ومنها الكِبْر، والتعاظم في النفس، والترفع على الخلق، ومعرفة العبد بأن الناس جميعًا من نفس واحدة ومردهم إلى أصل واحد، وما جعل الله الناس شعوبًا وقبائل إلا للتعارف والتآلف، وأنه لا تمايز بينهم بعِرْق أو لون، وإنما التمايز بالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، الذي يورث النفس الخشية والإنابة، فمتى كان ذلك متمكنًا في النفس أكسبها التواضع، وخفض الجناح، والبساطة، وعدم التكلف مع الناس(٢).

والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عاريًا من التواضع، وهو من ركائز أخلاق

---

(١) في المسألة تفصيل، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٧٧.

(٢) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد العليوي ص ٤٢، ٤٣.

الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم، ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًا وصدقًا، هكذا جبلت طبائع الناس، فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده. فلا يصل إليهم من قوله شيء، بل قد يكون ذلك سببًا إلى كرههم الحق منه ومن غيره. فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيدًا، وليتق الله ربه، ولا يكون سببًا لنفرة الناس من الدعوة إلى الله[١].

وعلى الداعية النظر في خلق رسول الله ﷺ وسيرته، فهو القدوة المثلى للمسلمين جميعًا، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]. وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كانتِ الأمَةُ من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيث شاءت))[٣].

فحري بالداعية أن يلتزم خلق البساطة والتواضع، وعدم التكلف مع المدعوين، حتى يكون قريبًا منهم ومحبوبًا، ولابد أن يكون على صلة مستمرة بالناس ولا يتحقق ذلك إلا بالتواضع والبساطة، وعدم التكلف، كي يكسب محبتهم، وتقديرهم، واحترامهم وقبول السمع والطاعة لما يقول[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان السعة واليسر في الأمور:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ "إن كان عندك ماء... وإلا كرعنا" حيث بين رسول الله ﷺ لمن دخل عليه أن الأمر فيه سعة ويسر، فإذا لم يكن عنده ماء في القربة شربوا من غير إناء.

وقد كان رسول الله ﷺ يختار الأمر الميسور في عمله ويحث أصحابه على اليسر

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٦٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٤) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد ا لعليوي ص ٤٥.

والسعة في الأمور؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسرَهما ما لم يكن إثمًا))[1].

وما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يبين لأصحابه سعة الأمور ويسرها قوله: ((عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ))[2].

فالدين الإسلامي دين السعة واليسر وليس دين الغلو والتشدد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[4].

إن الدين الإسلامي قائم على السماحة والتيسير وعدم التعسير، ورفض الغلو، وإنكار التمادي ومجاوزة الاعتدال، قال تعالى: "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها"، وهذا ما أكده ﷺ في قوله: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا))[5]، وكان ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره، أمره بالتبشير والتيسير: ((بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا))[6].

قال النووي: (إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأنه قد يفعلهما في وقتين فاقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في يسرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا، لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت، وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء. وفي هذا الحديث

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٠، ومسلم ٧٨٢.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٢٥، ومسلم ١٧٣٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٣٢.

الأمر بالتبشير بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي، كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها، سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها)[1].

وكان رسول الله يقول لأصحابه: ((فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمر فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[2].

فيجب على الداعية أن يبين للمدعوين السعة واليسر في أمور الدين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٦ - ١١١٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

الحديث رقم (٧٧٧)

٧٧٧- وعن حذيفة رضي الله عنه ، قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَن الحَرِير، وَالدِّيباجِ، والشُّربِ في آنِيَة الذَّهَب والفِضَّةِ، وقال: ((هِيَ[1] لَهُمْ في الدُّنْيَا، وهِيَ لَكُمْ في الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته من الحرير[3].

الشرح الأدبي

استهل الصحابي رضي الله عنه الحديث بأسلوب خبري مؤكد بـ (إن) مع اسمية الجملة؛ لأنه قوبل بما يُشبه الإنكار كما دلَّت على ذلك رواية البخاري: (كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَايِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحٍ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلاَّ أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنْ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ)[4] وقوله (نهانا) إخبار بالتحريم، والأنواع المذكورة فيها إفراط في الترف، وإسراف في الاستخدام، مما يثير الحسد، والحقد بين الناس، وخاصة الفقراء الذين لا يجدون طعامهم الضروري، وقول الرسول ﷺ (هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة) يقرر أن النعيم المطلق للمؤمن في الآخرة، وليس في الدنيا، وإعادة المسند إليه في الجملتين إيذاناً باستقلال الحكم في الجملتين، ولأنها

---

(١) لفظ البخاري: (هنَّ).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٧/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٩٨).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٨٨.

(٤) البخاري حديث (٥٢٠١).

مدار النهي، وعلته، وفي العبارة طباق يوضح أبعاد المسألة، وأسلوب القسمة بين (لهم، ولكم، وبين الدنيا والآخرة).

وهذه العبارة تحقق القناعة بعدل الله، وترضي المؤمن بقسمه؛ لأنه يعلم أن الدنيا مهما حلت فهي إلى زوال، وليس فيها متعة إلا وهي منغصة بتذكر زوالها عن صاحبها بهلاكها، أو زوال صاحبها عنها بموته.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم استعمال أواني الذهب والفضة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحرم على الرجال والنساء جميعًا استعمال أواني الذهب والفضة، في الأكل والشرب والوضوء والاغتسال ونحو ذلك[١].

بينما نقل عن التابعي معاوية بن قرة، أنه لا بأس بالشرب في قدح من فضة[٢].

وعن داود جواز الأكل، وسائر وجوه الاستعمال فيهما[٣].

وعن الشافعي في القديم أن النهي عن استعمال الذهب والفضة في غير التحلي مكروه تنزيهًا، وقد رجع عنه[٤].

يقول النووي: (أجمع المسلمون على تحريم الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة، على الرجل والمرأة، ولم يخالف في ذلك أحد من العلماء، إلا ما حكاه أصحابنا

---

(١) مراتب الإجماع ٢٨، والاختيار ١٢/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٥/٤، ٣٦، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٤/١.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٤/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٤/١.

(٤) المرجعان السابقان.

العراقيون أن للشافعي قولاً قديمًا أنه يكره ولا يحرم، وحكوا عن داود الظاهري تحريم الشرب وجواز الأكل، وسائر وجوه الاستعمال، وهذان النقلان باطلان)[١].

حكم استعمال الأواني من غير الذهب والفضة: أما سائر الآنية فمباح اتخاذها واستعمالها، سواء أكانت ثمينة، كالياقوت والبلور والعقيق والصفر والمخروط من الزجاج، أم غير ثمينة، كالخشب والخزف والجلود.

ولا يكره استعمال شي ء منها في قول جمهور الفقهاء، وقال بعض المالكية: إنه لا يجوز استعمال الأواني النفيسة، لكن ذلك ضعيف جدًا. وهو قول عند الشافعية.

كما روي عن ابن عمر أنه كره الوضوء في الصفر والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك. واختاره الشيخ أبو الفرج المقدسي؛ لأن الماء يتغير فيها، لأن تحريم الأثمان تنبيه على تحريم ما هو أعلى منه؛ ولأن فيه سرفًا، وخيلاء وكسر قلوب الفقراء، فكان محرمًا كالأثمان[٢].

٢-حكم لبس الحرير والديباج: اتفق على أن لباس الحرير الخالص، مباح للنساء محرم على الرجال في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما[٣].

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ١٥٨/٦، وحاشية الصاوي ١٠٠/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٧/١.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥١٩/٦ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٢٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من إتيان عادات الكفار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة. يظهر ذلك في قول حذيفة ﷺ قال: "إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة"، قال النووي: (وأما لبس الحرير والاستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير، فكله حرام على الرجال، سواء لبسه للخيلاء أو غيرها، إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر، وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه)[1]. قال ﷺ: ((إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ))[2].

قال القرطبي: (وقوله: "إنما يلبس هذه" وفي رواية: "الحرير، من لا خلاق له في الآخرة" الخلاق: قيل فيه: الحظ، والنصيب، والقدر. ويعني بذلك: أنه لباس الكفار والمشركين في الدنيا، وهم الذين لا حظ لهم في الآخرة. واختلف الناس في لباس الحرير فمن مانع، ومن مجوِّز على الإطلاق، وجمهور العلماء منعه للرجال، وإباحته للنساء. وهو الصحيح لهذا الحديث، وما في بابه وهي كثيرة)[3]. ونهى عن استعمال آنية الذهب والفضة في الشرب، قال النووي: (فيه تحريم الشرب فيه)[4].

فإن استعمال الذهب والفضة حرام في مذهب الأئمة الأربعة، لأن النبي ﷺ قال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠٩.

(٢) اخرجه مسلم ٢٠٦٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٣٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١٠.

((لا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ))[١]. ونهى ﷺ عن الشرب في آنية الفضة، فقال: ((مَنْ شَرِبَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْ فِي الآخِرَةِ))[٢]. والنهي يقتضي التحريم. والعلة في تحريم الشرب فيما يتضمنه ذلك من الفخر وكسر قلوب الفقراء.

والنهي وإن كان عن الأكل والشرب، فإن العلة موجودة في الطهارة منها واستعمالها كيفما كان.

وإذا حرم الاستعمال في غير العبادة ففيها أولى، وفي المذهب القديم للشافعي أنه مكروه تنزيهًا.

فإن توضأ منها، أو اغتسل، صحت طهارته عند الحنيفة والمالكية والشافعية وأكثر الحنابلة، لأن فعل الطهارة وماءها لا يتعلق بشيء من ذلك، كالصلاة في الأرض المغصوبة.

وذهب بعض الحنابلة إلى عدم صحة الطهارة، لأنه استعمل المحرم في العبادة، فلم يصح كالصلاة في الدار المغصوبة. والتحريم عام للرجال والنساء[٣].

وهذا من موضوعات الدعوة التي ينبغي على الداعية أن يذكرها للمدعوين، ويبين لهم أن الرجال محرم عليهم استعمال آنية الذهب والفضة ولبس الحرير، وقد ورد عن علي بن أبي طالب: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي))[٤].

كما أن النساء محرم عليهن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، ولكن أبيح لهن التزين بهما ولبسهما، وكذا الحرير حلال لهن.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٦٦.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١/١١٧-١١٨.

(٤) أخرجه النسائي برقم ٥١٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٧٥١، ٤٧٥٢).

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: التحذير من إتيان عادات الكفار:

فقد نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج، واستعمال آنية الذهب والفضة في الشرب، لأنهما من عادات الكفار. وبيّن ذلك قوله ﷺ هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة. أي أن الكفار إنما يحصل لهم ذلك في الدنيا، وأما الآخرة فما لهم فيها من نصيب[1]. فحذر المسلمين من ذلك حتى لا يحرموه في الآخرة، وقد قال ﷺ ((لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ))[2]؛ فحذر المسلمين من لبس الحرير واستعمال أواني الذهب والفضة، حتى لا يقعوا في أفعال الكفار، فيعاقبوا بعقابهم في الآخرة، بالحرمان من لبسهم واستعمالهم.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: ((إنَّ هذِهِ ثيابُ الكفارِ، فلا تَلْبَسْهَا))[3] قال ابن تيمية: (علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك.

كما أنه في الحديث الذي معنا قال: إنهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة، ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبهًا بالكفار[4].

ففي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي، قال: (كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ رضي الله عنه وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مع عتبة بن فرقد: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أَبِيكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أُمِّكَ. فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ، مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ لَبُوسِ الْحَرِيرِ. قَالَ إِلاَّ هَكَذَا.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٣٤، ومسلم ٢٠٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٧٧.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ١/٣٦٠-٣٦١.

وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللّٰهِ بِإِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَىٰ وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا) [(١)].

وروى أبو بكر الخلال بإسناد عن محمد بن سيرين: (أن حذيفة بن اليمان أتى بيتًا، فرأى فيه حارستان: فيه أباريق الصفر والرصاص، فلم يدخله. وقال: من تشبه بقوم فهو منهم) [(٢)]، وفي لفظ آخر: (فرأى شيئًا من زي العجم فخرج وقال: من تشبه بقوم فهو منهم).

وقال علي بن أبي صالح[(٣)] السواق: (كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج فلحقه صاحب الدار، فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس! زي المجوس)[(٤)].

وقال في رواية صالح [(٥)]: (إذا كان في الدعوة مسكر، أو شيء من آنية المجوس: الذهب والفضة، أو ستر الجدران بالثياب خرج ولم يطعم).

وفي النهاية قال ابن تيمية: (ولو تتبعنا ما في هذا الباب عن النبي ﷺ مع ما دل عليه كتاب الله لطال) [(٦)].

وقال ابن تيمية مبينًا أهمية عدم التشبه بالكفار: (إن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم - مثلاً - يجد في نفسه نوع انضمام إليهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٢٩، ومسلم ٢٠٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٣٠١، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبيداود ٣٤٠١)

(٣) كذا في النسخ: ابن أبي صالح، والصحيح: ابن أبي صبح. انظر: طبقات الحنابلة ٢٣٤/١.

(٤) ذكره ابن أبي يعلي في طبقات الحنابلة ٢٣٤/١، وذكر بدل كلمة (عليه فضة: عليه صورة) نقلاً عن محقق اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٢/١.

(٥) هو: صالح بن أحمد بن حنبل، أبو الفضل، وأكبر أولاد أحمد، ولي قضاء أصبهان وطرسوس، من الفضلاء الصالحين الثقات، اشتهر بالكرم والسخاء، مات بأصبهان سنة ٢٦٦ هـ، وكانت ولادته سنة ٢٠٣ هـ، انظر: طبقات الحنابلة ١٧٣/١ - ١٧٦، نقلاً عن اقتضاء الصرط المستقيم ٣٦٢/١.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦١/١ - ٣٦٢.

واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك)[١].

لذا ينبغي على المسلم أن يحذر إتيان عادات الكفار والتشبه بهم.

رابعًا - من أساليب الدعوة: التبشير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة" قال النووي: (وأما المسلمون فلهم في الجنة الحرير والذهب وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٢]، فبشر رسول الله ﷺ المسلمين بلبس الحرير في الجنة واستعمال آنية الذهب والفضة ولبسهما، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾[٣]. وقد استخدم أسلوب التبشير بما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة، من التكريم والتنعيم للمؤمنين في الجنة، بلبس الذهب والحرير واستعمال آنية الذهب والفضة. وهذا من الأساليب التي تجذب الناس إلى قبول الدعوة، والحرص على الالتزام بها للفوز بجنات النعيم، وما أعده الله فيها للمؤمنين من النعيم المقيم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

الحديث رقم (٧٧٨)

٧٧٨- وعن أُمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: ((إنَّ الَّذِي يَأكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ)).

وفي رواية لَهُ[٣]: ((مَنْ شَرِبَ فِي إنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

يجرجر: يُحدر، فجعل الشرب والجرع جَرجَرة، وهي صوت وقوع الماء في الجوف[٤].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري مؤكد ببعض المؤكدات التي تصعِّد الشعور بخطر الخبر، وأهميته التي تستلزم أن تتلقاه القلوب بيقظة، وانتباه، وتلك إحدى فوائد توكيد الخبر، وقول الرسول ﷺ (الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ) استعمال الموصول في تعريف المسند إليه، لتنبيه المخاطب على خطأ، والفعل المضارع (يشرب) يستحضر الصورة موضع الخطأ بين سمع المخاطب، وبصره، والظرف، والمظروف في قوله: (في آنية) يبين طبيعة الخطأ، وأنه يرجع إلى الشرب فيها خاصة، وقوله: (إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ) أسلوب قصر لهذا النوع من الشرب على نار جهنم أي: لا يشرب غيرها، والفعل (يجرجر) فاعله عَلَى رِوَايَة النَّصْب هُوَ الشَّارِب مُضْمَر فِي يُجَرْجِر، أَيْ يُلْقِيهَا فِي بَطْنه بِجَرْعٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥/١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٢) مسلم بعد حديث (٢٠٦٥/١، بدون رقم). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٣) مسلم (٢٠٦٥/٢). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ج ر).

مُتَتَابِع يُسْمَع لَهُ جَرْجَرَة، وَهُوَ الصَّوْت لِتَرَدُّدِهِ فِي حَلْقه، وَعَلَى رِوَايَة الرَّفْع تَكُون النَّار فَاعِله، وَمَعْنَاهُ تَصْوِيت النَّار فِي بَطْنه، وَالْجَرْجَرَة هِيَ التَّصْوِيت، وَسُمِّيَ الْمَشْرُوب نَارًا لأَنَّهُ يئُول إِلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَال الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونهمْ نَارًا﴾ واختيار هذه الصيغة بوزنها، ومعناها له خصوصية، لأنها من جرجر على وزن (فعلل) مضعف الرباعي، وهو من الأوزان التي تصف الحركة، وتدلل على الاضطراب وهي تصف صوت الماء المندفع بقوة في بطن العاصي من إناء الفضة، والذي يحكي جرأته على إتيان ما نهي عنه رسول الله ﷺ، والتي تؤول به إلى أن يتجرع الحميم - والعياذ بالله -، وإضافة النار إلى جهنم تصعيد للترهيب الوعيد.

والأسلوب النبوي بذلك يجعل تعاطي الشراب في هذه الآنية هو نفسه العقاب بعد أن طوى الزمن، وانتقل به إلى العقاب في الآخرة، ويصوره، وقد حل به فهو يتجرع النار في كل مرة يرفع فيها إناء الفضة إلى فيه مما يشعره برعب ينسيه متعة الشراب في هذه الآنية.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة.

ثالثًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يوردهم المهالك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"؛ حيث أخبر عن عذاب من يشرب في آنية الفضة.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يخبر بها الداعية المدعوين، بما تتضمنه الدعوة من حقائق تفيدهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطر الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث خطر الشرب في آنية الفضة. يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"، وفي رواية

لمسلم: "إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الفضة والذهب"، وفي رواية له: "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم".

أي: (تصوت النار في بطنه، والجرجرة هي التصويت، وسمى المشروب نارًا لأنه يؤول إليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾[1])[2].

قال ابن عثيمين: (وفي حديث أم سلمة: دليل على أن الأكل في آنية الذهب والفضة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ توعد على ذلك بأن من فعله؛ فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، الجرجرة: صوت الطعام والشراب وهو ينحدر في البلعوم، فإذا أكل أو شرب في إناء الذهب والفضة، فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وهذا يدل على أنه من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد، وكل ذنب فيه وعيد، فإنه من كبائر الذنوب) [3].

وقد استحق العذاب من أكل أو شرب في آنية الذهب والفضة لوقوع النهي عنها[4].
فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((أمرَنا رسولُ الله ﷺ بسَبعٍ، ونهانا عن سَبع: أمرنا بعيادةِ المريض، وأتباع الجنازةِ، وتشميتِ العاطس، وإجابةِ الداعي وإفشاء السلام، ونصر المظلومِ، وإبرارِ المُقسمِ. ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشربِ في الفضة))[5]؛ فالأكل والشرب في آنية الفضة حرام، فإذا أكل أو شرب فيها المسلم، فيكون ارتكب أمرًا يستحق عليه العذاب، فكان في ذلك خطورة عليه يجب عليه أن يتجنبها.

ثالثًا - من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يوردهم المهالك:

يظهر ذلك في تحذير النبي ﷺ من الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، وأن

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٨٤.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٨/٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٣٥.

من يشرب فيها تجرع النار في بطنه، وذلك لأنه يخشى على أمته الوقوع فيما يعذبون عليه، وذلك يدل على حرصه ﷺ على مصلحة المسلمين، وحرصه على تحذيرهم مما يوردهم في المهالك، وقد قال ﷺ ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[١].

فينبغي على الداعية الاقتداء بالنبي ﷺ ويحذر المدعوين عن الأشياء التي توردهم عذاب الله، وأن يحرص على مصلحتهم، فإن ذلك يرقق القلوب له، ويجعل الناس يستجيبون لدعوته.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في ترهيب النبي ﷺ الذي يأكل أو يشرب في أواني الذهب والفضة بالتجرع في بطنه نار جهنم.

وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية، التي يستخدم فيه الداعية كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه[٢].

والآيات الكريمة التي بينت لنا وصورت ما أُعد من ألوان العذاب يوم القيامة كثيرة جدًا، حيث ورد ذكر "جهنم" في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة، وورد ذكر العذاب أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا لاشك تذكير عظيم ومؤثر في النفس البشرية إضافة لما ورد في السنة المطهرة من بيان لألوان العذاب يوم القيامة، ووصف جهنم وخزنتها وما فيها من خزي وتنكيل بالذين استحقوا أن يكونوا من أهلها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ٦٤٨٣، ومسلم ٢٢٨٤.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

(٣) سورة الجن، آية: ٢٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤.

وهذه صورة للعذاب النفسي في جهنم يوم القيامة توضحها لنا آيات من سورة المؤمنون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1].

وهكذا الآيات المباركات الأخرى التي تبين حال أهل النار يوم القيامة، إنها صورة مؤثرة ومحزنة ومخيفة، إذا ركز عليها الداعية، فإنه يصل إلى ما يريد من تأثير على المدعو؛ لأن النفس البشرية لا تطيق ذلك ولا بعضه، فالترهيب بالآخرة وعذاب النار له أثره الكبير[2].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٦-١٠٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٥١، ٤٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم التكاليف الشرعية على اليسر ورفع الحرج، وإذا كان نهي التنزيه قد ورد في بعض الأحاديث فإن دلائل الإباحة قد وردت في أحاديث أخرى إلا ما حرم ومن المضامين التربوية في هذا الباب ندرك:

أولاً-التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالمواقف والأحداث، ومما يدل على ذلك من أحاديث الباب حديث أنس ﷺ قال: "حضرت الصلاة فقام مَنْ كان قريب الدار إلى أهله وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فصغر المخضب أن يبسط فيه كَفَّه.." وفي رواية "أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رَحْرَاح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه...".

ففي هذا الحديث تتضح التربية بالمواقف والأحداث ببيان جواز الشرب والاستعمال لجميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة.

إن المربي الناجح هو الذي يستغل الموقف والحدث في توصيل القيم والمبادئ التربوية إلى المتربي حيث يكون المتربي شريكًا في الموقف والحدث مما يؤدي إلى ثباته في الذهن.

(والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث وسيلة فعالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية، والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدىً بغير عبرة وبغير توجيه، والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما عن طريق الحس إن كان هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل إن كانت داخلية، والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي ﷺ في شتى مجالات الحياة)[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٨.

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية من خلال الممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية لما يوجِّهه ويرشد إليه مما يساعد على اقتناع المتربي، ونجاح العملية التربوية، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث عبدالله زيد ﵁ قال: "أتانا النبي ﷺ فأخرجنا له ماء من تَوْر من صُفْر فتوضأ" وحديث جابر بن عبدالله ﵄ "أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحبٌ له فقال رسول الله ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنَّة وإلا كرعنا".

ففي هذين الحديثين تتضح الممارسة العملية لجواز استعمال إناء الصفر وهو النحاس ونحوه في الوضوء وغيره كما في الحديث من هذين الحديثين، وجواز الكرع وهو الشرب بالفم بغير إناء كما في الحديث الثاني، والممارسة العملية لها دور رئيس في نجاح العملية التربوية لأن المربي يمثل دور القدوة أمام المتربي.

(لقد كان من أسلوب رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة ﵃ بالممارسة العملية، ومن ذلك تعلم الصحابة وضوء الرسول ﷺ وتصحيح الرسول لهم، أو تصحيح بعضهم لبعض، وقد نقلت إلينا كتب الحديث جانبًا من هذه الأساليب التربوية مثل أحاديث تعليم الوضوء والصلاة وغيرها فلم يكتف الصحابة ﵃ بحكاية أقوال الرسول ﷺ بل قلدوا لنا أعماله وحركاته، وفي ذلك عبرة للمربي، وأن عليه أن يتوضأ مثلاً أمام طلابه وضوءًا سابغًا وهم ينظرون إليه -وقد طالبهم مسبقًا بالانتباه ليرى أيهم سيكون أشد تقليدًا لوضوئه أو وصفًا له- ثم يطلب منهم أن يتوضؤوا مثل وضوئه، أو يصفوا جميع حركاته، وفي هذا اقتداء بأسلوب من أساليب التربية الإسلامية نقل إلينا عن أصحاب رسول الله ﷺ بتوجيه منه)[1].

ولا شك أن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٤، ٢١٥.

الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران، في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شرًا فشر وخسران. ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا)[1].

ثالثًا-التربية بالترهيب:

تعتبر التربية بالترهيب من أساليب التربية الإسلامية التي لها أثر كبير في توجيه المتربي وإرشاده وما يشير إلى ذلك من أحاديث الباب حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة...".

وحديث أم سلمة رضي الله عنها "أن رسول الله ﷺ قال: "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم". وفي رواية "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم".

ففي جملة هذه الأحاديث ترهيب ووعيد من استعمال آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب ويقاس على ذلك سائر الاستعمالات (والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي؛ فالترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهى عنها الإسلام وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا حتى ولو غامر في الأمر واستهان بالمخاوف إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نمو الحذر من جهة من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وإن هناك طائفة من الناس لا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب وإنما أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب)[١].

رابعًا- التربية على تقديم الآخرة على الدنيا:

وهذا واضحٌ من حديث حذيفة ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: "هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة.

فمما لا شك فيه أن النفس تهوى لبس الفاخر من الثياب كالحرير والديباج واستعمال الأواني المصنوعة من الذهب والفضة وغير ذلك من الشهوات التي قال عنها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٢] ولكن لما نهى الشرع عن بعضها كما في الحديث فإن على المسلم أن يطيع ويمتثل ويمتنع فلا يلبس الحرير ولا الديباج ولا يشرب في أواني الذهب أو الفضة حتى لا يحرم منها في الآخرة "هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة" وليس هذا فحسب بل تكون أيضًا سببًا لعذابه، كما قال النبي ﷺ: "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم".

لذا كان على المسلم أن يقدم الآخرة على الدنيا، ولا يفعل كما يفعل أغلب الناس فيقدمون الدنيا على الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٣]، لذا كان الفَطِن من عمل للآخرة وسعى لذلك أشد السعي، فحبس

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٦-١٧.

نفسه عن الشهوات الزائلة التي تجعله يخسر الآخرة من أجل دنيا زائلة، يقول ابن القيم: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس)[1].

إذا كان من المهم جدًّا أن يُربى الناشئة وغيرهم على تقديم الدنيا على الآخرة، ولا نعني بذلك أن نهمل الدنيا ونتركها، لا نعنى ذلك، وإنما نعني أن تصلح الدنيا بالدين فيكون تعمير الدنيا طريقاً لتعمير الآخرة.



(١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٨٣.

١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض، وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قَالَ الله تَعالَى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾[الأعراف: ٢٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ﴾[النحل: ٨١].

الحديث رقم (٧٧٩)

٧٧٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ البَيَاضَ؛ فَإنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**)) رواه أَبُو داود والترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري خالٍ من المؤكدات؛ لأن الراوي في نقله للحديث لا يواجه بشك أو إنكار، والقول المحكي عن الرسول ﷺ يبدأ بأسلوب إنشائي، وهو الأمر (البسوا) وهو أمر إرشاد، وتوجيه لما فيه سعادة المؤمن في الدنيا، ورضا الله الذي يضمن سعادة الآخرة، وقوله (من ثيابكم) من للتبعيض أي بعض ثيابكم، وقوله: (فَإنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ) هذه الجملة تعليل بالنسبة لما قبلها، وترغيب بالنسبة لما بعدها، وكثافة المؤكدات في هذه الجملة تنادي بأهمية الخبر وقد صعَّد هذا المعنى بشبه جملة (من خير) التي تجعل الأفضلية لها، وفي إضافة الثياب لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى عدم تكلف ما لا يجد، وقوله (وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ) أمر إرشاد وتوجيه

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤) ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٤٢٣)، وقال الحاكم (١/٣٥٤): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٢).

كسابقه، وتقديم الجار والمجرور (فيها) على المفعول به قد يكون للاختصاص، وقد يكون لمجرد العناية والاهتمام، وفي إضافة الموتى لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى موتى المسلمين، وتوجيه الكلام لضمير الجمع من بداية الحديث إلى نهاية تعميم للحكم.

فقه الحديث[١]

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم الألبسة من حيث مادتها، وألوانها، وهيئتها:

أ- أما من حيث مادةالصنع: فالأصل في اللباس الحل مهما كانت المادة التي صنع منها، إلا ما ورد نص بتحريمه كالحرير للذكور، وكذلك ما كان من جلود الميتة وما لا يذكى، فإذا دبغت طهرت، وحلّ لبسها ولو في الصلاة. وأما الملابس المصنوعة من الصوف أو الشعر أو الوبر، فإن كانت من مأكول اللحم، فهي طاهرة حلال، سواء أخذت منه في حياته أو بعد تذكيته أو بعد موته، وفيما أخذ من غير ما مأكول اللحم، أو من نجس العين تفصيل وخلاف[٢].

ب-من حيث ألوانها: أما "اللون الأبيض" فقد اتفق الفقهاء على استحباب لبس ما كان أبيض اللون من الثياب[٣] وتكفين الموتى به[٤].

---

(١) رقم ٧٧٩، ٧٨٣.

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٥٨/٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٣/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٩/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية .

(٣) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/٢.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٤٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤/٢.

أما "اللون الأسود" فلا خلاف بين الفقهاء على جواز الألبسة سوداء اللون، بلا كراهة للرجال والنساء على حد سواء[(١)].

أما "اللون الأحمر" فقد ذهب بعض الحنفية والحنابلة إلى القول بكراهة ما كان أحمر اللون من الثياب، للرجال دون النساء، ما لم يكن مشوبًا بلون آخر، بينما ذهب بعض الحنفية، والمالكية، والشافعية، إلى جواز لبس الثوب الأحمر الخالص غير المزعفر والمعصفر[(٢)].

أما "اللون الأخضر" فقد ذهب الفقهاء إلى استحباب اللباس الأخضر، بل قال الحنفية: إنه سنة، لأنه لباس أهل الجنة[(٣)]، قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ﴾[(٤)].

وأما "المخطط من الألوان" فقد ذهب الفقهاء إلى جواز ما كان مخطط اللون من الثياب، بلا كراهة، وهو ما يسمى من الثياب الحبرة[(٥)].

---

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٣/٦.

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٥٠/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠٩/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٢/٦.

(٣) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢١.

(٥) رد المحتار ٣٥٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٣/١.

ج-من حيث هيئتها: فقد ذهب العلماء إلى جواز اللباس على أي هيئة كان، حلة، او بردة، أو جبة، أو قباء، أو قميص، أو رداء، أو إزار، وكل ما تيسر منه، ما لم يكن حرامًا، أو فيه إسراف أو مخيلة[1].

٢-حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: يستحب لبس العمامة، لأنها افضل زي يلبس في الرأس، وهي تيجان العرب، يقول الإمام مالك: لم أدرك أحدًا من أهل الفضل إلا وهم يتعممون.

كما يستحب إرخاء الذؤابة بما يليق بلابسها، ويكره إطالتها طولاً فاحشًا، لأنه من الإسبال المنهي عنه، وقد ورد في إرخائها أحاديث كثيرة، منها ما يدل على إرخائها بين كتفيه، ومنه ما يدل على إرخائها بين يدي المتعمم ومن خلفه، ومنها ما يدل على إرخائها من الجانب الأيمن، وأصحها جميعًا ما جاء في الإرخاء بين الكتفين[2].

حكم الألبسة التي عليها نقش أو صور: يكره عند الحنفية "تحريمًا" والمالكية "في ظاهر المدونة" لبس الثياب التي فيها الصور، صلى فيها أو لا. لكن تزول الكراهة عند الحنفية بما لو لبس الإنسان فوق الصورة ثوبًا آخر يغطيها، فإن فعل فلا تكره الصلاة فيه.

وعند الشافعية وأصبغ من المالكية: يجوز لبس الثياب التي فيها صور حيث نصوا على أن الصورة في الثوب الملبوس منكر، لكن اللبس امتهان له فيجوز حينئذ. كما لو كان ملقى بالأرض ويداس.

أما الحنابلة: فقد اختلف قولهم في لبس الثوب الذي فيه الصورة على وجهين:

---

(١) مجمع الأنهر، داماد افندي ١٤٧/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٨/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١.

(٢) الاختيار ٤٩/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٢/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/١.

أحدها: التحريم، وهو قول أبي الخطاب قدّمه في الفروع والمحرر.

والآخر: أنه مكروه فقط وليس محرمًا، قدّمه ابن تيمية.

ووجه القول بالتحريم أن النبي ﷺ قال: "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة"(١).

ووجه القول بعدم التحريم أن النبي ﷺ قال: ((إلا رقمًا في ثوب)) (٢) (٣). والظاهر كما قال النووي: أن تصوير صور الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره، فصنعته حرام بكل حال، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، أما تصوير صورة الشجر، ورحال الإبل، وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان، فليس بحرام. أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان، فإن كان معلقًا على حائط أو ثوبًا ملبوسًا أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتهنًا فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام اهـ(٤).

٣- حكم التفات المؤذن عند الحيعلتين: أجمع الفقهاء على أنه من السنة أن تستقبل القبلة بالأذان(٥)، واختلفوا في التفات المؤذن عند الحيعلتين، فذهب الحنفية، والشافعية والحنابلة إلى أنه يستحب للمؤذن الالتفات يمينًا وشمالاً، عند قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

---

(١) اخرجه البخاري ٣٢٢٥، ومسلم ٨٣ - ٢١٠٦.

(٢) اخرجه البخاري ٣٢٢٦، ومسلم ٨٥ - ٢١٠٦.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٤٥/٤، ومنح الجليل ٢٩٢/٧، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٥/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٣٢/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١٤.

(٥) الإجماع لابن المنذر ٧.

واختلفوا هل يستدير ببدنه كله، أم بوجهه فقط وقدماه ثابتتان مكانهما؟

فذهب الحنفية، وأحمد في رواية "هي الأصوب والمعمول به" إلى أنه يلتفت بوجهه فقط، وقدماه مكانهما، ليبقى مستقبل القبلة بالقدر الممكن، ولا يدور إلا إذا كان على منارة لقصد إسماع أهل الجهتين.

وذهب الشافعية وأحمد في رواية "هي المذهب" إلى أنه يلتفت في الحيعلتين بعنقه لا بصدره، ولا يدور ولا يستدير سواء كان على الأرض أو على المنارة، محافظة على الاستقبال.

بينما ذهب المالكية: إلى أنه يؤذن مستقبل القبلة، ولا يدور ولا يلتفت إلا أن يريد إسماع الناس، فيدور ويؤذن كما تيسير له، ولوأدى إلى استدبار القبلة بجميع بدنه[1].

٤- حكم اتخاذ السترة للمصلي: يسن للمصلي إذا كان فذًا "منفردًا" أو إمامًا أن يتخذ أمامه سترة تمنع المرور بين يديه، وتمكنه من الخشوع في أفعال الصلاة، أما المأموم فلا يستحب له اتخاذ السترة اتفاقًا، لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه. أو لأن الإمام سترة له، على اختلاف عند الفقهاء. وقد اتفق الفقهاء على أنه يصحّ أن يستتر المصلي بكل ما انتصب من الأشياء كالجدار والشجر والأسطوانة والعمود، أو بما غرز كالعصا والرمح والسهم وما شاكلها، وينبغي أن يكون ثابتًا غير شاغل للمصلي عن الخشوع[2].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٤٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٤٦/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٧٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٦٣/٢.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٦٥/٢، والقوانين الفقهية ٥٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩٥/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٧/٢٤-١٧٨.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الثياب البيض.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أمر رسول الله ﷺ بتكفين الموتى في الأبيض من الثياب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

اولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ "البسوا من ثيابكم البياض" وقوله "وكفنوا فيها موتاكم" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان أوجه الخير للمدعوين وحملهم على الاتيان بها، وقد انتهج القرآن أسلوب الأمر في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الثياب البيض:

إن التجمل والتزين مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ وبين رسول الله ﷺ في مجال اللباس أولوية وأفضلية لبس البيض من الثياب كما في الحديثين "البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم"، وقد جاء بيان فضل الثياب البيض صريحًا في قوله ﷺ "فإنها من خير ثيابكم"، وقوله ﷺ: "البسوا البياض" وجاء التعليل في قوله ﷺ "فإنه أطهر وأطيب" أطهر لنقائها بما يظهر ما يخالطها من الدنس وإن قل، وأطيب لسلامتها غالبًا عن الخيلاء الذي يكون في لبس الملونات[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٨٠).

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٧، ١٠٣٨.

ومن أوجه بيان فضل الثياب البيض نزول جبريل عليه السلام في صورة رجل يلبس الثياب البيض، كما جاء في الحديث المشهور ((بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ))[1]. فدلت الأحاديث على أن لبس الثياب البيض خير من لبس غيرها من الثياب، لما فيها من إيناس وانشراح، وحسن مظهر، وإن كان لبس غيرها جائزًا وخيرًا أيضًا، وجاء في الحديث بيان سبب تفضيل الثياب البيضاء على غيرها، وهو نقاؤها من الدنس لظهوره وتكشفه، وسلامتها من الخيلاء، لما تشتمل عليه من البساطة وتفاؤلاً بنظافة القلب ونقاء الضمير، وملاءمتها لحال المؤمن[2].

وقال القاري: (الثياب البيض من أفضل الثياب، وهي لباس الملائكة الذين نصروا رسول الله ﷺ يوم أحد وغيره، وكان ﷺ يلبس البياض ويحض على لباسه، ويأمر بتكفين الأموات فيه)[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أمر الرسول ﷺ بتكفين الموتى في الأبيض من الثياب:

جاء في صريح الحديثين أمر رسول الله ﷺ بتكفين الموتى في الثياب البيض فقال ﷺ "وكفنوا فيها موتاكم" وذلك اعتبارًا للكفن باللباس في الحياة[4]. وقال النووي: (واستحباب التكفين في الثياب البيض مجمع عليه)[5] وقد كُفِّن رسول الله ﷺ في ثياب بيض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كُفِّنَ رَسُولُ اللهِ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، مِنْ كُرْسُفٍ))[6] وقوله "سحولية" قال ابن الأعرابي وغيره هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، والكرسف هو القطن[7].

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٧/٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ج١/١٠٧٤.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٠٥.

(٦) أخرجه مسلم ٩٤١.

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥، ٦٠٦.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2] وأمرنا بالاقتداء به فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3] وذكر القرآن من لوازم محبة الله وصدق المحبة اتباع رسول الله ﷺ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

ومن ذلك اتباع رسول الله ﷺ في سنته في اللبس كما جاء في الحديثين "البسوا من ثيابكم البياض"، وقوله ﷺ: "البسوا البياض"، فإن التأسي بالنبي ﷺ لا يقتصر على مجرد أداء الفرائض، وإنما يمتد ليشمل التأسي والاقتداء في كافة أمور الدين واجبها ومندوبها، كما يشمل التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ[5]. فإن في سرعة الاستجابة لما ورد عن رسول الله ﷺ دليلاً على حسن الإسلام وقوة الإيمان، فينبغي على المسلم الاستجابة لله وللرسول ﷺ والتأسي به، والحرص على شرع الله والاستجابة له، والعمل بالأفضل والأكمل والأحوط للدين.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٣، ١٢٤.

الحديث رقم (٧٨٠)

٧٨٠- وعن سَمُرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الْبَسُوا[1] البَيَاضَ؛ فَإنَّهَا أطْهَرُ وَأطْيَبُ، وَكَفّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)) رواه النسائيُّ والحاكم[2]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من حيث الموضوع؛ فهو من باب الترغيب في لبس البياض مع بعض الاختلاف في أسلوبه ففيه إيجاز في قوله (البياض) أي من ثيابكم، وقد تركب من أسلوبين إنشائيين، تخللتهما جملة جاءت بمثابة تعليل للأولى، وترغيب للثانية، فقد بدأ بالأمر (البسوا) توجيها، وإرشاداً تلته جملة تعليلية تحقق الإقناع القلبي، والعقلي تصدرتها الفاء التعليلية، وتبعها حرف التوكيد (إن) المتصل بالضمير العائد على البياض، تأكيداً للخبر بغرض الترغيب فيه، وقوله (أطهر، وأطيب) أفعل تفضيل للمبالغة في الصفة، والجملة الأخيرة كسابقتها في الحديث المتقدم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عندهما زيادة: (الثياب). ولا توجد الزيادة عند المنذري في ترغيبه.

(٢) النسائي في الكبرى (٩٥٦٤)، والحاكم (٣٥٤/١) ولفظهما بتقديم: (وكفنوا فيها موتاكم) على قوله: (فإنها أطهر وأطيب). وفي موضع آخر عند الحاكم (١٨٥/٤) كما هنا، قال الحاكم (١٨٥/٤): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال في (٣٥٤/١): حديث صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٣).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٨١)

٧٨١- وعن البراء رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ مَرْبُوعًا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

مربوعًا : ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[2].

الحلّة : ثوبان لا يكون واحدًا وهما إزار ورداء ونحوهما. أو هي ثوب له ظهارة وبطانة من جنس واحد[3].

الشرح الأدبي

الحديث خبري الأسلوب خلى من المؤكدات في بدايته يتصدره فعل الكينونة الماضي الذي يوحي بخبر طريف واقع يتلوه، وهو ما يجعل المخاطب في ترقب، وانتظار لما يسفر عنه هذا الفعل، زاد الأمر تشويقاً بكون اسمها رسول الله ﷺ مما يعني ذكر خبر المحبوب، بالإضافة إلى أنه المشرع، وكل ما يقوله تشريع مأمور بالعمل به على الفرض، أو الاستحباب، وقوله: (ولقد رأيته) الفعل الماضي يفيد تحقق الوقوع؛ لأنه إخبار بحدث تم في الماضي، وقد أكد الفعل بـ (قد) التي تفيد تأكيد تحقق الوقوع بدخولها عليه، أضف إلى ذلك أن رأى هنا بصرية، والرؤية من أقوى طرق العلم، وقوله (في حلة حمراء) حرف الجار (في) يفيد الظرفية التي تؤكد إحاطة الظرف بالمظروف، وتؤكد ارتداءه للحلة الحمراء، وقوله: (مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قط أَحْسَنَ مِنْهُ) أسلوب نفي لرؤية

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٨٤٨، ومسلم ٢٣٣٧/٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٧/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٣٨، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل).

ما هو أحسن منه ﷺ في هذه الحلة، والجملة مفعمة بالمؤكدات إحساساً من الراوي بعظمة الرسول ﷺ واستشعاراً لجماله مختلطاً بجلاله متصعداً من قلبه على لسانه في هذه العبارة الدقيقة، ومن هذه المؤكدات التعبير بالرؤية، وصياغته في ثوب الماضي الذي يفيد تحقق الوقوع، ثم تنكير كلمة (شيئاً) وهي في سياق النفي تفيد العموم، ثم توكيد الجزم بلفظ (قط) وأفعل التفضيل التي تفيد المبالغة في الصفة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان لباس النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب الداعية: حسن الهيئة والملبس.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ:

حيث ذكر البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ كان مربوعًا، أي ليس بالطويل البائن، ولا القصير[1]، وفسر ذلك في حديث آخر عن البراء: (كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا. وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البائن وَلاَ بِالْقَصِيرِ)[2].

ولقد منح الله سبحانه وتعالى نبينا محمدًا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده[3].

ومن ذلك خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلة الخلقة - الهيئة - قال القاضي عياض: (إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخلقة وجدته ﷺ حائزًا لجميعها، محيطًا بشتات محاسنها، دون خلاف بين نقله الأخبار لذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع. أما الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه وحسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك)[4].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٥٤٩، ومسلم ٢٣٣٧.

(٣) نور اليقين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٤) الشفا ١٥٠.

وقد بوب البخاري بابًا بعنوان: صفة النبي ﷺ[١]، ذكر فيه الأحاديث الواردة في أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية.

كما خرّج مسلم مجموعة من الأحاديث في أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية بوّب عليها النووي مجموعة أبواب، منها: باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه[٢]، وباب: في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهًا[٣].

وباب: صفة شعر النبي ﷺ[٤]، وباب: صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه[٥]، وباب: كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه[٦]، وباب: صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه[٧].

كما اعتنى بذكر أوصاف النبي ﷺ العلماء الذين اهتموا بذكر الشمائل النبوية، ومن هؤلاء: البيهقي، حيث أفرد مجموعة من الأبواب في كتاب دلائل النبوة في ذكر أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية بما يبين ويوضح هيئته ﷺ[٨].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان لباس النبي ﷺ:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين كل الحرص على بيان أحوال النبي ﷺ، وأوصافه وملابسه، وفي هذين الحديثين[٩] أخبر البراء بن عازب أنه رأى النبي ﷺ يلبس حلة حمراء، كما أخبر رفاعة التيمي أنه رأى النبي ﷺ وعليه ثوبان أخضران، وفي ذلك بيان لبعض ألوان الأثواب التي كان يرتديها النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٨.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٣١.

(٨) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١/١٩٤ - ٢٠٨.

(٩) حديث رقم (٧٨١)، (٧٨٣).

وقد قال ابن القيم في بيان الحديث الأول: (ولبس حُلة حمراء، والحلة: إزار ورداء، ولا تكون الحُلة إلا اسمًا للثوبين معًا، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتًا لا يُخالطها غيره، وإنما الحلةُ الحمراء: بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود، كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، وإلا فالأحمر البحتُ منهي عنه)[1].

أما اللباس الأخضر فقد لبسه النبي ﷺ كما أخبر به رفاعة التيمي، وهو لباس محبوب إلى النفس، وخاصة أنه لون لباس أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[2]، قال السعدي: (أي قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضرين)[3].

ثالثًا - من آداب الداعية: حسن الهيئة والملبس:

إن الداعية مبلغ للدعوة، وهو رجل إعلامي من الدرجة الأولى يعلم الناس بما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، والناس يرونه قبل أن يستمعون إليه، لذا كان من الواجب عليه العناية بحسن الهيئة واللباس، وليكن له في رسول الله ﷺ - الذي كان أحسن الناس هيئة وملبسًا - القدوة والأسوة، وكما في الحديثين قول البراء بن عازب رضي الله عنه "وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت قط شيئًا أحسن منه"، وقول أبي رمثة رفاعة التيمي رضي الله عنه: "رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران"، فقوله ما رأيت قط شيئًا أحسن منه إيماء إلى انفراده ﷺ بالمحاسن[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٣٧/١، ولكن ينبغي التنبيه على أن لبس الأحمر البحث مسألة خلافية بين الفقهاء بين الجواز والكراهة، وسبق ذكره في الشرح الفقهي.

(٢) سورة الإنسان، آية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٠٢.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٨.

وقدندب الإسلام لمن آتاه الله مالاً، أن يظهر أثر نعمة الله عليه بلبس الجميل من الثياب من غير إسراف ولا مخيلة، ولا يشدد على نفسه، أو يبخل بمال، بل يلبس الجديد والجميل والنظيف من الثياب، إظهارًا لنعمة الله عليه[1]، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: ((أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ في ثَوْبٍ دُونٍ فقالَ: ألَكَ مَالٌ؟ قال: نَعَمْ، قَال: مِنْ أيِّ الْمَالِ؟ قال: قَدْ آتَاني الله مِنَ الإبلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قال: فإذَا أتَاكَ الله مَالاً فَلْيُرَ أثَرُ نِعْمَةِ الله عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ))[2]. فينبغي للداعية إلى الله أن يكون حريصًا دائمًا على حسن الهيئة واللباس عند لقاء الناس، وخاصة عند ملاقاة كبار الناس وسادتهم، فمما هو متفق عليه (استحباب التجمل بالثياب ونحوها، خاصة عند لقاء الأئمة والكبار احترامًا لهم)[3].

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٢٨).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٢.

الحديث رقم (٧٨٢)

٧٨٢-وعن أبي جُحَيفَةَ وَهْب بن عبد الله رضي الله عنه ، قَالَ: رَأيتُ النبيَّ ﷺ بمكَّةَ وَهُوَ بالأبْطَحِ في قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أدمٍ، فَخَرَجَ بِلاَلٌ بوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأنِّي أنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، فَتَوَضّأ وَأذَّنَ بِلاَلٌ، فَجَعَلْتُ أتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنَا وَهَاهُنَا، (يقولُ يَمِينًا وَشِمَالاً): حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ[1] لاَ يُمْنَعُ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(العنَزة) بفتح النون: نحو العُكازَة.

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٩).

غريب الألفاظ:

الأبطح: مسيل الوادي بمكة[3]. وهو المُحصَّب، بينه وبين منى قدر ميل.

قُبَّة: خيمة صغيرة[4].

أَدَم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ[5].

ناضح: من ينضح عليه غيره شيئًا مما ناله ويرش عليه بللاً مما حصل له[6].

نائل: ينال منه شيئًا[7].

الحُلَّة: الثوب الجيد الجديد[8].

---

(١) لفظ مسلم: (الحمار والكلب) بتقديم وتأخير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم واللفظ له (٢٤٩/٥٠٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ح).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ب ب).

(٥) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٢٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٩٤.

(٧) المرجع السابق ص ٢٩٤.

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل).

ركزت: غرزت له في الأرض[١].

عنزة: نحو العكّازة[٢].

الشرح الأدبي

الراوي يسوق أحداثاً للنبي ﷺ وأصحابه بأسلوب وصفي استخدم فيه عدة ألوان بلاغية لتقرير المعاني التي أرادها منها: الأسلوب الخبري في بداية الحديث والذي استهله بالإخبار برؤيته للنبي ﷺ في الحالة التي يصفها بالجمل الوصفية، وشبه الجمل، كقوله (وهو بالأبطح) وذكر المسند إليه هنا مع تقدم ذكره لتأكيده، وتقريره، والفصل بين الصفة، والموصوف بالجار والمجرور في قوله (في قبة له حمراء) لإفادة الاختصاص أي له لا لغيره، وقوله (من أدم) من بيانية، والأدم الجلد المدبوغ، وقوله (فخرج بلال بوضوئه فمن نائل، وناضح) الفاء عاطفة، وقوله بوضوئه فيه إيجاز بالحذف أي: بماء ليتوضأ، وأيضاً في قوله) فمن نائل، وناضح) أي انقسم الناس فبعضهم نال بعض الماء من وضوئه، ومنهم من نضح من غيره ممن نال، وهذه العبارة كناية عن محبة الصحابة لرسول الله ﷺ واستشعار لمنزلته، وبيان لعلو مكانته في قلوب الأمة التي جعلت الناس أحد قسمين متسابقين إلى فضلة النبي ﷺ.

وقوله (عليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فتوضأ) فِيهِ تَقْدِيم وَتَأْخِير تَقْدِيره فَتَوَضَّأَ فَمِنْ نَائِل بَعْد ذَلِكَ وَنَاضِح تَبَرُّكًا بِآثَارِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله (كأني أنظر إلى بياض ساقيه) استحضار للصورة الذهنية بين يدي الحديث يجعل المخاطبين كأنهم يشاركونه الرؤية، ويؤكد تمام وضوح الصورة في ذهنه، وقوله (وأذن بلال قال فجعلت أتبع فاه ههنا، وههنا) قوله: (ههنا وههنا) كناية عن الجهات أي يتوجَّه إليها، وقوله (حي على الصلاة حي على الفلاح) أسلوب إنشائي قصد به الأمر؛ لأن معنى حي اسم فعل أمر بمعنى أقبل، واستعمال اسم فعل الأمر بدلا من الأمر الصريح؛ لأن اسم فعل الأمر مع تضمُّنه لمعنى الأمر فيه إيجاز من ناحية وفيه

---

(١) رياض الصالحين ٣٢٨.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ع ن ز).

ترغيب بالإشعار بأن في الصلاة حياة، وخصب، ونماء، وحركة لازمة، وهو ما يقرره التكرار من ناحية، ويقرره لفظ الفلاح - من ناحية - بما له من إيحاء، ودلالة تقرع سمع المؤمن بين الفينة، والفينة لتقطع غفلته عن ربه، وانشغاله بدنياه لتتبهه إلى الفلاح الحق بدعوته إلى الإقبال على الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على وصف أحوال النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل بلال ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبرك الصحابة ﷺ بآثار النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على وصف أحوال النبي ﷺ:

لقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم كل الحرص على نقل كل ما رأوه من رسول الله ﷺ حتى هيئته وملبسه وألوان ثيابه كما في الحديث "رأيت النبي ﷺ بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدم"، قال ابن عثيمين: (رأى وهب بن عبدالله السوائي أبو جحيفة ﷺ، النبي ﷺ وذلك في الأبطح في حجة الوداع، فإن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، قدمها يوم الأحد، الرابع من ذي الحجة، ونزل إلى المسجد الحرام، فطاف وسعى ثم خرج إلى الأبطح، فنزل فيه إلى اليوم الثامن، وكان في هذه القبة التي ضربت له ﷺ).

يقول: فخرج، يعني حين زالت الشمس، النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني انظر إلى بياض ساقيه.

وذكر وهب ﷺ خروج بلال بما بقي من وضوء النبي ﷺ وتبرك الصحابة ﷺ به، وخروج النبي ﷺ من القبة، وأذان بلال، ثم ركز العنزة - رمح في طرفه زج - يعني رمح في طرفه حديدة محددة، كان النبي ﷺ يصحبها معه في السفر، ركزت العنزة من أجل أن يصلي فتقدم فصلى)[1]، وكان يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع.

فإذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدنا أن وهب بن عبدالله ﷺ كان حريصًا على

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٨٨ - ١٠٨٩.

وصف حال النبي ﷺ وكل ما يحيط به حرصًا شديدًا، حتى وصل الوصف إلى بياض ساقيه، وأذان بلال رضي الله عنه، وتتبعه فاه، وهذا كان دأب الصحابة رضي الله عنهم إذ أنهم كانوا حريصين على وصف أحوال النبي ﷺ.

وقد أعانهم على ذلك حبهم لشخصية رسول الله ﷺ، وطول صحبتهم له ﷺ فحفظوا عنه أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، وأكله وشربه، وهيئته وملبسه[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل بلال رضي الله عنه:

إن لبلال رضي الله عنه فضائل جمة، ومنها ما أشير إليها في الحديث من اتخاذ الرسول ﷺ له مؤذنًا "وأذن بلال" فأذن رضي الله عنه طيلة حياة النبي ﷺ ثم أذن لأبي بكر رضي الله عنه حياته[٢] وقدم للإسلام الكثير، وكان من السابقين إليه الذين أوذوا في سبيله. وذلك فضلاً عما اشتهر به واعترف له بالمناقب الحسان، فهو مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن أوذي وعذب في دينه من قريش، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من المشاهد[٣]. وقد بشر بالجنة في حياته رضي الله عنه فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنّ النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ عند صلاةِ الفجرِ: يا بلالُ حدِّثني بأرجى عملٍ عملتَهُ في الإسلامِ، فإني سمعتُ دَفَّ نعليكَ بينَ يديَّ في الجنَّة. قال: ما عملتُ عَملاً أرجى عندي أني لم أتطهَّرْ طُهُورًا في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ بذلكَ الطُّهورِ ما كُتِبَ لي أن أصلِّي))[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بآثار النبي ﷺ:

لقد اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخبارًا كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من

---

(١) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٨.

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٢.

(٣) عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ص ٥٢٦/١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٩.

آثاره ﷺ فجاء في صريح الحديث ما يدل على تبرك الصحابة رضوان الله عليهم بآثار النبي ﷺ وإقراره لهم على ذلك، ومن ذلك التبرك بآثار وضوئه ﷺ "فخرج بلال بوضوئه، فمن ناضح ونائل، قوله فمن ناضح أي من رجل مبتل أصاب بعض البلل من ذلك ومن نائل من النيل أي أصاب منه ماله وقع"(١).

قال ابن عثيمين: (خرج بلال رضي الله عنه بوضوء النبي ﷺ يعني ما بقي من مائه الذي توضأ به، فجعل الناس يأخذون منه من ناضح ونائل، يعني بعضهم أخذ كثيرًا وبعضهم أخذ قليلاً، يتبركون بفضل وضوئه ﷺ) (٢).

وقد جاء التصريح بذلك في روايةالبخاري "ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه" والأحاديث الدالة على تبرك أصحاب النبي ﷺ بآثاره وتصويبه لهم ذلك وإقرارهم عليها كثيرة منها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَىٰ فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ . قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهَا. فَأُتِيتْ فَقِيلَ لَهَا: هَذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَىٰ فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَىٰ قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَىٰ الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذٰلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: أَصَبْتِ))(٣).

وكان النبي ﷺ يوزع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسه الشريف، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون كل الحرص على أن يحصلوا شيئًا من شعره ﷺ ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرك به، فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أن رسول الله ﷺ اتى منى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا . ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: خُذْ

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٨٨/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٨١، ومسلم ٢٣٣١.

وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ))[١]. قال النووي: (وفيه التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك)[٢]، وقال القاضي عياض (وقسمته شعره ﷺ على الناس تبركًا به واستشفاعًا إلى الله)[٣]. كما ثبت كذلك أن الصحابة ﵃ كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه ﷺ للتبرك بها والاستشفاء، ومن ذلك ما روي عن أسماء بنت أبي بكر ﵄: ((أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت: إن رسول الله ﷺ كان يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها))[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٠٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٨٦/٤.

(٤) أخرجه مسلم ١٩١٥.

الحديث رقم (٧٨٣)

٧٨٣-وعن أَبي رمْثَة رفَاعَةَ التَّيْمِيِّ ﷺ، قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه ثوبانِ أخْضَرَان. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

رفاعة التيمي: هو أبو رمْثَة التيمي، ويقال التميمي من تيم الرِّباب.

اختلف في اسمه، فقيل هو رفاعة بن يثربي، وقيل يثربي بن عوف وقيل حيان بن وهب، وقيل حبيب بن حيان، وقيل خَشْخاش

له صحبة ورواية عن رسول الله ﷺ. وقد قدم على النبي ﷺ مع أبيه، فقال له رسول الله ﷺ ((آبنك هذا؟)) قال: إي ورب الكعبة! قال: ((حقًا))، قال: أشهدُ به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثَبْتِ شبهي في أبي ومن حَلْفِه عَليَّ، ثم قال له ((أما إنَّه لا يجني عليك ولا تجني عليه)) وقرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2][3].

وكان عدادُه في الكوفيين، وقد روى عنه إياد بن لقيط وثابت بن منقذ[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٦٥، والترمذي ٢٨١٢ واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٩٩٥. وقال الحاكم ٦٠٧/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود، رقم ٤٤٩٥ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٧٧٣).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥١/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٤٧٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٠٥-٨٠٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٠٨/٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٠٩/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/٤.

الشرح الأدبي

الحديث قائم على الأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات التي تقرر أنه لا يتوقع معارضة، أو إنكار، لأنه يخبر عن رؤيته هو للرسول ﷺ على تلك الحالة، وهو ما يؤكد الخبر لاعتماده أقوى طرق العلم، وهو الرؤية، وقوله) وعليه ثوبان أخضران) الواو للحال أي حالة كونه علي هذه الهيئة، وظاهره إباحة لبس الأخضر مع إباحة لبس الثوبين إذا دعت حاجة إلى ذلك، والتعبير بـ (على) الذي يفيد الاستعلاء، فيه دلالة على التمكن كأنه مشتمل بهما، وتقديم الجار والمجرور (عليه) يفيد الاختصاص، أو العناية، والاهتمام به.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٨٣) مع المضامين الدعوية للحديث (٧٨١).

الحديث رقم (٧٨٤)

٧٨٤-وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاء. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣).

الشرح الأدبي

اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بنقل دقائق حياة الرسول ﷺ وتسجيل تفاصيلها لأنها تشريعات للأمة، وقد صاغ الصحابي المعنى في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، ولمن يخبر عنه، وتربيةً للمهابة في قلوب السامعين، وقوله (يوم فتح مكة) يشير إلى أن الحدث مشهود، وأنه في جمع عظيم؛ لأن عدد المسلمين الذين كانوا مع الرسول ﷺ يوم فتح مكة بلغ عشرة آلالاف، ولذلك نص عليه تنبيهاً إلى اشتهار الخبر، وأنه معلوم لا يقبل شكاً، وقوله:) وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ (الواو للحال، وتقديم الجار، والمجرور لإفادة التخصيص، أو للعناية والاهتمام وفيه إباحة لبس العمامة السوداء.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان وصف عمامة النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب الداعي: حسن الهيئة واللباس والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً - من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

لقد أشير في الحديث إلى فتح مكة في قول جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة" وكان فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وكان النبي ﷺ قد سار إليها

---

(١) برقم ١٣٥٨/٤٥١ وزاد في آخره: (بغير إحرام).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧٤- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٨٥).

ومعه عشرة آلاف رجل، فكان الفتح الأعظم، وكسرت الأصنام، وعلت كلمة التوحيد في سماء مكة المكرمة[١] وقال عنه ابن القيم: (هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجًا)[٢]. ونزل فيه قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[٣].

قال ابن كثير: والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تتلوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي، .فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة[٤]، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: ((وكانتِ العربُ تَلوَّمُ[٥] بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق. فلما كانت وقعة أهلِ الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم))[٦].

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: بيان وصف عمامة النبي ﷺ:

جاء في الحديثين ذكر عمامة رسول الله ﷺ فقال جابر بن عبدالله "... وعليه عمامة سوداء" وكذلك في رواية أبي سعيد عمرو بن حريث "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء" قال ابن علان: (ولبسه العمامة السوداء يومئذ إشارة إلى

---

(١) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبوخليل ص ١٩٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/١٦٠.

(٣) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٥١٣.

(٥) تَلَوَّم: بفتح أوله واللم وتشديد الواو أي: تنتظر. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٦١٧.

(٦) أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

أن هذا الدين لا يتغير كالسواد بخلاف سائر الألوان[1] وفي ذلك جواز لباس الثياب السود ولبسه في الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه، فإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بيانًا للجواز[2].

قال ابن عثيمين: وفيه دليل على جواز لبس العمامة، وأن من الأفضل أن يجعل الإنسان ذؤابة، وأن يرخي طرفها من خلف، كما فعل النبي ﷺ[3] ولم يَألُ العلماء والمحدثون الأُوَل في تسجيل ما كان يستعمله النبي ﷺ من ملابس وغيرها، وعقدوا لذلك أبوابًا ككتاب الشمائل للترمذي، والشفا للقاضي عياض، وأخلاق النبي ﷺ وآدابه للأصبهاني وغيرها.

ثالثًا - من آداب الداعي: حسن الهيئة واللباس والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك:

إن من الصور الجمالية التي حث الإسلام أتباعه عليها، أن يحسنوا لباسهم ويجمّلوها وأن يصلحوا رحالهم وينظموها، حتى وهم على سفر حتى يبدو المسلمون في المجتمع الإنساني عنوانًا على الذوق والنظافة، ومدعاة للارتياح النفسي والجمال الظاهر، ويحث الإسلام أتباعه على أن يكونوا قمة في الكمال الإنساني في كل شيء حتى إنه ليدعوهم إلى اتخاذ النعال في أرجلهم، في بيئة كان معظم من فيها حفاة، فقرًا وجهلاً وطبيعة حياة[4].

وجاء في الحديث بيان لحال النبي ﷺ في دخوله مكة واهتمامه بحسن مظهره وتعممه "دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء" لذا كان من الواجب على الداعية الاهتداء بسنته ﷺ في حسن الهيئة والاهتمام بالملبس، وذلك مما حث عليه الإسلام، حتى قبل الإسلام كان أهل الجاهلية يستحسنون من الخطيب أن يكون

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص٨٥٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٩٠/٢.

(٤) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١١، ١٢.

رابط الجأش قليل اللحظ، جهير الصوت متخير اللفظ قوي الحجة، نظيف الثياب كريم الأصل[١].

رابعًا - من وسائل الدعوة: الخطبة:

ورد في الحديث الإشارة إلى الخطبة كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى: "أن رسول الله ﷺ خطب الناس" ولقد استعمل النبي ﷺ الخطبة في نشر دعوته لكثرة فائدتها وعظيم جدواها، ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي، ولها أكبر الأثر في تبليغ الدعوة[٢]. إذ أن الخطبة منذ أقدم العصور تعتبر أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس للتأثير في مشاعرهم وإيقاظ ضمائرهم، ولأهمية الخطابة عدها الإسلام من شعائره، كخطب الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها[٣]. والخطبة في الإسلام من أبرز وسائل الإعلام الديني، وليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرناها من أهم عوامل نجاح هذا النوع من العمل الدعوي والإعلامي الذي مارس دوره على مر العصور منذ انبثاق نور الدعوة الإسلامية، فلم تستطع ولن تستطيع عوامل الزمن وتعاقب الدول والحكومات، أن تنال من قدرتها الدعوية والإعلامية[٤].

---

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٢٣.

(٢) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩ ص ٤٢٢.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبدالحليم ص ١٥٨.

الحديث رقم (٧٨٥)

٧٨٥- وعن أَبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَأنِّي أنْظُرُ إِلَى رسول الله ﷺ وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

ترجمة الراوي:

عمرو بن حريث المخزومي: هو عمر بن حريث بن عمرو بن عثمان القرشي المخزومي

كنيته: أبو سعيد.

له ولأبيه وأخيه سعيد صحبة. ولد قبل الهجرة بسنتين، وأسلم في فتح مكة أو بعدها فانتقل إلى المدينة حيث أكرمه النبي ﷺ: قال: انطلق بي أبي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام شاب فدعا لي بالبركة، ومسح رأسي، وخطّ لي دارًا بالمدينة بقوس، ثم قال: ألا أزيدك[3].

فانتفع بدعائه ﷺ فبارك الله في بيعه وشرائه وكسب مالاً عظيمًا، وكان من أغنى أهل الكوفة، حيث سكنها، وابتنى دارًا بها، فكان أول قرشي يتخذ بها دارًا، وكان له فيها قدر وشرف، وولي إمارتها في أيام زياد وابنه.

كان عمره لما توفي النبي ﷺ ١٢ سنة، وشارك في الفتوحات، فشهد القادسية وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وأمره عمر بن الخطاب أن يؤم النساء في رمضان. وقد روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعليّ وابن مسعود، وبلغ مسنده ١٨ حديثًا، وتوفي بمكة عام ٨٥هـ[4].

---

(١) برقم ١٣٥٩/٤٥٣.

(٢) برقم ١٣٥٩/٤٥٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٠٦٠ مختصرًا والبيهقي في السنن الكبرى ١٤٥/٦ وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في التلخيص ٦٣/٣-٦٤.

(٤) الطبقات ٢٣/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٠٠/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٦، والسير ٤١٧/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٠٢/٥ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٦٣/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ٧٦/٥ وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٤٠٩/٢.

الشرح الأدبي

يصف الصحابي رضي الله عنه حال لباس رسول الله ﷺ بأسلوب خبري استهله بأداة التشبيه (كأن) التي تُلحق حالة بحالة، حالة حكايته لنظره للرسول ﷺ على الهيئة الموصوفة بحالة رؤيته يوم رآه، والغرض بيان حال المشبه، وهذا الأسلوب يجعل المخاطبين يشاركونه الحدث، ويعيشونه في وجدانهم، وكأنهم يرون الرسول ﷺ على الهيئة الموصوفة في الحديث برؤية هذا الصحابي، ولذلك قال (كأني أنظر) واستخدم المضارع الذي يستحضر الصورة، وحرف الجر إلى في قوله (إلى رسول الله) يصوب النظر إلى أعظم منظور إليه من البشر، وقوله: (على المنبر) يفهم منه اشتهار الخبر، وأنه من الوضوح بحيث لا يجهل، ولا ينكر، وقوله: (قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا) المعنى محقق من جهتين من ناحية (قد) ومن ناحية كون الفعل في صيغة الماضي، وقوله: (بَيْنَ كَتِفَيْهِ) تكميل بلاغي؛ لأنه استكمل وصف الهيئة، ثم زاد معنى جديداً عن طريق هذه الجملة بتحديد الموضع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٨٦)

٧٨٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثةِ أثوَاب بيضٍ سَحُوليَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"السَّحُوليَّة" بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثياب تنسب إلى سَحول: قرية باليمن. "والكُرْسُف": القطن.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

قميص: ما يلبسه الإنسان مما يلي الجلد[2].

الشرح الأدبي

تحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هيئة كفن الرسول ﷺ لونه، ومقداره، وكل ما يتعلق به، لأنه منهاج لأمته من بعده، وقد صاغت المعنى في أسلوب خبري يتسم بسكون يناسب الموقف النفسي لحالة الزوجة الصالحة التي انبعثت تحكي بعض تفاصيل ذكرى موت أحب الناس إليها، وقد بدأت بجملة فعلية (كُفِن رسول الله) بني الفعل فيها لما لم يسم فاعله، وهو المناسب لأنه لا يتعلق بذكره غرض في الكلام، ولضيق المقام بالضجر وقولها (في ثلاثةِ أثوَابٍ بيضٍ سَحُوليَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ) فيه تطبيق لسنته، وتنفيذ لوصيته وترغيب في تكفين الموتى في البياض، والسحولية نسبة لقرية في اليمن، والكرسف القطن، وقولها (لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ) أسلوب نفي مَعْنَاهُ لَمْ يُكَفَّن فِي قَمِيص وَلا عِمَامَة وَإِنَّمَا كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب غَيْرهمَا وَلَمْ يَكُنْ مَعَ الثَّلاثَة شَيْء آخَر.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٦٤، ومسلم ٩٤١/٤٥ واللفظ له.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٣٨.

فقه الحديث

هذه الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

صفة الكفن: اتفق الفقهاء على أنه يستحب في الكفن أن يكون من قطن أبيض[١].

واختلفوا فيما عدا ذلك: فذهب الحنفية إلى أن الكفن إزار وقميص ولفافة للرجل، وليس فيه عمامة في ظاهر الرواية، وللمرأة إزار وقميص وخمار وخرقة تربط بها ثدياها ولفافة.

وذهب المالكية إلى أنه قميص وعمامة وإزار ولفافتان، للرجل والمرأة معًا.

وذهب الشافعية إلى أنه ثلاث لفائف للرجل، فإن زيد كانت الزيادة قميصًا وعمامة، أما المرأة فإزار وخمار وقميص ولفافتان.

وقال الحنابلة هو للرجل ثلاث لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة، أما المرأة فتكفن في إزار ودرع وخمار ولفافتان[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان وصف كفن النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اتباع السنة في تكفين الميت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان وصف كفن النبي ﷺ:

جاء في الحديث وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لكفن رسول الله ﷺ فقالت:

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٤٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤/٢.

(٢) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ٤٠٧/١-٤١٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤١٢/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٧/٢، ٣٩١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٤/٢، ١٢٧.

"كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة" وذلك أفضل الكفن للرجل، وتقرير الاستدلال به أن الله تعالى لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل[1] وفي الحديث إشارة إلى عدة أمور هي:

أ- عدد الأثواب التي كفن فيها رسول الله ﷺ "كفن في ثلاثة أثواب".

ب- لونها "بيض".

ج- نوعها: "سحولية من كرسف" قال النووي: (وهي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن)[2].

د-خلو الثياب من الملحقات "ليس فيها قميص ولا عمامة".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: اتباع السنة في تكفين الميت:

إن مما ينبغي فعله في تكفين الميت اتباع السنة، وفعل الأفضل، وفي الحديث إشارة إلى أفضل الكفن وهو ما كفن في جنسه رسول الله ﷺ "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيهما قميص ولا عمامة" قال ابن عثيمين: (وفيه دليل على أن الأفضل أن يكفن الأموات في الثياب البيض، ولا يجعل على الميت قميص ولا عمامة[3] فينبغي اتباع السنة في تكفين الأموات، فإن كفن السنة هو أكمل الأكفان[4] وذلك لأن لبس الأبيض مأمور به بالنص من قوله ﷺ ((البَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ البَيَاضَ فإنّها مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وكفنُوا فيها مَوْتَاكُمْ))[5] وبالقياس على تكفينه ﷺ[6]. فاستدل مما سبق على أن الأولى في الكفن البياض[7].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٦٢/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٩٠/٢، ١٠٩١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣٩/١٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٨٧٨، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي دواد ٣٢٨٤).

(٦) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤١.

(٧) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٨.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في بيان أم المؤمنين عائشة ﵂ ووصفها لكفن رسول الله ﷺ وفي ذلك إخبار عن كفن النبي ﷺ لعمل المسلمين في تكفين الموتى بمثل ما كفن فيه رسول الله ﷺ، فقالت: "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة".

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية في إبلاغ وبيان أحكام الدين، ونقل سنة النبي ﷺ وأحواله في الحياة، وأثناء الموت - من الغسل والتكفين وغيره - للمدعوين حتى يقتدوا به، ويأخذوا بسنته، فيكون في ذلك الخير العظيم.

الحديث رقم (٧٨٧)

٧٨٧- وعنها، قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غَدَاةٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مرَحَّلٌ مِنْ شَعرٍ أسْوَد. رواه مسلم[1].

"المِرْط" بكسر الميم: وهو كساء، "والمُرَحَّل" بالحاء المهملة: هو الذي فيه صورة رِحال الإبل، وهي الأكوار.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس[2].

الشرح الأدبي

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أكثر المؤمنين رواية للحديث عن رسول الله ﷺ وقد روت عنه تفاصيل حياته الدقيقة التي لم يعلمها كثير من الصحابة، والتي صارت تشريعات للأمة إلى يوم القيامة، وكان الصحابة يرجعون إليها فيما أشكل عليهم كما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)[3].

وقد روت هذا الخبر للدلالة على إباحة هذا النوع من الثياب، وقد ساقت المعنى في صورة الخبر المجرد عن أساليب التوكيد لعدم اقتضاء المقام، (وعليه مرط مرحل من شعر أسود)، الواو للحال والجملة بيان لإباحة النوع، وهو نوع من الثياب يؤتزر به، ومرحل مخطط، أو موشى، وإباحة اللون، وهو الأسود، ولكن تبقى الأفضلية للبياض من الألوان.

---

(١) برقم ٢٠٨١/٣٦، و٢٤٢٤/٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٧٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و).

(٣) سنن الترمذي حديث (٣٨١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وصف عائشة رضي الله عنها للباس رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وصف عائشة رضي الله عنها للباس رسول الله ﷺ:

ورد في الحديث وصف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لأحد الأكسية التي ارتداها رسول الله ﷺ فقالت "خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مِرط مرحل من شعر أسود" والمِرط: كساء ويكون من صوف وربما كان من خَزّ أو غيره[1] مرحل أي فيه صورة رحال الإبل وفي ذلك دليل على حل تصوير ما لا روح فيه، ولا بأس في ذلك، إنما البأس في الحيوان[2] وإن ما جاء في وصف عائشة رضي الله عنها لملبس رسول الله ﷺ أحد الشواهد على حرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظ ونقل أقواله وأفعاله ﷺ، ونومه ويقظته وحركته وسكونه، وأكله وشربه ولبسه وغير ذلك[3].

وذلك دليل على حفظ المسلمين الأُوَل لسنة رسول الله ﷺ ونقلها إلى مَنْ بعدهم، حتى في الملابس والمشارب، والتي هي في مجملها حث للمسلمين على أن يكونوا قمة في الكمال الإنساني في كل شيء، فلقد حثّ الإسلام الناس على الزينة والظهور بالمظهر الحسن المقبول، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[4] وإذا ما عرفنا أن الإنسان يسجد لله فريضة خمسة أوقات في اليوم والليلة، أدركنا مدى حرص الإسلام على أن يظل المسلم دومًا في أحسن حال من الذوق والأناقة والنظافة[5].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

نلمس هذا الخلق في الحديث من حيث بساطة ملابسه ﷺ وعدم مغالاته فيها،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ر ط).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٩، دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤٢.

(٣) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٨.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١١.

تواضعًا منه ﷺ وغرسًا لهذا الخلق في نفوس أتباعه "خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود" وأولى المؤمنين بالتخلق بهذا الخلق هو الداعية، يتواضع للمدعوين ولا يتعالى عليهم، وأن يكون ممن يألفون ويُألفون، فلا يكون جافيًا خشنًا قاسيًا، ولا يظهر التعالي عليهم بعلمه، أو بتقواه، أو بقدرته وكفاءته الخطابية، ونحو ذلك مما يشعرهم أن له فضلاً عليهم، ولكي يُعِنِ الخطيب نفسه على الحرص والالتزام بالتواضع، أن يستحضر دائمًا فضله، وما ورد في الكتاب والسنة من الحث عليه قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

ويستحضر أيضًا فعله ﷺ وتخلقه بالتواضع للمدعوين[2]، فعن أبي رفاعة قال: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[3].

قال النووي: (وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم[4] فالتواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين)[5].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[6] وقال النبي ﷺ: ((ألا أُخبرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبرٍ))[7].

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٢) خطبة الجمعة، دراسة دعوية، د. سليمان بن عبدالله الحبس ص ٨٨، ٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٢٦٨/٤.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٧) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣.

الحديث رقم (٧٨٨)

٧٨٨- وعن المغيرة بن شُعْبَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ في مسير، فَقَالَ لي: ((أمَعَكَ ماءٌ؟)) قلتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى في سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أخْرَجَهُمَا مِنْ أسْفَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأسِهِ، ثُمَّ أهْوَيْتُ لأنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: ((دَعْهُمَا فَإنِّي أدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ)) وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية[2]: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ.

وفي رواية[3]: أنَّ هذِهِ القَضِيَّةَ كَانَتْ في غَزْوَةِ تَبُوكَ.

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

توارى: استتر[4].

الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء وهو من الجلد[5].

الجبة: ثوب سابغ يُلبس فوق الثياب[6].

أهويت: مددت يدي لآخذه[7].

غزوة تبوك: تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، وقد توجه إليها النبي ﷺ سنة ٩هـ، وهي آخر غزواته[8].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٩٩، واللفظ له ومسلم ٢٧٤/٧٩.

(٢) أخرجها مسلم ٢٧٤/٧٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٢١ من حديث يحيى بن بكير، عن الليث، ولفظه: (لا اعلمه إلا قال: في غزوة تبوك).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ر ي).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ د و).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٣٨.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ و ي).

(٨) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٨٩.

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث بأسلوب خبري في نقل أحداث القصة التي كان طرفيها الرسول ﷺ - والراوي، وقوله (كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر) الفعل الماضي مع إفادته التحقيق يحقق التشويق لما بعد لاسيما إن كان القصة رسول الله ﷺ، وقوله: ذات ليلة، تحديد، وتوقيت للحدث، وقوله (في سفر) بيان لملابسات الحدث، وذكر الحدث، وظرفه الزماني، والمكاني، وما يحيط به من الأمور الشائعة في رواية الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ لشدة حرصهم على رصد كل شيء عنه ﷺ لأنها أمور تساعد في معرفة خلفيات النص، وما يحيط به من دلالات.

وقوله (فَمَشَى حَتَّى) إشارة إلى أدبه ﷺ حيث ابتعد مسافة تستره عن الناس وقوله: (تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ) كناية عن ابتعاده أي: استتر في ظلامه حتى يقضي حاجته، (ثم جاء فأفرغت عليه الإداوة) تنبيء (ثم) بوقت قد يطول، أو يقصر هو وقت قضاء الحاجة، والفاء تفيد مبادرة الصحابي الرسول ﷺ فور قدومه وقوله: (وعليه جبة من صوف) يشير إلى رقة حاله، وزهده في الدنيا، وهو خير من مشى على ظهرها، يدل على ذلك قوله (فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلَ) إشارة إلى أن الجبة كانت ضيقة، وقوله: (ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ دَعْهُمَا (التعبير بـ (أهوى) يشير إلى النزول بخفة، وسرعة، وهو يفيد حفاوة الصحابي بالرسول ﷺ وتفانيه في خدمته.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم الاستعانة بالغير على الوضوء: يسن للمتطهر أن يتولى وضوءه بنفسه، من غير أن يعاونه على وضوئه أحد، فإن عاونه بالصب عليه من غير عذر فهو مباح، والترك أفضل، أما إذا كان ذلك لعذر كمرض، فلا تكون مكروهة، دفعًا للحرج والمشقة، بل قد تجب إذا لم يمكنه التطهر إلا بها، ولو بذل على ذلك أجرة مثلاً[1].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٩٠/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦١/١، والمغني، ابن قدامة ١٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي ١٢٤/١ وما بعدها.

٢- المسح على الخفين: أجمع فقهاء الأمصار على أنه جائز[(١)]. وإن كانوا قد اختلفوا في أيهما أفضل؟ المسح على الخفين، أم نزعهما وغسل القدمين.

فذهب الجمهور إلى أن الغسل أفضل، لأنه المفروض في كتاب الله عز وجل، والمسح رخصة، بينما ذهب أحمد في الصحيح من المذهب، وابن المنذر إلى أن المسح أفضل[(٢)].

قال ابن المنذر: لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض، وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه.

كما أجمعوا على أن جواز المسح مختص بالحدث الأصغر، ولا يجزئ المسح في جنابة، ولا غسل واجب، ولا مستحب[(٣)].

كما أجمعوا على اشتراط تقدم الطهارة لجواز المسح، فمن أكمل طهارته ولبس خفيه، ثم أحدث فله أن يمسح عليهما[(٤)].

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٥، والاختيار ٣٢/١، وبداية المجتهد ٢٨/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٤/١.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٢٦/١، والشرح الصغير ٢٢٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٢/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٦٩/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١، والاختيار ٣٢/١، وحاشية الصاوي ٢٥٣/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٦/١.

(٤) الإجماع لابن المنذر ٥، والاختيار ٣٢/١، وبداية المجتهد ٣٢/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٥/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مصاحبة الرسول ﷺ في السفر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع وعدم التعالي.

رابعًا: من آداب المدعو: احترام وخدمة أهل الإيمان والفضل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مصاحبة الرسول ﷺ في السفر:

جاء في الحديث ما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على مصاحبة رسول الله ﷺ وملازمته في أحواله كلها في السفر والحضر، فقال المغيرة بن شعبة "كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في مسير" ولقد عُرِفُ كثير منهم وحدثوا عن أنفسهم بمصاحبتهم لرسول الله ﷺ، فروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((إِنِّي صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي السَّفَرِ. فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ...))[1] وقد كان لصحبة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وملازمتهم له أكبر الفضل في حفظ السنة (وهي المصدر الثاني الذي يلي القرآن في تبيان عقائد الإسلام وعباداته وآدابه وشرائعه ومناهجه)[2].

لذا كان الصحابة رضي الله عنهم أولى الأمة استحقاقًا لفضل الله ورضوانه، لسبقهم في الخيرات، وحفظهم للدين والذود عن حياضه، والعمل على نشره وسطوع نوره، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

ففي هذه الآية إخبار من الله عن رضاه عن الصحابة ورضاهم عنه، بما أعد لهم من

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٩.

(٢) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٨٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

جنات النعيم، والنعيم المقيم، وعلى رأسهم السابقون من المهاجرين والأنصار[(١)]. فقد رضي الله عن الجميع، ورضى الله عنهم، عنايته بهم وإكرامه إياهم، ودفاعه أعداءهم، وأما رضاهم عنه فهو كناية عن كثرة إحسانه إليهم، حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم[(٢)].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في سؤال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة "أمعك ماء؟ قلت: نعم" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إثارة عقل المدعو وإعمال فكره، ومشاركة الداعي في الحوار، مما يكون له بالغ الأثر في قبول الدعوة والاقتناع بها. وتظهر أهمية طرح الداعية واستخدامه لأسلوب السؤال والجواب في شد انتباه المدعوين لما سوف يقوله من حديث، فالسؤال يجعل المدعوين يشاركون المتحدث في التفكير ويتعاونون معه، ويتهيئون للإجابة ومعرفة الغرض من السؤال، لذا ينبغي للداعية ألا يغفل أسلوب السؤال والجواب في مجالسه وأحاديثه.

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع وعدم التعالي:

نلمس تلك الصفة في تواضعه ﷺ في ملبسه، وإلى ذلك أشار قوله "وعليه جبة من صوف" تواضعًا منه ﷺ[(٣)] مع أنه ﷺ كان بإمكانه أن يلبس الغالي النفيس، لذا كان من أهم الصفات البارزة في حياة الدعاة التواضع، فهو سبيل للقرب من الله، ومن ثمَّ القرب من الناس[(٤)] وإقبالهم عليه والالتفاف حول دعوته، فالتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار، ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم، ويتأثرون بهم، ويتأسون

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٠٣/٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩/١١/٥.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٨٠/١٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٢٦٨/٤.

بأفعالهم، وهو موجب للرفعة، مبعث للتآلف، محقق للحب والود[1].

ولكن ينبغي التأكيد على أن لبس الصوف فقط ليس من السنة أو من التواضع المحمود، فقد كان ﷺ يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان، ذكر أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال: دخل الصَّلْتُ بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جُبة صوف، وإزارُ صوف، وعِمامة صوف، فاشمأزَّ منه محمد، وقال: أظن أن أقوامًا يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي ﷺ قد لبس الكتان والصوف والقطن، وسُنَّةُ نبينا أحقُّ أن تُتَّبَعَ. ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقوامًا يرون أن لبس الصوف دائمًا أفضلُ من غيره، فيتحرَّونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرَّون زِيًا واحدًا من الملابس، ويتحرَّون رسومًا وأوضاعًا وهيئاتٍ يرون الخروج عنها منكرًا، وليس المنكرُ إلا التقيد بها، والمحافظة عليها، وترك الخروج عنها.

والصواب أن أفضل الطرق طريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سنها، وأمر بها، ورغَّب فيها، وداوم عليها، وهي أن هديَه في اللباس: أن يلبس ما تيسر مِنَ اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة.

ولبس البرود اليمانية، والبردَ الأخضر، ولَبسَ الجبة، والقَباء، والقميص، والسراويل، والإزار، والرداء، والخف، والنعل، وأرخى الذؤابة من خَلْفِه تارة، وتركها تارة. وكان يتحلى بالعمامة تحت الحنك[2].

وليعلم المسلم أن التواضع ليس في لبس الدني من الثياب؛ لأن لبس الدني من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع، فيُذم إذا كان شهرة وخُيلاء، ويمدح إذا كان تواضعًا واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرًا وفخرًا وخيلاءً، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا لنعمة الله[3].

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٥٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٤٢ - ١٤٣.

(٣) المرجع السابق ١/١٤٦.

لذا كان التواضع ليس باللباس فقط، ولكنه بالحرص على التحلي به مع الناس؛ إذ أنه من طبائع الناس أنهم لا يقبلون من يستطيل عليهم، ويبدو منه احتقارهم أو استصغارهم، ولو كان ما يقوله حقًا وصدقًا، بل إن الاستعلاء سبب ظاهر في كره الحق ورفضه.

ومن أجل ذلك فإن التواضع ثمرة المعرفة بالله وبالنفس، وقد خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾[(١)].

ومما يلحق بهذا الباب، العلم بأن من طبائع النفوس النفرة ممن يكثر الحديث عن نفسه، أو يستجلب الثناء عليها، أو يستدر لها المديح. فالفضل من الله، ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه[(٢)].

رابعًا - من آداب المدعو: احترام وخدمة أهل الإيمان والفضل:

جاء في الحديث الدلالة على استحباب خدمة أهل الإيمان والفضل، وذلك في حكاية المغيرة بن شعبة لخدمته لرسول الله ﷺ "ثم جاء فأفرغت عليه من الإدواة... ثم أهويت لأنزع خفية فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين" وذلك لون من ألوان الاعتراف بالجميل، فإنه لا يقتصر على مجرد النطق باللسان، بل يشمل العمل بالجوارح والأركان[(٣)] وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الأدب مع النبي ﷺ واحترامه. قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[(٤)].

قال ابن كثير: (هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به رسول

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد ص ٣٠، ٣١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٠٩/٢.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٣.

الله ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، لذا ينبغي على المدعو التأسي بهديهم والاحتذاء بحذوهم، في احترام أهل الإيمان والفضل، والقيام بخدمتهم)[١].

وأفضل منازل الخلق وأولاهم بالاحترام والتوقير الأنبياء والمرسلون فهم الوسائط بين الله وخلقه، في إبلاغ رسالاته، والتعريف به وبأسمائه وصفاته ودينه وشرعه فهم أكمل الخلق علومًا وأعمالاً وأشرفهم أخلاقًا، وأشرف الناس بعدهم مرتبة العلماء، الذين يقومون بتعليم الأمة وإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، ونصر المظلوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهؤلاء أفضل أتباع الأنبياء، وهم ورثتهم حقًا دون الناس، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٢] وقال النبي ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٣] فقد جعل الله العلماء حراسًا لدينه، وحفظة لشريعته، ورجومًا لأعدائه وأعداء رسله[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦٤/٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ١٦٠٦/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

سماحة الإسلام في الملبس تتجلى في أنه لم يأمر بلون معين أو يحرم لوناً معيناً، وبهذا ترك الألوان للأعراف والتقاليد والمستجدات، توسيعاً ورحمة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية الجمالية والعناية بالمظهر:

نرى ذلك في أحاديث الباب والتي تدعو وترغب في البيض من الثياب لما فيها من زيادة على مثيلاتها من زيادة الطهارة والنقاء وحسن المظهر وانشراح الصدر، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ».

إن تفضيل الألوان الهادئة والبيضاء ونحوها فيه إشارة إلى ما عليه حياة المؤمن من البساطة واليسر وتفاؤلٌ بنظافة الصدر ونقاء السريرة.

لقد ربى الإسلام أتباعه على التجمل والتزين وتذوق الجمال "وذلك في كل شيء يسر العين ويسري في النفس إحساساً بالراحة والمتعة سواء أكان ذلك في الشكل أم اللون أم السلوك أم ما شاكل ذلك، إذ أن تنمية الجانب الجمالي والنظافي من الناحية التربوية لا يقل أهمية في تكوين شخصية الإنسان عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي، أو الروحي"[1].

إنه ينبغي على المسلم سواء أكان مربياً أو متربياً أن يُعني بظاهره وباطنه معاً، ولتتوافق عنايته بالمظهر مع الجوهر، وذلك من باب إظهار نعمة الله -سبحانه- وشكرها، ومن الجوانب المتعلقة بالنظافة الحرص على نظافة الملبس وبياضه ونقائه، وبمثل هذه الأمور وغيرها تكون طهارة الظاهر، ومنها حسن المظهر وطيب الرائحة ليكون المسلم محبوباً من إخوانه يأنسون به ويألفونه ويسعدون بجلوسهم معه ويقبلون على سماع كلامه[2].

---

(١) انظر: أصول التربية، د. إبراهيم عصمت مطاوع ص١٨٤.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص١٤٥-١٤٩.

ثانياً: غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في النفوس:

إن مما ينبغي على المربين أن يحرصوا عليه: غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في نفوس من يربونهم، فيربونهم على التقوى والحلم والصدق والأمانة والعفة والصبر والبر والصلة، والجهاد والعلم، فيكون ذلك سبباً في محبتهم لمعالي الأمور ومكارم الأخلاق[1].

ومن أبرز تلك المكارم وأفضل تلك الأخلاق لزوم التواضع، ويمكن أن نلحظ ذلك المضمون في تواضعه ﷺ في شؤونه كلها ومنها ملبسه ﷺ، ومن ذلك لبسه الصوف الخشن، كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا، حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ...».

إن التواضع "دليل على كِبَر النفس وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد وينأى به عن الكِبْر والتعالي"[2].

ثالثًا- إشباع حاجات الفرد المشروعة:

من الأمور التي تساعد على التربية واستجابة الفرد لها إشباع حاجات الفرد المشروعة، ومن ذلك تطلعه إلى تنوع الملابس وتعدد ألوانها، وذلك ليس بمحظور، فقد رأينا في أحاديث الباب تعدد ملابس الرسول ﷺ فلبس الحلة، ولبس الجبة، ولبس الثوب، والمرط، كما تعددت الألوان التي لبسها ﷺ ما بين أبيض وأحمر وأخضر، وغير ذلك، ومن تلك النصوص:

"ولقد رأيته في حلة حمراء"، "وعليه حلة حمراء".

"وعليه ثوبان أخضران".

"وعليه عمامة سوداء".

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص١٣٦.

(٢) المرجع السابق ٥٣١.

"وعليه مرط مرحل من شعر أسود".

"وعليه جبة من صوف".

"إن الإسلام لم يستهدف كبت الشهوات أو حرمان الإنسان من التمتع بها، فهو دين الوسطية، لا يحرم الإنسان من إشباع حاجاته المشروعة، وإنما يدعوه إلى التوسط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط [(1)]".

وهذا مما يجعل المسلم حريصاً على التأسي بالنبي ﷺ، في جمال الهيئة والمظهر والحرص على نظافة الثياب وطهارتها، واختيار الألوان المناسبة التي تبعث على انشراح النفس، وجلب السرور، وتشعر المسلم بالراحة النفسية التي من أسبابها البساطة والانتقاء الجيد لنوعية وألوان الملابس التي يلبسها، لأن الإسلام يحب كل جميل من الأخلاق والسلوك والعادات والمستجدات المنسجمة مع مبادئه.

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في التربية والتعليم، منها:

أ-التعليل، كما في قوله ﷺ: "البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم" وقوله ﷺ: "البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب".

وقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه لما أهوى يريد أن ينزع خفيه ﷺ: "دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين" ومسح عليهما.

ومما لا شك فيه أن تعليل الأحكام وبيان أسبابها -إن اقتضى الأمر ذلك- يدفع إلى مزيد من الامتثال والاستجابة.

ب-الملاحظة: كقول أبي جحيفة رضي الله عنه: "فخرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، فتوضأ وأذن بلال، فجعلت أتتبع فاه ههنا وههنا يقول يمينًا وشمالاً: حي على الصلاة حي على الفلاح".

والملاحظة تفيد المتعلم في الاقتداء ويستخدمها المعلم لتقويم تصرفات المتعلمين ومتابعتهم.

---

(١) النظرية التربوية، د. محمد سيف الدين فهمي ص٦٧.

ج-توجيه الأسئلة: كما في قوله ﷺ للمغيرة بن شعبة "أمعك ماء؟".

والمعلم يمكن أن يستخدم الأسئلة في معرفة ما لدى المتعلمين من معارف ومعلومات، وفي تقويمهم وتقويم أفكارهم أيضًا، كما يمكن للمعلم أن يدفع طلابه أن يوجهوا له أسئلة تتعلق بعناصر الدرس وهو يجيب عليها. وهذا يؤدي إلى ثبات المعلومات سواء القديمة أو الجديدة.

والمعلم البارع هو من يمزج بين الأساليب التعليمية حتى ينجح في أداء رسالته النبيلة.



١١٨- باب استحباب القميص

الحديث رقم (٧٨٩)

٧٨٩-عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: كَانَ أحَبُّ الثِّيَابِ إلَى رسول الله ﷺ القَمِيص. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

القميص: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب[2].

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم سلمة رضي الله عنها وقد ساقت المعنى في ثوب خبري دون مؤكدات سوق الخبر المعلوم المأنوس إلى النفوس، وقد بدأت بفعل الكينونة لتدخل عن طريقه بوابة الزمن رجوعاً في الماضي، وهو ما يحدث نوعاً من التشويق يبعث على الترقب، زادت الأمر تشويقاً بأفعل التفضيل المضافة للثياب، ثم بتعلقها بالرسول ﷺ، وقولها (القميص) وهو: ثَوْبٌ مَخِيطٌ بِكُمَّيْنِ غَيْرُ مُفْرَجٍ يُلْبَسُ تَحْتَ الثِّيَابِ، وَلا يَكُونُ إلاَّ مِنْ القُطْنِ، وفي الحديث إنْ كَانَ الْمَقْصُودُ تَعْيِينَ الأَحَبِّ فَالْقَمِيصُ خَبَرُهُ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانَ حَالِ الْقَمِيصِ عِنْدَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَهُوَ اِسْمُهُ.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم لبس القميص وكم طول كمه: يستحب لبس القميص، لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، فهو أمكن في الستر من الرداء والإزار اللذين يحتاجان كثيرًا إلى الربط والإمساك وغير ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم (١٩٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٥).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٢٩/٢.

والسنة أن يكون طول الكم إلى الرسغ لا يتجاوزه، وأن يكون واسعًا باعتدال من غير تفريط، أما الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، فهي مخالفة للسنة، لم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، لأنها من الخيلاء.

فالمكروه كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة، وما كان على طريق العادة فلا[١].

٢- حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٧، ٧٨٥).

٣- طول الإزار: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للرجل أن يكون إزاره إلى أنصاف ساقيه، وإن أراد تطويله فإلى الكعبين، فذلك أنقى لثوبه، وأتقى لربه، ويكره له ما زاد على ذلك إلا لعذر، كمن برجله جراح يؤذيه الذباب، وأسبل إزاره ليسلم من أذاها، فلا يكره، أما المرأة فقد اتفقوا على أنه يستحب لها ذيلها أسفل الكعبين بقدر شبر، فإن زدن على ذلك فمبقدار ذراع لا أكثر[٢].

٤- حكم الإسبال: أجمع العلماء على أن إسبال الإزار، ونحوه إذا كان على سبيل الخيلاء يعد كبيرة، ومن أعظم الذنوب، فيحرم على الرجل جر ثوبه، أو إزاره على وجه الكبر والتعجب والزهو.

فإن جره لغير ذلك فهو مكروه، إلا إذا كان لحاجة "كقبح ساقه مثلاً" أو لضرورة، كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الهوام، كالذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره، فلا يكره[٣].

---

(١) رد المحتار ٣٢٧/٢٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ١١٤/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، ٤٥٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٠/١.

(٢) رد المحتار ٣٢٧/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، ٤٠٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٠/١.

(٣) الكبائر ١٦٤، والزواجر ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

والإسبال لا يختص بالثوب والإزار فقط، بل يكون في كل شيء بحسبه، ففي القميص بتطويل أكمامه تطويلاً زائدًا على المعتاد، وفي العمامة بإرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة، وهكذا.

كما أجمعوا على جواز الإسبال للنساء[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أم سلمة ﵂ لأحب اللباس إلى رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أم سلمة ﵂ لأحب اللباس إلى رسول الله ﷺ:

جاء في صريح الحديث بيان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ حيث قالت أم سلمة ﵂: "كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص" والقميص اسم لما يلبس من المخيط الذي له كمان وجيب، ومعنى كان أحب اللباس إلى رسول الله ﷺ القميص أي كانت نفسه تميل إلى لبسه أكثر من غيره، من نحو رداء أو إزار لأنه أستر منهما، ولأنهما يحتاجان إلى الربط والإمساك بخلاف القميص، لأنه يستر عورته ويباشر جسمه بخلاف ما يلبس فوقه من الدثار[2]، ولأن القميص أقل مؤنة وأخف على البدن، ولابسه أكثر تواضعًا[3].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه:

إن خلق التواضع من أفضل الأخلاق وأسماها، وقد بلغ فيه رسول الله ﷺ شأوًا لا يلحقه فيه أحد من الأولين ولا من الآخرين[4] وقد جاء في الحديث مظهر من مظاهر تواضعه ﷺ، فقالت أم سلمة ﵂ "كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص"

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٥/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٧١/٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٢٨.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤٣.

(٤) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبوبكر الجزائري ص ٤٢٥.

وذلك لكون رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعًا وأبعدهم عن الكبر والخيلاء[1] فما أحرى بمحبي رسول الله ﷺ الاقتداء به في تواضعه، فإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي رسول الله ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه[2] والسبيل العملي للتأسي به ﷺ هو تطبيق السنة في حياةالفرد والجماعة، وهذا التطبيق يشمل كافة جوانب الدين من اعتقادات وعبادات وأخلاق[3] ومن ذلك خلق التواضع، الذي هو خير الخلال، وأحب الخصال إلى الله تعالى وإلى الناس[4].

وجاءت النصوص الكثيرة في الحث على التواضع والحض عليه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[6] وليس معنى التواضع أن يذل الإنسان نفسه أو يقلل من شأنه، والفرق بين التواضع والمهانة "أو الذل" أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ونعوت جلاله وتعظيمه، ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها، وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من ذلك كله خلق التواضع، وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة فهي الدناءة والخسة، وبذل النفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، ٦٥٦/٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٦٩/١، ٧٠.

(٣) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٥.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

كتواضع السَّفل في نيل شهواتهم، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع، ويبغض الضعة والمهانة[1].

(١) الروح، ابن القيم ص ٢١٠ ، ٢١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تختلف الأسماء للملابس الداخلية من زمن إلى زمن، وما يُلبس تحت الثياب ساتر نصف الجسد الأعلى يسمى بالقصص، وله بدائل شتى في زمننا هذا، وارتداءه يقي من الشمس أكثر ويشرب العرق ويحفظ الملابس الخارجية من التغيير الناتج عدم إفرازات الجسد ولهذا يستحب:

أولاً- مراعاة الراحة الجسمية:

من أهم ميادين التربية مراعاة الجانب الجسمي، وذلك بانتقاء المناسب من أطايب الطعام والشراب والملابس.

ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب من اختيار رسول الله ﷺ من الملابس ما يلائم جسمه ويلائم حرارة المكان الذي يعيش فيه، كما يدل عليه حديث الباب من حبه ﷺ للقميص لكونه "أستر للأعضاء وأقل مؤونة وأخف على البدن ولتشربه العرق وعدم تغير رائحته بسرعة لكونه من القطن"[(١)]. فلا معنى لارتداء الملابس التي تؤلم الجسد وتؤذيه وتعيقه عن القيام بما نيط به من واجبات.

إن التربية الجسمية أمر مطلوب لأهداف عديدة في ضوء التربية الإسلامية، كما أن سلامة الجسم وصحته والعناية به تزيد من سعادة الإنسان، فالعناية بالجسم وصحته وملبسه ونحو ذلك، أمر مطلوب لأنها تحقق للإنسان الصحة والسلامة من الأمراض، وليقوم بما أوجبه الله تعالى عليه في أمور دينه ودنياه"[(٢)].

ثانياً- التربية الخلقية:

ويظهر ذلك الجانب التربوي في تواضعه ﷺ في ملبسه فكان أحب الثياب إليه القميص، ومن أسرار إقبال نفسه ﷺ على لبس القميص لكون "لابسه أكثر تواضعاً"[(٣)].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٥٩.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٠٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٥٩.

إن خلق التواضع وتربية النفوس عليه من أهم الجوانب التربوية التي عمل الإسلام على ترسيخها في نفوس المؤمنين، "إذ أن التربية الأخلاقية تعد الغاية الأسمى للتربية الإسلامية، فرسول الله ﷺ، وهو قدوتنا في التربية الإسلامية أدبه ربه، وأحسن تأديبه وأثنى عليه ربه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

لقد عظُم اهتمام الإسلام بالأخلاق لما لها من قيمة في كيان الفرد والمجتمع إذ بالأخلاق يبقى للفرد كيانه واحترامه، وبالأخلاق يبقى للمجتمع كيانه واحترامه، وقد كان محقاً أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت ... فإنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

أي أن بقاؤها وتقدمها رهن بتمسكها بالأخلاق الفاضلة، ويكون ضياع الأمم وزوالها بما فيها من أفراد وجماعات وتقدم وحضارات نتيجة لتخليها عن الأخلاق[2].

"إن التربية الخلقية هي روح التربية، والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية، فالغرض الأول والأخير من التربية الإسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح، وكل درس يجب أن يشتمل على بعض الفضائل الخلقية، وكل معلم يجب أن يتصف بالأخلاق المحمودة التي يكون بها المعلم مثالياً في تدينه وسمته، فالخلق النبيل عماد التربية في الإسلام"[3].



---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٣٥، ٣٦.

(٣) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية، د. محمد بن أحمد الصالح ص٢٦٥، ٢٦٦.

١١٩- باب صفة طول القميص والكُم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

الحديث رقم (٧٩٠)

٧٩٠- عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصاريَّةِ رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيص رسول الله ﷺ إِلَى الرُّسْغِ. رواه أبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥١٨).

غريب الألفاظ:

الرُّسغ: مفصِل ما بين الساعد والكف[٢].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه في وصف لباس رسول ﷺ وترويه صحابية جليلة أسهمت مع كثير من النساء غيرها في نقل سنة رسول ﷺ وكنَّ جنباً إلى جنب مع الرجال في الحفاظ عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد صاغت الحديث بأسلوب خبري؛ لأن الحديث لا يُنكر عليها، ولا تتوقع له معارضاً لأنه معنى تؤسسه ابتداءً لوصف كُم رسول الله ﷺ وأنه كان إلى الرسغ، وهو المفصل بين الكف والساعد، وهذا الحد هو حد الاعتدال؛ لأن ما زاد على ذلك أعاق حركة الكف، وتلوث بما تتعرض له في العمل، والطعام، وغيره.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٧)، والترمذي (١٧٦٥) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وتقدم برقم (٥١٨). فيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد تفرد به، ورواه النسائي في الكبرى (٩٦٦٧) عن بديل بن ميسرة فذكره مرسلاً.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر س غ).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥١٨).

الحديث رقم (٧٩١)

٧٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) فَقَالَ أَبُو بكر: يَا رسول الله، إنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إلاَّ أنْ أتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ[1] خُيَلاءَ)) رواه البخاريُّ وروى مسلم بعضه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خيلاء: البطر والكبر والزهو والتبختر[3].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[4].

يسترخي: يتسع وينبسط وكان سبب استرخائه نحافة جسم أبي بكر[5].

أتعاهده: أحافظ عليه وألتزم به وذلك بالشد والرفع[6].

الشرح الأدبي

نص كلام الرسول ﷺ يبدأ بالاسم الموصول الذي يحمل معنى الشرط (من جر ثوبه خيلاء) وتعريف المسند إليه بالموصول للتنبيه على خطأ الفعل، ومعنى الشرط يربط فعلاً بجزائه، وتقييد النظر بيوم القيامة تتميم جيء به لنكتة، وهي زيادة الترهيب،

---

(١) لفظ البخاري: (تصنع ذلك) بدل: (ممن يفعله)، وهذا لفظ أبي داود (٤٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) بنحوه، ومسلم (٢٠٨٥/٤٤) الشطر الأول منه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر خ و)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/١٠.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/١٠، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٤٤.

والتخويف لمن يأتي هذا الفعل، لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال: (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه لم يفز، وهذا التصعيد للوعيد أثار في نفس أبي بكر ﷺ سؤالاً عن حاله، - وقد كان شديد الخوف من الله، وكلهم ﷺ كذلك، وقوله (يا رسول الله إِنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَهُ (

فيه نداء تكريم، وتشريف، ثم توكيد الخبر بأكثر من مؤكد لاستشعاره لخطر الأمر، وإضافة الإزار إلى نفسه إشارة إلى خصوصية المسألة، وقوله (يسترخي) فيه إشارة إلى أن هذا الفعل رغماً عنه، وقوله (إلا أن أتعاهده) يشير إلى تحريه، وحذره.

وقول الرسول ﷺ (إِنَّكَ لَسْتَ ممن يفعله خُيَلاءَ) أكّد له العبارة بـ (إن)، ووصلها بضمير المخاطب لتتساوق مع أسلوب عبارة الصديق المؤكدة، ومع حالته النفسية فتنتزع القلق من نفسه، وتقييد الوعيد بمن يفعله خيلاء إشارة إلى أنها سببه.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الكبر والخيلاء وآثارهما الوخيمة على الإنسان.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما خفي عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النفي.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في العمل.

أولاً - من آداب الداعية: الترهيب:

قد رهب النبي ﷺ في الحديثين من الكبر والخيلاء بقوله "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة..." وقوله ﷺ "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا".

(والترهيب كأسلوب دعوي له من الأهمية ما يجعله الأسلوب المناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمرئ للمعصية، والذي يخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق ثم إلي

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٩٢).

فجور وكفر والعياذ بالله، فكان الترهيب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيدًا عن النار، ولذا بدأ ﷺ بالإنذار تنفيذًا لأمر ربه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[١] وقال ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[٢].

وأيضًا الترهيب له موقع مفيد في نفوس الناس من وجهين:

الوجه الأول: إنه يدخل إليهم من الأبواب الفطرية وهي كراهية البؤس والعقاب.

والوجه الثاني: إن الترهيب له درجات تبدأ بالتهديد وتنتهي بالتنفيذ)[٣] (فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف... ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لابد وأن يحس لذع العقوبة على جسمه كي يستقيم)[٤].

(ولما كان الترهيب هو الأسلوب الأخير لإنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة، وجب التأكيد عليه، والحرص على العمل به في مجال الدعوة، خاصة وأن سور القرآن الكريم مملوءة بهذا الأسلوب، وكذلك السنة الصحيحة، ليكون ذلك بمشيئة الله قاطعًا للنفوس عن غيها وفسادها وخيبتها، وباعثًا لها على المسارعة وسلامتها وفلاحها)[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الكبر والخيلاء وآثارهما الوخيمة على الإنسان:

إن الكبر والخيلاء من أعظم أدلة سفول النفس وانحطاطها، فبهما يكون غضب

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١١-١٣.

(٤) انظر: مدخل علاجي لانحراف الأحداث، العلاج الإسلامي، د. محمد سلامة غباري ص ٣٢٣.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١٣.

الرب وهلاك النفس، وقد عظّم النبي ﷺ جرمهما في نص الحديثين وذلك في قوله "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" وقوله "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا".

وفي بيان ذلك قال القاضي: (المخيلة والخيلاء والبطر: بمعنى، وهو الكبر والزهو والتبختر، قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[2]...، وقال الإمام: المخيلة: يعني الكبرياء، يقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً: إذا تكبر، وهو رجل خال: أي متكبر، وذو خال: أي ذو تكبر. وقوله: "لا ينظر الله إليه يوم القيامة" أي: لا يرحمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[3])[4].

وقد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه، وذم كل جبار متكبر، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[5] وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[7] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[8].

(فالكبر والخيلاء آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عن العباد والزهاد والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦-٥٩٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٦) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ١٥.

(٨) سورة غافر، آية: ٦٠.

قال ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))(١). وإنما صار حجابًا دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزه النفس يغلق تلك الأبواب كلها. فلا يقدر صاحبه على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم، فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه ليحفظ عزه وكبره، ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم، وقبول الحق، والانقياد له)(٢).

ومن أجل ذلك بيّن النبي ﷺ سوء عواقب الكبر والخيلاء فقال: (احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)(٣) وقال ﷺ: ((يقول الله عزّ وجلّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما، ألقيته في جهنم))(٤).

قال ابن القيم: (معنى هذا الحديث، أن الكبرياء والعظمة صفتان لله عز وجل اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وإنما ضرب الرداء والإزار مثلاً، يقول: -والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحدًا فلا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق)(٥).

وقال النووي: (ومعنى ينازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه)(٦).

---

(١) أخرجه مسلم ٩١.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٩٥٣/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٤٩، ومسلم ٢٨٤٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٠.

(٥) تهذيب سنن أبي داود ٥٢/٦-٥٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٩.

وقال ﷺ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي، قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ[١] وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))[٢] قال ابن حجر: (والتجلجل بجيمين التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، وقال ابن دريد: كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته، وقال ابن فارس: التجلجل أن يسوغ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربًا متدافعًا...)[٣].

وقد بين ابن قدامة: أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات: فقال: ("الأولى": أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر خدَّه للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ، حين قال له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

الدرجة الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوي والمفاخر، تزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف، يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٥]. وكذلك التكبر بالمال،

---

(١) جُمَّته: بضم الجيم وتشديد الميم هي مجتمع الشعر إذا تدى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٨٩، ومسلم ٢٠٨٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم.

والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب.

وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاستفسار عما خفي عليه:

هذا ما يؤكده نص الحديث من سؤال أبي بكر ﷺ للنبي ﷺ قائلاً: "يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده" (فعلى المدعو أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه أو يُشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه، حتى يعبد الله وقد خلص قلبه وعقله من كل الشبهات. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2])[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: النفي:

هذا ما استعمله النبي ﷺ في الحديث من قوله "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا" والنفي هنا من الأساليب الدعوية التي يكون بها إخافة المدعو، وتوجيهه إلى عدم الكبر والبطر، بما يحقق نجاته في الدنيا والآخرة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في العمل :

قد بين الحديث أن قوام الأعمال بالنيات، وأن أحكامها تختلف بحسب اختلاف النية، وذلك من مبادئ الإسلام الأساسية، ومن قواعده الشرعية المعروفة، وهذا ما ظهر

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ١٨.

جليًا في الحديث من قول أبي بكر رضي الله عنه: "يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ إنك لست ممن يفعله خيلاء".

قال القاضي عياض: (وقوله "خيلاء": دل أن النهي إنما تعلق لمن جرّه لهذه العلة، فأما لغيرها فلا، من استعجال الرجل لحاجته وجر ثوبه خلفه، أو من قلة ثياب ردائه على كتفيه، فلا حجر، وقد جاءت في ذلك كله أحاديث صحيحة في الرخصة فيه، وكذلك إن كان جره خيلاء على الكفار أو في الحرب، لأن فيه إعزازًا للإسلام وظهوره في استحقار عدوه وغيظه، بخلاف الأول، إنما فيه استحقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم، وفي ذلك أيضًا أثر صحيح)[1]. ويقصد القاضي في ذلك قوله ﷺ ((مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ الله ومِنْهَا مَا يُبْغِضُ الله، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا الله عَزَّ وَجَلَّ فَالغَيْرَةُ في الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الَّتِي يَبْغَضُهَا الله فالْغَيْرَةُ في غَيْرِ رِيبَةٍ. وَإنَّ مِنَ الْخُيَلاَءِ مَا يُبْغِضُ الله وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ الله، فأَما الْخُيَلاَءُ الَّتي يُحِبُّ الله فاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ القِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَأَمَّا التي يَبْغَضُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَاخْتِيَالُهُ فِي البَغْيِ)) قَالَ مُوسَى[2] ((وَالفَخْرِ))[3].

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ "فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال": لما في ذلك من الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأوليائه "واختياله عند الصدقة": فإنه ربما كان من أسباب الاستكثار منها والرغوب فيها، فاختيال الرجل عند القتال هو الدخول في المعركة بنشاط وقوة، وإظهار الجلادة والتبختر فيه، والاستهانة والاستخفاف بالعدو لإدخال الروع في قلبه)[4]. (وإن كان قد روي عن ابن عمر كراهة ذلك على كل حال[5])[6].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦-٥٩٩.

(٢) موسى: موسى بن إسماعيل أحد رواة الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٥٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣١٦).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٢٤.

(٥) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٥٩٧/٣-٥٩٨.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦-٥٩٩.

وقد بين ابن حجر: (أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصد مطلقًا)[1] وقال النووي: (...، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه... إلخ)[2] وفي ذلك بيان على أن (النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها. والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم، وهما قوله: ((إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى))[3]، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه. وهذا يعم العبادات والمعاملات، والإيمان، والنذور، وسائر العقود والأفعال)[4]. (وفي ذلك بيان على أن حظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة، فعمله صالح، فله أجره، وإن كانت فاسدة، فعمله فاسد، فعليه وزره)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ١، ٥٤، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١١١/٣.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦٤/١.

الحديث رقم (٧٩٢)

٧٩٢-وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى مَنْ جَرَّ إزاره بَطَرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يسوقه أبو هريرة رضي الله عنه بأسلوب خبر مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً للخبر، وتفخيماً لأمره بما يجعله يسلك طريقه في دروب النفس، وحنايا القلوب دون أن يعترضه معترض، ونص كلام الرسول ﷺ يبدأ بأسلوب النفي الذي يحرم صاحب هذا الفعل القبيح من نظر الله يوم القيامة، والتقييد (بيوم القيامة) تصعيد للوعيد؛ لأنه يوم لا حول فيه، ولا قوة لغير الله، ثم إن هذا الخزي على رءوس الأشهاد فضيحة على الملأ، عقاباً نفسياً يتلوه عقاب جسدي - أعاذنا الله - والاسم الموصول (الذي) ينادي بخطأ هؤلاء، وخيبتهم العظيمة، والفعل (جر) يشير إلى تجاوز الثوب للحد المشروع، وقوله: (بطراً) تمييز للفعل يبين نوعه الذي سبب هذا الحرمان، وحقق الوعيد، وقد صاغه في صورة المصدر الذي يدل على الثبوت والدوام ولم يصغه في صورة الفعل الذي يفيد التجدد إشارة إلى أن صفة الكبر صفة راسخة ثابتة في نفسه تدعوه إلى الزهو، والافتخار على خلق الله - والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٨٨، ومسلم ٢٠٨٧/٤٨، وتقدم برقم ٦١٦. أورده المنذري برقم ٣٠١٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٩٣)

٧٩٣-وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا اسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزْارِ فَفِي النار)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[2].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه في الترهيب من إطالة الثوب، وتجاوز الحد الذي يتسبب في العقاب، وهو أسلوب خبري خال من المؤكدات، لأن التوكيد مرجعه إلى إحساس المتكلم المتعلق بعمق المعنى في نفسه، أو إحساسه بمعارضة المخاطب، أو شكه، أو رغبته في تعظيم الخبر في نفس المتكلم، وأكثرها أغراض نفسية تتحكم في وجود المؤكدات، أو عدمها، وكثافتها، ونوعها، فإذا لم يواجه بشك، أو إنكار مع إحساسه بإقبال المخاطب، وعنايته بالخبر ساق الخبر مجرداً عن عوامل التوكيد، نظراً لمقتضى الحال، ولعله ما كان.

وقول الرسول ﷺ: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على خطأ، وفيها إيجاز بحذف بعض صلة الموصول على تقدير (ما كان) و (أسفل) أفعل تفضيل خبر كان على رواية نصب (أسفل)، ويجوز رفعه على تقدير: (ما هو أسفل)، و (من) الأولى لابتداء الغاية، والثانية: للبيان وقوله (من الإزار) مجاز مرسل بعلاقة المجاورة؛ لأنه أطلق الإزار، وأراد بدن لابسه، كقول عنترة العبسي

فشَكَكْتُ بالرّمْحِ الأصَمّ ثِيابَهُ ليْسَ الكَريمُ على القَنَا بمُحَرَّمِ

---

(١) برقم ٥٧٨٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٠٦.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٥.

وقوله (ففي النار) زِيَادَةٍ لفَاء، كَأَنَّهَا دَخَلَتْ لِتَضْمِينِ مَا مَعْنَى الشَّرْط أَيْ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِب الإِزَار الْمُسْبَل فَهُوَ فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الكبر والخيلاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل والتكرار.

رابعًا: من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الكبر والعجب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الكبر والخيلاء:

(لما كان الكبر والتعالي على الناس، مما يتنافى مع الخلق الكريم، ويغرس الفرقة والعداوة بين المسلمين، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، شنَّ الإسلام عليه حربًا شعواء، ليطهر منه النفوس ويبعد عنه القلوب)[2]. وكان من ذلك ما ورد في نص الأحاديث من قوله ﷺ "ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار" وقوله "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" ثم ذكر ﷺ منهم "المسبل"، وفي رواية: "المسبل إزاره"، وأخيرًا من قوله ﷺ "...، من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

(وقد كان الكبر والخيلاء من أخطر أمراض الباطن، وهما دليل على ضعف التدين لدى الفرد، مما يورث لديه اختلالاً في صحته النفسية، وبهما تكون آفة استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير، والكبر والخيلاء يتخصص بالإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره)[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٩٤، ٧٩٥).

(٢) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ٢٠٣.

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ٢٤٧، والتدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، ٢١٦.

وقد بغض الله تعالى المختال المتبختر، المعرض عن الناس كبرًا وأنفة، فقال تعالى حاكيًا عن لقمان الحكيم فيما أوصى به ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١].

قال ابن كثير في قوله تعالى "ولا تمشي في الأرض مرحًا" أي: (خيلاء متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله، ولهذا قال: "إن الله لا يحب كل مختال فخور" أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره)[٢].

(ومهما أعجب المرء بنفسه، واختال في مشيته، فأخذ يطأ الأرض بشدة، ويرفع رأسه تطاولاً على الناس، فهو لن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولاً)[٣].

وهذا ما بينه الحق في قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[٤].

قال ابن كثير: (يقول تعالى ناهيًا عباده عن التجبر والتبختر في المشية: "ولا تمشي في الأرض مرحًا" أي: متبخترًا متمايلاً مشي الجبارين "إنك لن تخرق الأرض" أي: لن تقطع الأرض بمشيك...، وقوله تعالى "ولن تبلغ الجبال طولا" أي: بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك، بل يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده)[٥].

كما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ ((بَيْنَا رَجُلٌ يَجر إزاره، إذ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأرض إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٦] وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض، فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٩/٦.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ٢٠٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٥-٧٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٧٨٩.

فِي زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[١]. وفي ذلك بيان لسوء عاقبة الكبر والتعالي والخيلاء، وهذا ما وضحه ابن القيم في قوله: (وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي، من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس "شزر"[٢] ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف، ذاهب بنفسه تيهًا، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن ردّ عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم، فلا يزداد من الله إلا بعدًا، ومن الناس إلا صغارًا أو بغضًا)[٣]. فضلاً عن كونه من أهل النار لقوله ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[٤] قال النووي: (وأما الجواظ فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: الفاخر: بالخاء)[٥].

وفي ذلك بيان على وجوب الحذر من الكبر والخيلاء، لما لهما من سوء عاقبة وحال.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وتحذيرهم من كل ما فيه هلاك لهم، وهذا ما ورد في الأحاديث الثلاثة من إخباره ﷺ وتحذيره للمدعوين من الكبر والخيلاء، وكل ما يكون سببًا في هلاكهم وبعدهم عن رحمة الله فقال "ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار" وقال

---

(١) سورة القصص، آية: ٧٩-٨١.

(٢) الشزر: نظرة الإعراض أو الغضب أو الاستهانة يقال نظر إليه شزرًا. المعجم الوسيط في (ش ز ر).

(٣) الروح، ابن القيم، ٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩١٨، ومسلم ٢٨٥٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦١.

"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم...إلخ" وقال "... من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل والتكرار:

إن الإجمال والتفصيل والتكرار من الأساليب الدعوية المهمة (التي بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم إلى أهمية الأمر المدعو إليه)[١] فضلاً عن تحذيرهم من مخالفته، وقد ورد الإجمال في الحديث من قوله "ثلاث لا يكلمهم الله... إلخ" ثم تبعه التفصيل من قوله ﷺ المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" أما التكرار في الحديث من قول أبي ذر رضي الله عنه: "فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار"؛ لأن اللفظ إذا جاء مجملاً - ولا سيما مع التكرار - ينتبه له الإنسان، حتى إذا جاءه التفصيل والبيان ورد على نفس متشوقة قد تطلب البيان[٢].

رابعًا - من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الكبر والعجب:

(إن التواضع والبعد عن الكبر والعجب، بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم، لأن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالمرشدين أقبح، لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتميزهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل)[٣].

وقد بيَّن النبي ﷺ في نص الأحاديث الواردة سوء عاقبة الكبر والعجب والخيلاء، وأن ذلك من وجوب غضب الله ومقته لمن كان ذلك آفته ونهجه.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن لكل داء دواء، فقال: ((مَا أَنْزَلَ الله مِنْ داءٍ إلاَّ وأَنْزَلَ لهُ شفاءً))[٤]، (وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها، وقد جعل النبي ﷺ الجهل

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٩٥/٢.

(٢) المرجع السابق ١٠٩٥/٢.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٥٤.

داءً، وجعل دواءه سؤال العلماء)[1]، وقد بين العلماء بما أعطاهم الله من العلم أهمية التواضع وكيفية علاج الكبر والعجب فقال ابن قدامة: (وفي معالجة ذلك مقامان:

الأول: في استئصال أصله وقطع شجرته، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم من علقة، ثم من مضغة، فقد صار شيئًا مذكورًا، بعد أن كان جمادًا لا يسمع ولا يبصر، ولا يحس ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[2] ثم امتَّن عليه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[3]، وبقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[4]، فأحياه بعد الموت، وأحسن تصويره، وأخرجه إلى الدنيا، فأشبعه وأرواه، وكساه! وهداه وقوّاه.

فمن هذا بدايته، فأي وجه لكبره وفخره؟

على أنه لو دام له الوجود على اختياره، لكان لطغيانه طريق، بل قد سلط عليه الأخلاط المتضادة، والأمراض الهائلة، بينما بنيانه قد تم، إذ هو قد وهي وتهدم، لا يملك الشيء لنفسه ضرًا ولا نفعًا، بينما هو يذكر الشيء فينساه، ويستلذ الشيء فيرديه، ويروم الشيء فلا يناله، ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة.

هذا أوسط حاله، وذاك أول أمره، وأما آخر أمره، فالموت الذي يعيده جمادًا كما كان، ثم يلقى في التراب فيصير جيفة منتنة، وتبلى أعضاؤه، وتنخر عظامه، ويأكل الدود أجزاءه، ويعود ترابًا يعمل منه الكيزان، ويعمر منه البنيان، ثم بعد طول البلى

---

(١) الداء والدواء، ابن القيم، ٦.

(٢) سورة عبس، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٣) سورة عبس، آية: ٢٠.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٢.

تجمع أجزاؤه المتفرقة، ويحضر عرصة القيامة، فيرى أرضًا مبدلة، وجبالاً مسيرة، وسماء منشقة، ونجومًا منكدرة، وشمسًا مكوَّرة، وأحوالاً مظلمة، وجحيمًا تزفر، وصحائف تنشر، ويقال له: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾[1].

فيقول: وما كتابي؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها، ملكان يحصيان ما تنطق به وتعمل، من قليل وكثير، وقيام وقعود، وأكل وشرب، وقد نسيت ذلك، وأحصاه الله تعالى، فهلم إلى الحساب عليه، وأعد جوابًا له، وإلا فأنت تساق إلى النار. فإن صار إلى النار، فالبهائم أحسن حالاً منه، لأنها تعود إلى التراب، ومن هذا حاله وهو على شك من العفو عن أخطائه، كيف يتكبر؟ ومن الذي يسلم من ذنب يستحق به العقوبة، وما مثله إلا كمثل رجل جنى على ملك جناية استحق أن يضرب لأجلها ألف سوط، فحبس في السجن ليخرج فيعاقب، وهو منتظر أن يدعى به لذلك. أفتراه يتكبر على أهل السجن؟ وهل الدنيا إلا سجن، وهل المعاصي إلا موجبة للعقاب؟

وأما معرفة ربه، فيكفيه أن ينظر آثار قدرته وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر.

ومن العلاج العملي التواضع لله تعالى ولعباده، وذلك بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين، والاقتداء بسنة وسيرة سيد المرسلين محمد ﷺ فيما كان عليه من التواضع والأخلاق الجميلة.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأنساب، فمن اعتراه الكبر من جهة النسب فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره، ثم يعلم أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق، عاد أعجز من كل عاجز، وإن حُمي يوم تُحَلّلُ من قوته ما لا يعود في مدة، وإن شوكة لو دخلت في

(١) سورة الإسراء، آية: ١٤.

رجله لأعجزته، وبقة لو دخلت في أذنه لأقلقته.

ومن تكبر بسبب الغنى، فإذا تأمل خلقًا من اليهود، وجدهم أغنى منه، فأفٍ لشرف تسبق به اليهود، ويستلبه السارق في لحظة، فيعود صاحبه ذليلاً.

ومن تكبر بسبب العلم، فليعلم أن حجة الله على العالم آكد من الجاهل، وليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره، كما أن قدره أعظم من قدر غيره.

وليعلم أيضًا أن الكبر لا يليق إلا بالله سبحانه، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عند الله تعالى بغيضًا عنده. وقد أحب الله منه أن يتواضع، وكذلك على كل سبب يعالجه بنقيضه ويستعمل التواضع.

واعلم أن هذا الخُلق كسائر الأخلاق له طرفان ووسط.

فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا.

وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسًا، ومذلة.

والوسط يسمى تواضعًا، وهو المحمود، وهو أن يتواضع من غير مذلة، فخير الأمور أوساطها، فمن تقدم على أقرانه فهو متكبر، ومن تأخر عنهم، فهو متواضع، لأنه قد وضع شيئًا من قدره، فأما إذا دخل على العالم إسكاف أو نحوه، فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه، ثم قدم له نعله ومشى معه إلى الباب، فقد تخاسس وتذلل، فذلك غير محمود، بل المحمود العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، لكن يتواضع للسوقة بالرفق في السؤال واللين في الكلام، وإجابة الدعوة، والسعي في الحاجة، ولا يحقره، ولا يستصغره، والله أعلم)[1].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب:

قد ورد في الحديث تكرار النبي ﷺ لقول: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"، حتى يلفت النبي ﷺ أنظار الأمة إلى عظم

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٥١-٢٥٤.

هذه الكبائر وخطورتها على المجتمع، إذ تعتبر بحق معاول هدم فيه، فالخصلة الأولى: وهي الإسبال في الإزار (وقد نهى النبي ﷺ عن الإسبال: لما فيه من النخوة والكبر)[١].

وإطلاق النهي على الإسبال محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، وهذا ما أكده النووي في قوله: (المسبل إزاره فمعناه المرخي الجار طرفه خيلاء...، والخيلاء الكبر)[٢]، وليس أدل على ذلك من قول أبي بكر ﷺ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ إزَارِي يَسْتَرْخِي إلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاَءَ))[٣] (وكان السبب في ذلك ما علمه النبي ﷺ من نقاء سره، وأنه لا يقصد به الخيلاء والكبر، وكان رجلاً نحيفًا قليل اللحم. وكان لا يستمسك إزاره إذا شَدَّه على حَقوه، فإذا سقط إزاره جَرَّه فرخص له رسول الله ﷺ في ذلك وعذره)[٤].

أما الخصلة الثانية التي نهى عنها النبي ﷺ وتوعد صاحبها هي المنّ: (والمنان هو الذي يكثر في ذكر إحسانه ممتنًا به على المحسن إليه)[٥]، وقد بين الخطابي: أن المنان يتأوَّل على وجهين: أحدهما: من المنة، وهي - إن وقعت في الصدقة -أبطلت الأجر، وإن كانت في المعروف كدَّرت الصنيعة وأفسدتها- وقد حذر الحق تبارك وتعالى من ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[٦] أي: (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة... إلخ)[٧].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥١/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٦٥.

(٤) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥٢/٦.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٩٦/٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩٤/١.

والوجه الآخر: أن يراد بالمنِّ: النقص يريد النقص من الحق، والخيانة في الوزن والكيل ونحوهما، ومن هذا قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[(١)] أي غير منقوص. قالوا: ومن ذلك سُمي الموتُ مَنوناً، لأنه ينقص الأعداد ويقطع الأعمار)[(٢)].

أما الخصلة الثالثة: والتي توعد النبي ﷺ صاحبها بشدة العذاب هي "الحلف بالله كاذبًا" وقد سماه النبي ﷺ باليمين الغموس (وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفار فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله.

ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[(٣)]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[(٤)])[(٥)]. فكانت اليمين الغموس دليلاً على ضعف إيمان الحالف بالله كذبًا وعدم الخوف منه جل وعلا، وبهذا تنعدم الثقة بين أفراد المجتمع الواحد، ويصبح على شفا حفرة من النار، ومن أجل ذلك استحق صاحبها العذاب الشديد، والوعيد الأكيد من الله تعالى يوم القيامة.

وهذا ما بينه النووي في قوله: (ومعنى لا يكلمهم أي لا يكلمهم تكليم أهل

---

(١) سورة القلم، الآية:٣.

(٢) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٦/٥١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٩٨.

(٥) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ص ٣٨٨.

الخيرات وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب وقيل: المراد الإعراض عنهم، وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية، ومعنى لا ينظر إليهم أي يعرض عنهم...، ومعنى لا يزكيهم لا يطهرهم من دنس ذنوبهم...، ومعنى عذاب أليم مؤلم، قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إليهم، والعذاب كل ما يُعيى الإنسان ويشق عليه...إلخ)[1] وفي ذلك ترهيب وتحذير عظيم من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

الحديث رقم (٧٩٤)

٧٩٤- وعن أَبي ذر رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) قَالَ: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مِرار، قَالَ أَبُو ذرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((المُسْبِلُ، وَالمنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكاذِبِ)) رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: ((المُسْبِلُ إزَارَهُ)).

ترجمة الراوي:

ابو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم. وقيل: لا يثني عليهم[3].

المسبل إزاره: المرخي ثوبه الجارّ طرفه كبرًا وخيلاء[4].

المنان: الفخور على من أعطى حتى يفسد عطاءه[5].

المنفق سلعته: المروِّج سلعته[6].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[7].

---

(١) برقم ١٧١/١٠٦. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١١.

(٢) بعد حديث ١٧١/١٠٦، بدون رقم. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٠١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

(٤) المرجع السابق ص ١٦١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن ن).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف ق).

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ...)، ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة، والترقب، والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (ثلاثة...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكَّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وتنكير كلمة (ثلاثة) بغرض التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير.

والمتأمل لأسلوب الفصل، والوصل بين الجمل الثلاث التي وصفت بها النكرة في قوله: (لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم) يجد أن الجمل الثلاث الأولى جاءت بالسلب منفية بـ (لا) تُجرِّد النكرة من أجر الثواب، وصالح العمل.

ثم تُقرر الجملة الاسمية الأخيرة (ولهم عذاب أليم) وهي للدوام والثبوت المفاد من اسميتها تقرر بتقديم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه، ثم بوصف المسند إليه وصفاً على المبالغة قَطْعَ كل وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل.

والجمل الثلاث يلزم بعضها بعضاً من جهة المعنى، فكل مفهوم يؤكد ما سبقه، فالمحروم من رحمة كلام الله ومتعة إقباله عليه محروم - لا أشك - من نظره إليه، ومن لا يكلمه الله ولا ينظر إليه غضباً لا يكون محل تزكيته، ثم من كان كذلك كله ليس له إلا العذاب الأليم، والجمل الثلاث وصلت بالواو للتناسب، وعدم المانع، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فهي حاصلة بالتنويع، لأنها ألوان ما بين الألم النفسي والمعنوي والحسي، ثم جاء التكرار لهذه الجمل ثلاثاً كما - حكى الصحابي - فصعَّد الوعيد والإنذار، وبلغ به أعظم درجة في أنفس المخاطبين، وقرر المعنى تقريراً لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة، يتحلل بها من تبعات ما ألقي إليه، أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف الرسول ﷺ من عناية واهتمام

فهذا التكرار بهذه الجمل الثلاث ارتقى بإحساس المتلقين لدرجة الخطر المحدق بكل متكبر أو منان أو كذاب، وصوَّر فِعالهم شبحاً يطارد في النفوس الإحساس بالعجب، أو الرغبة في المن، أو الجرأة على الحلف كذباً مما يقوِّم الخطأ ويصلح النفوس.

نضيف إلى ذلك الامتزاج بين التكرار المعنوي المطبق لألوان الحرمان من كلام الله، ثم نظره، ثم تزكيته، ثم المآل إلى العذاب الأليم مع التكرار اللفظي الذي يصفع هؤلاء المخطئين، ويزلزل بنيان الرغبة في الشر، ويزيله من نفوسهم.

وقوله (المسبل) المرسل لإزاره وثوبه' وهو كناية عن موصوف وهو المتكبر المختال المتعالي على الناس، وهذه الكناية تبيّن موضع الخطأ، وتدلل عليه وتوضح سبب الطرد من النعم، وأنه يرجع إلى تعالي هذا المتكبر، واختياله وتدلل الكناية على ذلك بأنه يجر ثوبه خيلاءً وزهواً على غيره، وقوله: (المنان) المن القطع، واستخدام لفظ المنان بمعنى القاطع للذي يفسد ما أعطى، ويبطله بالحديث عنه تيهاً وعجباً وإيذاءً لمشاعر المحتاجين، والفقراء على سبيل الاستعارة فقد استعار (المن) الذي هو القطع الذي يتعلق بالأمور الحسية لمن يضيع ثوابه بالحديث عنه عجباً وفخراً بجامع فعل ما يمنع الخير في كلٍ على سبيل الاستعارة التصريحية.

والمتأمل لأسلوب الرسول ﷺ البلاغي في تقويم هذه الأخطار، ومقاومة هذه النماذج السيئة في المجتمع المسلم يرى أنه لم يواجه هؤلاء بالعقاب دفعة واحدة، وإنما استخدم أسلوب التدرج تصعيداً للهول، وارتقاءً به في مسارب النفوس حتى يتغلغل فيها فيطرد شبح الكبر والخيلاء والتعالي على الناس بالمن والإيذاء، أو التجرؤ على الكذب والحلف عليه خداعاً للغافلين[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع – دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري إبراهيم – ١٦٠.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٩٥)

٧٩٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((الإسْبَالُ في الإزار، وَالقَمِيصِ، وَالعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا[1] خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه أَبُو داود والنسائيُّ[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الإسبال في الإزار: إرخاء الثوب إلى أسفل من الكعبين[3].

القميص: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب[4].

الشرح الأدبي

ساق الرسول ﷺ حديثه في أسلوب خبري دون مؤكدات بذكر المسند إليه تشويقاً إلى الخبر؛ لأنه لا يؤتي بالمسند إليه عارياً عن العوامل إلا بنية الإسناد أي الإخبار عنه، وقد أخبر عنه بعدد من الأمور التي تشترك في الحكم وهي (الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ) وهي أنواع من اللباس يمكن أن يتطرق إلى نفس صاحبها حب التكبر بإطالتها عن الحد إدلالاً بغناه، واحتقاراً للفقراء من خلق الله، ولذلك جاء أسلوب الشرط عن طريق الموصول الذي ينبه إلى خطأ الفعل (مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلاءَ)، وتنكير (شيئاً) للتقليل أي لا يجر على صفة الكبر قليلاً، ولا كثيراً، وقوله: بقوله: (خيلاء) أي تكبراً وهو بيان سبب العقاب، والجزاء قوله: (لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وتقييد الكلام والنظر بيوم القيامة تتميم بلاغي جيء به لنكتة، وهي زيادة الترهيب،

---

(١) عندهما زيادة: (منها).

(٢) اخرجه أبو داود ٤٠٩٤، والنسائي في الكبرى ٩٦٢٧، وفي الصغرى ٥٣٣٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠١٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

والتخويف لهؤلاء الثلاثة، لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال: (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه عظمت فضيحته، لأنها على رءوس الأشهاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٩٣، ٧٩٤).

الحديث رقم (٧٩٦)

٧٩٦- وعن أَبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيْم ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لا يَقُولُ شَيْئًا إلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قالوا: رسولُ الله ﷺ. قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله -مرّتين- قَالَ: ((لاَ تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلامُ، عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى[1]، قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ)) قَالَ: قُلْتُ: أنْتَ رسول اللهِ؟ قَالَ: ((أنَا رسول الله الَّذِي إذَا أصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَه عَنْكَ، وَإِذَا أصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أوْ فَلاَةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ، فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ)) قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إلَيَّ. قَالَ: ((لاَ تَسُبَّنَّ أحَدًا)) قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ بَعِيرًا، وَلاَ شَاةً، ((ولاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وأنْ تُكَلِّمَ أخَاكَ وَأنْتَ مُنْبَسِطٌ إلَيْهِ وَجْهُكَ، إنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إزَارَكَ إلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإنْ أبَيْتَ فَإلَى الكَعْبَيْنِ، وَإيَّاكَ وَإسْبَالَ الإزَار فَإنَّهَا مِنَ المخيلَةِ. وَإنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المَخِيلَةَ؛ وَإن امْرُؤٌ شَتَمَكَ وعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2] بإسناد صحيح، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو جري الهجيمي: هو سليم بن جابر أو جري الهجيمي.

مشهور بكنيته.

سكن البصرة، وله صُحبة ورواية عن النبي ﷺ وقد روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[3].

---

(١) لفظ أبي داود: (الميت).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٨٤ واللفظ له، والترمذي ٢٧٢٢ ولم يذكر القصة. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٢٢، وقال الحاكم ١٨٦/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٩٧. وسيكرره المؤلف مختصرًا برقم ٨٥٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٤، ٥٣٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١١٧، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٣/٧، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٧٤/٨، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٠٢/٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٨٧/١-٤٨٨.

غريب الألفاظ:

يصدر الناس عن رأيه: يقبلون قوله[١].

سَنَة: قحط وجدب[٢].

قفر: أرض خالية عن الماء والشجر[٣].

فلاة: الأرض الواسعة المقفرة[٤].

راحلتك: الراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال[٥].

اعهد إليَّ: أوصني بما أنتفع به[٦].

إزارك: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٧].

إسبال الإزار: إرخاؤه وإرساله أسفل الكعبين[٨].

المخيلة: بمعنى الخيلاء والتكبر[٩].

وبال: العذاب في الآخرة[١٠].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قصصي قائم على الحوار، وفيه دلالة على فطنة الرسول ﷺ في التعامل مع الناس، وخطابهم على قدر عقولهم، وتبعاً لطبيعة كل واحد منهم تبدو من تأمل عبارات الحديث، فقول الرجل بدايةً (رَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ) تنكير

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ن و).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ق ف ر).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ل و).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ح ل).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د).

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤، ومعجم الفقهاء ٣٦.

(٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ي ل).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ب ل).

كلمة رجل للتعظيم يدل على ذلك ما بعده، وقوله (يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ) استعارة حيث شبه الْمُنْصَرِفِينَ عَنْهُ ﷺ بَعْد تَوَجُّههمْ إِلَيْهِ لِسُؤَالِ مَعَادهمْ وَمَعَاشهمْ بِوَارِدَةٍ صَدَرُوا عَنْ الْمَنْهَل بَعْد الرِّيّ أَيْ يَنْصَرِفُونَ عَمَّا يَرَاهُ وَيَسْتَصْوِبُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وفيها دلالة أن الرسول يحقق لكل سائل مطلبه كما يتحقق لكل من ورد المنهل ما يريد.

وقوله (لا يَقُولُ شَيْئًا إِلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ) توكيد للجملة السابقة عن طريق أسلوب القصر الذي يقرر الطاعة المطلقة من الصحابة له ﷺ، وتنكيره لكلمة (شيئاً) يفيد التعميم، وقوله (عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ) التكرار يدل على أن الرسول ﷺ لم يجبه في المرة الأولى؛ لأنه سلمً على عادتهم في الجاهلية يقولون عليك السلام، والتقديم يقتضي الاختصاص أي: عليك وحدك السلام لا يتجاوزك إلى غيرك، والإسلام يسعى إلى تعميم الخير، ودعاء الإنسان له، ولغيره أحرى أن يستجاب؛ ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ إرشادا وتوجيهاً، مرتبطاً بفاء التعليل المؤذنة بالإقناع العقلي باجتناب ما نهى عنه، متبوعة بالتعبير الصواب في قوله: (لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلْ السَّلامُ عَلَيْكَ)، وقول الرسول ﷺ (قل السلام عليك) بتقديم السلام لا يفيد قصره عليه وحده، كما أنه فِي الدُّعَاء بِالْخَيْرِ يُقَدِّم إِسْم الدُّعَاء الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب الَّذِي تَشْتَهِيه النُّفُوس فَيَبْدَأ الْقَلْب وَالسَّمْع ذِكْر إِسْم الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب ثُمَّ يَتْبَعهُ بِذِكْرِ الْمَدْعُوّ لَهُ. وَأَمَّا فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ فَفِي تَقْدِيم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ إِيذَان بِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ الدُّعَاء كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَذَا لَك وَحْدك، لا يُشْرِكك فِيهِ الدَّاعِي وَلا غَيْره، بِخِلاف الدُّعَاء بِالْخَيْرِ. فَإِنَّ الْمَطْلُوب عُمُومه. وَكُلَّمَا عَمَّمَ بِهِ الدَّاعِي كَانَ أَفْضَل. فَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيم مُؤْذِنًا بِالاخْتِصَاصِ تُرِك، وتلك طريقة القرآن في الدعاء بالخير يعمم كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿رَحْمَة اللَّه وَبَرَكَاته عَلَيْكُمْ أَهْل الْبَيْت﴾: وَقَوْله (وَسَلام عَلَيْهِ يَوْم وُلِدَ وَيَوْم يَمُوت): وَقَوْله: (سَلام عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ): وفي الدعاء بالشر يخص الظالمين ؛فَيُقَدِّم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ عَلَى الدُّعَاء غَالِبًا، كَقَوْلِهِ لإِبْلِيس ﴿وَأَنَّ عَلَيْك لَعْنَتِي﴾: وَقَوْله ﴿وَإِنَّ عَلَيْك اللَّعْنَة﴾: وَقَوْله ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَة السَّوْء﴾: وَقَوْله ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَب وَلَهُمْ عَذَاب شَدِيد﴾.

وإجابة الرسول ﷺ عن الاستفهام التقريري للرجل بقوله (أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أَوْ فَلاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْك) وكان من الممكن أن يكتفي بقوله أنا رسول الله، ولكنه ذكر بعدها ما يجول بنفس الرجل من مخاوف فبددها، وعمد إلى رغباته فحققها، تألفاً له على الإسلام، فما كان منه إلا أن قال (اعهد إلى: قَالَ لا تَسُبَّنَّ أَحَدًا) أكد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد، ونكّر المفعول للتعميم، وقول الرجل (فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلا عَبْدًا وَلا بَعِيرًا وَلا شَاةً) كناية عن شدة التزامه لأمر الرسول ﷺ، وفيها تدرج من الأعلى إلى الأدنى حيث ذكر الحر فالعبد فالبعير فالشاة.

وقوله: (وَلا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ) نهى عن الاستهانة بالمعروف مهما قل، وتنكير (شيئاً) للتعميم، ولذلك أكده بقوله (وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ) والضمير أنت للاختصاص، والتعبير باسم الفاعل منبسط دون الفعل تنبسط للدلالة على لزوم ذلك، وثباته، وقوله (إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ) توكيد للجملة السابقة، والإشارة فيه للتعظيم وقوله: (وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ) أمر توجيه، وإرشاد، وفيه تدرج رعاية لقدرة المخاطب.

وقوله (وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ) نهي مؤكد للأمر السابق عن طريق أسلوب التحذير، وقد علل هذا النهي بقوله) فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ) وقوله (وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ) استخدام (إن) كأداة شرط إشارة إلى ندرة حدوثه وهو من حسن الظن بالمسلمين، وقد علل النهي الذي ورد في سياق الشرط بجملة القصر (فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ) لتخصيص الهلاك به.

فقه الحديث

الأكمل في السلام: الأكمل أن يقول: السلام عليكم، بتأخير الجار والمجرور، فلو قال عليكم السلام أو عليك السلام، كان مخالفاً للأكمل. لما روى جابر بن سليم رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله قال: "لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى. ولكن قل: السلام عليك".

قال القرطبي: (لما جرت عادة العرب بتقديم اسم المدعو عليه في الشر كقولهم "عليه لعنة الله وغضب الله" نهاه عن ذلك. لا أن ذالك هو اللفظ المشروع في حق الموتى. لأنه عليه السلام ثبت عنه أنه سلّم على الموتى، كما سلّم على الأحياء، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لا حقون))[١])[٢]. كما قال الغزالي: وعلى كل حال فيجب رد السلام[٣].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (وقد يحتمل أن حديث عائشة وغيره في السلام على أهل القبور جميعهم إذا دخلها وأشرف عليها، وحديث جابر بن سليم خاصٌ بالسلام على المزور المقصود بالزيارة والله أعلم)[٤].

أمّا رد السلام بالإشارة في الصلاة، فقد ذكر الصنعاني أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب جماعة إلى أنّه يردبعد السلام من الصلاة. وقال قوم: يردّ في نفسهوقال قوم: يرد بالإشارة. كما أفاده حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قلت لبلال: كيف رأيت النبي يرد عليهم حين يسلمون عليه، وهو يصلّي؟ قال: يقول هكذا، وبسطه كفه)[٥]. قال الصنعاني: (هذا هو أقرب الأقوال للدليل وما عداه لم يأت به دليل)[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تصحيح أخطاء المدعو.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعويين.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٧٤.

(٢) تفسير القرطبي ٦/٤٩٤-٤٩٥. وقد نقله عن أبي العباس القرطبي صاحب المفهم ٥/٤٨٥-٤٨٦.

(٣) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٨١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦/٤٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٢٧، والترمذي ٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٨٢٠).

(٦) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ١٦١.

خامسًا: من فقه الداعية: مخاطبة المدعوين بما يفهمون.

سادسًا: من آداب المدعو: سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي عليه فعله.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن السباب، وعدم احتقار المعروف والبشاشة مع الناس.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث بيان حال الصحابة ﭫ في اتباعهم وامتثالهم لأمر النبي ﷺ، وذلك من قول الراوي "رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه؛ (أي يأخذون منه كل ما حكم به ويقبلون حكمه)[١]، وأفاد الإخبار عن باقي توجيهات النبي ﷺ للراوي من عدم قول عليك السلام، وبيان قدرة الله عز وجل على كشف الضر وإجابة الدعوة، وكذلك التوجيه بعدم سب أحد من الناس، وعدم استقلال أو احتقار شيء من المعروف وإن كان قليلاً، ولقاء لناس بوجه منبسط بشوس، والتوجيه بعدم إسبال الثوب، وعدم رد الشتم والتعيير وإن تعرض له، وأن ذلك سوف يكون له عذابه في الآخرة فدعه لمن يفعله،

إن الإخبار من الأساليب التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه ﷺ، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الدعوة وإخبار المدعوين بها، فقال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

(إن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي يتحقق بها البيان العام لدى السائل عما خفي عنه، فضلاً عن وضع المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قول الراوي: "قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ".

---

(١) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم الأمير آبادي ص ١٧٥٣.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٢/٥٨-٥٩.

وقول رسول الله ﷺ: "قلت: أنت رسول الله؟ قال: ... نعم"، فأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تحقق المشاركة الفعالة في الحوار بين الداعية والمدعوين، فينبغي على الداعية تفعيله بسؤال المدعوين، وتشجيعهم على سؤاله، وإجابته على أسئلتهم.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تصحيح أخطاء المدعو:

إن من المهام الجليلة التي تناط بالداعية إلى الله تعالى، تصحيح أخطاء المدعو، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول النبي ﷺ: "لا تقل عليك السلام -عليك السلام تحية الموتى- قل: السلام عليكم" وقد بين الخطابي: (أن هذا يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له عليك السلام كما يفعله كثير من العامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة، فقال: "السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين... إلخ"[1]، فقدم الدعاء على اسم المدعو له، كما هو في تحية الأحياء، وإنما قال ذلك القول إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات، إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء، وهو مذكور في أشعارهم، كقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وكقول الشمّاخ:

عليك سلام من أديم، وباركت يدُ الله في ذاك الأديم الممزّق

فالسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات، بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكرناه، والله أعلم)[2].

(فعلى الداعية أن يصحح ما كان من أخطاء للمدعو، مع أهمية مراعاة لين الجانب والترفّع عن الغلظة، وأن ينظر إلى المدعو في ذلك بروح الناصح الشفيق، وبعطف الأب المخلص الرحيم، وبناء على ذلك يستطيع الداعية أن يملك على الناس قلوبهم، ويستحوذ

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابي داود ٢٧٧٣).

(٢) معالم السنن ٦/٤٨-٥٠.

على نفوسهم ومشاعرهم، بل يكون له في المجتمع أثر، وفي مجال الإصلاح تغيير، وفي سيرة الدعاة قدوة)[١].

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن بيان الحقائق وإظهارها يعد وبحق من أقرب السبل لتحقيق الغاية في الدعوة إلى الله، فهو السبيل الأمثل إلى قناعة العقول، ورضا النفوس، بما ينعكس على استجابة المدعو وقبوله للدعوة.

وهذا ما ورد في الحديث من بيان النبي ﷺ لقدرة الله وعظمته ورحمته وذلك في قوله ﷺ "أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك،وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك، فدعوته ردها عليك".

قال صاحب عون المعبود: (في قوله ﷺ "الذي إذا أصابك ... إلخ": صفة لله عز وجل "فدعوته": بصيغة الخطاب "كشفه عنك": أي دفعه عنك "عام سنة": أي قحط وجدب "أنبتها لك": أي صيرها ذات نبات أي بدلها خصبًا "بأرض قفر": بفتح القاف وسكون الفاء أي خالية عن الماء والشجر "أو فلاة" أي مفازة "فضلت راحلتك" أي ضاعت وغابت عنك "اعهد إلي" أي أوصني بما أنتفع به)[٢].

وفي أهمية بيان الحقائق للمدعوين قال د. البوطي: (يجب النظر في حال من ندعوه إلى الله تعالى ونبصره بحقائق الإسلام، وما استيقنه عقله من مبادئه الاعتقادية. فنبدأ معه من حيث وصل إليه وصولاً صحيحًا سليمًا. فإن لم يكن قد تجمع في يقينه العقلي أي شيء من حقائق الإسلام بعد، فلابد من الرجوع معه إلى النقطة الأساسية الأولى، ألا وهي وجود الله عز وجل، وعرض البراهين والأدلة العلمية على ذلك. ومن الخطأ الفادح أن تنزل بمثل هذا الإنسان إلى أي حقيقة أخرى تقف دون مسألة الإيمان بوجود الله،

---

(١) انظر: مواقف الداعية التعبيرية، عبدالله ناصح علوان، ١٩، ٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤.

فتحدثه عنها أو تناقشه فيها، أو أن تنقاد له إذا أراد أن يصرفك عن هذه المسألة الأساسية، إلى الخوض في أي المسائل الاعتقادية الأخرى المتفرعة عنها. بل إن عليك أن تعلم بأنك في انحرافك إلى هذه الخطيئة تبذل جهدًا ضائعًا لن تعود منه بأي جدوى، بل إن عليك أن تعلم بأن الرجل منطقي مع نفسه في ألا يصغي إلى شيء من براهينك التي تعرضها لتلك المسائل، التي تأتي في الترتيب المنهجي بعد مسألة اليقين بوجود الله عز وجل، وبألا يصدق بواحدة منها. وهو إن شغلك بهذه المسائل، مع جحوده بالله عز وجل، لا يفعل ذلك إلا صرفًا لك عن الأساس الأول، الذي يكمن فيه حل المعضلات كلها.

فإذا انتهيت معه إلى اليقين بوجود الله عز وجل. فقد آن لك عندئذ أن تنتقل معه إلى الحديث عن صفات الله عز وجل وما يليق به وما لا يليق.. فإذا انتهى معك إلى يقين بذلك، فقد آن أن تشرح له دلائل النبوات وبراهين نبوة الأنبياء جميعًا، ونبوة محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، وأن تحدثه بعد ذلك عن القرآن ودلائل كونه كلام رب العالمين، وعن مظاهر الإعجاز فيه، ثم عن معنى الدين الذي أنزله الله على الأنبياء جميعًا وكيف أنه دين واحد، بل لا يمكن إلا أن يكون دينًا واحدًا، اتّحدت فيه العقيدة التي هي الأساس، وتطورت التشريعات التي هي الفروع.

واعلم أنه ما يكابر إنسان في جحود شيء من هذه الحقائق التي مغرسها اليقين العقلي، ويكون صادقًا مع نفسه في جحوده بها، إلا لأنه لم يفرغ بعد من فهم ما هو أصل لها. فعليك أن تجعل من الرجوع به إلى تلك الأصول، دليلاً يهديه إلى اليقين بهذا الذي يمعن في جحوده وإنكاره[1].

خامسًا - من فقه الداعية: مخاطبة المدعوين بما يفهمون:

إن من فقه الداعية أن يحدث جليسه بما يتناسب مع عقليته وثقافته، وبما يتفق مع عمره وفهمه، ومن أجل ذلك أمر نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام كل من يتصدى للتعليم والدعوة والإرشاد أن يحدِّث الناس بما يعرفون ويفهمون، حتى لا يُكذب الله

(١) هكذا فلندع إلى الإسلام، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٨-٦٠.

ورسوله، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))[1] وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما أنت بمحدث قومًا حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[2].

وقال الشافعي: (لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه)[3].

وقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في ذلك، وهذا ما ورد في نص الحديث من حديثه ﷺ بما يتفق وفهم الراوي وذلك من قوله ﷺ "أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك... إلخ" فقد أخذ رسول الله ﷺ في ذكر الأمثلة والنماذج من واقع البيئة التي يعيشها الرجل، وذكّره بالأمور ذات الاهتمام الكبير في حياته ومعايشته اليومية. وفي بيان أهمية المخاطبة على قدر الفهم قال: عبدالله ناصح علوان: (وكم يعيب الداعية أن يحدث قومًا عن الذرّة وأسرارها، والكواكب وأبراجها، والأرض ودورانها، والعلوم ومعارفها، والقوم الذين يجالسهم لا يقرؤون ولا يكتبون، وفي غمرات الجهالة سادرون!

وكم يكون الداعية فاشلاً حين يكون في بيئة لا تؤمن بدروان الأرض ولا بحركتها، بل تعتبر من يقول هذا كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام! كم يكون فاشلاً حين يسفّه رأي أهلها، ويرميهم بالجهل المطبق، والضلال المبين!

من أجل هذا أمر نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه الدعاة والعلماء والمرشدين في كل زمان ومكان، أن يحدثوا الناس بما تحمله عقولهم، حتى لا يقعوا في الفتنة.

وكم يكون الداعية غير موفق حين يجلس مع قوم من الملاحدة الماديين، ويحدثهم عن الروح، وسؤال الملكين، والبعث، والحساب، والجنة والنار. وهم لا يؤمنون أصلاً إلا بما تراه حواسّهم، ولا يعتقدون إلا ما كان خاضعًا للتجربة والحس، وداخلاً في

(١) اخرجه البخاري ١٢٧.

(٢) اخرجه مسلم ٥، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٦٥/٢.

نطاق المشاهدة والواقع، فمن الطبيعي أن يهزؤوا منه، ويستهتروا به، ويتولوا عنه.

وكم يكون الداعية غير مسدَّد حين يجلس مع طبقة من المثقفين الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم! وذهب يحدثهم عن كرامات الأولياء، وعن وظائف الملائكة، وعن أخبار الجن. وهم ليسوا من الوعي الناضج، والإيمان المكين، والثقافة الإسلامية الشاملة. حتى يُسلّموا بها، ويصدّقوا أخبار الوحي فيها)[1].

ومن أجل هذا أمر النبي ﷺ بمخاطبة الناس على قدر فهمهم ومعرفتهم، فعلى الداعية الموفق أن يأخذ بالمبدأ الذي رسمه رسول الله ﷺ في ذلك.

سادسًا - من آداب المدعو: سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي عليه فعله:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "قلت: اعهد إليَّ قال... إلخ" وهذا ما أمر الله تعالى به عباده فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[2] قال السعدي في هذه الآية الكريمة: (...إنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[3]. وفي ذلك بيان على سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي على المرء فعله.

سابعًا - من موضوعات الدعوة: البعد عن السباب، وعدم احتقار المعروف والبشاشة مع الناس:

(لقد جاء الإسلام لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته...، وقد أحصى الإسلام الفضائل، وحث أتباعه على التمسك بها، ولو جمعنا أقوال صاحب

---

(١) كيف يدعو الداعية ٤٠-٤١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

الرسالة في التحلي بالأخلاق الزاكية، لخرجنا بسِفر لا يعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح)[١].

وكان من ذلك ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "لا تسب أحدًا" وقوله "ولا تحقرن من المعروف شيئًا وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف".

(وفي ذلك بيان على أن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا في مد شعاعها وجمع الناس حولها، كانت تنشد كمال الأخلاق، وإنارة آفاق الكمال)[٢].

وخير دليل على ذلك ما ورد في الحديث من الترفع عن السباب، وذلك بقوله ﷺ "لا تسب أحدًا"، (وما ذلك إلا لشرف النفس وعلو الهمة)[٣]، وقد رهب النبي ﷺ من السباب قائلاً: ((سِبابُ المُسْلمِ فُسوقٌ وَقِتالُه كُفْر))[٤] (والسب في اللغة الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه، والفسق في اللغة الخروج، والمراد به في الشرع الخروج عن الطاعة)[٥].

وقد كان من مكارم الأخلاق وعظيم الآداب التي وردت في نص الحديث، هي عدم احتقار المعروف، وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو فِرْسَنَ شاةٍ))[٦] أي: (لا تحقر أن تهدي إلى جارتها شيئًا ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب)[٧].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٧.

(٣) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد، ١٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨، ومسلم ٦٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٨.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠١٧.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/١٠.

وقد كان من الآداب ومحاسن الأخلاق الواردة في الحديث، البشاشة مع الناس (والبشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء، لأن البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي، ومن بشَّ للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك)[١]، ولله درّ القائل:

(أخو البشر محبوب على حسن بشره ... ولن يَعدم البغضاء من كان عابسًا

ويسرع بُخلُ المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للمرء حارسًا

وأيضًا قول:

إلقَ بالبشر من لقيت من الناس ... جميعًا ولا قِهِمْ بالطلاقَهْ

تجنِ منهُم جَنَى ثمار، فخذها ... طيبًا طَعمُه لذيذَ المذاقَهْ)[٢]

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال:

يؤكد الحديث ما أفادته أحاديث الباب من النهي عن إسبال الإزار وما في ذلك من المخيلة، وهذا ما ظهر جليًا من قوله ﷺ "وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة" والمسبل كما بينه النووي هو: (المرخي له الجار طرفه خيلاء)[٣]. وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: ((لا يَنظر الله يومَ القيامةِ إلى من جَرَّ إزارَه بطرًا))[٤] وقال: ((مَن جرَّ ثوبَه خُيلاء لم ينظرِ الله إليه يومَ القيامة. فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهدَه. فقال له رسول الله: إنَّكَ لستَ مِمَّنْ يفعلُه خُيلاء))[٥]، قال القاري: (المعنى أن استرخاءه من غير قصد لا يضر، لاسيما ممن لا يكون من شيمته الخيلاء، ولكن الأفضل هو المتابعة، وبه يظهر أن سبب الحرمة في جر الإزار هو الخيلاء كما هو مفيد

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبي حاتم البستي، ٧٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٨٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٦٥، ومسلم ٢٠٨٥.

في الشرطية من الحديث...، وقال ابن عبد البر: مفهومه أن الجار لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد إلا أنه مذموم...)[1].

وفي ذلك بيان على خطورة الإسبال المرادبه المخيلة والكبر، لما فيه من شدة الوعيد والعذاب من الله تعالى.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤.

الحديث رقم (٧٩٧)

٧٩٧-وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مسبلٌ إزَارَهُ، قَالَ لَهُ رسول الله ﷺ : ((اذْهَبْ فَتَوَضَّأ)) فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: ((اذْهَبْ فَتَوَضَّأ)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ قَالَ: ((إنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إزَارَهُ، وَإنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ صَلاَةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مسبل إزاره: إسبال الإزار إرخاؤه وإرساله إلى أسفل من الكعبين[2].

الشرح الأدبي

بداية الحديث خبرية فيها شيء من المفاجأة التي تشي بها (بينما.... إذ) وتنكير كلمة (رجل) للإفراد، وجملة (يصلي) صفة للرجل، (ومسبلاً إزاره) حال مبينة لهيئة صاحبها، وكاشفة عن موضع الخطأ، وقول الرسول ﷺ (اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ) أمر قصد به اللفت، والتنبيه على الخطأ ؛وذلك لأن الصلاة حال تواضع، وإسبال الإزار فعل متكبر فتعارضا، والفاء الداخلة على الفعل الماضي (فذهب) توحي بسرعة استجابته لرسول الله ﷺ، وأنه لم يفهم مقصده من الأمر فكرر له الأمر (اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ) وتتابع الفاءات بين جمل الحديث دليل على عدم انتظار الرسول ﷺ وعدم تأخر الرجل في الإجابة، وقول السائل الثاني (فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ

---

(١) برقم ٤٠٨٦ بهذا اللفظ، وكذا برقم ٦٣٨ بدون قوله: (ثمَّ سكت عنه).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ١٧٥٤، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

اللهِ مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ) استفهام تعجب لعدم علمه بسبب تكرار الأمر، فجاءت إجابة الرسول ﷺ لتكشف السر (إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ) وقد أكد الجملة بأكثر من مؤكد منها (أن)، واسمية الجملة وصياغة جملة خبر (أن) في الماضي الدال على التحقق، والضمير المنفصل (هو)، وقد صعَّد توكيدها بجملة (وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَقْبَلُ صَلاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ) ترهيباً من هذا الفعل، وبياناً لخطره.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما التبس عليه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

لقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة الحسنة في تفقد أحوال المدعوين والتعرف على أحوالهم، كي يرشدهم إلى فعل ما يجب عليهم بما يحقق لهم صلاح الدنيا والآخرة، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من تفقد النبي ﷺ لمن أسبل إزاره، وتوجيهه إلى ما يجب عليه، وذلك في قوله ﷺ "اذْهَبْ فتوضأ" وقد بين ابن القيم: وجه الحديث في قوله: "والله أعلم - إن إسبال الإزار معصية. وكل من واقع معصية فإنه يؤمر بالوضوء والصلاة. فإن الوضوء يطفئ حريق المعصية"[1].

وفي ذلك بيان على تفقد النبي ﷺ لأحوال المدعوين، مع بيانه ﷺ لما يجب عليهم من أمور، وقد أمر الحق تبارك وتعالى باتباع النبي ﷺ والاقتداء به، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2]،

---

(١) تهذيب سنن أبي داود ٦/٥٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١ .

فعلى الدعاة أن يمتثلوا أمره، ويقتدوا نهجه، في تفقد أحوال المدعوين، وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، وليس أدل على ذلك من قول عبدالله بن عمر: «إنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ ﷺ بَيْنَمَا هو يَخْطُبُ الناسَ يومَ الجُمُعَةِ دَخَلَ رَجُلٌ من أصحابِ رسولَ الله ﷺ، فَنَادَاهُ عُمَرُ: أَيَّةُ ساعةٍ هَذِهِ، فقالَ: إنِّي شُغِلْتُ اليومَ فَلَمْ أَنْقَلِبْ إلى أَهْلِي حَتَّى سمعتُ النداءَ، فَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ توضأتُ، فقالَ عُمَرُ ﷺ: والوُضُوْءَ أيضًا، وقد عَلِمْتَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَأْمُرُ بالغُسْلِ»[1]. قال النووي: "وفي الحديث تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة، وإن كان كبير القدر"[2].

ثانيًا – من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد الأمر كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ«اذْهَبْ فتوضأْ»، والأمر من الأساليب الدعوية، التي تعين الداعية على حمل المدعو، وتوجيهه إلى فعل الأمر المدعو إليه لما فيه من خير له في الدنيا والآخرة.

ثالثًا – من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

"إن الاستجابة لأوامر النبي ﷺ، من أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد استفاضت نصوص الشريعة الإسلامية في بيان ذلك والتأكيد عليه"[3]، فقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[5]، وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[6] قال ابن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٧٨، ومسلم ٢٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٦.

(٣) انظر: اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل على البعداني، ضمن كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٩٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

كثير: "أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه يأمر بخير وإنما ينهي عن شر"[١].

وما كان مخالفًا لذلك فهو مردود باطل غير معتد به، لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢]. "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات"[٣].

وقد عظّمت الشريعة الإسلامية فضل الاستجابة لأمر النبي ﷺ في جعله سببًا لمحبة الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، قال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس على نهج النبي ﷺ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحنيف وهدي النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[٥]، وقال ابن تيمية: "فجعل تعالى محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول، وجعل متابعة الرسول سببًا لمحبة الله عبده"[٦].

وقد بين ابن القيم ذلك في قوله: "إن أصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وان يكون الحب كله لله. فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحّبه. وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها؛ فهي إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه. فعند اتباع الأمر واجتناب النهي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٧١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١ .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢

(٦) الفتاوى ٨/١.

تتبين حقيقة العبودية والمحبة.

ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علمًا عليها، وشاهدًا لمن ادعاها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١)، فجعل اتباع رسوله مشروطًا بمحبتهم لله، وشرطًا لمحبة الله لهم. ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة. فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم. فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله"(٢).

فعلى المدعو أن يمتثل لأمر النبي ﷺ في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من امتثال الرجل لأمر النبي ﷺ في قوله «اذْهَبْ فتوضأْ» قال أبو هريرة رضي الله عنه «فذَهَب فتوضأْ».

رابعًا - من آداب المدعو: الاستفسار عما التبس عليه:

إن مما يجعل المرء على بصيرة من دينه وبينة من أمر ربه، هو سؤاله لأهل العلم عما خفى عنه، والتبس عليه من أمور، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، قال السعدي: أي: "إن الله أمر من لا يعلم، بالرجوع إلى أهل العلم، في جميع الحوادث"(٤).

وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول الراوي: فقال له رجل: يارسول الله، مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه؟

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ أكثر الناس حرصًا على سؤال النبي ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٠٣/١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

رغبة منهم في الحصول على الخير وتحصيل العلم، فضلاً عن كشف ما خفي والتبس عليهم من أمور، وأمثلة ذلك في السنة النبوية كثيرة، منها ما رواه المقداد بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: ((يارسولَ الله إنْ لقيتُ كافرًا فاقتَتَلْنا فضرَب يدي بالسيف فقطَعَها ثم لاذَ بشجرةٍ وقال: أسلمتُ لله، آقتلهُ بعدَ أن قالها؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتُله. قال: يارسولَ الله فإنه طرَحَ إحدَى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ ما قطعها آقتلهُ؟ قال: لا تقتله فإن قتلْتَه، فإنه بمنزلتكَ قبلَ أن تقتله، وأنتَ بمنزلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال))[1]. وفي مقابل ذلك نجد النبي ﷺ قد رهب من كتم العلم وعدم إيضاحه فقال: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

قال الخطابي: "الممسك عن الكلام مُمَثَّل بمن ألجم نفسه. كما يقال: التقيُّ ملجم. وكقول الناس: كلّم فلانًا فاحتج عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته.

والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار. وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة بالذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه. كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني. فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا الوعيد والعقوبة، وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٦٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبو داود ٣١٠٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٤) معالم السنن ٢٥١/٥٥، ٢٥٢.

وما يؤكد ذلك ويبينه، قول أبي هريرة رضي الله عنه: ((حَفِظْتُ عن رسولِ اللّهِ ﷺ وِعاءَين: فأمَّا أحدُهما فبَثَثْتُه، وأمَّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البُلْعوم))[1]. قال الذهبي: "هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديث يتعلق بحل أو حرام، فلا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البينات والهدى"[2].

وقال شعيب الأرنؤوط: "وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يكنى عن بعضه، ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم...، وقال ابن المنير: جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وذلك الباطل، إنما حاصله الانحلال من الدين، وإنما أراد أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: قطع، أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها"[3].

وفي ذلك بيان على أهمية السؤال والاستفسار عما خفي، فضلاً عن أهمية إجابة السائل عن سؤاله من قبل العلماء.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة:

يؤكد الحديث على ما مضى من النهي عن إسبال الإزار، وأنه يعتبر خطيئة يؤاخذ عليها المسلم، وفي أمر المسبل بالوضوء إشعارًا له بارتكابه معصية، وقد استقر في نفوس المؤمنين أن الوضوء يكفر الخطايا ويزيل أسبابها كالغضب ونحوه، وقال الطيبي: "لعل السر في أمره بالتوضي - وهو طاهر- أن يتفكر الرجل في سبب ذلك الأمر، فيقف على ما ارتكبه من شنعاء، وأن الله تعالى ببركة أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بطهارة الظاهر يطهر باطنه من التكبر والخيلاء؛ لأن طهارة الظاهر

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٠.

(٢) سير اعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٩٧/٢.

(٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على سير اعلام النبلاء، ٥٩٧/٢.

مؤثرة في طهارة الباطن؛ فعلى هذا ينبغي أن يعبر كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أن الله لا يقبل صلاة المتكبر المختال، فتأمل في طريق هذا التشبيه، ولطف هذا الإرشاد"[1].

وقال ابن الأعرابي: "إن المسبل الذي يطول ثوبه، ويرسله إلى الأرض، يفعل ذلك تبخترًا واختيالاً، وقال المظهر: في قوله ﷺ: "وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل" أى إن الله تعالى لا يقبل كمال صلاة رجل يطول ذيله"[2].

وفي ذلك بيان على الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة، وما يؤكد ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلَاتِهِ خُيَلاءَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي حِلٍّ، وَلاَ حَرَامٍ))[3]، وفي ذلك قال صاحب عون المعبود: "إن الإسبال تطويل الثوب وإرساله إلى الأرض إذا مشى كبرًا...، وفي قوله ﷺ: "فليس من الله في حل ولا حرم"، أى في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال ولا له احترام عند الله تعالى، وفي قوله ﷺ "خيلاء": أي "تكبرًا وعجبًا"[4].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢٦٧-٢٦٨.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٦٧.

(٣) اخرجه أبو داود ٦٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٩٥).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي، ٢١٣.

الحديث رقم (٧٩٨)

٧٩٨- وعن قيس بن بشر التَّغْلِبِيِّ، قَالَ: أخْبَرَنِي أَبي - وكان جَلِيسًا لأَبِي الدرداء- قَالَ: كَانَ بِدِمَشْق رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ يقال لَهُ (سهل) بن الْحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلاً مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إنَّمَا هُوَ صَلاةٌ، فإذا فَرَغَ فَإنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأتِيَ أهْلَهُ، فَمَرَّ بنا وَنَحْنُ عِنْدَ أبي الدَّرداء، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدرداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ. قَالَ: بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي المَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إلَى جَنْبِهِ: لَوْ رَأيْتَنَا حِينَ التَقَيْنَا نَحْنُ وَالعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي، وَأنَا الغُلاَمُ الغِفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أرَاهُ إلاَّ قَدْ بَطَلَ أجْرُهُ. فَسَمِعَ بِذلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أرَى بِذلِكَ بَأسًا، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ الله؟ لاَ بَأسَ أنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ)) فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاء سُرَّ بِذلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأسَهُ إلَيْهِ، وَيَقُولُ: أأنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُول الله ﷺ؟ فيقول: نَعَمْ، فما زال يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إنّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ لنا رسول الله ﷺ: ((المُنْفِقُ عَلَى الخَيْلِ، كَالبَاسِطِ يَدَهُ[1] بالصَّدَقَةِ لاَ يَقْبضُهَا)).

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يومًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاء: كَلِمَةً تَنْفَعنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيمٌ الأسَدِيُّ! لولا طُولُ جُمَّتِهِ وَإسْبَالُ إزَارِهِ!)) فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَعَجَّلَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إلَى أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إزارَهُ إلَى أنْصَافِ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إخْوانِكُمْ، فَأصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ؛ فَإنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ)) رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ حسنٍ، إلاَّ قيس بن بشر فاختلفوا في توثيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ[3]، وَقَدْ

---

(١) لفظ أبي داود: (يديه).

(٢) برقم ٤٠٨٩. وأخرج الحاكم ١٨٣/٤ مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) قال أبو حاتم، الجرح والتعديل ١٢٥/٧: ما أرى بحديثه بأسًا، وذكره ابن حبان في ثقاته ٣٠٣/٧، ولم أرَ من ضعَّفه.

روى لَهُ مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابن الحنظلية: وهو سهل بن عمر وقيل سهل بن الربيع، والحنظلية أمه فنسب إليها. وقيل جدته، وقيل أم جده.

وله صحبة ورواية، وقد بايع تحت الشجرة، وشهد أحدًا والخندق، والمشاهد كلها إلا بدرًا.

نزل الشام وسكن دمشق، وكان عقيمًا لا يولد له، وكان يقول: لأن يولد لي في الإسلام ولدٌ سَقْطٌ فأحتسبه، أحبُ إليَّ من أن تكونَ لي الدنيا جميعًا وما فيها، وكان ﷺ فاضلاً، متوحدًا قلَّ ما يجالس الناس، كثير الصلاة والذكر، وكان لا يزال يصلي ما دام في المسجد، فإذا انصرف لا يزال ذاكرًا من تسبيح وتهليل حتى يأتي أهله.

وقد روى له البخاري في الأدب، وأحمد وأبوداود والنسائي.

وتوفي ابن الحنظلية في صدر خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ[٢].

غريب الألفاظ:

متوحدًا: منفردًا عن الناس لا يخالطهم ولا يُجالسهم[٣].

السرية: طائفة من الجيش أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري أي النفيس[٤].

---

(١) لم يرو له غير ابي داود كما في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٤/٥.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠١/٧، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٠٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٢/٢، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٢٣/٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٤٧، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٩٦٥/٢-٩٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ح د).

(٤) المرجع السابق في (سرى).

ما أُرَاه: ما أظنه[١].

جمته: الجُمَّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين[٢].

إسبال إزاره: إرخاؤه وإرساله إلى أسفل من الكعبين[٣].

شفرة: أي سكينًا[٤].

الشامة: علامة في البدن يخالف لونها لون سائره، والمراد: ظاهرون في الناس كالشامة في الجسد[٥].

التفحش: تعمد وتكلف الفحش[٦].

الشرح الأدبي

يتميز هذا الحديث بطوله كما أنه بني على الحوار متعدد الأطراف كما تعددت فيه القصص التي تخللتها توجيهات نبوية، عالجت قضايا مختلفة، وقد دار الحوار حول رجل من أصحاب النبي وهو ابن الحنظلية وأدار الحوار أبو الدرداء، وقد وصف ابن الحنظلية بأنه (متوحد) أي معتزلاً الناس منشغل بالعبادة، والذكر، ولذلك وصفه بأسلوب القصر في قوله: (إِنَّمَا هُوَ صَلاةٌ فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ) أي مقصور على الصلاة لا يتعداها لغيرها حتى يفرغ، ثم ينقطع إلى الذكر، وقد بالغ في وصفه بالانقطاع لهذه الأمور فوصفه بالمصدر (هو صلاة... هو تسبيح، وتكبير) هذا الملخص لوصفه يشير إلى أنه كان لا يتكلم مع أحد إلا نادراً، وقول أبي الدرداء له (كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلا تَضُرُّكَ) فيه إيجاز بحذف فعل الأمر أي: قل لنا، وسر الحذف رعاية طبيعة الرجل الذي لا يحب أن ينشغل عن ذكر الله، ولذلك لم يحدثه بهذا الحديث في

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (رأى).

(٢) المرجع السابق في (ج م م).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ف ر).

(٥) المرجع السابق في (ش ي م).

(٦) المرجع السابق في (ف ح ش).

يوم واحد بل حدَّثه به يوماً بعد يوم؛ فحدثه بعدة توجيهات نبوية أولها: عن أثر ثناء الناس على العمل الصالح، فجاءت إجابة الرسول ﷺ (سُبْحَانَ اللَّهِ لا بَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ) البداية بأسلوب التعجب السماعي بهذه الجملة التنزيهية إشارة إلى تعجبه، وإنكاره لاختلافهم في هذا الأمر مع ظهوره، وقوله: (لا بأس) أي لا ضرر في الجمع بين الأجر، والحمد، وقول الراوي عن أبي الدرداء (حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ) كناية عن شدة فرحه بما سمع، وثانيها: عن الإنفاق على الخيل فكان التوجيه النبوي (الْمُنْفِقُ عَلَى الْخَيْلِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لا يَقْبِضُهَا) وهو تشبيه للمنفق على الخيل بالذي لا تنقطع صدقته، ووجه الشبه دوام الأجر، والتشبيه يثمِّن غالياً قيمة الإنفاق على ما فيه قوة للمسلمين، ونصر لهم.

وثالثها: تقويم بعض الأخطاء عن طريق المدح، والاستثناء في قوله ﷺ (نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ لَوْلا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ) وهو أسلوب نقد بناء يلوِّح بالكمال بمدح إنسان، ويعلقه على ترك خصلة مكروهة حتي يتركها، وقد فعل الصحابي فور سماعه ما يوجب كماله، وترك ما يمنعه عن هذا الفضل.

ورابعها: قوله ﷺ (إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ) وهذا التوجيه يجعل للمؤمنين خصوصية يعرفون بها تقوم على إصلاح الظاهر، وإصلاح الباطن، وإصلاح كل ما حولهم حتى يصلح بصلاحهم الكون كله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المحافظة على الصلاة وكثرة ذكر الله.

ثانيًا: من صفات الداعية: الرغبة والسعي في تحصيل العلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في قبول العمل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رباط الخيل في سبيل، وبيان فضله.

خامسًا: من آداب المدعو: البعد عن الإسبال.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

سابعًا: من آداب المدعو: التجمل وحسن المظهر وتحسين الهيئة.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: المحافظة على الصلاة وكثرة ذكر الله:

لقد شرع الله تعالى لعباده ما يحفظ عليهم إيمانهم، ويقي فطرتهم من طغيان المادة واستحواذ الغفلة على القلب والروح، فأوجب عليهم الصلاة، وأمرهم بكثرة ذكر تعالى، تحقيقًا لحياة القلوب وسكينة النفوس.

وهذا ما أشار إليه الحديث من فعل ابن الحنظلية ﷺ في كونه رجلاً متوحدًا قلما يجالس الناس، إنما هو صلاة، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير حتى يأتي أهله.

"وقد كانت الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والاطّراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع، المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، فالمؤمن في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: «وجُعل قرة عيني في الصلاة»[1]. وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: «يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها»[2]"[3].

"وللصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة، والفحشاء والمنكر، والتمتع بالمتعة الرخيصة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[4].

وذلك لأنها تصرف صاحبها من جهة إلى جهة، ومن ذوق إلى ذوق، ومن طلب إلى طلب، ومن تفكير إلى تفكير، ومن سفساف الأمور إلى معاليها، وتحبب إليه الإيمان، وتزينه

---

(١) أخرجه النسائي، ٣٩٣٩، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٣٦٨١).

(٢) أخرجه أبو داود، ٤٩٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

(٣) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن الندوي، ٢٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

في قلبه، وتكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، هذا، إذا كانت الصلاة حقيقية تتدفق بالحياة، وتفيض بالحرارة والقوة، ولذلك لما فوجئ قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد، والفضيلة والتقوى، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطفيف، اقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف، فقد ولد ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد، والذي يردون إليه طبيعة هذا الخصام والنزاع، فلم يجدوا في حياته شيئًا أوضح من الصلاة التي كانوا يشاهدونها، ويتعجبون لحُسنها وطولها، فقالوا: ﴿يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[1].

وقد هيأ الله بتشريعه الحكيم لها جوًا من الإجلال والتعظيم، ومن الخشوع والرقة، ومن الجد والرزانة، ومن الوقار والسكينة، ومن التعاون والاجتماع، مالا يوجد له نظير لعبادة أو نسك في دين آخر، وفي ملة أخرى"[2].

أما ذكر الله فهو: "قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوّة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان، لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3]"[4].

---

(١) سورة هود، آية: ٨٧ .

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٤٩.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٨ .

(٤) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ٣٢٢.

ومن أجل ذلك "أمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لمالهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب"[1]، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[2].

قال القرطبي: "أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه، قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غُلب على عقله....، وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب...، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال القرطبي: والصلاة من الله على العبد رحمته له وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3]"[4].

"ولقد كان النبي ﷺ يذكر الله في جميع أحواله، ولقد زخرت كتب السنة بمئات الأحاديث الماتعة، والأذكار الرائعة، وأضحى أريجها يفوح عطرًا، وينفث شذى، تعمر به النفوس، وتزكو به القلوب، وتعطر به المجالس، ولقد زرع ﷺ في نفوس أصحابه أهمية الذكر وعلو درجته وبديع منزلته"[5].

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٢١/٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣ .

(٣) سورة غافر، آية: ٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٧/١٧-١٦٩.

(٥) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر الزهراني، ٢٣٤.

مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى، قَالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[1].

قال الطيبي: "قال ابن عبدالسلام في كتاب القواعد: هذا الحديث مما يدل عل أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجره على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت في الرتب في الشرف. وقال "الأشرف" لعل الخيرية والأرفعية في الذكر؛ لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم، إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله، والذكر إنما هو المقصود الأسني، والمطلوب الأعلى"[2].

وقال ابن حجر: "بأن المراد بالذكر الذي هو أفضل من الجهاد، الذكر الكامل الجامع بين ذكر اللسان وذكر القلب بالتفكر والاستحضار، فالذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار ذلك، وأفضلية الجهاد هي بالنسبة للذكر اللساني المجرد. ونقل عن ابن العربي أن وجه الجمع أنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه فليس عمله كاملاً، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية"[3].

ثانيًا - من صفات الداعية: الرغبة والسعي في تحصيل العلم:

"إن زاد العلم والثقافة والسعي في تحصيل العلم من آكد الواجبات التي تقع على عاتق الداعية، حتى يجد الناس عنده إجابة عن التساؤلات، وحلول المشكلات، إضافة إلى أن ذلك هو العدة التي بها يعلّم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه"[4].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٣٢٤/٤، ٣٢٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢١٢/١١.

(٤) انظر: مقومات الداعية الناجح، د علي عمر بادحدح، ٥٧.

وهـذا مـا ورد في نـص الحـديث مـن طلـب أبـي الـدرداء ﷺ المتكـرر مـن ابـن الحنظلية ﷺ، أن يبذل له العلم وذلك في قوله: "كلمة تنفعنا ولا تضرك".

فلابد للداعية أن يوقن "أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]؟، فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خُصّ به العالم من فضيلة العلم"[2].

"فالداعية الآخذ بالعلم آخذ بالبداية الصحيحة، إذ العلم مقدم على القول والعمل، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[3]، وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4].

والسعي في طلب العلم تحقيق للغاية التي أرادها الله ووجه إليها في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[5]، فقد جعل الله الأمة فرقتين "أوجب على إحداهما الجهاد في سبيله، وعلى الأخرى التفقه في دينه، لئلا ينقطع جميعهم عن الجهاد فتندرس الشريعة، ولا يتوفروا على طلب العلم فتغلب الكفار على الملة، فحرس بيضة الإسلام بالمجاهدين، وحفظ شريعة الإيمان بالمتعلمين، وأمر بالرجوع إليهم في النوازل وسؤالهم عن الحوادث فقال عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤١.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٣.

ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[١].

وإذا سلك الداعية طريق العلم حظى بالخيرية الربانية الثابتة في حديث الرسول ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا من طرق الجنة»[٢].

وإذا نال الداعية حظًا وافيًا من العلم واندرج في سلك طلبة العلم فإنه يكون في مجتمعه نبراسًا يُهتدى به.

كما قال ابن القيم عن الفقهاء: "إنهم يكونوا في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يُهتدى في الظلماء، حاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء"[٣]، وعندما يتحرك الداعية ناشرًا علمه ساعيًا بين الناس بالإصلاح، ناعيًا عليهم الغفلة والفساد، فإنه يحظى بشرف الوصف، الذي ذكره الإمام أحمد حين قال: "الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[٤][٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في قبول العمل:

"إن النية هي أصل الشريعة وعماد الأعمال، ومعيار التكليف"[٦]، "وهي روح العمل ولبّه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٦٤١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٠٩٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٤) المرجع السابق ١٨.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ٦٣-٦٥.

(٦) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٥٢/٤.

كفتا وشفتا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[١].

فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[٢].

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ: "سبحان الله؟ لابأس أن يؤجر ويحمد" وذلك بعد أن ذكر الرجل موقفه وشجاعته في الحرب، دون أن يقصد من ذلك الرياء والمحمده.

"فإذا عمل المرء العمل لله خالصا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك"[٣]. وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال: "تلك عاجل بشرى المؤمن»[٤]. وفي ذلك بيان على أهمية النية في الأعمال.

وهذا ما أكده "الحافظ أبو الحسن الأندلسي في قوله:

عمدة الدين عندنا كلمات	أربع من كلام خير البريَّة
اتق الشبهات وازهد ودع ما	ليس يعنيك واعملنَّ بنيَّة[٥]"

فعلى المرء أن يجعل نيته لله في جميع أفعاله وأحواله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: رباط الخيل في سبيل الله وبيان فضله:

إن الجهاد في سبيل الله من كمال الإيمان وحسن الإسلام، به تمحص القلوب

---

(١) اخرجه البخاري، ومسلم، ١٩٠٧.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٨٣/١.

(٤) اخرجه مسلم، ٢٦٤٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٦٣/١.

وتختبر النفوس، وحاصله أن يبذل الإنسان نفسه وماله ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان من ذلك إعداد كل ما يلزم للجهاد من قوة وعتاد.

وهذا ما رغب إليه الحديث من قوله ﷺ: "المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها".

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ "المنفق على الخيل" "أى إذا كان ربطه بقصد الجهاد في سبيل الله"[(١)].

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[(٢)].

قال ابن عاشور: ("والرباط" صيغة مفاعلة أُتِيَ بها هنا للمبالغة لتدلّ على قصد الكثرة من ربط الخيل للغزو، أي احتباسها وربطها انتظارًا للغزو عليها)[(٣)].

وقال القاسمي: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، اتقاء بأس العدو وهجومه. ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا، عظيمًا، أبىّ الضيم، قوى القنا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقابًا متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة الشعوب، وزمام الحول والطول، وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف، فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر الحرب، بل كلها مما

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٥٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠ .

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٧/١٠/٥.

يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به، قبل أن يداهم ما بقي منها بخيله ورجله، فيقضي -والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار"[١].

"وإذا قد كان إعداد القوة يستدعي إنفاقًا، وكانت النفوس شحيحة بالمال، تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[٢]. فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته، والتوفية: أداء الحق كاملاً، جعل الله ذلك الإنفاق كالقرض لله، وجعل على الإنفاق جزاء، فسمى جزاءه توفية على طريقة الاستعارة المكنية، وتدل التوفية على أنه يشمل الأجر في الدنيا مع أجر الآخرة"[٣].

وقد رغب النبي ﷺ في إعداد القوة والتماس أسبابها فقال: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنْ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي حَسَنَاتٍ»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال: ((الخيل ثلاثة: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا. فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ. فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨٥/٨/٥-٨٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠ .

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥٧/١٠/٥-٥٨.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٨٥٣.

الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ. إلاَّ كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ، حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ. وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا، حَسَنَاتٍ. وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ))(١).

خامسًا – من آداب المدعو: البعد عن الإسبال:

هذا ما أفاده الحديث من قوله ﷺ: " نعم الرجل خُرَيْم الأسدي لولا طول جمته وإسبال إزاره"، وقد رهب النبي ﷺ من إسبال الإزار كبرًا وعجبًا فقال: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء»(٢).

قال النووي: "قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام، ويقال: خال الرجل واختال اختيالاً إذا تكبر، وهو رجل خال أى متكبر، وصاحب خال أي صاحب كبر، ومعنى لا ينظر الله إليه آى لا يرحمه أو لا ينظر إليه نظر رحمه)(٣)، وقال ﷺ: ((الإسْبَالُ فِي الإزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(٤). "وفي هذا الحديث، دلالة على عدم اختصاص الإسبال بالإزار بل يكون في القميص والعمامة"(٥)، فعلى المدعو أن يجتنب ما رهب ونهى عنه النبي ﷺ.

سادسًا – من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "نعم الرجل خريم الأسدي"، "فالمدعو يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في الترغيب"(٦)، فالترغيب

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٣٧١، ومسلم ٩٨٧ واللفظ له

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٠).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادى، ١٧٥٨.

(٦) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف الهجاري، ٥١٢.

من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية لحمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه، وهذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "نعم الرجل".

وفي ذلك مدح لمن أؤتمن عليه من الفتنة، وترغيب له في إتيان الأعمال التي تكمل له ثوابه، وهي كما في الحديث كقص شعر رأسه وتقصير ثوبه، وهو ما سارع إليه خريم حيث قصّ شعر رأسه وثوبه بشفرة، فحصل بذلك عظيم الفائدة من الترغيب والمدح المحمود، وهذا من الحكمة التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في دعوته.

سابعًا - من آداب المدعو: التجمل وحسن المظهر وتحسين الهيئة:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ " إنّكمْ قادِمُونَ على إِخْوانِكمْ فأصْلِحُوا رِحالَكمْ وأصْلِحُوا لِباسَكمْ حَتَّى تكونُوا كأنّكمْ شامَةٌ في النَّاسِ فإنّ اللّه لا يُحِبُّ الفحْشَ ولا التَّفَحُّشَ"، "وقد كان هدية ﷺ وسنته لبس الثياب البيض والحرص على نظافتها والحرص على التطيب، والحث عليه وترجيل الشعر ودهنه وتغيير الشيب - بغير السواد - وما شابه ذلك مما هو معروف ومشهور؛ وكل ذلك في الحقيقة مؤشرٌ إلى الاهتمام بالناس والإحساس بالذائقة الجمالية لديهم... وهذا الاهتمام بالناس هو الذي يساعد على جلب اهتمامهم"[(١)] .....، يقول مالك بن نبي: "لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة؛ لمنظرها القبيح في النفس، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة، لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه....، فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعًا إلى الإحسان في العمل، وتوخيًا للكريم من العادات"[(٢)].

لذا كان حسن المظهر وتحسين الهيئة من أهم ما يجب أن يحرص عليه الداعية في دعوته إلى الله.

ثامنًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث فيما دار بين أبي الدرداء وابن الحنظلية رضي الله عنهما.

"وقد ورد أسلوب الحوار في القرآن الكريم في كثير من المواضع نذكر منها على

---

(١) مقدمات النهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، ١٦٨.

(٢) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي ص ٨١، ٨٢.

سبيل المثال، الحوار مع الملائكة، وهو أول حوار قبل خلق الإنسان، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

والحوار المثمر يتم وفق أصول حتى يعطي الفائدة المنشودة منه، غير أن هذه الأصول وهي جزء من الآداب لا بد أن يلتزم بها المتحاورون، فالمسلم في حاجة إلى الأدب، ولذلك كان السلف يحثون على تعلم الأدب قبل العلم"[2]، وقد أوصى الإمام مالك أحد تلاميذه بقوله: "يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم"[3]، وقال ابن المبارك: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"[4]، ودون الأخذ بهذه الآداب فإن المتحاورين لن يصلوا إلى مايرجون من نتائج، والمقصود بآداب الحوار: "القواعد السلوكية التي ينبغي الالتزام بها عند المحاورة"[5]، ومما لاشك فيه أن الحوار كأسلوب دعوي له أهمية عظيمة. "فقد كان من أبرز أساليبه ﷺ في التعليم الحوار والمساءلة، لإثارة السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، ليكون جواب النبي ﷺ - إذا لم يستطيعوا الإجابة- أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس"[6].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣٠ -٣٣.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ٥ -٧.

(٣) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم أحمد عبدالله الأصبهاني ٣٣٠/٦.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٥٦/٢.

(٥) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان ص٧٧، نقلاً عن الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ٨.

(٦) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبدالفتاح أبو غدة ص٩٢.

الحديث رقم (٧٩٩)

٧٩٩- وعن أَبي سعيد الخدريِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِزْرَةُ المُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ[١] السَّاقِ، وَلاَ حَرَجَ -أَوْ لاَ جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ)) رواه أَبُو داود[٢] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

ابو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٣].

إزرة: الهيئة في الاتزار كالجلسة لهيئة الجلوس[٤].

بطرًا: تكبرًا وطغيانًا عند النعمة وطول الغنى[٥].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري تصدره المسند إليه (إزرة المسلم) وهي هَيْئَة الاتِّزار، وإضافتها للمسلم إضافة بيان، والمسند (إلى نصف ساقه) يحدد الغاية التي ينتهي إليها، ولا يجوز أن يتجاوزها، وقوله (لا حرج، أو لا جناح) لا نافية، والحرج المشقة أي لا مشقة، ولا تضييق، وقَوْله (فَهُوَ فِي النَّار) يُتَأَوَّل عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدهمَا أَنَّ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِبه فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله، وَالْوَجْه الآخَر أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ أَنَّ صَنِيعه ذَلِكَ وَفِعْله الَّذِي فَعَلَهُ فِي النَّار عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ مَعْدُود وَمَحْسُوب مِنْ أَفْعَال أَهْل النَّار.

---

(١) لفظ ابي داود: (انصاف).

(٢) برقم ٤٠٩٣. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٤٤٦. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٠٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (أ ز ر).

(٤) ل في (أ ز ر).

(٥) المرجع السابق في (ب ط ر).

وقوله: (مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ) التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على خطأ، و (أسفل) أفعل تفضيل خبر كان على رواية نصب (أسفل)، ويجوز رفعه على تقدير: (ما هو أسفل)، و (من) الأولى لابتداء الغاية، وقوله: (فهو في النار) زِيَادَةِ لفَاء، كَأَنَّهَا دَخَلَتْ لِتَضَمينِ مَا مَعْنَى الشَّرْط أَيْ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِب الإِزَار الْمُسْبَل فَهُوَ فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله، وذكر الضمير (هو) للتوكيد والتقرير.

(مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ) من اسم موصول فيه معنى الشرط، و (جر) فعل ماضي يدل على التحقيق، وهو فعل الشرط، وتخصيص (الإزار) لأنه مختص بنصف الجسم الأسفل المتصل بالأرض، وقوله: (بطراً) أي كبراً، وقد صاغه في صورة المصدر الدال على المبالغة كما يدل على الثبوت، والدوام، ولم يصغه في صورة الفعل الذي يفيد التجدد إشارة إلى أن صفة الكبر صفة راسخة ثابتة في نفسه تدعوه إلى الزهو، والافتخار على خلق الله وجملة الجواب (لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ)) تصعيد للوعيد يتسرب في مسارب النفس لينزع الرغبة في التكبر، والفخر منها نزعا لا يبقي منه بقية.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن جر الثوب خيلاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكبر والعجب.

رابعًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على المخالفات الشرعية.

خامسًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

سادسًا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

سابعًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثامنًا: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: بيان لباس النساء.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٠، ٨٠١).

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن جر الثوب خيلاء:

"لقد أكدت نصوص الأحاديث الواردة على النهي من جر الثوب خيلاء، فلقد كان من عادة الجبابرة والمتكبرين إطالة أُزُرِهم حتى تمس الأرض، فنهى ورهب النبي ﷺ الرجال دون النساء عن ذلك"(١)، وهذا ما ورد في نص الأحاديث من قوله ﷺ: «ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر إليه». قوله ﷺ: «ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

قال القاضي عياض: "المخيلة والخيلاء والبطر: بمعنى، وهو الكبر والزهو والتبختر)(٢)، وقال ابن حجر: وقوله ﷺ "من جر إزاره بطرًا" أي: "جره تكبرًا وطغيانًا، وأصل البطر الطغيان عند النعمة، واستعمل بمعنى التكبر، وقال الراغب: أصل البطر دهش يعترى المرء عند هجوم النعمة عن القيام بحقها"(٣).

وقال ابن هبيرة: "والثوب يعم الإزار، الرداء، والقميص، فلا يجوز جرُّ شيء منها"(٤)، وهذا ما أكده القاضي عياض في قوله: "إن ذلك يشمل العموم في كل ثوب، إزار وغيره، لقوله ﷺ: "الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"(٥)، وإنما خص الإزار في بعض الحديث؛ لأنه أكثر ما كان يستعمل في عهده ﷺ ويجر ويرخى، وقوله ﷺ لا ينظر الله إليه يوم القيامة: أي: لا يرحمه"(٦).

وبين ابن حجر أن للرجال حالين في قدر موضع الإزار، فقال: "والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق، وحال جواز وهو إلى

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، ١٥/١٤٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٥٩٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧٠.

(٤) الإفصاح في معاني الصحاح، ٥/٤٠٥، ٤٠٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٥٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٧٨).

(٦) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٥٩٨.

الكعبين"[١]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: "إزارة المسلم إلى نصف الساق ولا حرج - أو ولا جناح - فيما بينه وبين الكعبين"، وقول ابن عمر رضي الله عنهما "فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: إلى أنصاف الساقين.

كما بين النبي ﷺ أن "ما كان أسفل الكعبين فهو في النار" قال الخطابي: "في قوله ﷺ "فهو في النار" يتأول على وجهين أحدهما: أن ما دون الكعبين من قدم صاحبه في النار، عقوبة له على فعله.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: أن صنيعه ذلك وفعله الذي فعله في النار، على معنى أنه معدود ومحسوب من أفعال أهل النار"[٢].

وبين ابن حجر: "أن هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق...، ويستثنى من إسبال الإزار مطلقًا ما أسبله لضرورة كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره حيث لا يجد غيره، ونبه على ذلك شيخنا في شرح الترمذي" - أي العراقي - واستدل على ذلك "بإذنه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف في لبس القميص الحرير من أجل الحكة"[٣]. والجامع بينهما جواز تعاطي ما نهى عنه من أجل الضرورة، كما يجوز كشف العورة للتداوي"[٤].

وفي بيان الحكمة من النهي عن إسبال الإزار ولو لم يقصد صاحبه المخيلة، قال ابن حجر: "وإن كان الثوب زائدًا على قدر لابسه فهذا قد يتجه المنع فيه من جهة الإسراف فينتهي إلى التحريم، وقد يتجه المنع فيه من جهة التشبه بالنساء وهو أمكن من الأول، وقد صحح الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لعن الرجل يلبس لبسة المرأة»[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١٠.

(٢) معالم السنن ٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٨٣٩، ومسلم ٢٠٧٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/١٠.

(٥) أخرجه الحاكم ٧٤٩٢، وأبو داود ٤٠٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٤).

وقد يتجه المنع فيه من جهة أن لابسه لا يأمن مَن تعلق النجاسة به وإلى ذلك يشير الحديث الذي أخرجه الترمذي في الشمائل، من طريق أشعث بن أبي الشعثاء -واسم أبيه سليم- المحاربي عن عمته، واسمها رُهم بضم الراء وسكون الهاء، وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها، واسمه عبيد بن خالد، قال: «كنت أمشي وعلي برد أجره، فقال لي رجل: ارفع ثوبك فإنه أنقى وأبقى، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: إنما هي بردة ملحاء، فقال: أما لك في أسوة؟ قال: فنظرت فإذا إزاره إلى أنصاف ساقيه»[1]. وسنده قبلها جيد، وقوله "ملحاء" بفتح الميم وبمهملة قبلها سكون ممدودة أي فيها خطوط سود وبيض، وفي قصة قتل عمر رضي الله عنه أنه قال للشاب الذي دخل عليه "ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك"[2]، ويتجه المنع أيضًا في الإسبال من جهة أخرى، وهي كونه مظنة الخيلاء، قال ابن العربي لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول لا أجره خيلاء فإنها دعوى غير مسلمة، بل إطالته ذيلة دالة على تكبره، أ.هـ وحاصله أن الإسبال يستلزم جر الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس الخيلاء"[3].

وفي بيان مجمل ما سبق قال الشيخ البسام: (أجمع العلماء على تحريم إسبال الثياب تيهًا وخيلاءً، واختلفوا فيما إذا فعل ذلك من غير خيلاء.

فذهب طائفة منهم إلى أن الإسبال ونزول الثوب على الكعبين حرام، سواء فعل ذلك من أجل الكبر والخيلاء أو فعله وليس في قلبه من ذلك شيء. وقالوا: إن النصوص كلها تدل على تحريم ذلك، لكن من جره جرًا وأرخاه حتى لمس الأرض فهذا هو صاحب الوعيد الذي لا ينظر الله إليه ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

وأما الذي نزل إزاره أو قميصه عن الكعبين فقط، فما نزل عن ذلك فهذا الجزء الذي نزل إليه القميص في النار، وهو وعيد أخف من الأول، لأن العمل أخف من العمل الأول.

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل ١١٣.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٢٧٥.

وقالوا: لا يصلح حمل مطلق النصوص على مقيدها، لأن من شرط حمل المطلق على المقيد هو اتحاد السبب واتحاد الحكم، وهنا لم يتحدا فالسبب مختلف في الثوب، فإن إسباله وجره غير نزوله عن الكعبين، والحكم مختلف فكون الله تعالى لم ينظر إلى المسبل ولا يكلمه وله عذاب أليم، مغايرًا ومخالفًا لمن لا يمس العذاب منه إلا أسفل كعبيه.

أما الطائفة الأخرى فذهبوا في هذه النصوص إلى حمل مطلقها على مقيدها، وأن الوعيد على ذلك كله واحد وهو الإسبال مع الخيلاء والكبر، وأن الإسبال ابتداؤه ما نزل من الكعبين وقد يطول ويقصر، وهو كله محرم بالنصوص بلا تفريق بين هذا وهذا.

وإن القاعدة الأصولية هي حمل المطلق على المقيد، وهي قاعدة مطردة في عموم نصوص الشريعة.

والشارع الحكيم لم يقيد تحريم الإسبال - بالخيلاء - إلا لحكمة أرادها ولولا هذا لم يقيده.

والأصل في اللباس الإباحة، فلا يحرم منها إلا ما حرم الله ورسوله، والشارع قصد من تحريم هذا، اللبسة الخاصة بقصد الخيلاء من الإسبال، وإلا لبقيت اللبسة المذكورة على أصل الإباحة.

وإذا نظرنا إلى عموم اللباس وهيئاته وأشكاله لم نجد منه شيئًا إلا وتحريمه له سبب، وإلا فما معنى التحريم وما الغرض منه، لذا فإن مفهوم الأحاديث أن من أسبل ولم يقصد بذلك الكبر والخيلاء، فإنه غير داخل في الوعيد)[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

"الترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتران إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده،

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٣٦ - ٢٣٧.

وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام"[١]، وهذا ما ورد جليًا من ترهيبه ﷺ لمن جر إزاره بطرًا وتكبرًا، وذلك في قوله ﷺ: "ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه"، وقوله: "ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، قال القاضي عياض في قوله ﷺ: "لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، "أى: لا يرحمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[٢]"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكبر والعجب:

إن الكبر والعجب من أعظم آفات النفس التي توجب لصاحبها غضب الله ومقته، "لأنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، لأن الكبر يكون بالمنزلة، والعُجب يكون بالفضيلة، فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين، فلذلك وجب تقديم القول فيهما، بإبانة ما يكسبانه من ذم، ويوجبانه من لوم، فنقول: أما الكبر فيكسب المقت، ويلهي عن التألف، ويوغر صدور الإخوان... وأما الإعجاب فيخفى المحاسن، ويظهر المساوي، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل،... قال بعض الحكماء: عُجب المرء بنفسه أحد حُسّاد عقله. وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حدّ، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويُسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئةٍ تحبط كل حسنة، وبمذمّةٍ تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنَق، ويكسبه من حقد"[٤].

ومن أجل ذلك استحق الكبر والعجب كامل الترهيب، وهذا ما أشار إليه نص

(١) أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي، ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٧ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٤) أدب الدين والدنيا، الماوردي، ٢٣١، ٢٣٢.

الحديث في قوله ﷺ: "ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه"، وأيضًا في قوله: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

قال القاضي عياض: "قال الإمام: المخيلة: يعني الكبرياء، يقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً: إذا تكبر، وهو رجل خال: أي متكبر، وذو خال: أي ذو تكبر"[١].

والبطر: أي: الأشر، وينجرُّ معه الكبر."[٢]، وفي بيان عاقبة من كان الكبر آفته قال النبي ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[٣]. قال النووي: "ومعنى غمط الناس" أي احتقارهم، أما "بطر الحق" فهو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا"[٤].

وقال ﷺ: ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرجالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سَجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَس تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ))[٥]. والمعنى: "أن المتكبرين يكونون في غاية من المذلة والنقيصة، يطأهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله، ويسحبون ويجرون إلى مكان حبس مظلم منقطع فيه عن غيره يسمى بولس، وتعلوهم: أي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق "نار الأنيار" أي: نار النيران، ويسقون "من عصارة أهل النار" وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم"[٦].

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ الَّذِينَ مَاتُوا؛ إِنَّمَا هُمْ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٥.

(٣) أخرجه مسلم ٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٥).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٦.

فَحْمُ جَهَنَّمَ. أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخَرَآءَ بِأَنْفِهِ. إِنَّ اللّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ. إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ. النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ. وَآدَمُ خُلِقَ مِنَ تُرَابٍ))[1].

قال صاحب عون المعبود في ذلك: قال الخطابي: "العبية: الكبر والنخوة، وقيل في معنى: "مؤمن تقي وفاجر شقي، أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي، فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي، فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال، وقيل في قوله: "أنتم بنو آدم وآدم من تراب، أي فلا يليق لمن أصله التراب النخوة والكبر.... إلخ"[2].

رابعًا - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على المخالفات الشرعية:

إن تفقد أحوال المدعوين من أهم ما يساعد الداعية على توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول ابن عمر ﷺ: ((مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ... إلخ» فعلى الداعية أن يقتدى بالنبي ﷺ في تفقده لأحوال المدعوين، والتنبيه على ما كان من مخالفات شرعية، وفي بيان ذلك، قال أنس ﷺ: «دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: ((حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد))[3]، وعن أبي سلمة ابن الأكوع أن أباه حدثه: ((أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ))[4]. وفي ذلك بيان على ضرورة تفقد أحوال المدعوين، والتنبيه على ما كان من

---

(١) أخرجه ابي داود، ٥١١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٦٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٥٠، ومسلم ٧٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٢١.

مخالفات شرعية.

"وليكن الحافز الحقيقي للداعية في ذلك، هو تمثل الآخرة وما فيها من سعادة دائمة أو شقاء دائم، وتمثل ما أعده الله فيها لعباده المؤمنين الطائعين من جزاء، وما أعده للكفار العصاة من عقاب"(١).

خامسًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

لقد ورد أسلوب النداء في الحديث من قوله ﷺ: "يا عبدالله" وبه يكون لفت الانتباه واستحضار الذهن. بما يساعد الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، أما الأمر فقد ورد في الحديث من قوله "ارفع إزارك" وأيضًا في قوله ﷺ: "زد"، وبه يكون حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بما في ذلك من عظيم الفائدة.

سادسًا - من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد أمر الله عباده بطاعة نبيه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣)، قال السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي، الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهى عنه"(٤)، والاستجابة: "قيل هى الإجابة، وحقيقتها هى التحري للجواب والتهيؤ له(٥)، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ٦٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف الهجاري، ٤٢٢.

استجابة عبدالله بن عمر ﷺ، وطاعته لأمر النبي ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: "فقال ﷺ: ياعبدالله، ارفع إزارك" فرفعته ثم قال: "زد" فزدت، فما زلت أتحراها بعد"، قال القرطبي: و"قوله: "فما زلت أتحراها" أي: أقصد الهيئة التي أمر بها النبي ﷺ وأحافظ عليها. ويعني بها: إزرته إلى نصف ساقيه، كما قال في بقية الحديث"[١]، وقد ضرب ابن عمر ﷺ أروع الأمثلة في طاعته واستجابته لأوامر النبي ﷺ: "فعن أبي جعفر الباقر قال: كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله"[٢].

سابعاً - من أصناف المدعوين: النساء:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول: "فكيف تصنع النساء"، ((وقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... ﴾[٣]، فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهي أم الرجال، وأخت الرجال، وخالة الرجال، وعمة الرجال، إنها مربية الأجيال. ومادام الأمر كذلك، فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها))[٤].

ثامنًا - من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

يظهر ذلك جليًا في الحديث من قول الراوي: "فقالت أم سلمة، فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟، فعلى المدعو أن يسأل عن كل ما خفي عليه، حتى يكون على بينة من أمر

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٤٠٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢١٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٧٣.

ربه وسنة نبيه، فيعبد الله على علم وبصيرة، كما قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: "ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال"[2]. أي: "لِمَ لم يسألوا حين لم يعلموا لأن شفاء الجهل السؤال"[3].

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: بيان لباس النساء:

مما لاشك فيه "أن أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية تبنى على الاستتار، فيجب على المرأة أن تستتر عن أعين الرجال غير المحارم والزوج، وعن أعين المحارم الأباعد عند الفتنة"[4].

وكان من أحكام الاستتار ما ورد في نص الحديث من قول الراوي، فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن، قال"يرخين شبرًا"، قالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال: "فيرخينه ذراعًا لا يزدن"، قال المباركفوري: "قوله: "يرخين" بضم أوله من الإرخاء وهو الإرسال أي يرسلن من ثيابهن "شبرًا" أي من نصف الساقين "إذًا بالتنوين "فيرخينه" أي الذيل "لا يزدن عليه" أي على قدر الذراع"[5].

قال الطيبي: "المراد به الذراع الشرعي، إذ هو أقصر من العرفي"[6].

وفي بيان قدر الذراع: قال ابن عمر رضي الله عنهما: «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِى الذَّيْلِ شِبْرًا، ثُمَّ اسْتَزَدْنَهُ فَزَادَهُنَّ شِبْرًا، فَكُنَّ يُرْسِلْنَ إِلَيْنَا فَنَذْرَعُ لَهُنَّ ذِرَاعًا»[7].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) اخرجه أبو داود ٣٣٦، وقال الألباني حديث حسن (صحيح سنن ابي داود ٣٢٥).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٦.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، ١٥٢/١.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥١٩/٢.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٦/٨.

(٧) أخرجه أبو داود ٤١١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٦٨).

قال ابن حجر: (وأفادت هذه الرواية قدر الذراع المأذون فيه وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة)[1].

قال المباركفوري: (وفي الحديث رخصة للنساء في جر الإزار لأنه يكون أستر لهن)[2]. (وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث لأم سلمة رضي الله عنها أن حكمهن في إسبال الإزار خارج عن حكم الرجال في هذا المعنى، وقد نقل عياض الإجماع عن أن المنع في إسبال الإزار يكون في حق الرجال دون النساء، وكما أن للرجال حالين في مقدار الإزار، كذلك للنساء حالان في ذلك)[3].

وقال ابن حجر: (والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر الإزار على نصف الساق، وحال جواز وهو إلى الكعبين، وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع)[4].

ويؤيد هذا التفصيل في حق النساء، قول أم سلمة رضي الله عنها: ((إنَّ النبيَّ ﷺ شَبَّرَ لِفَاطِمَةَ شِبْرًا مِنْ نِطَاقِهَا))[5].

(والشبر من التشبير)[6]، قال في "القاموس": (شبر بالكسر، وهو ما أعلى الإبهام وأعلى الخنصر)[7]، (والنطاق شقة تلبسها المرأة تشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجر على الأرض ليس لها حُجْزَةٌ ولا نَيْفَقٌ ولا ساقان)[8].

قال المباركفوري: (والمعنى أن النبي ﷺ قدر لفاطمة أن ترخي قدر شبر من نطاقها)، قال النووي: (أجمعوا على جواز الجر للنساء)[9].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٠

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥١٩/٢.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١٠

(٥) أخرجه الترمذي ١٧٣٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٤١٦).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٢٠/٢.

(٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤١٢.

(٨) المرجع السابق ٩٢٦.

(٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٢٠/٢.

الحديث رقم (٨٠٠)

٨٠٠-وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: مررتُ عَلَى رسولِ الله ﷺ وفي إزَارِي استرخاءٌ، فَقَالَ: ((يَا عَبدَ اللهِ، ارْفَعْ إزَارَكَ)) فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ: ((زِدْ)) فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إلَى أينَ؟ فَقَالَ: إلَى أنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

إزاري: الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٢].

استرخاء: انبساط واتساع[٣].

أتحرّاها: التحري: القصد والاجتهاد في الطلب[٤].

الشرح الأدبي

بداية الحديث بداية خبرية يحكيها ابن عمر حدثت معه تتعلق بلبس الإزار، وبيان الحد المشروع، وقد ساقها دون توكيد، وليس في القصة ما يمكن أن يعارض ؛لأنها واقعة بينه، وبين الرسول ﷺ، وقول الرسول ﷺ (يَا عَبْدَ اللّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ) النداء للتنبيه تمهيداً لما بعده، والأمر (ارفع إزارك) أمر قصد به اللزوم، والوجوب، وإضافة الإزار له للتخصيص، وقوله (فرفعته) الفاء تقرر سرعة استجابته للرسول ﷺ وقوله (زد) فعل أمر على جهة الإلزام، والوجوب إشارة إلى عدم كفاية القدر الذي رفعه ابن عمر، وقوله (فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ) فيه إشارة إلى شدة حرصه على تنفيذ أمر رسول

---

(١) برقم ٢٠٨٦/٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٠ بنحوه وعزاه إلى أحمد، فاستدرك عليه النووي بإيراده من رواية مسلم.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٣) ل في (ر خ و).

(٤) المرجع السابق في (ح ر ي).

الله ﷺ، وقول الصحابة (إلى أين؟) استفهام على حقيقته غرضه معرفة المقدار، وقوله (أنصاف الساقين) فيه إيجاز بالحذف، تقديره مقداره إلى أنصاف الساقين، وهو أفضل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠١)

٨٠١- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: ((يُرْخِينَ شِبْرًا)) قالت: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: ((فَيرخِينَهُ ذِرَاعًا لاَ يَزِدْنَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خيلاء: الكبر والعجب[2].

بذيولهن: جمع ذيلٍ: أسفل الثوب[3].

يرخين: يُرسلن[4].

---

(١) اخرجه أبو داود ٤٠٨٥ الشطر الأول، والترمذي ١٧٣١ بتمامه. تنبيه: الشطر الأول من الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر، وقد تقدم برقم ٧٩٢، وأما الزيادة التي في آخر الحديث فأخرجها الترمذي، قال الحافظ في الفتح ٢٥٩/١٠: وقد عزا بعضهم هذه الزيادة لمسلم فوهم، فإنها ليست عنده، وكان مسلم أعرض عن هذه الزيادة للاختلاف فيها على نافع، فقد أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما من طريق عبيد الله بن عمر، عن سليمان بن يسار، عن أم سلمة، وأخرجه أبو داود من طريق أبي بكر بن نافع، والنسائي من طريق أيوب بن موسى، ومحمد بن إسحاق، ثلاثتهم: عن نافع، عن صفية بنت أبي عُبيد، عن أم سلمة، وأخرجه النسائي من رواية يحيى بن أبي كثير، عن نافع، عن أمّ سلمة نفسها وفيه اختلافات أخرى، ومع ذلك فله شاهدٌ من حديث ابن عمر، أخرجه أبو داود من رواية أبي الصديق، عن ابن عمر، قال: رخص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين شبرًا، ثمّ استزدنه فزادهنّ شبرا، فكن يرسلن إلينا فنذرع لهنّ ذراعًا، وأفادت هذه الرواية قدر الذراع المأذون فيه، وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة.

(٢) ل في (خ ي ل).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ ي ل).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم ابادي ١٧٦٦.

الشرح الأدبي

الأسلوب خبري في بدايته يتسم بالهدوء، والثقة، ويقوم على حوار بين أم سلمة رضي الله عنها وبين رسول الله ﷺ ويبدأ بأسلوب الشرط عن طريق الموصول (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه) بغرض الترهيب من الفعل، لأنه ربط الفعل بالجزاء مع تقييده بيوم القيامة الذي يصعِّد الإحساس بخطر هذا الذنب، وينزع شبح الكبر الذي يودي بصاحبه إلى الحرمان من فضل الله، وقول أم سلمة رضي الله عنها (فكيف يصنعن النساء بذيولهن؟) استفهام يحمل مع طلب الفهم تعجباً ويعكس حيرة بين وجوب ستر جميع البدن للمرأة وبين الترهيب من جر الثوب، وقوله: (يرخين شبراً) الفعل المضارع يصوِّر الفعل، والمفعول (شبراً) يحدد المقدار وقولها (إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ) فيه إيجاز يقتضيه مقام خطاب البليغ تقديره: إذا أرخين شبراً تتكشف أقدامهن، وقوله: (فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لا يَزِدْنَ عَلَيْه) اقتصار على القدر المطلوب الذي يؤدي الغرض، ونهي عن الزيادة يشير إلى خطر الأمر لأنه يؤدي إلى الكبر، أو يتشبه به، والكبر من الذنوب التي تستوجب الحرمان من محبة الله، ومحبة الناس.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم لبس القميص وكم طول كمه: يستحب لبس القميص، لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، فهو أمكن في الستر من الرداء والإزار اللذين يحتاجان كثيرًا إلى الربط والإمساك وغير ذلك.

والسنة أن يكون طول الكم إلى الرسغ لا يتجاوزه، وأن يكون واسعًا باعتدال من غير تفريط، أما الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، فهي مخالفة للسنة، لم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، لأنها من الخيلاء.

فالمكروه كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة، وما كان على طريق العادة فلا[1].

---

(١) رد المحتار ٢٢٧/٢٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ١١٤/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٣/٤، ٤٥٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٣٠/١.

٢-حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٧، ٧٨٥).

٣-طول الإزار: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للرجل أن يكون إزاره إلى أنصاف ساقيه، وإن أراد تطويله فإلى الكعبين، فذلك أنقى لثوبه، وأتقى لربه، ويكره له ما زاد على ذلك إلا لعذر، كمن برجله جرح يؤذيه الذباب، وأسبل إزاره ليسلم من أذاها، فلا يكره، أما المرأة فقد اتفقوا على أنه يستحب لها ذيلها أسفل الكعبين بقدر شبر، فإن زدن على ذلك فمبقدار ذراع لا أكثر[١].

٤-حكم الإسبال: أجمع العلماء على أن إسبال الإزار، ونحوه إذا كان على سبيل الخيلاء يعد كبيرة، ومن أعظم الذنوب، فيحرم على الرجل جر ثوبه، أو إزاره على وجه الكبر والتعجب والزهو.

فإن جره لغير ذلك فهو مكروه، إلا إذا كان لحاجة "كقبح ساقه مثلاً" أو لضرورة، كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الهوام كالذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره فلا يكره[٢].

والإسبال لا يختص بالثوب والإزار فقط، بل يكون في كل شيء بحسبه، ففي القميص بتطويل أكمامه تطويلاً زائدًا على المعتاد، وفي العمامة بإرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة، وهكذا.

كما أجمعوا على جواز الإسبال للنساء[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، ٤٠٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٢) الكبائر ١٦٤، والزواجر ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٧١/٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠١- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٩٩، ٨٠٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

عرف العرب الكبر، وكانت له مظاهر شتى منها: المشية، الكلمة، الجلسة، الملبس، ومن مظاهر الكبر في الملبس إطالة الثياب حتى الأرض وكذا الإزار، ولبس ثوبين وهو ما عالجه الرسول ﷺ في حثه على ترك ذلك من خلال ما يلي:

أولاً- التربية الإيمانية:

تتجلى التربية الإيمانية في بيان رسول الله ﷺ أن النية أعظم الأسس التي يدور عليها العمل وحكمه، وذلك في إيضاحه لأبي بكر إعفاءه من إثم استرخاء أحد شقي إزاره، حيث قال له: " إنك لست ممن يفعله خيلاء" إذ أن قوام الأعمال بالنيات وأنها تختلف في أحكامها بحسب اختلافها في النية المنبعثة عنها"[(١)].

لذا كان من الواجب تربية النفوس لاسيما الناشئة منها على إخلاص العمل لله وتجرد النفس من العبودية والعمل لغير الله، وأن يتربى المؤمن على تقوى الله وتصحيح نيته وإخلاصها، ولا يعني ذلك الدعوة إلى إهمال العمل وإهمال الظاهر، بل لا بد من تكامل الظاهر مع الباطن، وبناء الظاهر على أساس قوي من الباطن، فالمسلم يجب عليه أن يكون نظيف الباطن مخلص النية مبتغياً الحرص على العمل الصالح، والبعد عن العمل الطالح، كما ينبغي كذلك أن يكون سوي السلوك طيب القول، نظيف الظاهر، حسن الهندام، وبذلك تتكامل شخصيته بشقيها: الجوهر والمظهر"[(٢)].

ثانياً- التربية الخلقية:

ونرى ذلك واضحاً في الحض على التواضع والبعد عن الاستكبار والترفع على الناس، حتى ولو كان ذلك في الملبس عن طريق الإسبال وغيره، كما في قوله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُر الله إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٠.

(٢) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص٩-١٦.

"إن تهذيب الأخلاق وتربية الروح على الفضائل كالتواضع وغيره من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية من أجل بناء إنسان على خلق عظيم في إطار القيم الخلقية التي صاغتها العقيدة الإسلامية"[1].

لقد بات معلوماً في الأذهان والضمائر مدى تأثير التربية الأخلاقية في بناء الأفراد والشعوب، فما من شك "أن للأخلاق أثراً قوياً في بناء الأمم والأفراد لأن كل السلوكيات والتصرفات ناشئة عن تلك الأخلاق، وبها يبلغ المرء أعلى المراتب والدرجات وأزكاها أو ينحدر إلى أسوأ الدركات وأردها"[2].

لذا كانت التربية الأخلاقية والتنشئة الروحية مطلباً رئيساً في التربية الإسلامية والغاية منها: "إعداد إنسان خيِّر في الحياة لينال خيرية المصير، والخيرية الحياتية تتطلب الخيرية الذاتية من خلال كون نية الإنسان وغايته خيرة في حياته كلها والكف عن جميع الشرور، وفعل الخيرات بالنيات الخيرة، وكون الأعمال الخيرة متفقة مع معتقد فاعلها، والخيرية الحياتية تعني كون الإنسان سليم النفس والجسم والعقل والوجدان والروح والعاطفة، وكل هذه الأمور تؤدي في النهاية إلى إحساس بخيرية المصير"[3].

ثالثاً- التربية الاقتصادية:

لقد حرم الإسلام الإسراف وحذر منه، كالزيادة في الإنفاق التي لا داعي لها خاصة إذا كانت هذه الزيادة منهياً عنها كإسبال الثياب التي نهت عنه أحاديث الباب.

لقد أوصى الإسلام بترشيد الاستهلاك والإنفاق، ورهب من الإسراف حتى في المباحات وعَظَّم إثمه في المحرمات، وجعل الله من صفات عباد الرحمن ترشيد الاستهلاك والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[4].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦، ٦٧.

(٢) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ص١١٠.

(٣) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص١٦٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

"لقد وضع الإسلام الموازين الصحيحة في اكتساب المال وفي إنفاقه، أنزلها الله نوراً وهداية للإنسانية لتسير في المال على منهج واضح مستقيم وتبني أسسها الاقتصادية على هذا الطراز المقدس من كلام الله تعالى العليم بأحوال الناس وما يصلحهم في معاشهم ومعادهم.

إن المال قوام الحياة وميدان النشاط البشري فوق البسيطة"[1]. لذا ينبغي تحري السبل والوسائل المباحة في تحصيله والطرق المشروعة في إنفاقه وترشيد استهلاكه.

رابعاً- التربية الجمالية:

إن الدعوة إلى التربية الجمالية ليست من باب الترف، وإنما هي أمر أصيل دعا إليه الإسلام، إذ أن المسلم ينبغي أن يكون بسلوكه وملبسه وهندامه علامة بين الناس يشار إليه بالبنان، ويسترعي الأنظار.

وكما جاء في الحديث: «فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ». وفي ذلك حفاظ لكرامة الإسلام واحترام المسلمين.

لقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على مظهر الجمال، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[2].

ودعا إلى النظافة وجعلها شرط صحة للعبادات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[3].

"إن العاقل من الناس يلتمس الجمال في كل مجال لينتفع به، وان استطاع أمتع غيره

---

(١) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

به، كما أن السعيد يتطلع إلى ناحية الجمال في الحياة، إذا أظلمت الحياة انتظر إشراقة الصباح، وإذا غربت الشمس انتظر شروقها، وإذا غاب القمر فالنجوم تتلألأ، وحينئذ تخف وطأة الحياة، ويملأ التفاؤل حياة الإنسان" (١).

خامساً: أسلوب المتابعة والتقويم:

إن من أهم أساليب التربية متابعة المربي لمن يربيهم من الناشئة والتلاميذ وغيرهم لما يصدر من سلوكياتهم وتصويب الصحيح منها وتقويم الخطأ منها، وهذا أسلوب نبوي أصيل، كما رأينا في أحاديث الباب من متابعته ﷺ للصحابة في سلوكياتهم في ملابسهم وتقويم ورفض الخاطئ منها، وذلك كإسبال الثياب، ومن شواهد ذلك قوله لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وقد استرخى إزاره "يا عبدالله ارفع إزارك".

لذا ينبغي على المربي تنفير مَن يربيه من كل ما يضر في أمور الدين والدنيا.

إن التنفير من الأمور السيئة لا يقل أهمية عن التحبيب في الأمور الطيبة، بل إن التنفير والتحذير من العوامل الأساسية التي تطهر الإنسان من الأفكار والمفاهيم الباطلة المضللة، والسلوكيات الخاطئة.

إن أسلوب التقويم من الأمور السيئة، وغير المحببة والتحذير منها قاعدة أساسية في الدنيا، وهي قاعدة ناجحة بكل المقاييس (٢).

سادساً: مراعاة الفروق الفردية والنوعية:

وذلك ما نلاحظه في المغايرة بين طول الثياب للرجل والمرأة، فبالنسبة للمرأة ينبغي عليها إطالة الثياب، والرجل تقصير الثياب، وعدم إسدالها، وكما جاء في أحد أحاديث الباب: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخُيَلاءِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَصنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «تُرْخِينَهُ شِبْرا» قَالَتْ: إذا تَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ قَالَ: «تُرْخِينَهُ ذِرَاعا لاَ تَزِدْنَ عَلَيْهِ».

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ١/١٠٤، ١٠٥.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٥٨-٢٦٠.

لذا ينبغي على المربي والمعلم أن يستحضر ما بين الناس من فروق وتباين في الجنس والفكر، ونحو ذلك.

"فالناس معادن، وقدرات وطاقات متفاوتة حرصاً وذكاءً، واستعداداً وتحصيلاً، والمعلم يتعامل مع الجميع ويخاطب الكل، وهنا تكمن مهارته في إقناع الجميع وتحقيق التوازن بينهم.

إن الاعتناء بالفروق الفردية أمر لم تبتكره التربية المعاصرة، بل أشار إليه أسلافنا الأوائل وأوصوا المعلم به"[١].

قال النووي: "وينبغي أن يكون -المعلم- باذلاً وسعه في تفهيم تلاميذه، وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، حريصاً على هدايتهم، ويفهم كل واحد بحسب فهمه، وحفظه فلا يعطيه مالا يحتمله ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ويخاطب كل واحد على قدر درجته، وبحسب فهمه وهمته، فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهماً محققاً، ويوضح العبارة لغيره، يكررها لمن لا يحفظها إلا بتكرار..."[٢].

سابعاً- من وسائل التربية: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن من أهم أسباب نجاح العملية التربوية والتعليمية تفعيل عملية المتابعة والملاحظة من قِبَل المربين والمعلمين، وذلك منهج إسلامي أصيل، ونلاحظ ذلك في أحاديث الباب، حيث إن النبي ﷺ لم يقتصر على مجرد النهي عن إسبال الثياب، وإنما شفع ذلك عملياً بالإنكار على مسبل الثياب، وأمره بتقصيره، ومن أمثلة ذلك قوله لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقد استرخى إزاره "يا عبدالله ارفع إزارك" فكان في ذلك إرشاد عملي توجه به الرسول ﷺ إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

إن أسلوب المتابعة والملاحظة لا يقتصر على العملية التعليمية والتربوية والدعوية فحسب، وإنما ينبغي أن يمتد ويتسع ليشمل جميع ميادين العمل والحياة كالمجال الإداري ونحوه، إذ أن من مهام المدير الإداري متابعة تنفيذ الخطة والإشراف على العمل،

---

(١) المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش ص٣٤، ٣٥.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي ٧٥/١.

وتعني المتابعة الرقابية الضبط والتأكد من أن ما يتم إنجازه مطابق لما تقرر في الخطة الموضوعة وهي عملية هامة إذ بها يتفادى المدير وقوع العاملين في الأخطاء، وبه يتم كسب الوقت والجهد لأنه يترتب على وقوع الخطأ الإصلاح، وهذا يتطلب تكلفة مالية وبشرية وزمنية، ولكن بالمتابعة يتم تلافي ذلك [١].

ثامناً- من أهداف التربية: قبول الحق والتسليم له والنزول:

ويتجلى ذلك في أحاديث الباب في مدى امتثال الصحابة للمربي الأعظم محمد ﷺ، ومن دلائل ذلك ما قاله ﷺ عن خريم رضي الله عنه "نعم الرجل خريم الأسدي، لولا طول جمته وإسبال إزاره"، فبلغ ذلك خريماً فعجَّل فأخذ شفرة فقطع بها جُمَّته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه" وذلك دليلٌ عمليٌّ على المسارعة إلى الصواب، والنزول على الحق بمجرد العلم والإحاطة به، وكذلك ما كان من ابن عمر رضي الله عنهما لما أمره النبي ﷺ بقوله: "يا عبدالله ارفع إزارك، فرفعته، ثم قال زد، فزدت، فما زلت أتحراها بعد، فقال بعض القوم إلى أين؟ فقال إلى أنصاف الساقين".

"إن من علامات صدق الإيمان لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي مصدر كان، فالصادق لا تراه إلا باحثاً عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل، ويقربه إلى مولاه، وإذا بان له الدليل ولاح له الحق فرح به، ووجد فيه بغيته، ولا يرده أبداً مهما كان قائله صغيراً كان أو كبيراً عدواً كان أو صديقاً.

وإذا وجدت هذه الصفة الكريمة عند المسلم وصارت من عادته وأخلاقه فإنها تنفي كثيراً من الصفات الذميمة مثل الكبر والاستعلاء والتعصب للآراء والتحزب للأشخاص، والهيئات، كما أنها تورث المحبة والألفة بين أهل العلم والدين، وتورث الاجتماع والائتلاف، وتنفي الفرقة والاختلاف.

كما أن قبول الحق والتمسك به يقتضي القول به والدعوة إليه دون لَبْس أو تردد، فالصادق لا تراه إلا صادعاً بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يجامل ويداهن في ذلك، ولا تصده رغبة ولا رهبة عن قول الحق" [٢].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٦٢.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ١/٣٢٥.

تاسعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة: فكيف تصنع الناس بذيولهن قال: يرخين شبرًا. قالت: إذًا تتكشف أقدامهن قال: فيرخينه ذراعًا لا يزدن".

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تُفَعّل دور المتعلم في العملية التعليمية، لأنها تتيح له الفرصة للمشاركة والإيجابية.

ب-الترهيب: كقوله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". والترهيب من الأساليب التربوية التي تدفع المتعلمين إلى اجتناب الأفعال والأقوال المرهب منها، نظرًا لما يترتب عليها من عقاب وعذاب.

ج-الإلقاء: كما في قوله ﷺ: "الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جرّ شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين ويمكن الإلقاء المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، لذا كان من الأنسب استخدامه في المراحل العليا من التعليم كالمرحلة الثانوية والجامعية.

د-الوصية: كما في حديث أبي جريٍ جابر بن سليم رضي الله عنه فقد قال لرسول الله ﷺ: "اعهد إلي" قال: لا تسبّن أحدًا" قال: فما سببت بعده حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة... الحديث".

والوصية من الأساليب التربوية الشائعة الاستخدام الكثيرة الوقوع في الحياة اليومية، كما وتتميز بطول بقاء أثر التعليم.



١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعاً

قَدْ سَبَقَ في بَابِ فَضْلِ الجُوعِ وَخشُونَةِ العَيْشِ جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بهذا الباب [١].

الحديث رقم (٨٠٢)

٨٠٢- وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((مَنْ تَرَكَ اللِّبَاس تَوَاضُعاً للهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أيِّ حُلَلِ الإيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا)) رواه الترمذيُّ [٢]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

غريب الألفاظ:

حلل: جمع حلة: الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقاً. والمراد: الزينة في الجنة [٣].

الشرح الأدبي

سرد الصحابي الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، منها (أن) واسمية الجملة، وصياغة فعل القول في صيغة الماضي الذي يدل على تحقق الوقوع، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بعظمة من يحدِّث عنه، ورغبته في تعظيم الخبر في أسماع المخاطبين، وتنبهاً إلى أهمية ما بعده.

وقد جاء المعنى النبوي في أسلوب الشرط الذي يربط الجزاء بالفعل، وقوله (من ترك اللباس) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وترك اللباس أي ترك الزينة

---

(١) الباب رقم ٥٦، الأحاديث ٤٩٠-٥٢٠.

(٢) برقم ٢٤٨١. وقال الحاكم ١٨٤/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل)، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٥٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٢/٢.

والعناية الزائدة عن الحد، وتقييده بقوله: (تواضعاً لله) فيه إشارة إلى ضرورة توفر النية، والإخلاص لله، وليس رياءً أو عجزاً، ولذلك قال: (وهو يقدر عليه) وقد أكد الخصوصية، والمقدرة بتعريف المسند إليه بالضمير، واستحضر الصورة بالمضارع الدال على الحال، والاستقبال.

ونسبة الفعل في جملة الجزاء لله تشريف للعبد، وتكريم له، وترغيب في الفعل، وقد صعَّد هذه المعاني بتقييده أولاً: بالظرف (يوم القيامة) ؛ لأن هذا اليوم لا قوة فيه لغير الله، ومن نجا فيه فاز فوزاً لا خسارة بعده، ونال الراحة الأبدية بعز رب البرية، ثم قيده ثانياً بالجار، والمجرور (على رءوس الأشهاد) وهو جزاء معنوي بتكريمه على الملأ يتبعه نعيم حسِّي، ولذلك جاء قوله (حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا) والإبهام الذي في (أي) يجعل الاختيار مفتوحاً، وجمع الحلل يشير إلى كثرتها، وإضافتها إلى الإيمان؛ لأنه الداعي المحرك للتواضع لله، وترك الترفع، والفعل المضارع (يلبسها) يصور هذا المتواضع البسيط بالأمس يتقلب في نعمة الله الآن في أجمل الحلل يخلع هذه، ويلبس تلك جزاءً من جنس العمل فقد قابل تواضعه لله بأن شهره بنفسه، ودعاه، وقابل خموله في الناس بترك التباهي بتكريمه على رءوس الأشهاد، وقابل تركه لثياب الدنيا بحلل الأيمان.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

استعمال اللباس: استعمال اللباس تعتريه الأحكام الخمسة: فالفرض منه ما يستر العورة ويدفع الحرّ والبرد. والمندوب إليه أو المستحب: هو ما يحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، ومن المندوب اللبس للتزين ولا سيما في الجمع والأعياد ومجامع الناس، والمكروه: هو اللباس الذي يكون مظنة للتكبر والخيلاء، والحرام هو اللبس بقصد الكبر والخيلاء[1].

---

(١) انظر: مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٧/٨، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٢/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤١/١، والموسوعة الفقهية ١٢٨/٦-١٢٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب التواضع يوم القيامة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على التواضع.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله وكرمه لعباده المؤمنين الطائعين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثواب التواضع يوم القيامة:

إن المسلم هين لين يتواضع للناس ويخفض جناحه لهم، ولا يتكبر عليهم، سواء في قوله أو فعله أو لباسه، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً للهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا»، ولا شك أن هذا بيان لثواب التواضع في اللباس يوم القيامة، قال المباركفوري: "من ترك لبس الثياب الحسنة المرتفعة القيمة تواضعاً لله، أى لا ليقال إنه متواضع أو زاهد، والناقد بصير، يشهره الله وبناديه من أى حلل أهل الإيمان شاء يلبسها"[1].

وقال القاسمي: (واللباس مما يظهر به التواضع والتكبر، وعلامة المتكبر فيه حرصه على التزين للناس للشهرة والمخيلة - وأما طلب التجمل لذاته في غير سرف ولا مخيلة فليس من الكبر، والمحبوب الوسط من اللباس، الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة، وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي ﷺ فينبغي أن يُقتدى به، ومنه ينبغي أن يتعلم"[2].

وقال الماوردي: "وأما الجمال والزينة في اللباس فهو مستحسن بالعرف والعادة، من غير أن يوجبه عقل أو شرع، وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير، ولذلك، قال عمر رضي الله عنه إياكم لبستين: لبسة مشهورة، ولبسة محقورة"[3]. (من ترك المظاهر وهو قادر

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٩٣٢/٢.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢٩٧/٢.

(٣) ادب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٤٠.

عليها إيثاراً للزهد على التظاهر، ولما عند الله على زهرة الدنيا لا عن بخل وشح، وتصدق بماله أو استغله في خير المسلمين، أثابه الله يوم القيامة بتعويضه ما حرم نفسه منه أضعافاً مضاعفة، ورفع ذكره بين الخلائق، ويسر عليه في هذا اليوم العسير)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن الأساليب الدعوية تتنوع وتتعدد إلى أساليب مختلفة، والداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يختار من الأساليب أنسبها للمدعوين، ومن هذه الأساليب أسلوب الترغيب، حيث جاء في الحديث: "حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في فعل الطاعات وترك المنكرات، فإن النفس البشرية جبلت على حب الخير، والوعد بالأجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٢].

قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقروناً ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة، والعلل الباعثة. هذا وقد اطرد في القرآن والسنة نعت الجنة بما يجعلها أمنية المتقين ومستقر الركب المرتحل بعد سفر طويل، والترغيب في الصالحات بهذا الأسلوب مستقيم مع الحق لامرية فيه"[٣].

ثالثاً- من آداب الداعية: حث المدعوين على التواضع:

إن الداعية يوجه المدعوين إلى ما ينفعهم، ويحرص على التزامهم بتوجيهات الإسلام، ولا يفتأ، يذكر المدعوين كلما علم خيراً، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: "من ترك اللباس تواضعاً لله" والتواضع خلق نبيل، وبه أُمر سيد المرسلين، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٤٦٥.

(٢) سورة العاديات، آية: ٨.

(٣) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ٣١٢.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[١]، والتواضع وعدم الترفع مما أمر به لقمان ابنه في وصيته: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢].

ووعد رسول الله ﷺ من يتواضع بأن يرفعه الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاّ رَفَعَهُ اللّهُ»[٣]. وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ))[٤].

ومن تواضع النبي ﷺ ما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عندما سئلت: ((ما كان النبيُّ ﷺ يصنعُ في أهلِهِ؟ قالت: كان في مِهنةِ أهله، فإذا حضَرَ إلى الصلاةُ قام إلى الصلاة))[٥]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ياأبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير»[٦].

قال الغزالي: (سئل الحسن البصري عن التواضع فقال: التواضع أن تخرج من منزلك، ولا تلقي مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً. وقيل لعبدالملك بن مروان أي الرجال أفضل؟ قال من تواضع من قدرة، وزهد عن رغبة. وقال عبدالله بن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل)[٧].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥٠.

(٧) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣٤٢/٣.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله وكرمه لعباده المؤمنين الطائعين:

إن فضل الله واسع ورحمته واسعة، وكرمه عظيم لعباده المؤمنين الطائعين، ويستنبط هذا من قوله ﷺ في الحديث: ((دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا))، ولا شك أن هذا يدل على فضل الله وكرمه، وعظيم ثوابه لعباده الطائعين المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[2].

قال ابن القيم: (وهو سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبقت رحمته غضبه، وحلمه عقوبته، وعفوه مؤاخذته، وأنه قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وانه يحب الإحسان والجود، والعطاء والبر وأن الفضل كله بيده، والخير كله منه، والجود كله له، وأحب ما إليه: أن يجود على عباده، ويوسعهم فضلاً، ويغمرهم إحساناً وجوداً، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، فسبحانه هو الجواد لذاته، العفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع)[3].

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) سورة المرسلات، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٨٩/١، ٣٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

التواضع من قيم الإسلام، ولهذا حبب الإسلام في كل ما يكسب هذه القيمة وينميها مثل: السلام على الصغار، ومسح رؤوس الأيتام والتوسط في الطعام والشراب، وترك فاخر الثياب، ومن هنا كان الحرص على:

أولاً- غرس خلق التواضع:

لقد جاء في الحديث صورة من الصور العملية للتحلي بخلق التواضع في قوله ﷺ "من ترك اللباس تواضعاً لله".

وإذا كان التواضع والتخلق به مطلوباً من المسلمين عامة، فإنه مطلوب من المربين والموجهين والمرشدين خاصة، إذ أن التكبر والتعالي على الآخرين والنظر إليهم بعين الاستصغار والازدراء يُعدُّ عقبة كَأْدَاء بين المربي وتلميذه، إذ كيف يسمع الأخير لمن مَيَّز نفسه عنه وتعالى عليه[1]، وتطاول حتى بدا وكأنه من جنس آخر أعلى من جنس الإنسان.

وبهذا يتبين أن التخلق بالتواضع من أركان التربية الخلقية ولوازم العملية التعليمية، وبدونه لا تؤثر التربية، ولا تجني ثمار التعليم، إذ أن من طبيعة الناس التي جبلهم الله تعالى عليها أنهم لا يقبلون قول من يستعلي عليهم، ويحتقرهم ويستصغرهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً" [2].

لذا ينبغي على المربي أن يكون قدوة حسنة في سلوكه وتصرفاته مصبوغاً متخلقاً بخلق التواضع لتكون تعاليمه أقرب ما تكون للقبول، وإرشاداته أسرع ما تكون إلى التنفيذ والتطبيق، وإذا ما توفر في المعلم والمربي التواضع والمتعلم والتلميذ الاحترام والإجلال نجحت عملية التربية نجاحاً لا مثيل لها، وانتهى الجميع إلى أسمى الغايات من الرفعة والسمو والارتقاء.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٥٠.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٣٤٧.

ثانياً- التركيز على معاني العقيدة:

إن من خصائص التربية الإسلامية التركيز على معاني العقيدة الإسلامية سواء كان ذلك وارداً في صريح الكلام أو في طياته، كما وردت الإشارة في حديث الباب إلى ذلك في قوله ﷺ: "من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة..."، وفي ذلك توجيه للمتعلم باستثارة ما هو كامن في عقيدته من الإيمان باليوم الآخر، وغيره من أركان الاعتقاد، لذا ينبغي على المربي تعميق العقيدة ومعانيها في النفوس، "حيث إن الإنسان في هذه الحياة يقوده اعتقاده واقتناعه، فالإنسان كما هو معروف يقاد من داخله، وإذا نبض هذا الداخل واستضاء بالعقيدة الحقة، داخلت نفسه بشاشة الإيمان وسرت فيه روح الحياة وتحركت طاقاته، وانطلقت مُفعَّلَةً بوقود إلهي رباني يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار"[1].

ثالثاً- التربية بالترغيب:

إن الترغيب في العمل الصالح بالتحبيب فيه والوعد عليه بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة أو عاجلة، من أنجح الأساليب التربوية، "بل هو من الأساليب الضرورية لأي معلم ومربٍ، إذ أن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيوياً كان الكسب أو أخروياً"[2].

وقد جاء استخدام الترغيب في حديث الباب، حيث بين ﷺ أن من ترك التظاهر وهو قادر عليه إيثاراً للزهد على التظاهر أثابه الله بتخييره بين حلل الجنة يلبس ما شاء منها، فقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لله وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرُهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا».

إن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في مجال التربية من الأهمية بمكان "فالإنسان بطبيعته النفسية يتأثر بما يثير الخوف في نفسه، وما يدفع بالأمل في قلبه.

إن الأعمال التي يريد المربي إتيانها من قِبَلِ المتربين لأنها مفيدة لهم أو يقلعوا عنها

---

(١) الدعوة إلى الله، "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي، ص١١٧.

(٢) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ص١٤٠.

لأنها ضارة بهم تحتاج في تنفيذها إلى حوافز وتشجيعات أو إلى نواهٍ وزواجر، ومن هنا تأتي الحاجة إلى الترغيب والترهيب"[1].



(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص٢١٧، ٢١٨.

١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

الحديث رقم (٨٠٣)

٨٠٣- عن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ يُرَى أثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)) رواه الترمذي[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يتناوله الحديث يُحدث توازناً بين الافتخار، والزينة، وبين الرثاثة والتبذل بحيث يتخذ المؤمن موقفاً وسطاً يتعامل به مع نعم الله في المطعم، والملبس وكل شؤون الحياة.

وقد جاء المعنى في صورة خبرية مؤكداً بأكثر من مؤكد تعظيماً له ينبع من قلب المتكلم يبعثه بنفس درجة إحساسه به في قلوب المخاطبين، ثم إن مجيء لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه فيه تشويق بالإضافة إلى أن لفظ الجلالة من الألفاظ الموحية بطبيعتها؛ لأنه يوحي بالهيبة، والجلال، والجمال في كل نفس بقدر صفائها، واستعدادها لتقبل وحيها.

أضف إلى ذلك ما تثيره كلمة (يحب)، (وأن يرى) الرؤية يمكن أن تكون بصرية أي تبصر نعمة الله ظاهرة على حاله، ويمكن أن تكون قلبية بأن يستشعرها في قلبه، ويستعظمها على نفسه، وأن يعلم أنه لا حول له، ولا قوة له فيها، بل هي محض فضل الله، وأثر النعمة ما يظهر منها بأن تظهر على مأكله، وملبسه، وصدقته، وزكاته، وتعليمه الناس إن كان عالماً، وخدمته للناس إن كان صاحب منصب، أو حرفة،

---

(١) برقم (٢٨١٩). وقال الحاكم (١٣٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والتعبير بحرف الجر (على) في قوله: (على عبده) يشير إلى كمال الظهور حتى تستعلي عليه، لأن الشيء كلما ارتفع كان أتم في الظهور، وذلك لون من ألوان شكر النعمة.

والتعبير بالعبد تذكير بلوازم العبودية من الذل، والخضوع، وإضافة العبد للضمير العائد على الله تشريف للعبد يقتضي مزيد شكر، وطاعة للمنعم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على إظهار أثر نعم الله على الإنسان.

ثالثاً: من آداب المدعو: التحدث بنعمة الله والشكر العملي لها ببذل المعروف والصلة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

اولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين، وتبين مدى ثقة الداعية فيما يقول، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب التوكيد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[2].

(إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما، مراعياً موطناً آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به، لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. ولقد جاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة، فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب - ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشاً، مقراً بعجز الخلق

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٩.

أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على إظهار اثر نعم الله على الإنسان:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده". قال المباركفوري: "والمراد بأثر نعمته أي: إحسانه وكرمه تعالى، فَمِنْ شُكْرِها إظهارها ومن كُفْرانها كتمانها. قال المظهر: يعني إذا أتى الله عبداً من عباده نعمة من نعم الدنيا فليظهرها من نفسه، بأن يلبس لباساً يليق بحاله لإظهار نعمة الله عليه، وليقصده المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات، وكذلك العلماء يظهروا علمهم ليستفيد الناس منهم"[2]. هذا وقد امتن الله على عباده بكثير من نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3]، وأمر الله بإظهار نعمته والتحديث بها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4].

قال السيوطي: عن أبي نضرة قال: "كان المسلمون يرون أن من شكر النعمة أن يُحدث بها". وعن عمر بن عبدالعزيز قال: "إن ذكر النعم شكر". وعن الحسن قال: "أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكر". وعن قتادة قال: "مِنْ شُكْرِ النعمة إفشاؤها". وعن الحسن بن علي قال: "إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك"[5].

وقال ابن عاشور: "وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[6]، مقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[7]، فإن الإغناء نعمة، فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ١٢٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١١١/٢

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٤) سورة الضحى، آية: ١١.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩١/١٥.

(٦) سورة الضحى، آية: ١١.

(٧) سورة الضحى، آية: ٨.

بالحديث عنها وإعلان شكرها، وليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة، وإنما أريد الجنس، فيفيد عموماً في المقام الخطابي، أي حدث بما أنعم الله به عليك من النعم، فحصل في ذلك الأمر شكر نعمة الإغناء، وحصل الأمر بشكر جميع النعم لتكون الجملة تذييلاً جامعاً[(١)]. والمسلم مطالب أن يظهر نعمة الله عليه.

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال الباطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال، أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوي تجمل بواطنهم، فقال سبحانه: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[(٢)]، وقال في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[(٣)]، فجمل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير. وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والزينة والهيئة، يبغض القبيح من الأفعال والأقوال والثياب والهيئة، فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله"[(٤)].

وقد أرشد النبي ﷺ أصحابه إلى أن يظهروا نعمة الله عليهم، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: كُنْتُ جَالِسا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي رَثَّ الثِّيَابَ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ»، وفي رواية: «فلتر نعمته وكرامته عليك»[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٢ -٤٠٣/٣٠

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) سورة الإنسان، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٢٦٢، ٢٦٣.

(٥) أخرجه النسائي ٥٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٨٢٠)، وأخرجه الترمذي ٢٠٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٢).

ثالثاً- من آداب المدعو: التحدث بنعمة الله والشكر العملي لها ببذل المعروف والصلة:

يتضح هذا من سياق الحديث: فإن الشكر الحقيقي لنعمة الله يكون بالتحدث بها وبذلها للناس إن استطاع، قال ابن القيم: "الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه: شهودا ومحبة، وعلى جوارحه: انقيادا وطاعة"[(١)]. وقد ربط الله سبحانه بين شكر النعمة والزيادة منها، فقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[(٢)]، وبين القرآن أن ثمرة شكر النعمة تعود على الشاكر نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾[(٣)].

والشكر هو الاعتراف بالإحسان، والمسلم يتحدث بنعمة الله ويشكر ربه عليها "إن الشكر هو ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيماناً، وفي لسانه حمداً وثناءً، وفي جوارحه عبادة وطاعة، ويكون القليل من النعمة مستوجباً للشكر الكثير، فكيف بالكثير منها، والشكر شعبة من شعب الإيمان، فالشكر على النعمة يقابله الصبر على الضراء، والشكر صفة من صفات الله عز وجل، فقبل أن يُشَرف الحق سبحانه وتعالى عباده بدعوتهم إلى التخلق بالشكر، أخبرهم أنه في حقه صفة من صفات كماله، فمن أسمائه الحسنى "الشكور" لا يبخس العباد أعمالهم، ولا يظلمهم حقهم، بل يجزي بالحسنة أضعافها، ويجزي بالسيئة مثلها، وقد يعفو ويغفر. والشكر خلق من أخلاق الأنبياء عليهم السلام فهم أول من اقتبس من نور هذه الصفة الإلهية، فشكروا الله تعالى فشكر الله لهم"[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٤٤.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٢.

(٤) فضيلة الشكر، د. محمد عزالدين توفيق، مقال بمجلة البيان، العدد ١١٤، صفر ١٤١٨هـ/ يوليو١٩٩٧، ص٦٨، ٦٩.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"، وإذا علم العبد أن الله يحب أمراً فإنه يسارع في فعله، وتنفيذه، فأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع المدعو إلى تنفيذ الفعل. "ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، فإن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى الطاعة"[1].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[3].

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩٣.

(٢) سورة محمد، آية: ١٢.

(٣) سورة المطففين، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

لا يعني النهي عن اتخاذ فاخر الثياب كبراً أو شهرة أن يلبس الإنسان ردّي الثياب ورثه، بل الإسلام أذن بلبس ما يحسن لبسه وحرم التبذل في الملبس لمن كان ميسور الحال وبهذا تقوم التربية الإسلامية على:

أولاً- التربية على الوسطية والاعتدال والتوازن في جميع ميادين الحياة:

إن من ينظر في حديث الباب والأبواب التي قبله من كتاب اللباس ليلمس بحسه دعوة الإسلام وتربية أتباعه على الوسطية والاعتدال.

ففي الوقت الذي دعا إلى عدم التظاهر والمبالغة في استخدام الطيبات كما في قوله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء" وقوله: "من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"، يدعو إلى تلبية حاجات الإنسان وإظهار نعم الله عليه، فقال ﷺ "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده".

لقد ربى الإسلام أتباعه على اتخاذ التوازن والاعتدال منهجاً وسلوكاً، وذلك من دلائل كمال المنهج الإسلامي وعجز الأنظمة الأخرى، "فلقد عجز الإنسان على مر العصور عن وضع نظام متوازن يطبقه في واقعه، كما نجد أنه ليس هناك منهج أو نظام بشري يخلو من الإفراط أو التفريط، وهذا ما أثبته لنا التاريخ ويريه لنا الواقع" [1].

أما الإسلام بتوازنه فإنه يتناول عناصر الشخصية جميعها واحتياجاتها ومتطلباتها لا يغفل عن شيء منها، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاول فيها نشاطه دون أن يكون هناك تعارض مع العناصر الأخرى، والذي جعل الإسلام هكذا لأنه دين الله الخالق، وهو أعلم بخلقه [2].

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٢٧.

(٢) انظر: معالم في التربية، د. عجيل جاسم النشمي ص١٢١.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[(١)].

وهكذا نرى أن الإسلام ربى الإنسان بطريقة متوازنة[(٢)]، وكان نتاج ذلك إيجاد مجتمع متوازن وإنسان متوازن وشخصية إسلامية متوازنة في كل شيء في المادة والروح في الدنيا الآخرة، في الروح والعقل والجسم بعيداً عن الغلو، دونما إفراط أو تفريط.

ثانياً- الابتعاد عن إيلام النفس وتعذيبها:

لقد جاء الحديث حاملاً دعوة الإسلام لأن تظهر نعم الله على من أنعم عليه، ومن مظاهر ذلك الاستمتاع بما خلق الله وأنعم في المباحات في حدود الضوابط المشروعة، فقال ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده".

وبذلك يظهر فضل الإسلام على غيره من الأديان والمذاهب التي وضعها البشر لأنفسهم، والتي "منها ما نظر أتباعها إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها وعطلوا قواهم من عمارتها والإسهام في تنميتها وترقيتها واكتشاف ما أودع الله فيها، كما عُرِف ذلك في برهمية الهند ومانوية فارس، وبدا ذلك بوضوح وجلاء في نظام الرهبانية الذي ابتدعه النصارى فعزلوا به جماهير غفيرة عن الحياة والتمتع بها والإنتاج فيها.

وأصبح الشائع في مفهوم الناس عن الدين والتدين الحق، هو الانقطاع عن العالم، والتفرغ للعبادة، وأن المتدين الحق هو الذي يتبطل فلا يعمل ويتقشف فلا يتمتع، ويتبتل فلا يتزوج، ويتعبد فلا يفتر، يده في الدنيا صفر، وحظه من الحياة خبز الشعير ولبس المرقع واتخاذ الفَلَوَات داراً"[(٣)].

لقد جاء الإسلام بمنهج يوجه الإنسان إلى الجمع بين الحياة الدنيا وما فيها من المنافع والملاذ والطيبات التي أحلها الله، وبين الحياة الآخرة ومصيرها في وقت واحد[(٤)]،

---

(١) سورة الملك، آية: ١٤.

(٢) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص١٠١.

(٣) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤١، ١٤٢.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٣٧.

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾[(١)].

ثالثاً- العناية بالمظهر والملبس:

من المضامين التربوية التي يحملها الحديث ويزجيها للمربين ولمن يتوجون إليهم بالتربية على حد سواء الاهتمام بالمظهر والملبس الطيب الذي يوحي إلى من يراه بعلامات وآثار نعمة الله عز وجل.

"إنه مما ينبغي الحرص عليه الاهتمام بجمال المنظر من حيث النظافة واللبس الحسن، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة[(٢)].

وذلك في حدود القصد والاعتدال والبعد عما حرم الله تعالى.

فأحرى بالمربين والمعلمين ألا يهملوا الاهتمام بالجانب الجمالي، فإن الاعتناء بالجانب الجمالي أمر ضروري لتكوين إنسان متكامل وشخصية مثالية في كل شيء حتى في جانب الملبس والمظهر.

رابعًا-حفظ الهيبة وبقاء الكرامة:

من المحاسن التربوية التي يحملها الحديث التربية على حسن الهيئة والهندام، فإن ذلك من أسباب حفظ الهيبة، وبقاء الكرامة، فالناس درجوا على احترام صاحب الهيئة الجميلة المسترعية للانتباه والاهتمام، وأحوج الناس إلى تطبيق ذلك هم العلماء والدعاة والمعلمون والمربون، فالناس يرون هيئاتهم قبل أن يسمعوا كلامهم فليكونوا شامة بين الناس.

فما أجمل وأجمل بالمؤمن: "أن يلبس من الثياب ما يحفظ هيبته، ويبقى كرامته، ويتناسب مع مكانته تحدثاً بنعمة الله تعالى، وشكراً له، لا فخراً ولا ترفعاً ولا كبراً على غيره في حدود المعقول والإمكانيات المتاحة له"[(٣)].



---

(١) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، الطبعة الأولى، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص٧٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٥.

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير عَلَى الرجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

الحديث رقم (٨٠٤)

٨٠٤- عن عمر بن الخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

ورد المعنى في صورة إنشائية تصدَّرها أسلوب النهي بـ (لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع (تلبسوا) المتصل بواو الجماعة دلالة على عموم النهي لكل رجال المسلمين، والتعريف بـ (ال) في كلمة الحرير للعهد أي المعهود المعروف لديكم، أو للجنس أي جنس الحرير كله.

ثم جاءت جملة التعليل مرتبطة بما قبلها بفائه لتحقق الإقناع العقلي بالبرهان بعد الإقناع القلبي بالإيمان بضرورة الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ، ولكي تحقق هذه الجملة الإقناع أكدها بـ (إن) مع اسمية الجملة، ثم الاسم الموصول الذي ينبه على الخطأ، والفعل الماضي الدال على تحقق الوقوع، والجار، والمجرور الدال على العجلة (في الدنيا)، ثم استخدام أداة النفي، والجزم (لم) التي تقرر الحرمان، ولا ننسى أثر المقابلة بين الدنيا، والآخرة التي تقرر عظم الخسارة لمن آثر المتاع الأدنى الفاني على المتاع الأعلى الباقي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (١١/٢٠٦٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٢٠).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم لبس الحرير: أجمع أهل العلم على أن لباس الحرير الخالص، مباح للنساء، محرم على الرجال في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما[(١)].

٢-حكم افتراشه وتوسده والنوم عليه: ذهب الجمهور إلى أنه يحرم على الرجال أيضاً استعمال الحرير، بوجه من هذه الوجوه، كما يحرم عليه لبسه.

بينما ذهب أبو حنيفة، وابن الماجشون المالكي إلى أنه لا بأس للرجل بافتراش الحرير وتوسده والنوم عليه، لأنه استخفاف به، فلا يكره[(٢)].

٣-حكم استعماله في الضرورة: ذهب الجمهور إلى أنه يجوز لبس الحرير للتداوي به من الجرب، أو الحكة، أو غيرها من الأدواء التي يفيد فيها لبس الحرير.

وفي رواية عن مالك، وقول للشافعي، ورواية عن أحمد: لا يجوز ذلك، لأن الحرمة الواردة في الأحاديث عامة في الرجال، أما أحاديث الرخصة فيحتمل اختصاصها بعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام[(٣)].

٤-حكم استعمال أواني الذهب والفضة: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦).

---

(١) الاختيار ١١/٤، والمقدمات ٤٣١/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

(٢) الاختيار ١١/٤، ١٧، والمقدمات ٤٣١/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

(٣) الاختيار ١١/٤، والمقدمات ٤٣٠/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١، ٥١٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٣٤/١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تحريم لبس الحرير.

ثالثاً: من آداب الداعية: تحذير المدعو مما يضره في الآخرة.

رابعاً: من واجبات المدعو: السمع والطاعة والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والتوكيد:

١- النهي: حيث جاء في الحديث "لا تلبسوا الحرير" وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، وضرورة اجتنابه، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[3].

٢- التوكيد: حيث جاء في الحديث "فإن من لبسه في الدنيا" وقوله "إنما يلبس الحرير" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين مدى ثقة الداعية وصدقه، فيما يقول ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[4] وقوله جل شأنه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تحريم لبس الحرير:

حيث جاء في الحديث "لا تلبسوا الحرير" وقوله "إنما يلبس الحرير من لا خلاق له" ولاشك أن هذا يدل على حرمة لبس الحرير للرجال، قال النووي: وقوله: "لا خلاق له في

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٥، ٨٠٦).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) سورة الانفطار، آية: ١٣.

(٥) سورة البروج، آية: ١٢.

الآخرة" فقيل معناه: من لا نصيب له في الآخرة، وقيل: من لا حرمة له، وقيل: من لا دين له فعلى الأول يكون محمولاً على الكفار، وعلى القولين الأخيرين يتناول المسلم والكافر[١]. وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال ((أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ لإناثِ أُمَّتِي، وحُرِّمَ على ذُكُورِهَا))[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على حل الحرير المصمت - أي الخالص - للنساء لبساً واستعمالاً واتفقوا على حرمة لبس الحرير المصمت أي الخالص على الرجال ثياباً وغطاءً للرأس واستعمالاً، ولو بحائل، وذلك للأحاديث التي تصرح بحرمته على الرجال، وهذا في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما)[٣]. وقال ابن مفلح: (وفي اللباس يحرم على كل رجل حر وعبد استعمال ثوب وعمامة وتكة وسراويل وشرابة من الحرير بلا ضرورة، نص عليه الإمام أحمد، وقال الشيخ وجيه الدين بن المنجي: يحرم استعمال الحرير لباساً وافتراشاً)[٤].

قال محمد تقي العثماني: (إن اللباس والزي وإن كان أمراً يتعلق بمظهر الإنسان دون مخبره، غير أن له أثراً عميقاً على سيرته وخلقه وأحواله النفسية، فإن من اللباس ما يغرس في النفوس بذور الكبر والخيلاء، ومنه ما يربي فيها التواضع لله، ومنه ما ينشئ فيها الأخلاق الحسنة، ومنه ما يمهد لها السبيل إلى الإسراف والأشر والبطر وغمط حقوق الناس، فمن زعم أن اللباس ليس إلا مظهراً من المظاهر، ولا صلة له بالسير والأخلاق الكامنة في الصدور، فقد جهل طبيعة الإنسان. ولذلك لم يترك الإسلام أمر اللباس سدى، ولكن وضع له مجموعة من المبادئ، من أهمها أن يكون اللباس ساتراً للعورة، وأن يقصد به الستر والتجمل، وليس الخيلاء والكبر، أو الأشر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١١.

(٢) أخرجه النسائي ٥١٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٧٥٤).

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/١٧.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٧١/٣.

والبطر أو الرياء وأن لا يقصد التشبه بلباس الكفار، وأن لبس الحرير حرام للرجال دون النساء وكذلك إسبال الإزار إلى الكعبين، لا يجوز للرجال، ويجوز للنساء)[١].

ثالثاً- من آداب الداعية: تحذير المدعو مما يضره في الآخرة:

حيث جاء في الحديث "من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وجاء في الحديث أيضاً: "إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة" ولاشك أن من أهم واجبات وآداب الداعية، هو تحذير المدعو مما يضره في الآخرة، حتى يتنبه ويأخذ حذره، ولا يقع في المحظور، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة.

قال ابن حجر: (فيكون ذلك عقابه في الجنة، وذلك بأن يصرف الله نفسه عن طلبها لا أنه يحب ذلك، ويمنع منه لأن ذلك يخالف مقتضى تلك الدار من زيادة الإكرام، ومثله ما جاء في شارب الخمر، إذا مات ولم يتب، من أنه لا يشرب الخمر في الجنة. وقد قال ابن العربي: وظاهر حديث شارب الخمر، وحديث لابس الحرير، أنه لا يشرب الخمر في الجنة، ولا يلبس الحرير فيها، وذلك لأنه استعجل ما أمر بتأخيره ووعد به، فحرمه عند ميقاته)[٢].

وقال المباركفوري: (قال القاضي الشوكاني، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة، وقد قال الله تعالى في أهل الجنة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٣] فمن لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة. وقال السيوطي: تأويل الأكثرين هو أن لا يدخل الجنة مع السابقين الفائزين)[٤]. هذا وقد جاء في القرآن ما يفيد أن لباس أهل الجنة من الحرير، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[٦] وقال

---

(١) انظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٠/٧٦-٧٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٥.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١١٠.

(٥) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٢١.

تعالى: ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾(١).

وبناء على هذا، كان من واجب الداعية وآدابه تحذير المدعوين مما يعود عليهم بالضرر في الآخرة، خاصة وأن النبي ﷺ أخبر في الحديث أن من يلبس الحرير لا خلاق له في الآخرة، أي لا نصيب له في الآخرة.

رابعاً- من واجبات المدعو: السمع والطاعة والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه:

يتضح هذا من سياق الأحاديث، وقد أمر الله بهذا فقال سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(٢) قال السعدي: (وفي هذه الآية أصل عام شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، ولا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله)(٣). ووصف الله تعالى المؤمنين بقوله عز وجل: ﴿ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤).

قال ابن كثير: (أخبر سبحانه وتعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله، بأنهم يقولون سمعنا وأطعنا، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، وهو نيل المطلوب، والسلامة من المرهوب، قال قتادة: وذُكر لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليقة وللمؤمنين عامة. والذين يطيعون الله ورسوله هم الذين فازوا بكل خير، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة)(٥).

---

(١) سورة الكهف، آية: ٣١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

(٤) سورة النور، آية: ٥١.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٦.

خامساً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وفي الحديث "إنما يلبسه من لا خلاق له في الآخرة" قال ابن عثيمين: (وهذا وعيد يدل على أن لباس الحرير للرجال من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد في الآخرة، وكل ذنب فيه وعيد الآخرة فهو كبيرة من كبائر الذنوب عند أهل العلم)[1]. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو، وتحمل النفس على الطاعة والالتزام بالأوامر، والانتهاء عن النواهي (والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾[4].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١١١/٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٣) سورة النبأ، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة البروج، آية: ١٠.

الحديث رقم (٨٠٥)

٨٠٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((إنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: ((مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ)). قوله: "مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ"، أي: لا نصيب له.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى الحديث السابق، وهو النهى عن لبس الحرير للرجال، وهو للراوي نفسه، وهو عمر رضي الله عنه وهذا مما يؤكد معنى ما قاله سابقاً لإحاطته بأطراف الموضوع، وقد جاء في أسلوب مختلف عن سابقه حيث جاء في أسلوب خبري، وهو أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهذا الطريق من طرق القصر يأتي في المعاني التي يجهلها المخاطب، أو ينكرها مما يشير إلى أنه رأى من يلبسها جهلاً بحكمها، أو إنكاراً لمعناها، أو رأى ما يشبه ذلك فصاغه هذه الصياغة، ومعنى هذا القصر قصر صفة لبس الحرير على موصوف هو من لا خلاق له أي: لا نصيب له، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: في الآخرة.

والتعبير بجملة (من لا خلاق له) توحي بأن من يلبس الحرير في الدنيا في أخلاقه نقص من ناحية عدم إتباعه لأمر الله، ونهي الرسول ﷺ، أو من ناحية جهله بما لا يجب أن يجهله من أمور دينه.

واستخدام الاسم الموصول (من) يشير إلى عموم الحكم للرجال، والنساء، وبعض أحاديث الباب تخص النهي عن لبس الحرير بالرجال.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠٨١، ومسلم ٢٠٦٩/١٠. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٢١.

(٢) برقم ٥٨٣٥. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٠٢١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠٦)

٨٠٦- وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

انس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري خلى من المؤكدات غرضه إثبات مضمونه، هذا في بداية كلام الراوي أما في بدية حديث الرسول فقد بدأ بأسلوب خبري أيضاً بداية بالموصول (مَنْ) الذي تضمَّن معنى الشرط، الذي يربط اللبس للحرير في الدنيا بالحرمان منه في الآخرة، ويفهم منها ضمناً شرط آخر، وهو أن من حرم نفسه منه في الدنيا إرضاءً لربه ألبسه الله إياه في الآخرة فالعلاقة بين الشرط، وجزائه علاقة عكسية إذا انتفى الشرط ثبت الجزاء، وإذا انتفى الجزاء ثبت فعل الشرط.

وفعل الشرط (لبس) الماضي الدال على التحقق والتعريف بـ (ال) في كلمة الحرير للعهد أي المعهود المعروف لديكم، أو للجنس أي جنس الحرير كله، وقوله في (الدنيا) إشارة إلى حرمتها، وأن هذه الحرمة مؤقتة، وأنها ستصير حلالاً في الآخرة إذا صبر المؤمن طاعة لربه، وقوله (فلن يلبسه) الفاء في جواب الشرط، ولن أداة نفي، والفعل المضارع المنفي يقرر حرمان المتعجل لهذه الزينة المخالف لسنة نبيه، ولا ننسى أثر المقابلة بين الدنيا، والآخرة التي تقرر عظم الخسارة لمن آثر المتاع الأدنى الفاني على المتاع الأعلى الباقي.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري ٥٨٣٢، ومسلم واللفظ له ٢٠٧٣/٢١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٠٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٤، ٨٠٥).

الحديث رقم (٨٠٧)

٨٠٧- وعن علي رضي الله عنه، قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أخَذَ حَريراً، فَجَعَلَهُ في يَمِينهِ، وَ[1] ذَهَباً فَجَعَلَهُ في شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتي)) رواه أبُو داود[2] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

يروي الحديث عليٌّ رضي الله عنه بأسلوب خبري يبدأ بفعل الرؤية الذي يدل على تمام العلم، وصيغة الماضي التي تدل على تمام التحقق، ، وقوله (أخذ حريراً) تنكير المفعول للتقليل وكذلك (ذهباً) والجمع بينهما من مراعاة النظير لأنهما من زينة الناس، ومما حرم على الرجال، والطباق بين اليمين والشمال يصور الصنفين مجتمعين مفترقين، مجتمعين في حكم الحرمة مفترقين في يدي الرسول ﷺ.

وقول الرسول ﷺ (إن هذين حرام على ذكور أمتي) توكيد الخبر تعظيم له، وتنبيه إلى خطره، وتعريف المسند إليه بالإشارة لتمييزه أكمل تمييز، وجعله ملأ الأسماع، والأبصار؛ لأن المعنى ثمْ يثبت بحاستي السمع، والبصر، وهما أقوى من حاسة واحدة، وأثبت؛ لأن الإشارة القريبة تلفت النظر إلى المشار إليه فيتقرر به مع السمع، وهذا أقوى في إثبات المعنى.

---

(١) عند أبي داود زيادة: (أخذ).

(٢) برقم ٤٠٥٧. قال عبد الحق في الأحكام ١٨٤/٤: قال ابن المدينيّ: حديثٌ حسنٌ، ورجاله معروفون. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: شد الانتباه والإشارة باليدين.

ثانياً: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح لإقرار المعاني في الأذهان.

ثالثاً: من واجبات المدعو: اجتناب الأمور التي حذر منها رسول الله ﷺ.

رابعاً: من أصناف المدعوين: الذكور والإناث من المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: شد الانتباه والإشارة باليدين:

ورد ذلك الأسلوب في قول علي بن أبي طالب: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيراً فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وذَهَباً فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي». وإن شد الانتباه ولفت الأنظار واستعمال الإشارة من أسباب جودة الأداء والعرض لدى الداعي، فإن جودة الأداء تستدعي أن يتذكر الخطيب للحال ما يريد بيانه من المعاني وأن يوصلها إلى السامعين بالصوت الخاص ناطقاً بها، ولا غنى له عن إشارات تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحاً، وبذلك يصل إلى المقصود من قلوب الحاضرين[2]. فإن من الناس من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة[3].

ثانياً- من واجبات الداعية: البيان والتوضيح لإقرار المعاني في الأذهان:

إن من أهم الواجبات البارزة التي يجب على الداعية الاضطلاع بها، والتي هي أهم الأسباب في نجاح الدعوة: "البيان والتوضيح"، ولقد أمر الله تعالى الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء أن يوضحوا الحق للناس، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[5]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٨، ٨٠٩).

(٢) فن الخطابة وإعداد الخطيب، على محفوظ ص ٦٤.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ١٢٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٣.

الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة[١]، ومن يقرأ الحديث يجد مدى بيان الرسول ﷺ لحكم الذهب والحرير، بالبيان القولي والإشارة وتفصيل الحكم واختلافه بالنسبة للذكور والإناث. "أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله، ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي"، وفي رواية أبي موسى الأشعري: "حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم".

وفي ذلك تصوير عملي وتشخيص واقعي أعلن رسول الله ﷺ حرمة الذهب والحرير على الرجال لغير ضرورة، فعلى لابسيه أن يخلعوه[٢]، لذا ينبغي على الداعية أن يبلغ الدعوة تبليغاً مبيناً، لا يستعصى على فهم، ولا يقف على عقل، وأن يتخذ من الوسائل والأساليب ما يعينه على ذلك. وذلك من واجبات الداعية. يقول عبدالرحمن حسن حبنكة: (فتبليغ نصوص الدين وبياناته وتعليماته تبليغاً يوصل المعاني إلى فهم المبلغين فهماً صحيحاً وافياً، أول واجبات حملة رسالة الدعوة إلى الله، وإلى صراطه المستقيم مع دعوتهم إلى الدخول في الإسلام، وإشعارهم بأنهم بعد البلاغ يحملونهم مسؤولياتهم تجاه ربهم، وعليهم أن يتحملوا نتائج ما يختاروا لأنفسهم، من استجابة وطاعة، أو رفض ومعصية)[٣].

ثالثاً: من واجبات المدعو: اجتناب الأمور التي حذر منها رسول الله ﷺ

إن من صحة الإسلام وكمال الإيمان طاعة رسول الله ﷺ، بامتثال أمره واجتناب نهيه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٥]، أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦-٢٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٦.

(٣) فقه الدعوة ١٦/١، ١٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

بخير وإنما ينهي عن شر[١].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"[٢]. ومن الأمور الواجب اجتنابها، ما جاء في الحديث من تحريم لبس الحرير والذهب على الذكور، فقال ﷺ "إن هذين حرام على ذكور أمتي".

ولقد أعطانا الصحابة رضي الله عنهم مثالاً يحتذى في الاستجابة المطلقة لرسول الله ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن دلائل ذلك ما روى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال يعمِد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»[٣]. وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل فرمى به ثم قال: والله لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم»[٤].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "فنبذ الناس خواتيمهم" فيه امتثال ما يلزمهم من الاقتداء بأوامر النبي ﷺ وأفعاله، وقوله في حديث الرجل "لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ" مبالغة في امتثال طاعته واجتناب نهيه)[٥].

رابعاً- من أصناف المدعوين: الذكور والإناث من المسلمين:

إن مراعاة تصنيف الداعي للمدعوين من الأمور التي تعين على نجاح الدعوة، فما

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٩١.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٠٤/٦، ٦٠٥.

يقال للمشركين لا يقال لأهل الكتاب، وكذلك ما يقال لأهل الكتاب غير ما يقال ويوجه به المسلمون، وكذلك تصنيف المسلمين إلى رجال ونساء، وكذلك تصنيفه لهم إلى مؤمنين صادقين، ومحسنين، ومسلمين لا يتصفون بهذه الصفات، وغير ذلك من تصنيفات تساعد الداعي على معرفة الداء والدواء المناسب لها، وعوامل الانتصار والهزيمة[1]، وقد جاء الحديث موجهاً للذكور والإناث من المسلمين في مجال الملبس والزينة، فقال ﷺ: مبيناً حكم الحرير والذهب: «إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»، وقال: " حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم".

---

(١) فقه الدعوة والإعلام، د. عمارة نجيب ص ٢٣.

الحديث رقم (٨٠٨)

٨٠٨- وعن أَبي موسى الأشعَري رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإنَاثِهِمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

أسلوب أبي موسى الأشعري ﷺ أسلوب خبري مؤكد تعظيماً للخبر، وقول الرسول ﷺ خبر مجرد عن التوكيد قائم على أسلوب الطباق الذي يعتمد تقرير المعنى عن طريق الجمع بين المتضادين وقوله: ﷺ (حرم لباس الحرير وَالذَّهَب عَلَى ذُكُور أُمَّتِي وَأُحِلّ لإنَاثِهِمْ) فيه مطابقة بين الفعلين حُرم، وأحُل، وبين الذكور، والإناث، وهذا الطباق يوحي بعدة دلالات منها:

أن مسألة التحريم، والتحليل تشريع فوق اختيار الفرد بل، وفوق اختيار الرسول ﷺ لأنها تشريع من الله - عز وجل - وهذا ما يؤكده بناء الفعلين لما لم يسم فاعله، وفيها إيجاز بحذف الفاعل للعلم به أي: حرم الله، وأحل الله.

ومنها أن هذا الطباق يقرر المفارقة بين الجنسين تبعاً لطبيعة كل منهما فما يصلح للرجال قد لا يصلح للإناث، والعكس، وهذا ليس تمييزاً لجنس على جنس، وإنما رعاية لطبيعة كل منهما.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ١٧٢٠. سعيد بن أبي هند لم يلق أبا موسى الأشعري، كما قال أبو حاتم في المراسيل لابنه ص ٧٠، وقال الدارقطني في العلل ٢٤٢/٧ : سعيد بن أبي هند لم يسمع من أبي موسى شيئا ، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٥٣/١ : ومشى ابن حزم على ظاهر الإسناد فصحّحه ، وهو معلول بالانقطاع.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠٩)

٨٠٩- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: نَهَانَا النَّبيُّ ﷺ أنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأنْ نَأْكُلَ فِيهَا ، وعَنْ لُبْس الحَرِيرِ وَالدِّيبَاج، وأنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الدِّيباج: نوعٌ من الحرير، هو الإبرسيم، وقيل: هو أحسن الحرير[2].

الشرح الأدبي

يروي الحديث حذيفة ﷺ بأسلوب خبري مجرد عن التوكيد، وقد نقل النهي عن النبي ﷺ بأسلوب خبري دون صيغة النهي الإنشائية، وقوله (نهانا النبي ﷺ)فيه توكيد للنهي من ناحية صيغة الماضي التي تقرر تمام الفعل، ثم إيقاع الفعل على ضمير الجماعة دون المفرد، مما يشير إلى عمومه، وقوله (أن نشرب)، وأن، وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي: الشرب، ولم يعبر بالمصدر الصريح (الشرب) لأن التعبير ب (أن) والفعل المضارع مع إفادته لما يفيده المصدر، فإنه يستحضر صورة الفعل، وما فيه من تعالٍ وغرور، وما يثيره في مشاعر الفقراء الذين لا يجدون قوتهم الضروري، وهو أقوى في التنفير من الفعل المنهي عنه، والتي تقرره الظرفية المفهومة من حرف الجر، وإضافة الآنية للذهب، والفضة في قوله: (في آنية الذهب والفضة)، وقوله: (عن لبس الحرير والديباج) فيه إيجاز بحذف الفعل بتقدير، ونهانا، وفي الحديث مراعاة النظير، وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه فقد جمعت حرمة الاستعمال بين (الذهب - الفضة - الحرير - الديباج)، بالإضافة إلى كونها مظاهر فخر، وكبر، كما جمع بين الأفعال

---

(١) برقم ٥٨٣٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٢٨.

(٢) ل في (د ب ج)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (إ ب ر س ي م).

المتعلقة بها، والتي اكتسبت الحرمة من هذا التعلق، وهي: (نشرب - نأكل - - نجلس)، وقد استخدمها في صيغة الفعل الدال على التجدد، والحدوث بينما عبَّر في جانب اللباس بالمصدر (لُبْس) الدال على الثبوت، والدوام؛ لأن ملازمة اللباس للبدن دائمة بعكس البقية فإنها منقطعة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٠٩) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٧، ٨٠٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للسرف مظاهر شتى منها: الإنفاق فوق الطاقة، التبذير في المال من طرق شتى، منها لبس الذهب للرجال وكذا الحرير، كما أن الرجولة تتطلب الخشونة ولا تأذن بالتميع، ولهذا أوجب الإسلام:

أولاً- تربية الذكور على الرجولة والابتعاد عن مظاهر الميوعة:

جاءت أحاديث الباب موجهة الذكور بالارتفاع والتعالي بسلوكهم على مظاهر التخنث والميوعة.

ومن مظاهر ذلك لبس الذكور للذهب والحرير. فجاءت أحاديث الباب محرمة لهما على الذكور، كما في قوله ﷺ: «حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ والذَّهَب على ذُكُورِ أُمَّتِي وأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ».

والعلة في تحريمها على الذكور هو البعد عن مظاهر التخنث التي لا تليق بشهامة الرجال ومحاربة الترف الذي يؤدي إلى الانحلال.

لقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ حاملة التوجيهات القيمة الداعية إلى حياة الجد والرجولة المحذرة من الميوعة والانحلال.

إن من المعلوم بداهة أن الولد إذا نشأ على الميوعة والانحلال وتربى على الفجور والمنكر ودرج على الهزل وعدم الاكتراث فإن شخصيته تتحطم، ونفسيته تتعقد وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض.

لهذا كله كان لزاماً على المربين -ولاسيما الأمهات- أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلق العظيم.

كما أن عليهم كذلك أن يبعدوهم عن كل ما يحطم الرجولة والشخصية ويقتل

الفضيلة والأخلاق[1] كالتشبه بالنساء في لبس الحرير والتزين بالذهب وغير ذلك من الأمور الخاصة بهن.

"إن تربية الولد على الميوعة وتعويده على الترف والنعيم والبذخ يجعله ينشأ مترفاً مُنَعَّماً همّه خاصة نفسه فحسب فلا يهتم بالآخرين ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم ولا يشاطرهم أتراحهم، فتربية الأولاد على هذا النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة ويقضي على المروءة والشجاعة"[2].

ثانياً- مراعاة الفروق الجنسية:

من المضامين التربوية المستنبطة من هذا الباب مراعاة الفروق الجنسية من خلال التفرقة في التربية والمعاملة بين الجنسين "الذكر والأنثى"، ومراعاة ما بينهما من فوارق في النوع والفطرة والوظيفة التي خُلق من أجلها، ومن مظاهر ذلك تحريم الذهب والحرير على الذكور وتحليلهما للإناث، وذلك "مراعاة لأنوثة المرأة وتنمية لغريزة حب التملك فيها وتلبية لفطرتها في حب الزينة وتشويقاً للزوج حين يراها في أبهى منظر وأجمل هيئة"[3]، بخلاف الرجل الذي فطر على القوة والخشونة.

إن المربي إذا ما استحضر الفوارق النوعية بين مَنْ يربيهم وما بينهم من فوارق واختلافات، في الخلق والفطرة والطباع والشخصيات، "فإذا ما وُفِّق المربي لتلك الأمور وعامل المتربين بذلك المقتضى كان حرياً بأن يحسن تربيتهم وأن يسير بهم على الطريقة المثلى"[4].

ثالثاً- التربية الاقتصادية:

من المضامين التربوية التي تشتمل عليها أحاديث الباب وتزجيها لنا من بين طياتها التربية الاقتصادية والمحافظة على المال، لأن المال وظيفته إنما تكمن في استثماره

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٢١٣، ٢/٩٦٥.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٠٠.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٦٧.

(٤) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٤٢.

ودورانه لا في كنزه ووضعه على الأيدي والصدور، فإن ذلك تعطيل للمال عن وظيفته وحرمان للمجتمع من استثماره وفوات الانتفاع به، وإذا كان الإسلام قد أحَل لبس الحرير والتزين بالذهب للنساء فإنما كان ذلك رعاية لما جبلن عليه، وذلك في حدود الاعتدال والمعقول، أما الرجال فحرم عليهم ذلك تحريماً قاطعاً، كما جاء ذلك في صريح أحاديث الباب.

إن من أهم أعمدة الاقتصاد الإسلامي الحفاظ على الثروات من التبديد والإهدار، وكذلك من الاكتناز والتعطيل عن المهمة التي من أجلها خلقت واستخلف الإنسان فيها، وذلك له أكبر الأثر في استتباب الأمن الاقتصادي والاجتماعي والحفاظ (والحرص على الشخصية المسلمة أن يستذلها الفقر أو يهينها السؤال)(١)، فإذا بقى المال مصوناً من العبث والتعطيل بقيت شخصية المسلم كريمة الجاه عزيزة السلطان.

رابعاً- من أساليب التربية: الحرمان:

وذلك ما يمكن لنا أن نراه في معاقبته للابس الحرير والمتزين بالذهب من الرجال من الحرمان بالتحلي والاستمتاع بهما في الآخرة، كما قال ﷺ: «لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ».

"والحرمان أن تجعل العقوبة من جنس العمل أي أن يكون قاسم مشترك بين العقوبة وبين الفعل الخطأ، وفي ذلك فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس، وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم"(٢).

واستخدام المربي لأسلوب الحرمان إنما يكون في مرحلة لا يستخدمها إلا إذا أعيته ما قبلها من الأساليب العقابية، كعدم الرضا والتقريع وغير ذلك.

لكن ينبغي على المربي أن يستحضر أن أسلوب الحرمان، برغم قوة تأثيره، إلا أن التمادي فيه بمجاوزة الحد، له انعكاسات خطيرة على سلوك المتربي، فقد تودي به إلى الانحراف السلوكي من أجل إشباع ما حُرم منه، كما أنه لا يُعمد لهذا الأسلوب إلا إذا

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ٢٥١/١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٤٧٠.

أعيته الوسائل التربوية الأخرى ولوقت يسير" [(١)].

خامساً- من أساليب التربية: إظهار المُحَرَّم والمنهي الذي يُزْجر عنه:

من أساليب التربية الناجعة اطلاع المتربين على الأشياء المحرمة ورؤيتهم لها لتأكد معرفتهم بها "ليقرر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة، ليكون ذلك أزجر للنفوس وأقطع في الدلالة على التحريم"[(٢)]، كما رأينا ذلك في أحاديث الباب من إتيان رسول الله ﷺ بالذهب والحرير وإمساكهما بيديه "إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال:...".

"إن استخدام مثل هذه الأساليب الحسية في التربية لها أكبر الأثر في نجاح العملية التعليمية والتربوية، كما أن استخدام الوسائل والأساليب التربوية الحسية "يثير اهتمام الطلاب والمتربين، ويثير لديهم الرغبة في التعلم، وبذلك يكون دافعاً وحافزاً على التعلم، كما يكون مبعداً للملل والسأم اللذين ينتابان المتعلمين بسبب الرتابة اللفظية والتجريدية المعقدة، كما أنها تساعد على ترسيخ آثار التعلم وتجعل الخبرات باقية ومساعدة على عدم النسيان"[(٣)].



(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٤٠٤.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٠.

(٣) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٨١، ٤٨٢.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة